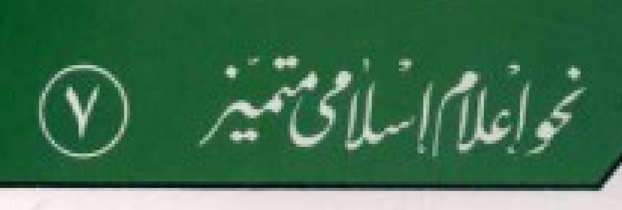
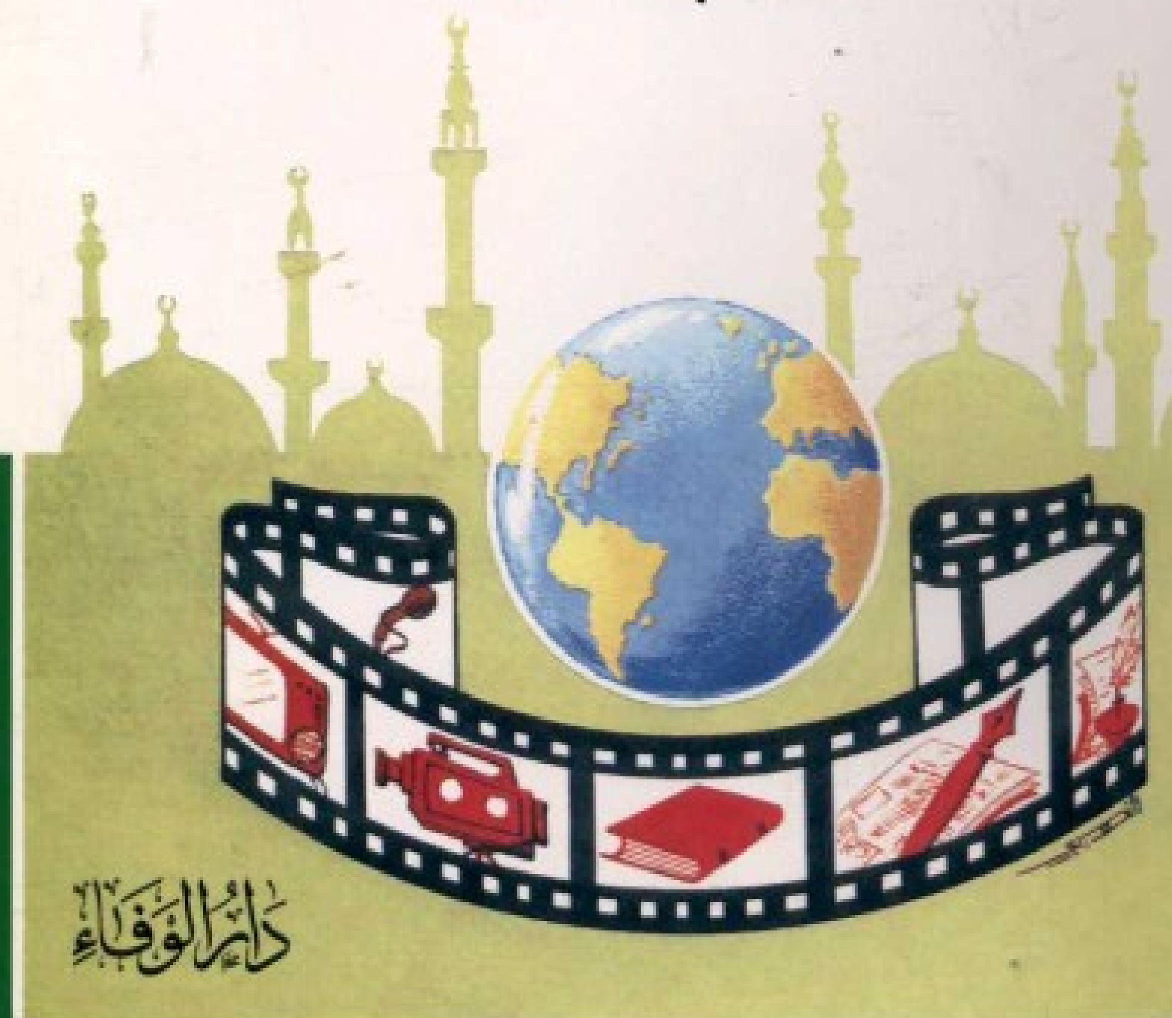
نحو إعلام إسلامي متميز (٧)



صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر

منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى

الدكتور
جمال عبد الحي عمر النجار



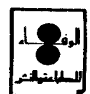
دار الوفاء

صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر

مُنذ مَطلع القَرن العِشرين
حَتَّى نُشُوب الحرب العَالمية الأولى

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ ج.م.ع ـ المنصورة

الإدارة : ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ص . ب ٢٣٠

ت :٣٤٢٧٧٢١/ ٣٥٦٢٢٠/ ٣٥٦٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧٤٢٣

صحافة الاتجاه الإسلامي في مصر

منذ مطلع القرن العشرين
حتى نشوب الحرب العالمية الأولى

الدكتور
جمال عبد الحي عمر النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله رب العالمين ، خلق الإنسان وخصه بنعمة البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ أفصح من نطق ،وأروع من أبان ، القائل فيما روى عنه : «من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داود والترمذى.

فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوا سنته، واهتدوا بهديه إلى يوم الدين.

وبعد :

فتنبع أهمية هذه الدراسة « صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ١٩٠٠ ـ ١٩١٤م» من أهمية الصحافة بوجه عام ، وفى فترة البحث بوجه خاص ، حيث تعتبر الصحافة قوة كبرى فى توجيه الرأى العام وتكوينه والتأثير فيه .

وغنى عن القول أن الرأى العام قوة ذات خطر كبير فى حياتنا العامة من سياسية، واجتماعية ، وثقافية ، واقتصادية ، وليس هذا فحسب بل لها ـ أيضا ـ تأثير على حياتنا الخاصة ، وسلوكنا الفردى .

ولهذا كله كان للصحافة الفضل فى التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية فى العصر الحديث فى كثير من بلدان العالم [١] .

وتزداد أهمية هذه الدراسة إذا عرفنا أن الصحافة ـ فى تلك الفترة ـ كانت وسيلة الإعلام الأولى ، فلم تكن قد ظهرت بعد الوسائل الإعلامية ـ المسموعة منها أو المسموعة المرئية ـ فى مصر ، فقد كانت الصحف قوة مؤثرة على العواطف والعقول أكثر من أية

---

(١) أديب مروة : الصحافة العربية ـ نشأتها وتطورها ، بيروت : ١٩٦١ ، ص١٨ .

وسيلة أخرى منافسة لها .

وقد كان للصحافة الإسلامية دور كبير فى بناء النهضة الفكرية المعاصرة ، فقد حملت لواء الدعوة إلى مفهوم الإسلام الصحيح ، والدفاع عن اللغة العربية ، ومقاومة الدعوات التغريبية والغزوات الفكرية التى تعرضت لها مصر فى بداية القرن العشرين .

فمنذ عام ١٨٨٢م بعد أن تم احتلال إنجلترا لمصر وهى تعمل على الاستيلاء على عقل الشعب المصرى وتغيير فكره ، فقد علم الاستعمار أن الاستيلاء على الأرض ليس معناه الاستيلاء على أهلها ، حيث إن الاستيلاء على الأرض يتـم بقوة السلاح أما الاستيلاء على البشر فلا تجـدى فيه الأسلحة ، فلابد - إذن - من عمل منظم لتغريب الشعب المصرى حتى يقبل الاستعمار الغربى ويصبح تابعا لحضارته ، ويتتلمذ على أهله ؛ لذلك فـقد اتجه إلى تدمير العقائد والأفكار ، وهدم القيم والأخلاق ، وتحطيم الآداب والتقاليد الإسلاميـة (١) .

ولا شك أن صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر فى بداية القرن العشرين هى قطاع من الصحافة المصرية التى عرفها الشعب المصرى فى العصر الحديث ، وكان لها أكبر الأثر فى توجيهه والدفاع عن الدين الإسلامى والأخلاق والقيم والوطن أيضاً .

وتوصف هذه الصحافة بالإسلامية لتميزها بدراسة القضايا الإسلامية ، والقضايا العامة - أيضا - من منظور إسلامى ، والوقوف ضد الحملات الاستعمارية التى شنها الاحتلال البريطانى وعملاؤه على المسلمين وعلى دينهم وتراثهم ولغتهم .

وكان من أبرز الصحف التى عنيت بقضايا الإسلام فى مصر «المؤيد» التى أصدرها الشيخ على يوسف فى أول ديسمبر ١٨٨٩م ، و«الإسلام» التى أصدرها الشيخ أحمد الشاذلى الأزهرى عام ١٨٩٤م ، و «المنار» التى أصدرها السيد رشيد رضا فى ١٨٩٨م ، و«الحياة» التى أصدرها محمد فريد وجدى فى ١٨٩٩م، و«اللواء» التى أصدرها مصطفى كامل فى يناير ١٩٠٠م ، و«مكارم الأخلاق الإسلامية» التى صدرت عن جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية فى يناير ١٩٠٠م ، و« المرأة فى الإسلام» التى أصدرها إبراهيم رمزى عام ١٩٠١م ، و«العالم الإسلامى» التى أصدرها مصطفى كامل عام ١٩٠٥م ، و«الهداية» التى أصدرها الشيخ عبد العزيز جاويش عام ١٩١٠م ، و«الشعب» التى أصدرها الحزب الوطنى فى عام ١٩١٠م .

---

(١) د . يوسف القرضاوى : حتمية الحل الإسلامى ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٣م ، ص١٧ ، ١٨ .

ولعل اختيارى لهذه الدراسة يرجع لعدة أسباب أهمها :

أن الصحافة الإسلامية فى تلك الفترة لم تحظ بالدراسة الكافية من الدارسين والباحثين فى تاريخ الصحافة المصرية ، فقد وضعت رسائل جامعية فى الصحافة الفنية ، والصحافة الزراعية ، والصحافة الفكاهية ، والصحافة النسائية ، والصحافة الأدبية ، والصحافة اليهودية ، والصحافة الحزبية . . . وغيرها ، على حين ظل ميدان الصحافة الإسلامية يتسع للكثير من البحوث ، والذين أرخوا للصحافة المصرية أو كتبوا عنها أهملوا بعض الصحف الإسلامية ، وبعضهم أشار إليها إشارة عابرة لا تتناسب وقدرها ، فمثلا : الدكتور إبراهيم عبده لم يذكر فى كتابه: «تطور الصحافة المصرية» شيئا عن مجلة «الإسلام» للشيخ أحمد الأزهرى والتى صدرت عام ١٨٨٤م ، وظلت تصدر حتى عام ١٩١٢م ، وكذلك أشار إلى «المنار» والتى ظلت تصدر ثمانيا وثلاثين سنة ـ إشارة عابرة فهو يقول :

«وقد صدر بجانب المؤيد والصحف الوطنية والاستعمارية الأخرى بعض الجرائد الغريبة فى مشربها ، غير أن هناك صحيفة لا بأس بها زاملت المؤيد والأهرام ـ وإن لم تجر فى تيارهما ـ هى صحيفة «المنار» ، وقد أنشأها السيد محمد رشيد رضا فى ١٥ مارس عام ١٨٩٨م .

ويرجع اختيارى لهذه الفترة من (١٩٠٠وحتى ١٩١٤م) دون غيرها لعدة أسباب أهمها:

ـ أن عام ١٩٠٠م قد شهد مولد عدة صحف إسلامية متخصصة ، وصحف إسلامية ذات اتجاه إسلامى ، فقد نشأت «اللواء» فى ٢ يناير عام ١٩٠٠م ، و«مكارم الأخلاق الإسلامية» فى ١ يناير عام ١٩٠٠م ، وفى السنتين الأخريين من القرن التاسع عشر نشأت صحيفتان إسلاميتان متخصصتان هما : «المنار ١٨٩٨م » ، و«الحياة ١٨٩٩م» .

ـ كما شهدت هذه الفترة صدور عدد من المجلات والجرائد التى اهتمت كثيرا بنشر الفكر الأوربى ، ففى عام ١٨٩٨م كانت تصدر فى مصر تسع وستون ومائة جريدة ومجلة، وصلت عام ١٩١٣م إلى ثنتين وثمانين ومائتين جريدة ومجلة ، وإن كان يمكن القول : إن الدوريات المنتشرة والمنتظمة فى الصحافة كانت محدودة وهى «الأهرام» و«المقطم» و «اللواء» و«المؤيد» و« الوطن» و «الجريدة» ، وبعض هذه الصحف وإن كانت تعبر ـ أساسا ـ عن وجهات نظر سياسية إلا أنها ـ أيضا ـ تضمنت كثيرا من الأعمال الفكرية ذات القيمة الكبرى من ناحية ، ومن ناحية أخرى بدأت فى الوقت نفسه عملية ترجمة لأمهات الكتب والمؤلفات الغربية على نطاق واسع ، وتولى هذه العملية رجال

مشهورون مثل: عثمان جلال ، وأديب إسحاق ، وأحمد فارس الشدياق ، وجورجى زيدان ، الذين ترجموا العديد من أعمال لافونتين وموليير ، وأناتول فرانس وهيجو (١) .

وفى تقرير عن الصحافة المصرية - نشرته مجلة «كل شيء» عام ١٩٣٠م - أن الصحافة فى أوئل عام ١٩٠٠م بلغت سبعا وستين ومائة صحيفة ما بين أسبوعية ويومية وشهرية ، وأن هجرة السوريين واللبنانيين إلى مصر كان لها أثرها ، وأن بعض هذه الصحف كانت تناصر السلطان عبد الحميد ، وصحفا أخرى كانت تناصر المحتلين الإنجليز وتكشف عن مساوئ السلطان عبد الحميد ، ولم يكن يمضى شهر حتى تصدر صحيفة ، فقد ظهر فى عام ١٩٠٠م وحده سبع وثلاثون صحيفة (٢) .

- وقد شهدت هذه الفترة - أيضا - تزايد النشاط التبشيرى ، ففى عام ١٨٩٩م وزع المبشرون نشرات فى الإسكندرية ضد الإسلام ، وبشروا بالمسيحية فى شوارع القاهرة، بل وبشر أحدهم داخل مساجد طنطا ، وطبع أحدهم نشرة بعنوان : «أيهما أفضل : المسيح أم محمد ؟ » وأرسلوها بالبريد إلى العمد والمشايخ والعلماء وشيخ الأزهر (٣) .

لذلك فقد كانت دراسة هذه المرحلة ضرورة ملحة ؛ حيث كانت جذور الغزو الفكرى التى قام بغرسها الاحتلال الإنجليزى قد بدأت تؤتى ثمارها .

يقول محمد فريد وجدى مصورا هذه الفترة :

«الذى لم ير فى مصر إلا الاحتلال العسكرى لم ير من أحوالها الاجتماعية شيئا، فإن أنواع الاحتلالات الأجنبية فى مصر كثيرة .

ففى مصر احتلال عادى خاص بالعادات ، أسقط العادات الإسلامية والمصرية أمامه ، وحول الناس وجهات مختلفة ، وتبع الانحراف فى العادات انحراف فى الأخلاق ، وانحراف فى الآداب .

وفى مصر احتلال اقتصادى ، أباد الصناعة المصرية ، وجعلها أثرا بعد عين ، بل هو دائب فى إخراج الثروة من المصريين إلى أيدى الأجانب .

---

(١) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ١٨٨٢م - ١٩١٤م القاهرة : مكتبة الكيلانى، ١٩٧٠م، ص١٤ .

(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة : الأنجلو ، ١٩٦٢، ص٦٣١ .

(٣) د . زكريا سليمان : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ - ١٩٥٣م القاهرة : الفاروقية للطباعة والنشر ، ١٩٨١م ، ص٣٣ .

وفى مصر احتلال مدنى ، سلب ذوى العقول عقولهم ، فأصبح الأب أكثر عناية بتعليم ابنته «البيانو» من تعليمها أصول الأدب والدين .

وفى مصر احتلال إلحادى ، زين للناس القول بأن الأديان من الشئون الأثرية ، وأن العقيدة بالله والروح والخلود بعض الخيالات القديمة التى كانت تتلهى بها الشعوب فى إبان سذاجتها» (١) .

وكان الهدف من وراء إجراء هذه الدراسة هو :

تجلية موقف الصحافة الإسلامية تجاه ما سبق ذكره ، والقضايا التى تمخض عنها العصر، فضلا عن دراسة الصحف الإسلامية من ناحية المضمون والشكل والجوانب الفنية الأخرى .

وكان تحديد نهاية هذه الدراسة بنشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م تحديدا منطقيا ومقبولا وله ما يبرره ، فبنشوب هذه الحرب أعلنت الحماية على مصر وفرضت الرقابة على الصحف ، والأحكام العرفية على البلاد ، وتوقفت معظم الصحف الإسلامية عن الصدور .

الدراسات السابقة :

لم يعرف الباحث دراسات سابقة فى هذا المجال سوى دراسة الباحث: سامى عبد العزيز الكومى التى كانت بعنوان : «الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر » وقد نال عليها درجة العالمية «الدكتوراه» من قسم الصحافة والإعلام فى كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

منهج الدراسة :

تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التى تستهدف تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف معين ، وتعتمد على جمع حقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها،بغية إصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها .

وقد استخدمت هذه الدراسة أكثر من منهج ، فقد استخدمت «المنهج المقارن» الذى استخدم فى المقارنة بين اتجاه صحيفة وصحيفة أخرى ، أو فى المقارنة بين مواقف الصحف تجاه القضايا التى تناولتها الدراسة ، كما استخدمت الدراسة منهج «البحث التاريخى» الذى يهدف إلى معرفة الأحداث التى جرت فى الماضى للاستفادة منها فى

---

(١) الشعب ، عدد ٤٢١ ، ٢٠ رجب ١٣٣١هـ ، ٢٥ يونيه ١٩١٣ م .

دراسة الأحوال الحاضرة والتنبؤ بالمستقبل والوصول - بقدر المستطاع - إلى الحقيقة التاريخية وتقديمها إلى المختصين خاصة والقراء عامة .

مصادر الدراسة :

وقد تنوعت مصادر هذه الدراسة كما يلى :

النوع الأول : هو الصحف نفسها - موضوع الدراسة - حيث قمت بمسح شامل لمعظم مجلداتها ، وجعلت المقالات والنصوص التى فيها مادة التحليل؛ لتجلية الاتجاه الإسلامى للصحيفة أو موقف الصحيفة من القضايا المثارة .

النوع الثانى : هو الكتب التى ألفت عن هذه الفترة ، سواء تناولت تاريخها بوجه عام، أم تخصصت فى نواح دينية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها ، وسواء عايش مؤلفوها فترة البحث أم جاؤوا بعدها وألفوا عنها ، وكانت هذه المؤلفات تمثل الخلفية التاريخية للبحث التى يمكن فى إطارها دراسة المقالات والنصوص فى الصحف - موضوع الدراسة - ويمكن فى ضوء آراء أصحاب هذه المؤلفات - التى تتفق وتختلف - الوصول إلى أحكام موضوعية فى تقييم مواقف الصحف المذكورة .

النوع الثالث : مجموعة من الرسائل الجامعية التى تناولت جوانب معينة تتصل بالقضايا المثارة فى البحث ، سواء كانت متخصصة فى جوانب صحفية أو دراسة لأشخاص عايشوا فترة البحث أو دراسة فى التاريخ تلمس فترة البحث .

النوع الرابع : بعض المقالات فى الصحف والمجلات المعاصرة التى تحدثت عن موضوعات تخص فترة الدراسة .

النوع الخامس : بعض أعداد الصحف المعادية لصحافة الاتجاه الإسلامى فى فترة الدراسة كالمقتطف ، والوطن ، وغيرها .

والله أسأل أن يتقبله منا ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين .

المؤلف

التمهيد

اتجاهات الصحافة المصرية فى مطلع القرن العشرين

لم تكن الصحف التى صدرت فى مصر إبان الاحتلال البريطانى منزهة عن الغرض فى معظمها ، فقد كان لإنجلترا بعض الصحف التى تتبنى وجهة نظرها وتدافع عنها مثل «المقطم» التى اشتهرت بأنها لسان الاحتلال البريطانى فى مصر . وأيضا كانت فرنسا تدعم بعض الصحف المصرية ؛ كى تدافع عن سياستها المناوئة لإنجلترا وكان فى مقدمة هذه الصحف جريدة « الأهرام » .

وكانت هذه الصحف تقوم بهذه المهمة بطريقة يخيل للقارئ أنها غير مغرضة ، بل يظن أنها تقوم بدور الناصح والمرشد الأمين للمصريين (١) .

وتجدر الإشارة هنا أن أغلب الصحف الممالئة للإنجليز أو للفرنسيين كان يملكها مهاجرو الشام النصارى ، الذين فروا إلى مصر بعد مذابح لبنان الشهيرة ١٨٦٠م ، وذلك بعد أن أحكمت عليهم الدولة العثمانية قبضتها بسبب نشاطهم الفكرى المعادى لها . وقد وجد هؤلاء «الشوام» فى مصر الحرية تحت حماية النفوذ الأوربى قبل الاحتلال الإنجليزى لمصر. وبعد هذا الاحتلال أصبحوا فى رعايته . وكان فى طليعة هؤلاء: شبلى شميل ، وجورجى زيدان ، وفرح أنطون ، ويعقوب صروف ، وفارس نمر ، وإسكندر ، وشاهين مكاريوس ، وغيرهم . وأصدروا فى مصر عدة جرائد ومجلات بمعونة الاستعمار وتشجيعه ، مثل مجلة «الهلال» التى أسسها جورجى زيدان ١٨٩٢م ، ومجلة المقتطف التى أنشأها فارس نمر ويعقوب صروف ١٨٦٨م ، وجريدة «المقطم» التى أنشأها يعقوب صروف وفارس نمر ١٨٨٩م (٢) .

وقد حملت هذه الصحف التى أصدرها الشاميون النصارى اتجاهات من الفكر الغربى ـ تخدم الاستعمار ـ إلى المصريين ، وكانت بمثابة منابر لهذا الفكر فى ظل الاحتلال الإنجليزى ، «وكانت خلاصة دعوتهم رفض الأساس الإسلامى للفكر العربى ، ومحاولة

---

(١) على عباس على : عبد الله النديم صحافة وفكرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص ٢٧٩ .

(٢) د . مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٩٨٤م،ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

بناء أساس جديد مأخوذ من الفكر الغربى المسيحى [١] ، وتنمية الروح الإقليمية فى مواجهة الوحدة الإسلامية ، وتقوية الاتجاه العلمانى ، وفصل الدين عن الدولة ، وفصل الشريعة الإسلامية عن حياة الناس ، وإبعاد التعاليم الإسلامية عن ميدان النشء» [٢] .

ويلاحظ أن الاستعمار البريطانى كان يؤازر هذه الصحف المماثلة له ويدعمها ماليا ، ويسمح لها بالظهور والانتشار فى حين ضيق على الصحافة الوطنية الإسلامية وحارب كتابها .

فعندما صدرت «المؤيد» جريدة وطنية ذات اتجاه إسلامى فى ديسمبر ١٨٨٩م رأى الاستعمار مقاومة الصحافة بالصحافة ،«فأصدر المقطم ١٨٨٩م جريدة سياسية تجارية ، وقد ذكر «بلنت» فى مذكراته أن وزارتى الحربية والداخلية دفعتا لصحيفة «المقطم» مبلغا عظيما من المال ، لتدافع عن تصرفات الإنجليز فى مصر ،وقد عجز الخديوى إزاء حملات «المقطم» أن يقدمها للمحاكمة » [٣] .

وأتاح الاحتلال «للمقطم» أن تحصل على أهم الأخبار وتنفرد بنشرها قبل الصحف الأخرى ، حتى أنها استطاعت أن تنشر بعض الأحكام القضائية قبل النطق بها . وكانت تدافع عن الاحتلال وتصرفاته ، وتقاوم خصومه وتهاجم دولة الخلافة العثمانية [٤] .

وقد استطاع الاحتلال أن يجذب إلى صحفه اتجاها صحفيا آخر ، ولا يحمل لواء مدح الاستعمار صراحة كما تفعل «المقطم» ، وإنما يذهب إلى مهادنة الاحتلال ومهاجمة الخلافة العثمانية وأسلوب مصطفى كامل فى تعبئة المشاعر الوطنية واتهامه بالحماسة والعنف . ويتمثل هذا الاتجاه فى جريدة «الجريدة» لسان حزب الأمة ، ورئيس تحريرها لطفى السيد ، هذا الاتجاه يدعو إلى التعقل ، وقبول الأوضاع المعاصرة أو تحقيق الأمانى الوطنية بالتدرج، وذلك باتفاق يحدث بين الاحتلال وبين أعيان المصرين وحدهم باعتبارهم على حد تعبير الحزب وصحافته أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد [٥] .

ونستطيع أن نقسم اتجاهات الصحافة المصرية فى مطلع القرن العشرين إلى :

١ ـ اتجاه إسلامى وكانت تمثله الصحف الآتية :المؤيد، الإسلام ، الحياة ، المنار ،

---

(١) الأصح أن يقال : النصرانى ، ولكنا آثرنا إبقاءها محافظة على النص المنقول، فليلاحظ ذلك فى مثيلاتها.

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية ، القاهرة : دار المعرفة ، ١٩٧٠م ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٠ . (٥) المرجع نفسه ، ص ٦٢ .

اللواء ، مكارم الأخلاق الإسلامية ، الهداية ، الشعب .

٢ ـ اتجاه موال للاستعمار البريطانى ، وتمثله : المقطم .

٣ ـ اتجاه موال لفرنسا ، وتمثله : جريدة الأهرام .

٤ ـ اتجاه مهادن للاستعمار ، وتمثله : «الجريدة» لسان حزب الأمة .

وإلى جانب هذه الاتجاهات الرئيسية ، هناك اتجاهان ثانويان هما :

١ ـ اتجاه الطائفة النصرانية ، وتمثله جريدة الوطن، ومصر .

٢ ـ اتجاه الطائفة اليهودية وتمثله : الإرشاد ، ومصر .

أولا : الاتجاه الموالى للاستعمار البريطانى ، وتمثله جريدة «المقطم» :

ظهرت جريدة «المقطم» فى عام ١٨٨٩م لأصحابها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس ، وقد جرت فى سياستها على خطة مناصرة الاحتلال البريطانى وبث الدعاية للإنجليز وشد أزرهم ، وقد أعلن ذلك أصحابها صراحة على صفحاتها قائلين :«إن غرضهم السياسى من تأسيسها معلوم ظاهر ، وهو تأييد السياسة الإنجليزية» (١) .

فكان ذلك سببا فى ابتعاث الشعور الوطنى بين المصريين الذين كانوا يطالبون بخروج الإنجليز ، ويعملون على مناوأة الاحتلال الأجنبى فى مصر ؛ ولهذا فقد اشتد غضبهم على جريدة «المقطم» وراحوا يدعون إلى إنشاء الصحف الإسلامية والوطنية ، وتنطق بلسانهم وتعبر عن أمانيهم ، لاسيما أن «الأهرام» كانت ذات ميول فرنسية واضحة ، وجريدة «الوطن» ذات اتجاه طائفى (٢) .

ويمكن أن نوضح سياسة المقطم فيما يلى :

١ ـ إن المحتلين احتلوا هذا القطر ، ولا يخرجون منه إلا بإرادتهم أو بقوة تفوق قوتهم .

٢ ـ إنه لا نفع للمصريين من معاندتهم ومعارضتهم أو الاستعانة بالدول الأخرى عليهم؛ لأن المعاندة والمعارضة تضران بالمصريين ولا تخرجان المحتلين من القطر .

٣ ـ إن مصلحة المحتلين توافق مصلحة المصريين ؛ ولذلك يقصد المحتلون إصلاح حال المصريين ، وتنظيم أمور مصر ؛ فلذلك يقضى حسن السياسة علينا بمسالمتهم

---

(١) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

ومحاسنتهم ومعاونتهم على الإصلاح .

٤ - إن المصريين يصبون طبعا إلى بلوغ الاستقلال ، والتخلص من الاحتلال، وكلا الأمرين يتوقف عليهم . فليجدوا ويكدوا فى التعليم ونشر العلوم والمعارف بين عامتهم ، وتوثيق عرى الاتفاق والإخلاص بين المحتلين وحكومتهم (١) .

ومن ثم فهى تصور الإنجليز بصورة إنسانية ، فالإنجليز - فى زعمها - لم يأتوا إلى مصر بهدف الاحتلال ، وإنما لرفع الظلم الواقع على المصريين ، وتحسين اقتصادهم ، فإليهم وحدهم يرجع الفضل فى إنقاذ مصر من الإفلاس ، وإنقاذ الفلاح المصرى الذى كان مستعبدا لطائفة من الباشاوات من الترك والخديو التركى الحاكم (٢) .

وقد وصفت جريدة «الشعب» «المقطم» فقالت : «سياستها إنجليزية صرفة تكتب بحروف عربية» ،وتشير إلى مساعدة الإنجليز لأصحاب المقطم : «إن أصحاب المقطم أغنى الصحفيين مالا ، وأكثرهم أطيانا ، ورغم أن الصحافة فى مصر مجلبة للخسارة فإنهم جمعوا منها ثروة يعجز عن جمعها أكثر أرباب المشروعات» (٣) .

وكانت المقطم صريحة فى معاداة الخديو والحركة الوطنية ، ومقاومة الصحف الإسلامية ، حيث كانت فى تناقض مع التيار الإسلامى بنوعيه التجديدى الذى كان يقوده الشيخ محمد عبده ، ثم رشيد رضا وبعد ذلك ، وتيار مصطفى كامل والشيخ على يوسف المحافظ .

يقول الدكتور عبد العظيم أنيس : «إن أصحاب «المقطم» و«المقتطف» يعقوب صروف وفارس نمر كانوا على تناقض واضح مع تيار المجددين الإسلاميين ، هذا التيار الذى قاده جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ثم رشيد رضا بعد ذلك ، للتوفيق بين الدين ومطالب الحياة العصرية ، كذلك كانوا على تناقض واضح مع تيار الحركة الوطنية المصرية المناهضة للاحتلال البريطانى ، هذا التيار الذى قاده عرابى والبارودى ، ورفع أعلامه مصطفى كامل» (٤) .

---

(١) تيسير محمد أحمد : المقطم ودورها فى الدعاية للاحتلال البريطانى ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام - جامعة القاهرة ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١ ، ط١١ ، القاهرة : ١٩٨٠م ، ص٧٣، ٧٤.

(٣) الشعب ، ٨ / ٥ / ١٩١٢ .

(٤) د . عبد العظيم أنيس : تعقيب على بحث قدمه د . عبد الله العمر عن مجلة المقتطف نشر فى كتاب العربى الثالث ، ١٩٨٤م ، الصادر بعنوان : المجلات الثقافية .

فضلا عن ذلك كان أصحاب المقطم يتخذون من حياة أوربا الحديثة مثلا أعلى لهم ، وكانوا يعملون على نقل مظاهر الحياة الأوربية فى المجتمع المصرى ، وكانوا يزعمون أن العمل الثقافى ونشر العلم كفيل بتحقيق ذلك (١) .

وهذا يؤكد الدور التغريبى الذى لعبته « المقطم» والشاميون النصارى فى تغريب الشعب المصرى ، ومحاربة العادات والتقاليد الإسلامية ، والغريب أن جزءا من الارستقراطية المصرية فى أوائل القرن العشرين قد انضمت مع هؤلاء ، وقاموا بتشكيل تجمع موال للإنجليز ، هؤلاء هم الذين كانوا حزب الأمة ، وكانت «الجريدة» لسان هذا الحزب (٢) .

وقد هاجم فارس نمر قاسم أمين عندما أصدر كتابه «المصريون» ردا على الكاتب الفرنسى دوق دراكور لأنه هاجم المرأة المسلمة ، والدين الإسلامى ، وربما كانوا وراء إصدار قاسم أمين لكتابه «تحرير المرأة» (٣) .

وليس من شك فى أن أصحاب «المقطم» كانوا من أنصار الفكر الغربى والدعوات المعادية للفكر الإسلامى والعربى ومفكرى الإسلام والعروبة والحركة الوطنية المصرية .

فقد شكك نجيب عازورى وهو من أصحاب «المقطم» فى عروبة مصر ، ووصف وطنية مصطفى كامل بأنها وطنية زائفة ، وزعم أن المصريين غير جديرين بأن يحكموا أنفسهم وعليهم أن يكونوا شاكرين لتمتعهم بالإدارة البريطانية الصالحة (٤) .

كما هاجم فارس نمر مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وأمين الرافعى ، وكانت المقطم تطلق على مصطفى كامل وزملائه فى الحزب الوطنى لقب «الهجاصين الأغرار» (٥) ، الأمر الذى دفع مصطفى كامل أن ينتقد أصحاب «المقطم» ، فتصف اللواء أصحاب المقطم قائلة : «إنهم طغوا وبغوا واستكبروا أنفسهم ، واستنكروا اعتزازا بالاحتلال واتكالا عليه ؛ ولهذا صار المصريون إذا عدوا سيئات الاحتلال كانت حمايته ونصرته للمقطمين فى مقدمة تلك السيئات» (٦) .

كما وصفهم عبد الله النديم من قبل «بأنهم دخلاء وأعداء لمصر ، لم يبادلوا إكرام

(١ ، ٢) المرجع السابق ، ص٤٥ .

(٣) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الثانية ، مرجع سابق ، ص١٤٣ .

(٤) د . عبد العظيم أنيس : كتاب العربى الثالث ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٥) اللواء ، ١٥ يوليه ، ١٩٠٦م .

(٦) د . عبد العظيم أنيس : كتاب العربى الثالث ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

مصر وصيانتها إلا بالعقوق والكراهية ، وأنهم مرابون فاحشون وصنائع للغزو الأجنبى»[1] .

وليس هناك من شك فى أن الاستعمار قد شجع «المقطم» وأصحابه والصحف الموالية له ، بهدف مواجهة حركة اليقظة الإسلامية التى فجرها جمال الدين الأفغانى فى مصر ، وسارت على دربها الصحف الإسلامية فى عهد الاحتلال البريطانى أيضا لخلق حركة موازية لها توالى الغرب ، وتنشر أفكاره (٢) .

«وقد أخذ رجال هذه الحركة يحملون لواء الخصومة الواضحة للفكر الإسلامى ومقوماته وأسسه ، وإثارة الشبهات للانتقاص من اللغة العربية والإسلام والتاريخ والتراث، وكان هذا التحدى هو أخطر ما واجه الدعوة الإسلامية ؛ نظرا لأن الاستعمار أعطاه إمكانية الذيوع والانتشار» (٣) .

وكان أصحاب «المقطم» و«المقتطف» يحاولون تغريب المصريين ، وبالطبع المسلمين منهم بما كانوا يقومون به من تعريف بالمذاهب الغربية فى الفلسفة والأدب ، وسائر ضروب الثقافة الغربية ، وإغفال تاريخ الشرق ، وتراثه الفكرى . وكانت تترجم لبعض مشاهير الغربيين ، فى حين أنها قد تغافلت علماء الإسلام أو الشرق ، فلم تترجم لواحد منهم فى تاريخها الطويل . كما كانت تعمل على إضعاف النزعة القومية والوطنية بما تنشر من أراء تشكك فى العقيدة الإسلامية ، وبما تدعو إليه من نزعات عالمية ، أرادت بها إزالة الحواجز بين المصريين وبين الغربيين (٤) .

وقد حاربت الصحف الموالية للإنجليز أيضا اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة القرآن الكريم، وحاولت أن تقنع المصريين بأن سبب تأخرهم فى ميدان الحياة العلمية هو تمسكهم بلغة القرآن ، وأن الأولى لهم أن ينهضوا بالعامية المصرية حتى يسايروا ركب الحضارة (٥).

وهذه ولا شك دعوة مغرضة أريد بها قطع المسلمين عن قرآنهم ، وجذورهم الفكرية، حتى يسهل للغربيين استبدالها بمذاهبهم وعقائدهم ، فاللغة أساس الفكر ؛ لذلك كانت «المقطم» تشجع على تعلم اللغة الإنجليزية ، وتستحث المصريين على تعلمها (٦) .

---

(١) د . عبد العظيم أنيس : كتاب العربى الثالث ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٢) د . مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص ٨٦٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٤) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

(٥) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، جـ٢ ، ط٥ القاهرة : ١٩٦٤م ، ص٤٠ .

(٦) د . سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٢٧٩ .

ويمكن القول : إن سياسة «المقطم» كانت تتركز فيما يلى :

١ ـ قتل روح الجهاد والمقاومة فى نفوس المصريين ضد الاحتلال البريطانى الجاثم على صدر البلاد .

٢ ـ مدح الاحتلال وتصويره بصورة إنسانية ، فهو ما جاء لمصر فى نظرهم لغرض الاحتلال أو فرض السيطرة بل للإصلاح والتعمير .

٣ ـ مواجهة التيار الإسلامى فى الصحافة المصرية ، وهذا التيار الذى وضع أساسه جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده فى «العروة الوثقى» وسارت على دربه الصحف الإسلامية بعد ذلك .

٤ ـ الدعوة إلى التغريب ، ونقل مظاهر الحياة الأوربية إلى مصر .

٥ ـ مهاجمة قادة الفكر الإسلامى ، وإغفال تاريخ الشرق والمسلمين وإثارة الشبهات حول الفكر الاسلامى ، ومقاومته بشتى الطرق .

ثانيا : الاتجاه الموالى لفرنسا ، وتمثله صحيفة «الأهرام» :

صدرت جريدة الأهرام فى أغسطس ١٨٧٦م وكان موعد صدورها فى يوم السبت من كل أسبوع (١) . وقد أصبحت الأهرام جريدة يومية سياسية تجارية أدبية فكاهية ابتداء من يوم الاثنين ٣ يناير ١٨٨١م (٢) .

ولم تكن للأهرام سياسة مرسومة فى السنتين الأولبين من صدورها ، فقد اعتمد صاحباها سليم وبشارة تقلا على النقل من «الوقائع المصرية» أو «الجوائب» أو «المونيتور اجبسيان» أو غيرها من الصحف الأخرى ، التى كانت الحكومة توجه أقلام أصحابها وما يتفق مع سياستها . وبدأت «الأهرام» فى أول عهدها مؤيدة سياسة الدولة التى منحتها الترخيص وأذنت لها بالصدور؛ لذلك كانت روايتها للحوادث فيها ميل نحو السلطان العثمانى (٣) .

وقد بدأت «الأهرام» تعالج الشؤون السياسية الداخلية منذ عام ١٨٧٨م ، واتسم أسلوبها بشىء من الشدة والإسهاب فى نقد تصرفات الحكومة ، وكان هذا الأسلوب جديدا فى الصحافة المصرية ؛ حيث كانت الحكومة لا تسمح بنقد تصرفاتها (٤) .

ومضت «الأهرام» تنقد تصرفات المسئولين ، سواء فى أخبارها أو فى مقالاتها أو برقياتها ، تعاونها فى ذلك «صدى الأهرام اليومية» التى كان يشرف على تحريرها بشارة تقلا ، وكانت أعنف من «الأهرم» فى أسلوبها ، وسارت «الأهرام» تؤيد الثورة العرابية ، وساندتها فى أدق الظروف وأحرجها (٥) .

---

(١) د . إبراهيم عبده : الأهرام تاريخ وفن ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥١م ، ص ٣٩.

(٢، ٣) المرجع السابق ، ص ٦١ ، ١٢٥ .　　(٤ ، ٥) المرجع نفسه ، ص١٣٢، ١٤٦ .

وقد أغلقت الأهرام قبيل الاحتلال البريطانى لمصر ، وأصدر صاحباها بدلا عنها جريدة «الأحوال» فى ٧ يونيه ١٨٨٢م، ولكنها لم تستمر فى الصدور ، ثم عادات «الأهرام» بعد أن نزل الإنجليز مدينة الإسكندرية ، وقد تغير موقفها من الثورة العرابية .

يقول أنور الجندى : «عادت الأهرام إلى الصدور فى ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢م تحمل على عرابى ، وتناصر الاحتلال ، وتمتدح الاحتلال والجنرال ولسلى ، وظلت على هذه الخطة حتى عام ١٨٨٤م فى حين تحولت إلى مهاجمة الإنجليز فى موضوع إخلاء السودان ، وقد حملت وحدها لواء المعارضة عشر سنوات ، ومهدت للحزب الوطنى مؤيدة حركة مصطفى كامل ، وكانت فرنسا قد فتحت جبهة لمقاومة الاستعمار البريطانى والإمبراطورية العثمانية، واحتضنت كل حركات التحرير ، وأداها موقفها من فرنسا إلى مقاومة الاستعمار الإنجليزى» (١) .

ولكن المؤرخين قد اختلفوا فى سياسة «الأهرام» بعد الاحتلال الإنجليزى لمصر ، فكان من رأى خصومها أنها صحيفة هادنت الإنجليز (٢) ، ولكن الرأى الذى تؤيده كل الأسانيد ومعظم المؤرخين أنها كانت صحيفة تدافع عن سياسة فرنسا ، وتؤيد الدولة العثمانية والحركة الوطنية المصرية .

يقول فيليب دى طرازى فى التأريخ للأهرام : «كانت خطة الأهرام الداخلية مصرية عثمانية ، وكانت سياستها الخارجية تميل إلى فرنسا لعدة أسباب ذاتية وعامة . أما الأسباب الذاتية: فهى أن فرنسا حمت مؤسس «الأهرام» من ولى الأمر أيام سجنه وكان على وشك أن يؤمر بقتله ، وأما الأسباب العامة: فهى أن الخطة التى جرت عليها فرنسا وجدت مطابقة للمرام من حيث صداقتها التاريخية للباب العالى ، ومناظرتها لإنجلترا فى وادى النيل واهتمامها بمصالحه» (٣) .

وربما يرجع اتفاق المصالح الوطنية مع المصالح فى سياسة الأهرام إلى أن فرنسا كانت المثل الأعلى لجميع الأحرار فى ذلك الوقت ، حيث كانت تدعو مبادئها إلى الحرية والإخاء والمساواة ، وقد أيدت الأهرام نفوذ فرنسا الثقافى والاقتصادى فى مصر ، ولم يلق هذا الاتجاه معارضة آنذاك ، حيث آزرت فرنسا الحركة الوطنية المصرية معاداة لبريطانيا. من أجل ذلك اتخذ مصطفى كامل فرنسا موئلا للدفاع عن القضية الوطنية المصرية ، واتخذ من جريدة الأهرام «بوقا» لدعوته للوطنية قبل صدور «المؤيد» فى ديسمبر

---

(١) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص٥٤ .

(٢) د. إبراهيم عبده : الأهرام تاريخ وفن ، مرجع سابق ، ص١٧٥ .

(٣) الفيكونت دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، جـ ٣ بيروت ، المطبعة الأدبية ، ١٩١٤م ، ص ٥١ .

١٨٨٩م ، و«اللواء» فى يناير ١٩٠٠م [١] .

وتؤرخ للأهرام جريدة «الشعب» - جريدة الحزب الوطنى - قائلة : «إن سياستها عثمانية مصرية تدافع عن مصالح فرنسا فى مصر ، سواء كانت اقتصادية أو سياسية ، ولكنها لا تهمل المصلحة المصرية وهى تقر للحكومة الحسنة وتبين لها السوءة ، وهى أكثر الصحف عناية بمصالح الوطنيين ، وأحيانا تشتد فى نقدها كأكثر الصحف الوطنية تطرفا»[٢].

لذلك فقد حظيت «الأهرام» فى تلك الفترة بالانتشار الواسع لأنها كانت تعبر عن آمال الوطنيين ، ويقرؤها الرأى العام بجميع أنواعه ، وكان لها أثرها السياسى والفكرى .

ويؤكد ذلك أن الإنجليز قد رأوا محاربتها ، فأوعزوا إلى أصحاب «المقتطف» يعقوب صروف وفارس نمر ، وشاهين مكاريوس أن ينشئوا «المقطم» ليواجهوا به اتجاه «الأهرام» الوطنى ، وأيضا لكى تحمى المصالح البريطانية فى مصر كما كانت «الأهرام» تؤيد المصالح الفرنسية [٣] .

ويمكن القول: إن سياسة «الأهرام» كانت تتلخص فيما يلى :

١ - مساندة الحركة الوطنية الناشئة فى ذلك الوقت .

٢ - تأييد نفوذ فرنسا السياسى والثقافى والاقتصادى .

٣ - معارضة الاحتلال البريطانى من وجهة نظر فرنسية .

٤ - عدم الخوض فى السياسة العثمانية .

ثالثا : الاتجاه المهادن للاستعمار ، وتمثله «الجريدة» :

عندما انكشفت عمالة المسيحيين الشوام المهاجرين إلى مصر للاحتلال الإنجليزى ، رأى هذا الاحتلال ضرورة إنشاء اتجاه موال له أكثر قدرة على التخفى والتمويه ، وخاصة إذا كان زعماؤه من المصريين المسلمين أنفسهم ، فساعد على إنشاء حزب الأمة لهذا الغرض عام ١٩٠٧م ، وضم هذا الحزب منذ إنشائه مجموعة من الطامعين الذين أعطاهم الاستعمار بعض المكاسب ، ووزع عليهم أراضى الدولة السنية ، وخلق منهم اتجاها يسير معه حيثما يريد. وكان على رأس هذا الاتجاه لطفى السيد، وعبد العزيز فهمى،

---

(١) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٢) الشعب ، ٨ مايو ١٩١٢م .

(٣) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٨٢م ، ص١٤٨ .

وعبد الخالق ثروت ، وأسرة عبد الرازق باشا ، وفتحى زغلول، وإبراهيم الهلباوى (١) .

يقول الأستاذ أنور الجندى : «وكان هدف هذا الحزب : تمزيق الوحدة الإسلامية ووحدة الفكر الإسلامى فى مجال الربط بين الدين والمجتمع ، وإحلال مفهوم الإقليمية باسم القومية ، ونزع مصر من الرابطة الإسلامية وإرساء دعائم القوانين الوضعية بدلا من الشريعة الإسلامية» (٢) .

وقد أصد حزب الأمة فى مارس ١٩٠٧م جريدة «الجريدة» لتحمل فكره وتدعو إليه ، وقد رأس تحريرها أحمد لطفى السيد .

وقد خالفت هذه الجريدة التيار الإسلامى الذى كان متمثلا فى الصحف الإسلامية : المؤيد ، واللواء ، والمنار . يؤكد ذلك السيد رشيد رضا فى مجلته «المنار» المعاصرة للجريدة فيقول : «أما الجريدة فقد أنشأها جماعة من سروات البلاد وأصحاب الثروة والمكانة الاجتماعية ، وحصلوا لها على رأس مال عظيم ، وهى على كل المزايا لم تستطع أن تجد لها مقعدا فى المكان الفسيح الذى وجده قبلها « المؤيد » أو «اللواء» فى قلب الرأى العام المصرى، ولم تستطع أن تنال بعض ما ينال «المقطم» أو «الأهرام» ، بل كانت تحتاج كل سنة إلى إمداد أولئك السروات لها بمالهم ، وأن الروح الذى نفخ فى هذه الجريدة لتحيا به ليس إسلاميا ، وإنما هو فلسفة خاصة لا تكاد تتجاوز مدير الجريدة » (٣) .

هذا بالرغم من أن أعضاء حزب الأمة كانوا من أصدقاء الشيخ محمد عبده أو الموالين له ، والشيخ رشيد رضا من تلاميذه أيضا ، وقيل فى سبب ظهور «الجريدة» : إن حادثا وقع يومئذ وكان له تأثير فى نفوس المصريين ، وهو حادث العقبة الذى اختلفت فيه الحكومتان المصرية والتركية ؛ إذ كان كل منهما يدعى ملكية العقبة ، وتدخلت إنجلترا بينهما وانتصرت لمصر على تركيا . ولكن عقلاء الأمة المصرية تنبهوا لهذا الوضع ولم تدخل عليهم خديعة الاحتلال . فنصروا الأتراك على الإنجليز فى هذه المعركة وذهل الإنجليز لهذا التصرف .

وعاد عقلاء الأمة يفكرون فى ذلك ، فكان من رأى لطفى السيد وجماعته أن تنشأ جريدة مصرية تنطق بلسان مصر وحدها ، دون أن يكون لها تأثر بتركيا ولا تأثر بالسلطة الشرعية الممثلة فى الخديو ، كما لا تتأثر بالسلطة الفعلية الممثلة فى الاحتلال (٤) .

ولكن الرأى الذى يميل إليه الباحث بأن «الجريدة» صدرت بإيعاز من الإنجليز ، ويؤيد

---

(١) د . مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٢) أنور الجندى : اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار ، القاهرة ؛ مطبعة زهران ، ١٩٧٨م ، ص ١٨٧ .

(٣) المنار ، م ١٧ ، مارس ١٩١٣ .

(٤) د . عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦٧م ، ص ١١٠ .

هذا الرأى العديد من الباحثين .

فيؤكد الدكتور يونان لبيب رزق العلاقة بين ظهور «الجريدة» وبين سلطات الاحتلال فيقول : «تجمع مصادر عابدين من جانب ودوائر الأحزاب من جانب آخر على تأكيد هذه العلاقة ، وعلى أن الجريدة ثم الحزب لم يتشكلا إلا بإيحاءات كرومرية ، ويستدل هؤلاء على ذلك بأن مساهمى شركة «الجريدة» كانوا إما من الأعيان المعروفين بصلاتهم الحسنة بالشيخ محمد عبده وإيمانهم بأسلوبه المعتدل فى السياسة وعلاقاته الطيبة بالممثلين ، وإما من كبار الموظفين فى وقت كان فيه الإنجليز أصحاب فضل على هؤلاء ؛ لسيطرتهم على الإدارة الحكومية . كما يستدلون عليها أيضا من موقف «الجريدة» البالغ فى الاعتدال من الوجود الاحتلالى منذ ظهورها فى مارس ١٩٠٧م ، ويستدلون عليه أيضا بقبول شركة الجريدة لأقرب المقربين للوكالة البريطانية مساهما فيها وهو طلبه باشا سعودى ، والذى كان يسمى فى مجلس الشورى «بنبض الوكالة البريطانية» (١) .

كما يؤيد هذا الرأى أيضا ما اشتمله برنامج «الجريدة» من معارضة للفكرة الإسلامية ، ومساندتها للأفكار التى رضيها الاحتلال فى ذلك الوقت ، وهذا البرنامج كان يتألف من الآتى :

١ ـ نشر عقيدة الاستقلال بين أفراد الأمة المصرية ، ودخص الفكرة القائلة بأن مصر يمكن أن تحصل على استقلالها بمساعدة فرنسا أو تركيا ، مع أنه لا سبيل إلى حرية المصريين إلا بجهود المصريين .

٢ ـ الدعوة إلى فكرة الجامعة القومية أو المصرية بدلا من فكرة الجامعة الإسلامية ؛ لأن الفكرة الأولى هى الموصلة للغرض ، أما الثانية فلم تعد ذات فائدة لمصر .

٣ ـ الدعوة لجعل المذهب الحر أو المذهب «الليبرالى» أساسا للحكومة والمجتمع ، وبه يصبح الاعتماد على الفرد لا على الحكومة فى كل ما يتصل بالمجتمع من جميع جوانبه .

٤ ـ إنماء الشخصية المصرية والنظر إلى الأمور السياسية من زاوية مصر وحدها مستقلة عن الدولة العثمانية ذاتها .

٥ ـ العمل على تقوية الوحدة القومية بمعنى توحيد عنصرى الأقباط والمسلمين .

٦ ـ المطالبة بالدستور الذى يجعل الأمة شريكة للحكومة فى الأعمال العامة .

٧ ـ الأخذ بأيدى الموظفين فى الحكومة والعمل على إصلاحهم من الناحية الخلقية

---

(١) د . يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر من ١٨٨٢ ـ ١٩١٤م، القاهرة: مكتبة الكيلانى، ١٩٧٠م، ص٥٠ .

والإدارية (١) .

كما عملت هذه الجريدة على مهاجمة «اللواء» والدولة العثمانية ، ومقاومة التعليم باللغة العربية واستبدالها باللغة الإنجليزية ، ومقاومة تعليم عامة الشعب ، وذلك حتى يمكن المحافظة ـ فى زعمهم ـ على وجود طبقة معينة تتولى حكم البلاد ، وبالطبع التى يتكون منها حزب الأمة (السروات) ، كما دعت إلى تمصير اللغة العربية بإحياء العامية المصرية ، والتقليل من أهمية اللغة العربية الفصحى (٢) .

مما سبق يتضح أن تيار «الجريدة» كان تيارا مهادنا للاستعمار ، بل مؤيدا له ولكن بطريقة غير سافرة كما فعلت «المقطم» .

وقد روج لطفى السيد فى «الجريدة» للدعوة إلى القومية ، فى الوقت الذى اشتد فيه الصراع بين المسلمين ونصارى أوربا فى البلقان ، وظهرت فى خلال هذا الروح الصليبية .

فقد أعمل نصارى البلقان السيف فى رقاب المسلمين ، وقتلوا منهم الألوف فى غير شفقة ، ولا رحمة . وقد صادفت دعوة لطفى السيد إلى القومية معارضة قوية من أصحاب الفكر الإسلامى؛ لأنها كانت تعنى انعزال المصريين ووقوفهم موقفا سلبيا إزاء ما يقع لإخوانهم هناك ، فلا يمدون إليهم يد المساعدة ولا ينتصرون لهم . فى حين لقيت هذه الدعوة قبولا لدى المستعمر (٣) الذى كان يحرص على تفكك المسلمين فى هذا الوقت، محاربا بذلك الدعوة إلى الجامعة الإسلامية التى روجت لها صحف الاتجاه الإسلامى .

وقد دافع طه حسين عن دعوة لطفى السيد إلى القومية والتى تعرضت للهجوم فى الصحافة الإسلامية ، فكتب سلسلة مقالات فى «الجريدة» تحت عنوان «المصريون» دافع فيها عن فكرة أستاذه الذى كان يدين له بالولاء والتبعية (٤) .

وكانت هذه الفكرة نابعة أصلا من فلسفة كرومر ومفاهيمه ؛ إذ كان يرى أنه من الواجب على المصريين أن يعيشوا داخل مصر فقط ، دون أن تربطهم أى علاقة بالعرب أو العالم الإسلامى ككل . ولكنه كان لا يرى بأسا أن يكون هناك اتصال بين مصر والغرب وما يتصل به من مفاهيم فى السياسة والاجتماع (٥) .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

(٣) نصر الدين عبد الحميد نصر: حركة الجامعة الإسلامية من عام ١٨٨٢ إلى عام ١٩١٤م ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٤ م ، ص ٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٥) أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة : دار الاعتصام ١٩٨١م، ص ٢٦٢ .

وكانت الجريدة تشترك مع «المقطم» فى مبدأين أساسيين :

الأول : مهادنة الاستعمار البريطانى والاقتصار على المطالبة بالتدرج والإصلاح .

الثانى : محاربة فكرة الجامعة الإسلامية والدعوة إلى الانفصال التام عن تركيا ، وإنشاء دولة مصرية موالية للإنجليز (١) .

رابعا : الاتجاه اليهودى فى الصحافة المصرية :

بدأت علاقة اليهود بالصحافة المصرية حينما أصدر يعقوب بن صنوع (٢) الإسرائيلى مجلة هزلية فى مصر تدعى «أبو نضارة زرقا» ، وهى جريدة مسليات ومضحكات ، وذلك فى عام ١٨٧٧م (٣) .

وقد حدد ابن صنوع الهدف من إصدارها منذ ظهور عددها الأول فقال : «إنه لما كان لكل مائدة فاكهة تخفف ثقل الأغذية، كذلك لابد لموائد العقول من فاكهة تخفف عن العقل أتعابه ، فأهل أوطاننا وإن كانوا قد نالوا من العلوم والمعارف ما قد نالوه إلا أنهم فقدوا فاكهة تسليتهم عند كلال عقولهم وتعبها ، فمن أجل هذا رأينا أن ننشر جرنالا يشتمل على ذكر الوقائع بوجه يزيل عن النفوس بؤسها ، ويريحها من أتعاب إحساساتها ، على أنه ليس الغرض مجرد الضحك بل الاشتمال على الحكم والمواعظ» (٤) .

وفى هذه الجريدة هاجم يعقوب بن صنوع الخديو إسماعيل بأسلوب فيه سخرية ، من خلال الشخصيات التى كان يخترعها ، كشخصية شيخ الحارة التى كانت ترمز إلى الخديو نفسه ، مما أغضب الحكومة وقررت إغلاق جريدة ابن صنوع ونفيه خارج البلاد ، ولكنه واصل إصدار الصحف من منفاه فى فرنسا فى أسماء مختلفة (٥) .

وبعد نفى يعقوب بن صنوع صدرت صحيفة «الكوكب المصرى» فى ١٨٧٩م لصاحبها ومنشئها موسى كاستلى اليهودى صاحب المطبعة الشهيرة التى عرفت باسمه ، وهى صحيفة سياسية علمية أدبية تجارية .

وقد استمرت هذه الصحيفة أربع سنوات ، والسبب فى ذلك أنها كانت قليلة الجرأة على الخديو عكس صحف ابن صنوع ، ولم تكن لها خطة معروفة (٦) .

---

(١) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٨٨ .

(٢) ولد يعقوب بن صنوع فى مصر عام ١٨٣٩م ،وكان يتقن التوراة ، وقرأ الإنجيل والقرآن،وتعلم فى إيطاليا على نفقة أحمد باشا يكن،وهو أول من أنشأ مسرحا فى القاهرة . انظر .د.عمر الدسوقى، فى الأدب الحديث،مرجع سابق ، جـ٢ ص٩٠.

(٣) سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ، القاهرة : العربى للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م ،ص٤٥ .

(٤) د. إبراهيم عبده، أبو نضارة ، القاهرة ، الآداب ، ١٩٥٣م ، ص ٤٣ .

(٥) سهام نصار : اليهود المصريون ، مرجع سابق ، ص٤٦ .

(٦) فليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

وحينما وقعت مصر تحت الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م عمدت سلطات الاحتلال على زيادة العناصر غير المصرية ، فشجعت مختلف الجنسيات فى الديانات على إصدار صحف عربية فى مصر .

وفى هذه الفترة صدرت بمدينة الإسكندرية فى أول مارس ١٨٨٩م صحيفة «الحقيقة» ، وهى جريدة أدبية علمية تاريخية تصدر صباح كل خميس لصاحبها فرج مزراحى ، وقد سارت هذه الصحيفة فى الطريق الذى شجعه الاحتلال ، فاهتمت بالشئون الزراعية ؛ لأن بريطانيا كانت تشجع على الاهتمام بالزراعة وابتعدت عن الخوض فى مسائل السياسة [١].

وفى عام ١٨٨٩م أصدر كاستلى جريدة أدبية فكاهية يومية تدعى «الميمون»، وكانت تصدر باللغة العربية ، جزء منها بالفصحى والآخر بالعامية ليوافق هزلها المقصود منها[٢].

وتعتبر أول صحيفة متخصصة فى الشئون اليهودية تصدر بمصر هى صحيفة «نهضة إسرائيل» ، أصدرها اليهود عام ١٨٩٠م بدون رخصة رسمية ، وأخذت الصحيفة تنشر «مباحث» دينية وتاريخية ، ولكن حينما رأى حاخام الطائفة الإسرائيلية فى القاهرة وبعض عقلاء الطائفة ما قد ينشأ عن هذه المباحث من إثارة الخواطر التمسوا من نظارة الداخلية أن تأمر بإيقافها ، فأجابت النظارة مطلبهم ، وخصوصا أن الصحيفة لم تصدر وفقا لقانون المطبوعات [٣] .

وفى عام ١٨٩٩م أصدر اليهود مجلة «العائلة» لصاحبها أستير مويال فى القاهرة ، واهتمت هذه الصحيفة بأن تجعل من نفسها مجلة كل عائلة مصرية بصفة عامة وجريدة الإسرائيليين بصفة خاصة [٤] .

وكان للمؤتمر الصهيونى الذى عقد فى مدينة بال السويسرية فى أغسطس ١٨٩٨م تأثير كبير على يهود مصر بالذات ، الذين كانوا يجدون كل عطف ورعاية فى عهد الخديو عباس حلمى .

وقد اتفق الصهيونيون فى هذا المؤتمر على الإجراءات التالية :

١ ـ تنظيم هجرات يهودية واسعة النطاق إلى فلسطين .

٢ ـ محاولة الحصول على اعتراف دولى بشرعية التوطن فى فلسطين .

٣ ـ محاولة إغراء يهود العالم للانضمام إلى الحركة الصهيونية .

---

(١) سهام نصار : اليهود المصريون ، مرجع سابق ، ص٤٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص٤٨ .
(٣) د . عواطف عبد الرحمن : الصحافة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٥٤م ،القاهرة : الثقافة الجديدة ، ١٩٨٠م ، ص٣٠ .
(٤) سهام نصار : اليهود المصريون ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

٤ ـ إقامة فروع للمنظمات الصهيونية فى بلاد العالم (١) .

وقد وجدت الجمعيات التى تكونت بعد المؤتمر الصهيونى فى بال ١٨٩٨م بعض الصحف التى تبنت وجهة النظر الصهيونية ، وأفردت صفحاتها للدفاع عنها .

وكان فى مقدمة هذه الصحف «المقتطف» التى تبنت الاتجاهات الصهيونية وكانت تكتب عن نشاطهم ، وتمنحهم فرصة الكتابة والتعليق والدفاع . وكانت «الأهرام» أيضا تعطى اليهود بعض المساحات على صفحاتها ليردوا على من يخالفهم فى الرأى بحجة العمل بحرية النشر .

وأيضا كانت «المقطم» تفسح صفحاتها لليهود لنشر دعوتهم إلى الصهيونية ومواجهة الاتهامات التى كانت توجه إليها من المصريين وتحذيراتهم إزاء النشاط الصهيونى فى فلسطين (٢) .

ويلاحظ أن الصحف اليهودية التي صدرت فى مصر ـ مثل صحف يعقوب بن صنوع التى بدأت بمجلة «أبو نضارة زرقا» ١٨٧٩م قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول المنعقد ١٨٩٧م فى بال بسويسرا ـ لم تكن لها علاقة بالحركة الصهيونية العالمية باستثناء صحيفتى «الحقيقة» و«نهضة إسرائيل» اللتين كانتا تحملان بذور الانتماء إلى الفكر الصهيونى ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، حتى لا تتعرض للاضطهاد أو المصادرة (٣) .

وقد اختلفت آراء الباحثين والمؤرخين حول تحديد هوية يعقوب بن صنوع ، فمنهم من يعده جزءاً من الحركة الوطنية المصرية التى كان يقودها جمال الدين الأفغانى فى ذلك الوقت ضد الاستبداد والسيطرة الاستعمارية على البلاد . ومنهم من كان يعده أداة فرنسية ضد المصالح البريطانية فى مصر ، وخاصة أن جميع الصحف التى أصدرها ابن صنوع عاصرت مرحلة التنافس بين إنجلترا وفرنسا فى السيطرة على مصر قبل توقيع الاتفاق الودى بينهما عام ١٩٠٤م (٤) .

ولكن بعض المؤرخين يؤكد «أن ابن صنوع كان يؤيد جهود الصهيونية فى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، فقد ذكر نسيم ملول فى كتابه «أسرار اليهود» : أن أبا نظارة كان فى طليعة المؤيدين له فى إصدار هذا الكتاب للدفاع عن اليهودية والأمة الإسرائيلية المسكينة المشتتة فى مشارق الأرض ومغاربها» (٥) .

---

(١) أحمد محمد غنيم ، أحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧م ، القاهرة : دار الهلال ، ١٩٦٩م ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) د . عواطف عبد الرحمن : الصحافة الصهيونية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨ ، ٣٠ .

(٤) د .عواطف عبد الرحمن : الصحافة الصهيونية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

(٥) سهام نصار: اليهود المصريون ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

وقد شهدت الفترة التى تلت المؤتمر الصهيونى الأول فى بال ١٨٩٧م ظهور نوعين من الصحف اليهودية فى مصر :

الأول : الصحف الصهيونية التى أصدرتها الجمعيات والهيئات الصهيونية التى تكونت فى مصر ، وكانت هذه الصحف بمثابة أدوات دعائية لنشر الفكر الصهيونى باللغة العربية والفرنسية فى المجتمع المصرى .

الثانى : صحف يهودية أصدرتها الطائفة اليهودية فى مصر ، وكانت ذات انتماء صهيونى ولكنه كان غير معلن (١) .

وترجع أول محاولة لإصدار صحيفة صهيونية فى مصر إلى عام ١٩٠٤م ، عندما أصدر أحد الناشرين اليهود صحيفة «مصر» باللغة العربية بمساعدة الإليسانس الإسرائيلى الدولى ومقره باريس ، وكان الهدف من إصدارها ـ كما جاء على لسان رئيس تحريرها كارمونا الناشر اليهودى ـ هو الرد على الحملات المعادية للسامية التى تقوم بها الصحف المصرية ، والدفاع عن مصالح اليهود ومعتقداتهم (٢) .

ومن الصحف التى أصدرتها الطائفة اليهودية «مجلة التهذيب» ، أصدرتها اللجنة الملية لطائفة القرائين ، وقد استمرت من ١٩٠١ ـ ١٩٠٥م ، وكانت تهتم بنشر أخبار طوائف «القرائين» اليهود فى مصر والعالم ، وكانت تتعاطف مع الاتجاهات الصهيونية من طرف خفى ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت حريصة على أن تبدو بمظهر الملتزم باهتمام الطائفة من الناحية الدينية ، فضلا عن ذلك كانت تحاول أن تشارك المصريين فى الشئون العامة كنشر أخبار الخديو عباس أو تهنئة المصريين بأعيادهم الإسلامية منها والقبطية (٣) .

وقد توالى بعد ذلك ظهور الصحف اليهودية العربية فى مصر ، ففى العاشر من شهر مايو ١٩٠٨م صدرت صحيف «الإرشاد» ، أصدرها فرج سليم ليشع من طائفة «القرائين» وقد اهتمت بأخبار الطائفة ومعالجة شئونها ، واتسمت مقالاتها بالقوة والدعوة إلى الإصلاح، بيد أنها لم تعمر طويلا، إذ احتجبت عن الصدور فى٢١ مارس ١٩٠٩م(٤) .

وكانت «الإرشاد» فى بداية صدورها نصف شهرية ، ثم أصبحت بعد فترة تصدر ثلاث مرات ، وكان يشترك فى تحريرها نخبة من الشبان القرائين ، منهم أمين فرج ، وموسى يوسف ، وبنطوب يهودا ، ومراد فرج . منذ عام ١٩٠٩م توقفت صحف اليهود العربية

---

(١) د . عواطف عبد الرحمن : الصحافة الصهيونية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣١.

(٣) المرجع السابق نفسه ، ص ٣٢ .

(٤) سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

فى مصر ثم بدأت تصدر ـ بعد ذلك فى مصر ـ صحف يهودية باللغة الفرنسية والعبرية[1] .

وهكذا نستطيع أن نقول : إنه فى مطلع القرن العشرين كان يوجد فى مصر اتجاه صحفى يهودى له صحفه المتعددة .

خامسا : الاتجاه القبطى فى الصحافة المصرية :

كان للصحف القبطية دور واضح فى الصحافة المصرية منذ أن سيطر الاحتلال البريطانى على مصر عام ١٨٨٢م ، فقد استغل الاستعمار الصحافة القبطية لتجزئة الشعب المصرى وخلق عناصر الخلاف بين طوائفه ، وذلك جزء من خطته التى سار عليها فى كل مكان .

ولم يقف الاستعمار البريطانى فى مصر إلى حد زرع الخلاف بين الأقباط والمسلمين، بل عمل على إيجاد الخلاف أيضا بين المذاهب النصرانية نفسها . فكانت جريدة الوطن تؤيد المذهب الإنجيلى ، بينما تؤيد جريدة «مصر» المذهب الأرثوذكسى (٢) .

وقد صدرت جريدة الوطن فى عام ١٨٧٧م لصاحبها ميخائيل عبد السيد ، وهى أول جريدة قبطية بمصر ، وقد صدرت جريدة قبطية أخرى تسمى : «مصر» فى عام ١٨٩٥م . وكانت الوطن تطبع فى المطبعة التى استحضرها الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط من أوربا (٣) .

وقد توقفت هذه الجريدة عام ١٨٩٢م ثم استأنف نجدى إبراهيم إصدارها فى منتصف عام ١٩٠٠م ، وأيد الحزب الإكليريكى ، وقد نشبت معركة بينه وبين تادرس المنقبادى صاحب جريدة «مصر» ، ثم اتفقا معا فى المؤتمر القبطى الذى انعقد فى عام ١٩١١م فى مدينة أسيوط وطالب بحقوق الأقباط (٤) .يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : «إن هاتين الصحيفتين قد أسرفتا فى العداوة والبغضاء فى المطالبة بحقوق أساسها التعصب الدينى»[5].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه كانت هناك صلة قوية بين الاحتلال وبين صحف الاتجاه القبطى،فقد كانت هذه الصحف تؤيد خطط الاحتلال فى مصر ، وتهاجم فكرة الجامعة الإسلامية ، بل والمسلمين بوجه عام .

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٤ .
(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٥٠ .
(٣) أديب مروة : الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .
(٤) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٥١ .
(٥) د . عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص١١٤ .

ويصف الدكتور فاروق أبو زيد صحيفة «مصر» بأنها قبطية بمعنى الكلمة واحتلالية بمعنى أوسع من ذلك ، ومن مناقبها أنها وضعت عريضة وقدمتها للوكالة البريطانية تثبت فيها أن الدستور ضار بمصر وغير مفيد ، وقد أنشأت هى وجريدة «الوطن» السفارة القيراقصية فى إنجلترا بمساعدة القسس البروتستانت ، وقد حبذت قانون المطبوعات عند صدوره لما علمت أن المقصود به هو الصحف الوطنية وحدها (١) .

ويلاحظ أن سياسة صحيفة «الوطن» قد تغيرت فى عهد نجدى إبراهيم عن عهد ميخائيل عبد السيد ، فبينما كانت فى عهد ميخائيل عبد السيد تؤيد الدولة العثمانية وتهاجم تدخل الدول الأوربية فى شئونها ، نجد أنها فى عهد نجدى إبراهيم قد تغيرت سياستها نحو الدولة العثمانية .

فقد كان نجدى إبراهيم من أنصار الإنجليز فى مصر ، وأحد أدوات الاحتلال فى الدعوة لإنجلترا أو سياستها فى البقاء فى مصر .

لذلك كان من الطبيعى أن تتحول الصحيفة عن مناصرة الدولة العثمانية ، وتهاجم أى دعوة للارتباط بها خدمة للمصالح الاحتلالية (٢) .

ويذهب الأستاذ أنور الجندى إلى تأييد هذا الرأى فيقول : «إن نجدى إبراهيم كان يدعو الإنجليز إلى ضم مصر إلى المستعمرات البريطانية ، ورفع الراية البريطانية عليها»(٣).

وقد ساعدت «الوطن» و«مصر» على إحداث الشقاق بين المسلمين والأقباط ؛ لما كانت تنشره كل منهما من الطعن على المسلمين والوطنيين وإيلام عواطفهم (٤) . وكثيرا ما هاجمت صحيفة «الوطن» دعوة الجامعة الإسلامية التى حملت لواءها الصحف الإسلامية، وكانت تتحين الفرص للنيل من الدولة العثمانية والسلاطين العثمانيين ، وبخاصة السلطان عبد الحميد ، وكان نجدى إبراهيم يرى «أن الجامعة الإسلامية وهم خلقه السلطان عبد الحميد الثانى لتهديد دول أوربا» (٥) ، وهو بذلك يهدف إلى استعداء الدول للمسلمين وجمع كلمتهم ضدهم .

وقد روج القبط لفكرة القومية الفرعونية لمعارضة فكرة الجامعة الإسلامية التى دعت إليها فى ذاك الوقت جريدة «اللواء» صحيفة الحزب الوطنى و«المؤيد» صحيفة حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية الذى كان يرأسه الشيخ على يوسف .

(١ ، ٢) فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية،رسالة دكتوراه،كلية الإعلام،جامعة القاهرة ص١٨٢ .

(٣ ، ٤) أنور الجندى ، الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٥) فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

وحاول الأقباط لبعث هذه الفكرة «الفرعونية» بكل وسيلة ، فقد اتخذوا من اسم رمسيس شعارا لهم ، ولقبوا أنفسهم بأحفاد الفراعنة ، وكان بعضهم يطلق على أبنائه أسماء فرعونية ، كما ظهرت حركة ترمى إلى إحياء اللغة القبطية على أنها لغة البلاد المصرية ، ولغة العبادة ، ولغة المدنية القديمة والحديثة (١) .

وظهرت أيضا كتب مبسطة لتعليم هذه اللغة «القبطية» ، منها كتب نحو ومطالعة ، ومنها قواميس وكتب ترجمة ، وافتتحوا مدارس ليلية فى القاهرة والأقاليم لتعليم هذه اللغة بالمجان للجنسين .

ولم يقصدوا إحياء هذه اللغة بين النصارى فقط ، بل كان غرضهم إحياءها بين المصريين جميعا ، باعتبار أن أصلهم واحد من نسل الفراعنة وليسوا عربا ! (٢) .

مما سبق يتضح أن الهدف من هذا الاتجاه القبطى فى الصحافة يتلخص فيما يلى :

١ ـ تأييد الاحتلال البريطانى على مصر .

٢ ـ مهاجمة الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية .

٣ ـ إحداث الشقاق بين المسلمين والأقباط ، الأمر الذى يخدم الاحتلال أيضا.

٤ ـ الترويج للأفكار القبطية فى مصر والدعوة إلى القومية والفرعونية ، وبعث اللغة القبطية من العدم .

٥ ـ مهاجمة فكرة الجامعة الإسلامية واستعداء الدول الأوربية ضد المسلمين .

٦ ـ مهاجمة الصحافة الإسلامية والحركة الوطنية المصرية .

---

(١) نصر الدين عبد الحميد نصر : مصر وحركة الجامعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٥ .



الباب الأول

الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية

ويتناول الفصول التالية :

الفصل الأول: نبذة تاريخية عن الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية .

الفصل الثانى : صحف الاتجاه الإسلامى فى مصر .

الفصل الثالث : أبرز قادة الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية .



الفصل الأول

نبذة تاريخية عن الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية

لمحة تاريخية عن الصحافة المصرية :

عندما تولى محمد على حكم مصر ، أنشأ أول صحيفة عربية فى الشرق العربى وهى «الوقائع المصرية» ، وقد كان الغرض من إصدارها استكمال مظهر من مظاهر السلطان ؛ لأن الحكومات جرت فى القرن التاسع عشر على أن يكون لها لسان يعبر عنها ؛ ولذلك كانت «الوقائع المصرية» وسيلة من وسائل الحكم وعنوانا على الدولة ، ووثيقة تؤرخ نشاط الحكومة (١) .

يتضح مما سبق أن الصحافة بدأت فى مصر صحافة رسمية تعبر عن رغبات الحاكم وآماله ، وتسجل الوقائع الرسمية وأنشطة الحكومة فقط .

وقد ظلت الوقائع المصرية وحدها فى ميدان الصحافة حتى صدرت صحيفة أخرى خاصة بالجيش عام ١٨٣٣م سميت «الجريدة العسكرية» ، ثم صدر بعد ذلك «الجرنال الجمعى » فى عام ١٢٦٤هـ محتويا على الأشياء التى تباع في ظرف كل جمعة بساحات وسواحل مصر والأسكندرية (٢) .

وفى عام ١٨٦٥م صدرت «يعسوب الطب» ، صحيفة طبية تعتبر أولى الصحف المتخصصة فى مجال الطب ، أصدرها الدكتوران: محمد على البقلى ، وإبراهيم الدسوقى، شهرية باللغة العربية . وكانت هذه الصحيفة محاولة لا بأس بها من أطباء البعثات العلمية ـ التى أرسلها محمد على إلى فرنسا ـ فى تطويع اللغة العربية للمصطلحات العلمية (٣) .

وقد أنشأ على مبارك صحيفة «روضة المدارس» فى ١٧ أبريل ١٨٧٠م ، صحيفة رسمية مدرسية تعليمية ، وأسندت رئاسة تحريرها إلى رفاعة الطهطاوى ، وتعد من أفضل الأعمال التى خدم بها على مبارك اللغة والأدب ، وكانت الوزارة تتولى إصدارها والإنفاق عليها ، وذلك لإحياء الآداب العربية ، ونشر المعارف الحديثة (٤) .

---

(١) د . إبراهيم عبده : الأهرام تاريخ وفن ١٨٧٥ ـ ١٩١٤م،القاهرة : مؤسسة سجل العرب١٩٦٤م،ص١٢.
(٢) المرجع السابق ، ص١٣ .
(٣) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، جـ١،ط١ ، القاهرة : دار الفكر العربى،١٩٦٤، ص ٧٨، ٧٩.
(٤) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص٧٩ .

أما الصحف السياسية فى مصر ، فأقدمها ظهورا جريدة «وادى النيل» ، التى أنشأها عبد الله أبو السعود ١٨٦٧م ، وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع على شكل المجلات ، ثم ألغتها الحكومة ١٨٨٢م وأصدر محمد أنس بن عبد الله أبى السعود «روضة الأخبار» لتحل محلها ، وكان والده يحرر القسم السياسى بها إلى آخر حياته ، ثم تلتها فى الظهور جريدة «نزهة الأفكار» التى أنشأها إبراهيم المويلحى ، وعثمان جلال ، غير أنها لم تستقر فى الصدور ، فصادرتها الحكومة بعد عـددين اثنيـن ؛ لنقدها بعض المسائل الخاصة بالجيـش (١) .

وفى عام ١٨٧٥م هاجر إلى مصر جماعة من الأدباء اللبنانيين والسوريين هربا من طغيان الولاة العثمانيين فى بلادهم ، فساعدوا على إنشاء الصحف فى مصر (٢) .

وكان من هؤلاء السوريين أديب إسحاق ، الذى كان يقوم بتحرير جريدة «التقدم» وعندما ذهب إلى القاهرة واتصل بالسيد جمال الدين الأفغانى أنشأ هو وصديقه سليم نقاش جريدة «مصر» ١٨٧٧م ، أسبوعية ، وقد تأثر فيها بتعاليم الأفغانى وأسلوبه الملتهب(٣) .

وقد وجد أديب إسحاق وسليم نقاش فى مصر جوا من الحرية وراجت صحيفتهما ، الأمر الذى شجعهما على إصدار جريدة يومية سمياها : «التجارة» ، وكانت لا تقل عن الأولى حماسة ، وقد نشر فيها جمال الدين الأفغانى بعض المقالات ، تارة بتوقيعه ، وتارة أخرى بتوقيع مستعار ، وقد ألغاها رياض باشا ١٨٨٠م ، ولكن ذلك لم يثن من عزم أديب إسحاق ، فهاجر إلى باريس ، واستأنف جهاده الصحفى ، وأصدر جريدة عربية بعنوان : «القاهرة» ، وقال فى مقالها الأول : «ما تغيرت الحقيقة بتغير الاسم ، بل هى مصر خادمة لمصر» (٤) .

كما كان من هؤلاء السوريين الصحفيين سليم الحموى ، الذى أصدر جريدة «الكوكب الشرقى» عام ١٨٧٣م، وسليم وبشارة تقلا اللذان أصدرا جريدة «الأهرام» بالأسكندرية عام ١٨٧٥م ، وقد نالت رواجا كبيرا ، وكانت تصدر أسبوعية فى بداية صدورها ، ثم أصدرا جريدة أخرى تسمى : «صدى الأهرام اليومية» ، بيد أنها لم تستمر فى الصدور، فانفردت «الأهرام» بالظهور ، وظلت تصدر حتى اليوم (٥) .

---

(١) د . إبراهيم عبده : الأهرام تاريخ وفن ، مرجع سابق ، ص١٥ .
(٢ ـ ٤) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، جـ ١ ،مرجع سابق ،ص٨٢ .
(٥) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

ومن هؤلاء أيضا : سليم حنحورى الذى أصدر جريدة تسمى : «مرآة الشرق» ، ولكنه تركها فى عام ١٨٧٩م وتولى إصدارها إبراهيم اللقانى بإيعاز من السيد جمال الدين الأفغانى .

وقد أنشأ يعقوب بن صنوع ـ اليهودى الإسرائيلى المصرى الأصل ـ صحيفتين سياسيتين هما : «مرآة الأحوال» التى صدرت فى لندن عام ١٨٧٦م ، و«أبو نضارة» التى صدرت فى القاهرة عام ١٨٧٧م (١) .

وكانت «أبو نضارة» من الصحف المعارضة للخديو إسماعيل ، وكان صاحبها ميالا للفكاهة والدعابة ، وقد صدرت هذه الجريدة بإيعاز من السيد جمال الدين الأفغانى لانتقاد سياسة إسماعيل ، وتعتبر «أبو نضارة» أول صحيفة هزلية سياسية صدرت فى مصر (٢) .

وفى الحقيقة: إنه من خلال البعثات العلمية إلى أوربا فى عهد محمد على وعهد إسماعيل ، والترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، وانتشار المدارس الأجنبية ، ونشاط الصحفيين السوريين ـ الذين وفدوا إلى مصر ، وكانوا متأثرين بعادات أوربا أكثر من المصريين ؛ لأن معظمهم قد تربوا فى مدارس الإرساليات الأوربية ـ قد حدث تغير كبير فى نمط الحياة الاجتماعية للمصريين ، وانتشرت العادات والقيم الغربية ، التى لا تتفق مع روح المجتمع الإسلامى وقيمه (٣) .

بذور الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية :

ظهر فيلسوف الشرق جمال الدين الأفغانى فى مصر فيما بين عامى ١٨٧١م ، ١٨٧٩م وقضى فيها ثمانى سنوات ، وكانت مليئة بالجهاد ، فقد بعث فيها نهضة فكرية وطنية علمية أدبية شاملة ، كان لها أكبر الأثر فى توجيه المصريين وبث روح الوطنية والحرية فى نفوسهم (٤) .

وشجع أصدقاءه على إصدار الصحف ، كما شارك بقلمه فى تحرير كثير منها ، مثل : «مرآة الشرق» بالقاهرة ،و « مصر والتجارة» بالأسكندرية .

فضلا عن الندوات والمحاضرات التى كان يلقيها على طلابه ، يعرفهم فيها بآرائه السياسية فى نظم الحكم ، ورأيه فى الدولة العثمانية والحكام المستبدين ، والإصلاح الاجتماعى .

---

(١) المرجع السابق ، ص٩٠ .   (٢) المرجع نفسه ، ص ٩١ .

(٣) د . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١ ، ط٣، مرجع سابق ص ٢٠٣، وانظر د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص٩ .

(٤) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

وقد ساعد ظهوره فى هذه الحقبة من الزمن ، ومجىء اللبنانيين إلى مصر على نمو الصحافة الشعبية وتقدمها ، فقد نبغ على يديه طائفه من شباب مصر النابهين ، والذين كانوا من أعمدة نهضتها الفكرية والسياسية فيما بعد . منهم الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وإبراهيم الهلباوى ، وأديب إسحاق ، وعلى يوسف ، وغيرهم (١) .

وقد حلت بالبلاد المصرية كارثة الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م بعد هزيمة الثورة العرابية ، فبينما كانت مصر مزهوة بالانفتاح على أوربا تستشعر عظمة النهضة التى بدأتها منذ عصر محمد على ، وإذ بالاحتلال يدهم البلاد ويتغلغل فى كل مرفق من مرافق الحياة المصرية ، بحجة الأخذ بيد المصريين نحو الحضارة الأوربية .

وهنا أفاق المصريون على خطأ اندفاعهم إلى الأخذ عن الحضارة الغربية وإهمال الحضارة الشرقية الإسلامية ، ورأوا أن عليهم أن يحتفظوا بشخصيتهم ، ويعتزوا بقوميتهم ودياناتهم ، ويتكاتفوا جميعا على مواجهة التدخل الأجنبى فى البلاد (٢) .

ومن مظاهر تدخل الإنجليز فى شؤون مصر الداخلية ومقاومتهم للصحافة الوطنية آنذاك أن صدر أمر ناظر الداخلية فى ٢٣ ديسمبر من نفس السنة «١٨٨٢م» بإلغاء جرائد «الزمان» و «السفير» و «الطائف» و «المفيد» و «النجاح» ، وقبض على حسن الشمس ، ونفى محمد عبده من البلاد ، واختفى النديم نحوا من عشر سنوات . وهكذا وضع المحتلون البلاد فى ذهول كبير وأخرسوا ألسنة الثورة العرابية ، وكتموا أنفاسها ، واستمال الاحتلال إليه بعد ذلك بعض الصحف السورية مثل صحيفة «الأهرام» وصحيفة «المحروسة» لسليم نقاش ، وبعض الصحف الوطنية مثل جريدة «الوطن» لميخائيل عبد السيد (٣) .

كما احتضن الاحتلال محمد بيرم الخامس التونسى الجنسية ، الذى هاجر إلى مصر فرارا من الاحتلال الفرنسى ، وأنشأ صحيفة «الإعلام» صحيفة علمية سياسية فى ربيع الأول ١٣٠٢هـ ١٨٨٤ م .

«وكان الهدف من إنشائها مهاجمة سياسة الحكومة الفرنسية . وكانت تصدر هذه الصحيفة ثلاث مرات فى الأسبوع، ثم حولها إلى جريدة أسبوعية حتى وافاه الأجل ١٨٨٩م بعد ما ظهر منها ٢٦٩ عددا ، وهى ذات أربع صفحات ، صحيحة العبارة ، كثيرة المواد ، جزيلة الفوائد ، نالت مقاما رفيعا بين وصيفاتها ، وكان لها صوت مسموع عند قرائها المنتشرين فى كل البلاد العربية لشهرة صاحبها فى عالم السياسة والكتابة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص١١ .

(٣) د .عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٦٧م ، ص٨٨ ، ٨٩ .

وكانت خطتها مجاملة الإنجليز والاستفادة منهم ، وخدمة مصالحهم فى وادى النيل ، فساء ذلك بعضهم ، وانتقدوا عليه هذه الخطة ؛ لأنها تعاكس ما كانت عليه سياسته فى تونس التى هجرها فرارا من حكم الأجانب ، وقد نشر على صفحات «الإعلام» مقالات اجتماعية حاول فيها طرق إصلاح الإسلام وتقريبه من عوامل التمدن الحديث» (١) .

ولم يكتف الاستعمار بمقاومة الصحافة الوطنية ونفى زعمائها واستمالة الصحف السورية إليه لنشر فكره ورعاية مصالحه ، بل راح يرمى الدين الإسلامى ـ الذى يدين به أكثرية المصريين ـ بالجمود ، ويحمله تبعة الجهل الذى ران على المصريين والشرقيين بوجه عام ، ثم شرع يسخر من المسلمين ويندد بالشرق وجهله ، وقد ظهرت هذه السخرية فى صحف الاستعمار وبين عملائه وكتابه (٢) .

ومنذ ذلك الوقت ظهرت حركة المقاومة للاستعمار الإنجليزى عن طريق الصحافة الإسلامية ، وكان يقود هذه المقاومة السيد جمال الدين الأفغانى وتلاميذه الذين من أشهرهم : السيد عبد الله النديم ، والشيخ محمد عبده، وفى هذه المرحلة كان يعبر عن المقاومة الإسلامية أحسن تعبير وأقومه صحيفة : «العروة الوثقى» .

يلى هذه المرحلة حركة المقاومة التى ظهر فيها إبراهيم المويلحى والسيد على يوسف ومصطفى كامل . وكان يعبر عن هذه المقاومة صحيفتان عظيمتان هما : جريدتا «المؤيد» وصاحبها الشيخ على يوسف ، «واللواء» وصاحبها مصطفى كامل (٣) .

فضلا عن الصحافة الإسلامية المتخصصة التى ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مثل : الإسلام ، والحياة ، والمنار ، ومكارم الأخلاق الإسلامية ، والهداية .

ولكن يمكن القول : إن الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية لم يظهر إلا من خلال «العروة الوثقى» التى أصدرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس فى ١٣ مارس ١٨٨٤م ، وكانت توزع فى جميع الدول العربية والإسلامية بوجه عام .

نشأة الصحافة الإسلامية فى مصر :

ولقد رأينا مما سبق أنه لم تنشأ صحافة إسلامية فى مصر قبل عام ١٨٨٢م . فلم توجد صحف إسلامية فى تلك الفترة ، ولا صحف تعالج الشؤون الإسلامية، غير أن صحيفة

---

(١) فليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(٢) محمد السيد حسين : الفن الصحفى عند الشيخ على يوسف ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ١٩٨٤م ، ص ٢٦٤ .

(٣) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٣ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

«الوقائع المصرية» عندما عين الشيخ محمد عبده فى إدارتها ، كانت قد بدأت تنشر صور الخطب الدينية التى كان يلقيها العلماء فى المساجد والمحافل ، والقصائد المختلفة التى تحث المصريين على الصبر والتبرع والزود عن الدين والأعراض (١) .

«والمجلات التى أنشئت فى عصر إسماعيل لم يكن لها طابع دينى ، فـ« روضة المدارس» مثلا كانت تهتم بالمباحث الطريفـة فى العلم والاجتماع والفلك ، وكذلك المجلات والجرائد التى أنشئت فى أواخر أيام إسماعيل كانت تعنى بالأخبار والشؤون السياسية العامة ، وطبيعى ألا نجد الصحافة الدينية ممثلة فى ذلك الزمن لضآلة الصورة التى كانت معروفة عن الدين حينذاك، ولغشاوة الجهل التى رانت على القلوب والأبصار»(٢) .

وكانت «الوقائع المصرية» حينما عين الشيخ محمد عبده محررا أولا لها فى عام ١٨٨٠م عبارة عن إعلانات رسمية مع بعض الأخبار الإدارية ، وبعض الوقائع المحلية ، فحاول إصلاحها وتوسيع ميدان نفوذها (٣) .

فقد تكلم عن تأثير التعليم فى دين الطفل ، وحـذر الآباء من إرسال أبنائهم إلى مدارس يتولى التعليم فيها معلمون على غير الدين الإسلامى (٤) .

وتحدث أيضا عن الزواج كضرورة من ضرورات النظام الاجتماعى ، وحكم الشريعة فى تعدد الزوجات ، وكتب مقالا عن إبطال البدع الدينية الضارة والمنافية لروح الدين الإسلامى ، ثم عرض للحكومة الإسلامية والشورى فى الإسلام ، وذكر «أن كل تشريع يضعه ممثلو الأمة المختارون ينبغى أن يتفق تمام الاتفاق مع روح الإسلام منذ نشأته» (٥) .

ورغم ما قدمته الوقائع من مقالات تعالج بعض الشؤون الإسلامية غير أنها لم يكن لها منهج إسلامى واضح .

ويمكن أن نقرر أن أول صحيفة وضعت منهجا للصحافة الإسلامية من خلال أهداف واضحة ومحددة هى «العروة الوثقى» .

وكانت أهم هذه الأهداف التى رسمتها العروة الوثقى هى :

١ ـ إيقاظ الروح الكامنة فى النفس الشرقية ، ومحاربة اليأس ، ومواجهة النفوذ

(١ ، ٢) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر من مطلع العصر الحديث إلى ثورة ١٩١٩م ، جـ١، ط١ ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٦م ، ص ٨٢ .

(٣) انظر : تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، ترجمة عباس محمود ، القاهرة : ١٩٣٥م .

(٤) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

الأجنبى الزاحف على البلاد الإسلامية .

٢ ـ التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .

٣ ـ تنبيه الأمة إلى ذاتيتها الأصلية التى أنشأت الحضارة الإسلامية الزاهرة والتذكير بعظمة التراث الإسلامى .

٤ ـ محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الإسلامى .

٥ ـ الدعوة إلى امتلاك أسباب القوة والتقدم العلمى والتمدين ، دون التخلى عن الجذور فى دائرة مفهوم الإسلام القائم على الرحمة والعدل .

٦ ـ مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان فى الأممية أو الفكر العالمى (١) .

وبذلك دخلت الصحافة الإسلامية إلى إطار الإسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تقف عند كتابات حول العقائد والعبادات والمعاملات .

ونظرة إلى الظروف التى صدرت فيها العروة الوثقى ، يتضح لنا هذا المفهوم الشامل الذى وضعته «العروة الوثقى» لمعالجة الشؤون الإسلامية فى الصحافة .

فقد صدرت «العروة الوثقى» بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠م وتونس ١٨٨١م وكانت خلفية العروة الوثقى ممثلة فى أمرين :

أولا : كان أمام الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى تجربة ابن تيمية فى الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجى .

ثانيا : حركة التوحيد فى الجزيرة العربية بقيادة الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وكانت هذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عند قضية تحرير الفكر الإسلامى من قيد التقليد ـ التى قامت بها حركة التوحيد ـ إلى العمل لمواجهة الغزو الاستعمارى للعالم الإسلامى (٢) .

ولم يقدر للعروة الوثقى البقاء طويلا ، فقد صدر العدد الأول منها فى ١٣ مارس ١٨٨٣م، والعدد الأخير فى ١٧ أكتوبر ١٨٨٤م، ولم تصدر سوى ثمانية عشر عددا (٣) .

ورغم هذا العمر القصير لصحيفة العروة الوثقى ، إلا أنها كانت ذا تأثير كبير ليس فقط على مستوى مصر ، بل على مستوى العالم الإسلامى ، فقد نددت بالاحتلال ، وكتبت المقالات الملتهبة فى التشنيع على الاستعمار والمستعمرين ، وبينت خطورة الاحتلال

---

(١) أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ١، المنار، القاهرة : دار الأنصار ١٩٨٣م ، ص ١٩، ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٣) محمد منير حجاب : مقومات الصحافة الإسلامية دراسة تحليلية لصحيفة العروة الوثقى، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص ٧ .

البريطانى لمصر وهى قلب العالم الإسلامى (١) .

فقد دعا الأفغانى الشعوب الإسلامية والشرقية أن تستيقظ من رقدتها ،وتناضل الاحتلال الجاثم على أراضيها، وألا تيأس أو تستسلم فى سبيل هذه الغاية ، وذلك بأقوال بليغة وحجج مؤثرة (٢) .

فقد كان يرى أنه لا سبيل لمقاومة الاستعمار ـ الذى يريد إسقاط كل بلد إسلامى كما سقطت مصر ـ إلا إذا نشطت العقول ، وتوحدت كلمة الأمة الشرقية ، وعمل أولو العزم على جمع شملها ، وتمسكت الأمة بدينها ولغتها ، حتى لا يحدث للإسلام مثلما حدث للمسيحية واليهودية بعد أن تحرفت كتبها بعد ترجمتها بعدة لغات (٣) .

تأثير العروة الوثقى فى العالم الإسلامى :

يحدثنا رشيد رضا عن تأثير «العروة الوثقى» فى العالم الإسلامى فيقول : «رأيت فى محفوظات والدى بعض نسخ الجريدة ، فكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بى فأحدث فى نفسى من الهزة والانفعال والحرارة ما قذف بى من طور إلى طور ومن حال إلى حال ، وإنما كان الأثر الأعظم لتلك المقالات الإصلاحية الإسلامية ، ويليه تأثير المقالات السياسية فى المسألة المصرية ، والذى علمته من نفسى ومن غيرى بالخبر ومن التاريخ ؛ أنه لم يوجد لكلام عربى فى هذا العصر ولا فى قرون قبله بعض ما كان لها من إصابة موقع الوجدان من القلب ، والإقناع من العقل ، ولا حد للبلاغة إلا هذا (٤) .

ثم يقول : «سمعت أستاذنا الشيخ حسينا الجسر عالم سورية الوحيد فى الجمع بين العلوم الإسلامية ، ومعرفة حالة العصر السياسية والمدنية يقول : ما كان أحد يشك فى أن جريدة العروة الوثقى ستحدث انقلابا عظيما فى العالم الإسلامى لو طال عليها الزمن .

وسمعت محمد بك على يقول : وكنت فى بغداد فى عهد صدور «العروة الوثقى» ، وكانت ترسل إلى الزعيم العربى الأكبر فى العراق السيد سلمان الكيلانى نقيب السادة الأشراف وكان يقول : كلما جاء عدد فيها يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة قبل أن يجىء العدد الذى بعد هذا » (٥) .

كان كل مقال من مقالات «العروة الوثقى» بمثابة حملة صحفية على الاحتلال

(١) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ، جـ١ ، ط١ ، القاهرة : مطبعة المنار ١٩٣٦ .

(٢) انظر : د . أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر ، القاهرة : مطبعة هيكل ١٩٧٠م ، ونصر الدين عبد الحميد نصر: حركة الجامعة الإسلامية ، مرجع سابق، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) عبد العزيز سيد الأهل : خاطرات جمال الدين الأفغانى ، مرجع سابق ، ص١٣٢ .

(٤) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ، جـ١ ، ط ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣.

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

البريطانى ، وقد تنبهت السلطات البريطانية فى مصر على أثر تلك الحملات التى شنتها العروة الوثقى فعملت على محاربتها ، ومنعها من دخول الأقطار المصرية ، فكانت تدخل مستخفية عن طريق البريد ؛ لذلك فقد ألزمت السلطات البريطانية الحكومة المصرية بمنعها رسميا فانعقد مجلس النظار المصرى للبحث فى أمر «العروة الوثقى» ثم أصدر قراره إلى نظارة الداخلية بأن تشتد فى منع هذه الصحيفة من دخول البلاد المصرية من أى طريق، وصدر أمر الداخلية أيضا إلى إدارة عموم البوسطة يلزمها الدقة والتحرى فى ذلك ، فضلا عن القرار الذى أصدرته الداخلية بتغريم كل من توجد عنده «العروة الوثقى» مبلغ خمسة جنيهات إلى خمسة وعشرين جنيهاً (١) .

وكان الذى دفع الاحتلال إلى اتخاذ هذه الإجراءات هو الخوف من يقظة الشعور الدينى لدى المصريين ؛ لأن الإسلام يدعو إلى العزة والكرامة ، ويأبى على المسلم أن يخضع لسواه أو أن يذل ، وفى يقظة الشعور الدينى استرجاع لماضى هذه الأمة المجيد ، وتذكر ما كانت عليه من قوة وعظمة ، ومن ثم فإن الإنجليز قد أخذوا على عاتقهم ، مقاومة كل حركة ترمى إلى نشر الوعى الإسلامى فى مصر ، وعملوا جاهدين على صرف الناس إلى بهرج الحضارة الأوربية وتحسين كل ما هو غربى ، ورموا كل ما هو شرقى بالانحطاط، وعزوا كل بلاء حل بالشرق إلى الإسلام ليتمكنوا بذلك من تنحية تعاليم الإسلام من طريقهم ، ويضمنوا أن تساس لهم قيادة شعب وادى النيل (٢) .

لا شك أنه كان للعروة الوثقى تأثير بعيد المدى على الصحافة العربية والمصرية كلها، حيث خلقت اتجاها إسلاميا قويا حمل لواءه الصحف الإسلامية : «المؤيد» و«الأستاذ» و«المنار» و«اللواء» فيما بعد .

ولم يأت عام ١٨٨٩م حتى بدأت الصحافة المصرية تنحو المنحى الدينى ، وكان فى مقدمة هذه الصحف «المؤيد» التى أنشأها الشيخ على يوسف ، وصدر العدد الأول منها فى أول ديسمبر ١٨٨٩م ، واستمرت إلى عام ١٩١٥م .

ولم تكن سياسة «المؤيد» الدينية صريحة أول الأمر ؛لأنه كتب عليها : سياسية يومية، وكان الشيخ على يوسف ينحو المنحى السياسى الوطنى فى بدء صدور «المؤيد» ، ولكن عندما بدأ الصراع بين الشيخ محمد عبده وهانوتو ، أفسحت المؤيد صدر صفحاتها لنشر مقالات الأستاذ الإمام والتعليق عليها .

ثم عندما هاجم كرومر الإسلام فى آخر تقرير له فى مصر انبرت «المؤيد» لدحض

(١) محمد سعد الدين الجيزاوى: أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث، جـ١، ط١، مرجع سابق، ص١٧٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

مفترياته، هذا إلى جانب أنها كانت منبرا للدعوة إلى الجامعة الإسلامية ومناصرة دعاتها(١).

وهكذا اتضح الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، ذلك الاتجاه الذى بدا واضحا فى كتابات الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغانى فى «العروة الوثقى» ، وسار على النهج الشيخ على يوسف فى «المؤيد» ١٨٨٩م ،وعبد الله النديم فى «الأستاذ» ١٨٩٢م ، والشيخ رشيد رضا فى «المنار» ١٨٩٨م ، ومحمد فريد وجدى فى «الحياة» ١٨٩٩م ، ومصطفى كامل فى «اللواء» ، والشيخ عبد العزيز جاويش فى «الهداية» ، وصحيفة «الشعب» ١٩١٠م لأمين الرافعى .

وقد كشف هؤلاء المفكرون فى صحفهم الإسلامية السابقة الذكر مخططات الاستعمار لغزو العالم الإسلامى فكريا ، وتصدوا لكل دعواته المعادية للإسلام والمسلمين .

وكان يكتب فى هذه الصحف الشيخ محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ على يوسف ، ومحب الدين الخطيب ، ومصطفى صادق الرافعى، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وأحمد تيمور باشا ، وعبد العزيز جاويش ، ومصطفى كامل، وغيرهم .

«وكان هؤلاء المدافعون فى وجه الغزو الفكرى الغربى المسيحى فى مصر كلهم من المؤمنين بالأصول والجذور الإسلامية التى تنبع من الفكر الإسلامى الأصيل ، وكان معظمهم قد تخرج فى الأزهر ، أو نهل من علومه الإسلامية ، وكان هؤلاء أيضا يمثلون التيار الرئيسى الوطنى الجارف ، فكشفوا للمسلمين عن منهج «عملاء الاستعمار» ، واتهموهم بالخصومة لحركة اليقظة الإسلامية والعمالة للاستعمار» (٢) .

وكان الشيخ على يوسف ـ قبل أن تصدر «المؤيد» ١٨٨٩م ـ قد أصدر مجلة تسمى «الآداب» ، كشف فيها عن المخطط الاستعمارى ضد اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ولغة الشريعة الإسلامية والثقافة العربية فى مختلف العلوم (٣) .

ثم أصدر الشيخ على يوسف «المؤيد» ، فكان صوتها هو البشير بأن مصر لم يزل فيها بقية من إحساس وحياة ،ولم يمض على صدورها أقل من ثلاث سنوات حتى ظهر العدد الأول من مجلة «الأستاذ» مجلة أسبوعية فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢م والعدد الأخير فى ١٣ يونيه ١٨٩٣م ، حمل فيها النديم على الاستعمار وأعوانه فى عنف لا هوادة فيها ، مستأنفا جهاده الذى بدأه مع عرابى رغم ما ذاق فى سنى اختفائه العشر من آلام .

---

(١) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(٢) د. مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٥٥.

(٣) انظر : محمد السيد حسين : الفن الصحفى عند الشيخ على يوسف ، مرجع سابق .

ولم يمض على ظهور الأستاذ خمسة شهور حتى أعلن الحرب الصريحة على الاستعمار وأذنابه (١) .

وقد تصدى عبد الله النديم فى مجلة الأستاذ للدفاع عن اللغة العربية ضد الهجوم الذى شنه مهندس الرى الإنجليزى ويلكوكس ، يقول فى «الأستاذ» مدافعا عن اللغة العربية :«إن فى ضعف كل أمة فقدان لغتها مهما كانت تامة الألفاظ واسعة المعانى والمبانى، واللغة العربية نزل بها القرآن الشريف الذى هو الآية الكبرى والحجة العظمى لنا معشر المسلمين ، فهو الداعى لحياة اللغة العربية الصحيحة ، وهو المقصود لكل محارب ساع فى إماتتها ، ورأينا مجلة الأزهر (٢) تدعونا إلى ما تسوء به عاقبتنا ، وتسود به وجوهنا ، ونصير به أعجوبة بين الأمم، ولكننا نثنى عليها فإنها دقت جرس التنبيه ، ونبهت الغافل ، وأطلعت المصريين على سر من أسرار أوربا ، بعد أن كان لا يعرفه إلا المشتغلون بالبحث فى مقاصد أوربا فى الشرق ، على أننا نعلم علم اليقين أنه لو ظهر ألف ألف داع بل مئات ألوف من دعاة أوربا لاستعمال لغة تميت لغة القرآن ما وجدوا آذانا صاغية . ولماذا لم يكتب الإنجليز كتبهم العلمية وجرائدهم باللغة العامية عند استعمالها ونسيان غيرها ، أيرضى عنهم المسلمون أم يعدونهم منهم ؟ وهو يعتقدون أن تغيير حرف منه أو تقديمه كفر مخرج للفاعل من الدين» (٣) .

وكانت سياسة «الأستاذ» تهدف إلى :

١ ـ الإصلاح الاجتماعى .

٢ ـ إصلاح التربية والتعليم .

٣ ـ الدفاع عن الشرق ضد أوهام الغرب .

٤ ـ مهاجمة الاحتلال البريطانى دفاعا عن الخديو عباس الثانى .

٥ ـ الحملة على المبشرين المسيحيين .

٦ ـ الدفاع عن اللغة العربية باعتبار أنها اللغة القومية ، والدعوة إلى تدريس المواد كلها فى المدارس باللغة العربية ، والدعوة كذلك إلى معاملة مدرسى هذه اللغة بنفس

---

(١) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص١٢٧ .

(٢) هذه المجلة ليست هى مجلة الأزهر التى تصدر الآن من الأزهر ، بل إن هذه المجلة أنشأها إبراهيم مصطفى وحسن رفقى فى عام ١٨٨٧م ، ثم استأجرها مهندس الرى الإنجليزى ويلكوكس ليهاجم فيها اللغة العربية بالدعوة إلى العامية .

(٣) مجلة الأستاذ ، ٣ يناير ، ١٨٩٣م.

انظر د.سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة : دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨م ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ، ومحمد السيد حسين : الفن الصحفى عند الشيخ على يوسف ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .

الأجر الذى يعامل به مدرسو المواد الأخرى (١) .

وقد تصدى النديم للصحف العميلة للاحتلال مثل «المقطم» ، فاستعدت عليه سلطات الاحتلال البريطانى ، لكن الصحف الوطنية آزرته وساندته .

وهكذا استطاع النديم من خلال «الأستاذ» أن يوقظ الوطنية المصرية من جديد وتأثر به الشباب المصرى ، وخرج فى مظاهرات كبيرة كان على رأسها الشاب مصطفى كامل ، نددت هذه المظاهرات بصحيفة الاحتلال «المقطم» ، الأمر الذى اضطر الاحتلال أن يعطل صحيفة «الأستاذ» ويحكم على النديم بالنفى مرة ثانية(٢) .

كما واجه النديم الهجمة التبشيرية على مصر والتى صاحبت الهجمة الاستعمارية ، حتى كثرت الجمعيات التبشيرية بشكل ملحوظ وازداد نشاطها ، الأمر الذى هدد الفكر الإسلامى ، وأصبح يشكل خطورة واضحة على عقائد المسلمين (٣) .

ولقد تنبه لهذا الغزو الفكرى والعقائدى مجموعة من المفكرين العرب والمسلمين ، وكان لهم موقفهم الفكرى والعملى من هذا الغزو (٤) .

وبدأت طلائعهم وعطاؤهم ينمو من خلال العمل الصحفى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

وقد تشكلت من هذه المجموعة حركة يقظة عربية إسلامية الطابع ، وكان لها دور فى موجة الانبعاث والتجدد التى شملت الدعوة الإسلامية والحركة السياسية والعمل الوطنى جميعا (٥) .

حتى أنه يمكن القول : إن الاتجاه الإسلامى فى الصحافة فى بداية القرن العشرين كان امتدادا لحركة اليقظة العربية الإسلامية التى تشكلت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

وقد كانت «العروة الوثقى» مدرسة للصحافة الإسلامية ، تركت أثرا واضحا فى كتابات هؤلاء المفكرين والمصلحين ، وفى الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين ، وقد كانت مظاهر هذا الأثر فى مصر عن طريق «المنار» التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى .

حيث إن الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الأوحد للعروة الوثقى كان بمثابة المشرف

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٠٣، ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٣) نصر الدين عبد الحميد نصر : حركة الجامعة الإسلامية فى مصر ، مرجع سابق، ص ٣٩ .

(٤) على عباس على: عبد الله النديم صحافته وفكره،رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة،ص٧٢.

(٥) أنور الجندى : يقظة الفكر العربى فى مواجهة التعريب ، مرجع سابق ، ص٦ .

على المنار منذ صدورها حتى وفاته ١٩٠٥ ، مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة(١) .

وفى هذه المرحلة صدرت صحف إسلامية عديدة كان أبرزها : « المؤيد » و «الأستاذ» و «الإسلام» و «المنار» و «الحياة» و «اللواء » و « مكارم الأخلاق الإسلامية» و « العلم » و «الشعب» حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م .

---

(١) أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ١ ، المنار ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .



الفصل الثانى
صحف الاتجاه الإسلامى فى مصر

يقصد بصحف الاتجاه الإسلامى : كل صحيفة ـ جريدة أو مجلة ـ تصدر بصفة منتظمة ، وتلتزم بالخط الإسلامى أو القول بالمنهج أو الفكر الإسلامى فى معالجتها للأحداث والقضايا ، وتهتم بشؤون المسلمين العامة والخاصة ، سواء كانت صحيفة دينية متخصصة ، أو كانت صحيفة عامة ذات اتجاه إسلامى .

وينبغى أن نشير هنا إلى أن كلمة «صحيفة» تشمل من الناحية الاصطلاحية الجريدة والمجلة معا ، فالصحيفة اصطلاحا : «تعنى كل مطبوع دورى ، يصدر بصفة منتظمة من مؤسسة معروفة ، تلتزم بوقت صدور محدد ، وتنشر أخبارا سياسية أو اجتماعية ، كما أنها قد تتضمن أحاديث صحفية وتحقيقات ومقالات ، إلى جانب الفنون الصحفية الأخرى» (١) .

وقد عرف الشيخ إبراهيم اليازجى المجلة «بأنها صحيفة علمية أو أدبية أو انتقادية أو تاريخية أو ما شاكل ذلك ، تصدر تباعا فى أوقات معينة» (٢) .

مما سبق يتضح أن كلمة «صحيفة» يراد بها الجريدة والمجلة فى الوقت نفسه من الناحية الاصطلاحية ، أما من الناحية الفنية فيفرق أساتذة الصحافة أيضا بين الجريدة والمجلة .

فالدكتور محمد سيد محمد يفرق بين الجريدة والمجلة بثلاثة مقاييس رئيسية تحوى الشكل والمضمون لكل صحيفة ، وهى :

أولاها : الفترة الزمنية لتتابع الصدور ، وهذا المقياس مرتبط بالمضمون ارتباطا وثيقا ؛ لأن الجريدة لا يمكن أن تتخصص كما تتخصص المجلات .

ثانيها : المادة التحريرية ، وهى فى الجريدة «الخبر» فى المحل الأول ، وفى المجلة «المقال» بأشكاله المتعددة ، و«التقرير الصحفى» بأنواعه الأربعة من حديث وتحقيق وريبورتاج وماجريات ، إلى جانب القصص والرسوم والصور .

المقياس الثالث : الحجم ، فالجرائد عادة تكون أكبر حجما من المجلات ، برغم

---

(١) د . عبد الحميد يونس : الصحافة حاضرا ومستقبلا ، مجلة الفيصل ، عدد ١٩ ، ١٩٧٨م ، ص ١٠٥ .

(٢) محمد عبد الغنى حسن ، د . عبد العزيز الدسوقى : روضة المدارس ـ نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية ، القاهرة : ١٩٧٥ ، ص ٩ .

صدور صحف يومية بالحجم النصفى ، وصدور مجلات بحجم الصحف اليومية ، ولكن الغالب أن تكون المجلة أصغر من الجريدة والعبرة بالأعم والأغلب .

ثم يضيف إلى هذه المقاييس الثلاثة الرئيسية مقاييس ثانوية أخرى ، كنوع الورق والغلاف واستخدام الألوان ، وطريقة الطباعة ، والإخراج الصحفى ، واختلاف كل ذلك بصفة عامة فى كل من الجريدة والمجلة (١) .

ونستطيع أن نقسم صحف الاتجاه الإسلامى فى بداية القرن العشرين على أساس التخصص ، والهدف من الصدور ، واهتمامات كل من هذه الصحف فى فترة صدورها إلى صحف متخصصة ، وصحف عامة ذات اتجاه إسلامى .

من الصحف الأولى («الإسلام» أحمد على الشاذلى الأزهرى ، ١٨٩٤م ـ ١٩١٢م)، («المنار» رشيد رضا ، ١٨٩٨م ـ ١٩٣٥م) ، («الحياة» محمد فريد وجدى ، ١٨٩٩م ـ ١٩١٥م) ، («مكارم الأخلاق الإسلامية» جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، ١٩٠٠م ـ ١٩١٢م) ، («المرأة فى الإسلام» إبراهيم رمزى ، ١٩٠١م ـ ١٩٠٢م) ، («العالم الإسلامى» مصطفى كامل ، ١٩٠٥م ـ ١٩٠٧م) ، («الهداية» عبد العزيز جاويش ، ١٩١٠م ـ ١٩١٢م) .

ومن الصحف العامة ذات الاتجاه الإسلامى : («المؤيد» الشيخ على يوسف ، ١٨٨٩م ـ ١٩١٥م) ، («اللواء» مصطفى كامل ، ١٩٠٠م ـ ١٩١٢م) ، («الدستور» محمد فريد وجدى ، ١٩٠٧م ـ ١٩٠٩م) ، («الشعب» الحزب الوطنى ، ١٩١٠ ـ ١٩١٤م) .

وهذه الصحف هى مجال الدراسة بإذن الله .

---

(١) د . محمد سيد محمد : اقتصاديات الإعلام ، القاهرة ، مكتبة كمال الدين : ١٩٧٩م ، ط١ ، ص ٢٦ .

أولا : صحافة الاتجاه الإسلامى المتخصصة

١ ـ مجلة « الإسلام »

لم تعرف مصر المجلات الإسلامية المتخصصة إلا من خلال العروة الوثقى التى أصدرها جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده فى باريس مارس ١٨٨٤م ـ ١٣٠١هـ .

وكانت أول مجلة إسلامية متخصصة تصدر فى مصر بعد « العروة الوثقى » هى مجلة «الإسلام » ، التى أصدرها أحمد على الشاذلى المتخرج فى الأزهر ، كما أنها كانت أول مجلة تحمل اسم الإسلام فى مصر .

وقد بدأت فى الصدور ، شهرية ، فى غرة رمضان المعظم ١٣١١هـ، الموافق ٨ مارس ١٨٩٤م . وتوقفت عن الصدور فى عام ١٩١٢م ، ولم تحظ هذه المجلة بالذكر فى الكتب والمؤلفات التى تناولت الصحافة المصرية ، باستثناء كتاب واحد كتبه أنور الجندى عن «المنار » ، وتناولها فى سطور قليلة .

أهداف المجلة من الصدور :

قد حدد صاحبها أهدافها فى أول عدد لها بأنها : « مجلة عربية العبارة ، إسلامية المشرب، مصرية الهداية ، تكفل لإخواننا بيان أمور دينهم، وتدلهم على طرق النصح لهم ولإخوانهم الذين يعزون بعزهم ويذلون بذلهم . وسميتها «الإسلام» تسمية لها بأشرف مبحث ينشر فيها » (١) .

اهتمامات المجلة :

ومن خلال الرجوع إلى أعداد الإسلام نجد أنها كتبت عن : فضائل الإسلام وآدابه، والمحافظة على الدين ، وعن قواعده؛ كالصلاة ، و الزكاة، والصوم، والحج ، والجهاد، وتحدثت عن نزول القرآن وأسبابه وفضله ، وكيفية النزول ، كما اهتمت بشؤون المسلمين فى إفريقيا والصين وغيرها من الدول الإسلامية .

وقد عرضت أيضا لقضايا الإسلام ، عقيدة وشريعة ومعاملات ، فتكلمت عن القضاء والقدر ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه ، والموت والحياة ، والوسيلة والشفاعة ، كما خصصت بابا للمعاملات الشرعية كالإجارة والبيع والعقود

---

(١) أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية ، المنار ، جـ١ ، القاهرة : دار الأنصار ، ١٩٨٣م ، ص ٧٠٦ .

والزواج والمرأة ، وإصلاح المحاكم الشرعية .

ونلاحظ أيضا أن « الإسلام » بحثت فى أسباب انحطاط المسلمين ، وكانت تنقل عن المؤيد بعض المقالات الإسلامية مثل المقال الذى نشر بعنوان : « الإسلام : أعداؤه وأنصاره » ، كما كانت أيضا تنشر مقالات الشيخ محمد عبده فى الرد على « مسيو هانوتو» الذى هاجم الإسلام (١) .

واهتمت « الإسلام » أيضا بالنواحى الأدبية ، فكانت تنشر قصائد لكبار الشعراء ، فقد نشرت لأحمد شوقى قصيدة « الهمزية » فى مدح الرسول ﷺ (٢) .

كما كانت تنشر القصائد الشعرية فى المناسبات الدينية ، وحفلت صفحاتها بقصائد للشاعر حسن القاياتى ، وعبد الحليم أفندى المصرى، وحافظ إبراهيم، وأحمد أفندى نسيم، وخليل مطران ، وحفنى ناصف ، وولى الدين يكن .

وحظيت اللغة العربية باهتمام « الإسلام » ، وطالبت بأن تكون لغة الدولة العثمانية هى اللغة العربية الفصحى ، وعزت تأخر المسلمين ، وعدم قدرتهم على تحصيل العلوم الإسلامية إلى عدم توحيد اللغة العربية فى المملكة العثمانية «لأنها أعظم اللغات ، وهى لغة العرب التى نزل بها القرآن عربيا مبينا . . . فلو كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى الدولة العلية والفارسية لعلم كل فرد من الأفراد كتاب الله وآياته والدرر المتخللة بين كلماته وآياته ، وعرف ما له وما عليه من الواجبات الدينية والأدبية والاجتماعية ، ولكن لما تعددت اللغات وتركت اللغة العربية فى كثير من الممالك الإسلامية ، ولم يبق فيها إلا أقل القليل ، انحصرت المعرفة فى بعض أفراد الأمم ، ولم يستطيعوا القيام بتأدية ما عليهم من واجبات التعليم نحو المجموع من الأمم ولذلك ساد الجهل» (٣) .

وقد نشرت «الإسلام » مقتطفات من المقالات التى تناولت تاريخ التبشير فى العالم الإسلامى التى نشرتها مجلة « العالم الإسلامى » الفرنسوية ، متتابعة تحت عنوان: «الغارة على العالم الإسلامى» ، وقد ترجمتها « المؤيد » . ثم قامت بالنقل عن «المؤيد» «الإسلام » ، وقد بينت الهدف من نشرها لهذه المقالات قائلة :

« إنه لأهمية هذه المقالات وما يتخلل سطورها من المساعدات المادية من الدول الأوربية إلى جمعيات المبشرين ، وبذل النفس والنفيس فى نشر الديانة المسيحية ، والقائمين بالخدم الدينية عندهم ، أردنا أن نلخص منها بعض فقرات لتكون عبرة لجميع

---

(١) الإسلام ، عدد ٤ ، ربيع الأول ١٣١٨هـ ، أبريل ١٩٠٠م .

(٢) الإسلام ، عدد ١ ، محرم ١٣٢٢هـ ، أبريل ١٩٠٤م .

(٣) الإسلام ، عدد ٤ ، صفر ١٣٣٠ هـ ، فبراير ١٩١٢ .

المسلمين فى جميع الأقطار ، ومثالا ساطعا لعقلاء الأمة الإسلامية لكى يعتدوا بهم فى مساعدة القائمين بالخدم الدينية الإسلامية . . . أدبيا وماليا » (١) .

وقد طالبت المجلة المسلمين بتأسيس الجمعيات الدينية والأدبية والمدارس والمستشفيات، وتدعيمها ماديا وأدبيا لمقاومة هؤلاء المبشرين ، ثم أشارت إلى مراعاة الدول المسيحية لرعاياهم المبشرين بالمال والمحافظة عليهم فى البلاد التى يجوبونها ، كما نوهت بشأن مدرسة الدعوة والإرشاد التى أنشأها رشيد رضا فى القاهرة لتخريج دعاة الإسلام، وحثت على مساعدتها بالمال ، رغم أنها ليس الغرض منها تغيير الأديان كما يفعل المبشرون، وإنما الغرض منها بيان فضائل الإسلام (٢) .

ونلاحظ أن المجلة قد خصصت بابا للأخلاق ، تناولت فيه معالجة المفاسد الاجتماعية ، التى طرأت على المجتمع ، والأمراض الاجتماعية مثل الحسد والرياء ، وشرب الخمر ، ولعب الميسر والقمار (٣) ، وبينت أن « الميسر سحت باطل لأنه اختطاف لأموال الناس ، وليس له دخل فى التمدن والتعاون . . وليس هناك من ينكر مضار لعب القمار » (٤) .

وقد حثت « الإسلام » على مكارم الأخلاق من خلال نشرها للعديد من المقالات عن حسن الخلق ، والحلم ، ومحاربة الكذب ، والدعوة إلى الصدق والحياء والمروءة(٥) .

كما نشرت مقالات متعددة عن حقوق الزوجة في الإسلام ، وطالبت بتعليمها التعليم الشرعى، الذى يجعلها تعرف ما لها وما عليها من الواجبات الدينية والأدبية، وتهذيب أولادها ونفسها ، تهذيبا يفيد الأمة ماديا وأدبيا .

مما سبق نستطيع القول : إن هذه المجلة قد تخصصت فى الأمور الدينية والشؤون الاجتماعية ، وكان من أبرز أهدافها :

١ ـ نشر الثقافة الدينية بين جماهير المسلمين ، وتعريفهم بالإسلام وقواعده وفرائضه وواجباته وسننه تعريفا صحيحا .

٢ ـ الاهتمام بالنواحى الأدبية ، وخاصة الشعر الإسلامى والوطنى .

(١ ، ٢) الإسلام ، عدد ٧ ، جمادى الأولى ١٣٣٠هـ ، أبريل ١٩١٢م .

(٣) الإسلام ، عدد ٤ ، صفر ١٣٣٠هـ ، فبراير ١٩١٢م .

(٤) الإسلام ، عدد ٣ ، محرم ١٣٣٠هـ ، يناير ١٩١٢م .

(٥) الإسلام ، عدد ٥ ، ربيع الأول ١٣٣٠هـ ، مارس ١٩١٢م .

٣ ـ الزود عن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم والثقافة الإسلامية بوجه عام.

٤ ـ تعريف المسلمين بما يقوم به المنصرون فى العالم الإسلامى ، ودعوتهم إلى مجابهة هذه البعثات التنصرية ودعمها ماديا وأدبيا ، وذلك بتأسيس الجمعيات الدينية والأدبية والمدارس والمستشفيات كما تفعل أوربا .

٥ ـ محاربة المفاسد الاجتماعية والأمراض الخلقية التى انتشرت بين المسلمين .

٦ ـ المطالبة بتعليم المرأة تعليما شرعيا لتعرف ما لها وما عليها ، وتكون عضوا فعالا فى المجتمع تفيد نفسها وأولادها والمجتمع بوجه عام .

أبرز كتاب المجلة :

كان يحرر معظم مقالات المجلة صاحبها : أحمد على الشاذلى الأزهرى ، كما كانت تنشر بعض المقالات غير ممهورة بتوقيع أحد، وكان من أبرز كتاب المجلة أيضا : محمد فريد وجدى ، الذى كان يكتب بعض المقالات الاجتماعية والإسلامية ، والشيخ طنطاوى جوهرى، الذى كان يكتب بعض المقالات الفلسفية والدينية ، ومن الشعراء : شوقى ، وحافظ إبراهيم ، والسيد حسن القاياتى ، وعبد الحليم أفندى المصرى ، وأحمد أفندى نسيم، ومحمد موسى الأقصرى ، وخليل أفندى مطران ، وحفنى بك ناصف ، وولى الدين يكن .

وقد احتجبت المجلة عن الصدور من عام ١٩٠٠ م إلى عام ١٩٠٤م.

أما عن سبب احتجابها هذه الفترة ، فتذكر المجلة فى أول عدد لها فى بداية صدورها فى المرة الثانية تحت عنوان : « كل شىء بقضاء وقدر » هذه عبارة يشهدها المسلمون ويقرّ بها الموحدون ، وجريدتنا إسلامية لا يطلع عليها إلا مسلم مسلّم لهذا العنوان الكريم، ومن كان كذلك لا ريب فى أنه يعذرنا على احتجاب جريدة «الإسلام » (١) عن قرائها بعض الأزمان الغابرة ، إذ حيل بينها وبينهم بمشاغل إن تبد لهم تسؤهم ، ومن الأعذار ما لا يقال ، لاسيما إذا رأى الإنسان فى قوته انحطاطا ، فقدم صحة الأبدان بنحو رياضة ، حتى إذا تكاملت القوي ثابر فى طريق الكتابة حتى يستعيض المشترك فى هذه الجريدة عما مضى كثيرا من فوائد الماضى والعذر عند خيار الناس مقبول (٢) .

ويتضح من هذا القول أن هناك سببين لاحتجاب الإسلام ، الأول سبب ظاهرى

---

(١) يلاحظ أنه كان يطلق على المجلة جريدة ، وذلك يرجع إلى عدم التفريق فى ذلك الوقت بين مصطلح الجريدة، والمجلة .

(٢) الإسلام ، عدد ١ ، محرم ١٣٢٢هـ ، أبريل ١٩٠٤م.

وهو اعتلال صحة صاحبها ، والثانى لم يفصح عنه ، ويبدو أنه خارج عن إرادته، ولم يعثر الباحث على تحقيق صحة هذه الواقعة من مصادر أخرى غير حديث الصحيفة عن نفسها.

وقد ظلت «الإسلام » قائمة على نهجها الإسلامى بعد صدورها فى نفس الحجم والشكل التى كانت عليه سلفا حتى أغلقت نهائيا فى عام ١٩١٢م.

٢ ـ مجلة « المنار »

فكرة إصدار المجلة :

فكر رشيد رضا فى إصدار صحيفة قبل هجرته إلى مصر عام ١٨٩٧م ، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك وهو فى لبنان ، ويرجع ذلك إلي عدم توافر الحرية هناك فى ذاك الوقت ومراقبة الحكومة العثمانية للمطبوعات، ولم يقبل ما عرضه عليه الأستاذ عبد القادر القبانى صاحب جريدة « ثمرات الفنون » ـ أقدم الجرائد الإسلامية فى سورية ـ فى أن يتولى رئاسة تحريرها ، واحتج فى الرفض بأن الحرية هنا غير متاحة ؛ لأنه يريد إصلاح الأخلاق والاجتماع والتربية والعلوم ، والتعليم وتحرير الأمة من الحكم الاستبدادى ، وبأنه عازم على إنشاء صحيفة إسلامية فى مصر [(١)] .

قَدِمَ رشيد رضا إلى مصر فى الثالث من يناير عام ١٨٩٨م وهو عازم على إصدار مجلة إسلامية فى القاهرة ، وكانت له شهرة فى ميدان الكتابة ، فأرادت جريدة الأهرام أن تضمه لأسرة تحريرها ، ولكنه أبى برغم المكافأة السخية التى عرضت عليه، واكتفى بأن يكتب «للأهرام » فى بعض الأحيان لأن شغله الشاغل كان إصدار مجلة خاصة به [(٢)].

تسمية المجلة :

وقد أصدر رشيد رضا « المنار » فى ٢٢ شوال ١٣١٥هـ ، ١٥ من مارس ١٨٩٨م، وكانت أسبوعية ، يتألف كل عدد منها من ثمانى صفحات كبيرة على صورة المجلة النصفية المتوسطة الحجم «التبلويد».

واختار رشيد رضا لمجلته اسم « المنار » ووافق عليه الشيخ محمد عبده ، وقد اقتبس رشيد رضا هذا الاسم من قول الرسول ﷺ : « إن للإسلام صُوى ومنارا

---

(١) د. أحمد الشرباصى : رشيد رضا الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، الكتاب الثانى ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة : ١٩٧٧م ، ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥.

كمنار الطريق» [1] وقد وضع رشيد رضا هذا الحديث فى صدر الصفحة الأولى من صفحات المنار .

ويقول رشيد رضا : « إننا اقتبسنا اسم « المنار » من الحديث الشريف تفاؤلا بأن يكون مبينا لصوى الإسلام وناصبا لأعلامه ، وموضعا لنور الحقيقة التى يُحْتاج إليها فى حياتنا العملية والاجتماعية » [2] .

ويلاحظ أن اسم الصحيفة غالبا ما يدل على اتجاهها وهدفها من الصدور ، وقد تجىء التسمية أحيانا كما يقول الدكتور محمد سيد محمد : « كما تجىء تسمية الأشخاص وفقا لظروف معينة ، وملابسات خاصة ، وتصبح فكرة التسمية قصة من قصص التاريخ الصحفى، فجريدة «المقطم» مثلا اشتقت اسمها من جبل المقطم ، ذلك أن الاستعمار البريطانى عندما وجد فى جريدة الأهرام ميلا إلى الحركة الوطنية عمد إلى إنشاء جريدة المقطم لتكون لسان وفكر أصحاب «المقطم» فى تسمية تفوق « الأهرام » ، فهداهم تفكيرهم إلى أنه ما دامت «الأهرام » عبارة عن حجارة ، فإن جريدتهم تسمى «بالمقطم» الجبل الذى تخرج منه الحجارة ، فيكون مسماهم أكثر شمولا وضخامة » [3] .

أهداف المنار :

حددت المنار أهدافها فى العدد الأول من صدورها فيما يلى :

١ ـ الحث على تربية البنات والبنين لا الحط على الأمراء والسلاطين ، والترغيب فى تحصيل العلوم والفنون لا الاعتراض على القضاة والقانون ، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم .

٢ ـ المساعدة على مجاراة الأمم المتمدنة فى الأعمال النافعة ، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد .

٣ ـ شرح الدخائل التى مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة التى أفسدت الكثير من عوائدها ، والتعاليم الخادعة التى لبست الغى بالإرشاد ، والتأويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل.

٤ ـ تشخيص الأمراض الروحية وأشباحها ، وتوضيح عللها ، ووصف علاجها.

٥ ـ تأليف القلوب المتنافرة ، ووصل العلائق ، وجمع الكلمات المتفرقة وإقناع

---

(١) هذا الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير معزوا إلى الحاكم عن أبى هريرة ، وعليه علامة الصحة . انظر المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٣) د . محمد سيد محمد : الزيات والرسالة ، السعودية : دار الرفاعى للنشر والتوزيع ، ١٩٧٨م، ص ٤٦ .

أرباب النحل المتباينة ، والمذاهب المختلفة .

٦ ـ الحث على التمسك بالدين وبيان أنه أساس السعادة وأن الكفر فساد العمران.

٧ ـ درء الشبه الواردة على الشريعة الإسلامية ، ودحض مزاعم من قال : إنها حائل بين الآخذين بها وبين المدنية الصحيحة ، لجهلهم بما انطوت عليه من الحكم الرائعة، والأحكام العادلة .

٨ ـ تنبيه العثمانيين أن الشركات المالية هى مصدر العمران وينبوع العرفان ، وأن عليها مدار تقدم أوربا فى الفنون والصنائع لا على الملوك والأمراء .

٩ ـ نشر محاسن اللغة العربية بالتحلى بفرائدها، واقتناص أوابدها، وتقييد شواردها على سبيل التدرج في الاستعمال.

١٠ ـ عدم الميل مع ريح حزب من الأحزاب ، وعدم التطرف لجانب معين تفريطا أو إفراطا.

١١ ـ سياسة المجلة عثمانية المشرب حميدية اللهجة ، تحامى عن الدولة العلية بحق، وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق.

١٢ ـ تتجافى المطاعن الشخصية والأماديح الشعرية لكنها لا تنى فى تقريظ الأعمال العامة الموضوع لإفادة الجمهور (١) .

ويروى لنا رشيد رضا أنه قرأ على الأستاذ الإمام منهج المنار السابق فضلا عن العبارة الآتية وهى : بيان حقوق الأمة على الإمام وحقوق الإمام على الأمة، فاقترح الشيخ حذف هذه العبارة لأنه رأى أن الخوض فى السياسة العثمانية فتنة يخشى ضررها ولا يرجى نفعها(٢) .

ويذهب تشارلز آدمز أن الغرض الذى رمت إليه المنار هو نفس الغرض الذى دعت له صحيفة « العروة الوثقى » وخاصة فى نشر الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والدينية، وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافى مع التطورات الحديثة والنظم المعاصرة ، وأن الشريعة الإسلامية أداة عملية صالحة للحكم (٣) .

وأيضا « فى السعى فى القضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة فى الإسلام ومحاربة التعاليم الضالة والتفاسير الباطلة لعقائده، ومحو الأفكار الشائعة عن القضاء

---

(١) المنار ، عدد ١ ، ٢٢ شوال ١٣١٥هـ ، ١٥ مارس ١٨٩٨م.

(٢) المنار ، عدد ١ ، ١٢ محرم ١٣٢٧ هـ ، يونيه ١٩٠٩م.

(٣) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، مرجع سابق ، ص ١٧٢.

والقدر، ومحاربة التعصب لمذهب من المذاهب ، وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد فى الأولياء، وما تأتيه طرق المتصوفة من بدع وضلالات ، ثم الحض على التسامح والتآلف بين الفرق المختلفة وترقية التعليم . . . ودفع الأمم الإسلامية إلى مباراة الامم الأخرى فى جميع الأمور الضرورية لتقدم الأمم» (١) .

ويؤيد تشارلز آدمز فيما ذهب إليه الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، فهو يرى أن «المنار» قامت مقام «العروة الوثقى » ولم تتميز عنها إلا بطول عهدها (٢) .

ولكن المتصفح لأعداد « العروة الوثقى » و « المنار » فى الفترة التى يدرسها الباحث يجد هناك اختلافا فى وجهتيهما ، وخاصة فى الوجهة السياسية ، بالرغم ما يذكره الدكتور أحمد الشرباصى على لسان رشيد رضا : « أن السياسة لم تتركه كما تركها بل آذنته بالحرب، فأخذ يكشف ظلماتها لأمته » (٣) ، و « العروة الوثقى » كانت حربا على الاستعمار وأعوانه فى كل مكان وخاصة الاستعمار البريطانى ، فى حين أن «المنار» لم تتعرض له ووقفت موقفا سلبيا من بعض قضايا البلاد الوطنية ، ونستطيع أن نقول: إن «المنار » وافقت « العروة الوثقى » فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها الإصلاحية ورؤيتها فى الدين والحياة ، ولكنها خالفتها فى الوجهة السياسية .

وهذا ما يؤيده كلام الشيخ رضا نفسه فى المجلد الثانى من «المنار» ؛ إذ يشير إلى أنه أنشأ «المنار» لإحياء تعاليم «العروة الوثقى » ، ووضع قواعده على أساسها ، إلا ما كان فيها من السياسة التى تحرض على الإنجليز فى مصر ، وهو يفرق بين «المنار » و «العروة الوثقى » فيقول : « إن « المنار » وافق « العروة الوثقى » فى تعاليمها الاجتماعية وخالفها فى وجهتها السياسية المصرية ، وزاد عليها البحث فى جزئيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة. . .» (٤) ؛ لأن رشيد رضا كان يرى أن واجب الصحافة التعليم والإرشاد والتربية والنقد من أجل الوصول إلى الصالح العام (٥) .

أبرز كُتّاب المنار :

كان رشيد رضا يكتب أغلب ما فى « المنار » وعلى سبيل المثال العددان الأول والثانى، وهو الذى كتب جميع موادهما باستثناء الأخبار .

وكان لا يوقع مقالاته فى المنار باسمه إلا فى الافتتاحية الجديدة لكل مجلد ، وهو

(١) المرجع السابق ، ص ١٧٣ .
(٢) د. أحمد الشرباصى : رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص ١٦ .
(٣) المرجع السابق ،ص ٢٠ . (٤) المنار ، عدد ٢ ، ١٨٩٩م.
(٥) د. أحمد الشرباصى : رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

يقرر أن ما يكتب فى المنار دون إمضاء فهو له[1] .

وليس معنى هذا أن رشيد رضا كان المحرر الأوحد للمنار ، بل شارك فيه كوكبة من أعلام الأدب والشعر والعلم فى ذلك الوقت ، من أمثال أحمد السكندرى، وحفنى ناصف ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وحافظ إبراهيم، وعبد المحسن الكاظمى، ومحمد روحى الخالدى، وعبد القادر المغربى ، ومحمد المهدى، وحسين وصفى رضا ، وشكيب أرسلان ، وعبد الحميد الزهراوى ، وملك حفنى ناصف المشهورة بباحثة البادية ، ومحمد الخضر حسين ، ورفيق العظم ، والدكتور محمد توفيق صدقى، وعبد الكريم سلمان [2] .

كما كتب فيها الشيخ محمد عبده حتى وفاته ١٩٠٥م، ويذكر رشيد رضا «أن بعضهم كان يذيع أن الأستاذ الإمام هو الذى يكتب أكثر ما فى «المنار » ولم يرجع عن هذا الزعم إلا بعد وفاة الشيخ محمد عبده» [3] .

وقد كتب فى «المنار » أيضا الشيخ محمد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية، فقد نشر مقالات متتابعة فيها بعنوان : « المستقبل للإسلام» ، أجلى فيها أن المستقبل للإسلام من عدة نواح ؛ المكان ، والسكان ، والثروة ، واستدل على ذلك بنظريات علمية مؤكدة ومساحات مضبوطة ، وإحصائيات للسكان ، وذلك كما يفعل كبار الكتاب اليوم فى الصحف الحديثة ، ثم بين أسباب انحطاط المسلمين ، وذكر وسائل ارتقائهم [4] .

وكان من أشهر كتاب « المنار » الدكتور محمد توفيق صدقى ، الطبيب بسجن طرة ، وقد سخر قلمه فى ميدان الجدل ضد النصرانية ، فظهرت له مقالات كثيرة فى المجلدين الرابع عشر والسادس عشر من مجلة «المنار » ثم طبع بعض هذه المقالات على انفراد[5] .

وكان من كتاب « المنار » أيضا : أحمد الألفى ، وأحمد بدوى النقاش ، وأحمد شوقى ، وأحمد عارف الزين ، وإسماعيل حافظ ، وصالح اليافعى ، وحسين والى ، وعبد الله الزواوى ، وعبد الغنى محمود ، وعبد القادر الغندور ، وعبد القادر قبانى، وعبد الله مبعوث أزمير ، وكامل باشا ، ومحمد إنشاء الله ، ومحمد طاهر الحلى، ومحمد عالم ، ومحمد كرد على ، ومعروف الرصافى الشاعر العراقى.

---

(١) د. أحمد الشرباصى : رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ . (٣) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .
(٤) المنار ، عدد ١٦ ، ١٥ شعبان ١٣٢٠هـ ، ١٥ ديسمبر ١٩٠٥م.
(٥) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

وهناك كتاب كانوا يشيرون إلى أسمائهم بالرموز مثل : س، ى ، م ، أو تحت عناوين معينة مثل : أحد المتعصبين .

أيضا كتب فى « المنار » محمود بك سالم رئيس جمعية الدعوة والإرشاد مقالات عن اللغة العربية [1] ، وجبر أفندى ضومط معلم اللغة العربية فى المدرسة الكلية الأمريكانية ببيروت ، والشيخ محمد الخضرى المدرس بمدرسة القضاء الشرعى ، وأحمد شريف السنوسى .

ولقد نقل الدكتور أحمد الشرباصى عن الشيخ نديم الجسر قوله : « كانت المنار مدرسة تميزت بميزات كثيرة أهمها تنقية الأفكار الإسلامية من البدع والخرافات ومن بعض أعمال المتصوفين التى لا تتلاءم مع أحكام الإسلام» [2] .

وكان رشيد رضا ينقل عن المجلات الأخرى ما يستحسنه ويوافق مذهب «المنار»، ولم يجعل مجلته حكرا على قلمه ، فقد نقل مقالات من الصحف العربية والشرقية ، وأيضا من « المقتطف» و « المؤيد » وغيرهما [3] .

وكان رشيد رضا ينقل بعض الفصول من الكتب التى تتفق مع سياسة «المنار» وتعالج قضايا إسلامية ، مثل البحث الذى نشره « المنار » من كتاب «العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ » للشيخ أحمد المقبلى من مجتهدى اليمن فى القرن الحادى عشر ، ثم تابعت نشر فصول هذا الكتاب من الجزء السادس من المجلد ١٣ ص ٤٢٩ [4].

اهتمامات مجلة المنار :

وكان من أهم القضايا التى تعرضت لها « المنار » ما يلى :

أولا : الإصلاح الدينى :

صرح رشيد رضا أن مذهب « المنار » هو الإصلاح الدينى والاجتماعى [5] ؛ لذلك فقد عمل رشيد رضا منذ نشأة « المنار » لتحقيق هذا الهدف الإصلاحى، وكان يحرر المقالات التى اشتملت على النقد اللاذع، والصريح لكثير من الأمور فى مصر، وفى غيرها من بلاد الإسلام ، ودافع رشيد رضا عن مبادئ الشيخ محمد عبده وتعاليمه ، ونشر «المنار » الكثير من المقالات للأستاذ الإمام ، وكثير من تلاميذه الذين امتازوا بالنزعة

---

(١) المنار ، عدد ٦ ، فبراير ١٩١١ م .

(٢ ، ٣) د. أحمد الشرباصى : رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

(٤) انظر : المنار ، الأعداد ٦ ، ٨ ، ٩ ، فبراير ، مارس ، أبريل ١٩١٠م.

(٥) المنار ، عدد ١ ، م١٢ ، ١٩٠٩م .

التجديدية ، كما نشر لغيرهم من أنصار الإصلاح فى الممالك الإسلامية الأخرى[1].

ثم بدأ رشيد رضا فى تصوير ضعف المسلمين وحاجتهم إلى الإصلاح ، وحاول أن يلفت الأنظار إلى ما هم عليه من الضعف ، حتى يزكى فى نفوسهم الاهتمام بوضع حل لتلك الحالة .

وقد وجدت هذه الخطة قبولا لدى الناس ، فبدأ ينشر ما يراه من الطرق المؤدية إلى تحقيق الإصلاحات المنشودة ، وتوجيه جهود المسلمين نحو السير عليها [2] .

ويؤكد رشيد رضا أن هدف « المنار » هو إقامة القرآن ومذهب أهل السنة ، وسيرة السلف الصالح ، والأئمة المجتهدين ، وهو خصم ألد لجميع أنواع البدع ، والخرافات والتقاليد ، والعادات التى التصقت بالدين، وأن الشرق لا يصلح إلا بصلاح المسلمين وأن المسلمين لا يصلحون إلا بالرجوع إلى سيرة السلف الصالح فى دينهم من غير زيادة ولا نقص، ومواكبة الأمم الحية فى دنياهم ، وأخذهم بجميع فنونها وعلومها وصنائعها [3].

ويبين رشيد رضا نزعته نحو التجديد والإصلاح فى بيان الغرض من المنار بأنه « بيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل ، وموافقته لصالح البشر فى كل قطر ، وفى كل عصر، وإبطال ما يورد من الشبهات عليه ، وتفنيد ما يعزى إليه من الخرافات » [4].

لذلك فقد حملت « المنار » على المقلدين ، ودعت إلى فتح باب الاجتهاد، ونعت على الفقهاء، وضعف الطلبة ، الذين يخيل إليهم أن النظر فى مسائل الشرع قد انسدت طرقه وعميت مسائله، وأن الغاية القصوى عندهم أن يسأل واحد منهم عن مسألة فيقول: فيها وجهان أو قولان ، وقال الشافعى فى القديم كذا ، وفى الجديد كذا ، وقال أبو حنيفة كذا ومالك كذا . . . وتراهم يقدحون فى المجتهدين ، ويجادلون الطالبين [5].

وقد أنكرت « المنار » على علماء الدين سلبيتهم ، وقبولهم ما يمليه عليهم الحاكم السياسى، فهى تقول : « نرى رئيس علماء الدين فى مصر وإن لقبوه بشيخ الإسلام لا يرجع إليه بشىء من أمور المسلمين ، ولا يستشار فى كيفية تعليمهم وتربيتهم، وليس له سلطان على أوقافهم الخيرية والإشراف على أعمالهم الاجتماعية ، وكذلك شيخ الإسلام الرسمى فى دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له إلا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم ، فهو موظف تحكم عليه السياسة ، ويعزله السلطان متى شاء وليس له من الاستقلال على عمله

(١ ، ٢) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .
(٣) المنار ، عدد ١٢ ، م٤ ، ١٩٠١م.
(٤) المنار ، عدد ٩ ، م ١٢ ، ١٩٠٩م.
(٥) المنار ، عدد ٣ ، م ٥ ، ١٩١٢م.

مثلما لرؤساء الديانة النصرانية على أن عمله للحكومة لا للأمة » [1] .

كما أنشأ رشيد رضا فى « المنار » باب بعنوان : « فتاوى المنار » ليبث فيها آراءه الإصلاحية ، وفتاويه التجديدية ، وقد نشر فيها مسائل دينية متعددة أدلى فيها برأيه ، مثل : الحكم فى مقلدى الأئمة الأربعة ، والرقص فى الذكر المتبع فى الطريقة الشاذلية ، واصطلاحات الطرق الصوفية ، وإطالة الشَّعْر ، والزى الأوربى [2].

وقد اهتم رشيد رضا بنشر الخطب الإصلاحية ، مثل خطبة رفيق العظم التى ألقاها على طلاب مدرسة القضاء الشرعى بمصر بعنوان : « قضاء الفرد وقضاء الجماعة فى الإسلام» [3] .

ورغم إيمان رشيد رضا بالتجديد والإصلاح ، إلا أنه عندما رأى انحراف المجددين من تلاميذ الشيخ محمد عبده فى كثير من النواحى لم يعجبه ذلك، الأمر الذى جعله ينحو منحى المحافظين بعض الشىء ، وأبعده عن هؤلاء المجددين الأحرار، وكان من عادته أن يسمى جماعته الحزب المعتدل ، الذى يتوسط بين الجامدين الذين تعتمد قوتهم على انقياد العامة لهم انقياد الأعمى، وبين أصحاب الآراء المتطرفة فى التقدم ، وهم الذين يقولون بإطلاق حرية العقل ، ويدعون إلى الأخذ بالحضارة الحديثة واتباع القوانين الوضعية وأساليب الحكم الحديثة [4] .

ولم تقتصر مقالات « المنار » على الجانب الإصلاحى أو التجديدى، بل كانت تنشر مقالات دينية خالصة عن الزكاة والصلاة والصوم والحج والقرآن الكريم، وغير ذلك مما لا يحتاج إلى تجديد .

ثانيا : المنار ومحاربة البدع والخرافات :

والت المنار اهتمامها فى إنكار البدع والخرافات التى سادت القطر المصرى، مثل : تقبيل القبور ، وصناديق النذور ، وإتيان المراقص ، وتقليد الأوربيين ، وشرب الخمر .

وقد دافعت المنار عمن يتصدون لهذه البدع ، فحملت على نظارة الأوقاف لفصلها الشيخ حسن الدمياطى الذى تصدى لإنكار بعض هذه البدع السابقة ، فنراها تقول: «إن مصر بلد العجائب، وأى العجائب أغرب مما يحدث فى مصر، يقوم شيخ عالم ، كالشيخ حسن الدمياطى ينكر بعض البدع والخرافات التى فشت فى المسلمين، فيقيم عليه النكير بعض العلماء وأنصارهم من العوام ، ويعاقب بمنع رزقه الذى يستحقه شرعا من الأوقاف،

(١) المنار ، عدد ١٨ ، م٥ ، ١٩٠٢م.
(٢) المنار ، عدد ٢ ، م١٣ ، ١٩١٠م.
(٣) المنار ، عدد ١ ، م ١٣ ، ١٩١٠م.
(٤) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ .

ومنعه من تعليم المسلمين وإرشادهم سنة كاملة » (١) .

كما حاربت بدع الحدَاد والمآتم التى ابتدعها الناس من تلقاء أنفسهم ، ولم يكن لها صلة بالدين، وما أنزل الله بها من سلطان ، مثل : فرش البسط والطنافس فى البيوت مقلوبة، وتغطية أساس البيت بالسواد . وتشير « المنار » إلى أن هذه العادة قد عَمَّتْ القطر المصرى حتى « لا يكاد يخلو منها بيت عالم ، ولا جاهل ، ولا رفيع ، ولا وضيع، إذا مات أحد من أهله ، لاسيما كبير العائلة »؛ لذلك فقد ناشدت علماء المسلمين أن يهبوا لتغيير هذه المنكرات (٢) .

ونددت « المنار » بشرب الخمر ، وذكرت مضاره وآثامه ، وأثبتت حرمته بالدليل الشرعى، وأوردت الكثير من الآيات ، والأحاديث الدالة على ذلك ، وبينت حد الخمر، وعقوبة السُكْر ، وأظهرت خطره على الفرد والمجتمع ، وكيف أنه يذهب العقول ويكون سببا فى هتك الأعراض ، وسفك الدماء، وتبذير الأموال ، وتضييع العيال «فإذا لم يكن للخمر جناية على الأعراض ، ولم تكن مولدة للأمراض ، ولم تكن مسببة للعداوة والبغضاء ، ولم تكن صادة عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، فحسبها خُبْثا ورجسا جنايتها على سلطان العقل الذى فضل الله به الإنسان عن الحيوان ، وبفقده يكون الحيوان أهدى منه وأبعد عن الإضرار بنفسه ، والإيقاع ببنى جنسه ، وربما وصل شارب الخمر إلى حالة يكون بها شرا من المجنون » (٣) .

كما شددت « المنار » النكير على الذين يأتون أماكن الرقص ويأذنون لنسائهم بالنظر إليها من غير تَحَرُّج ولا تَأَثُّم ، ولا نكير ، بل منهم من يثنى على هذه البدعة الذميمة ـ بدعة الرقص ـ حتى بالكتابة فى الجرائد ، التى هى على حد تعبير « المنار » : « تصطلم العفة اصطلاما ، وتستأصل جراثيم الصيانة استئصالا » (٤) .

ثالثا : تفسير القرآن الكريم :

عندما جاء رشيد رضا إلى مصر ، أخذ يدفع الشيخ محمد عبده إلى تفسير القرآن كله؛ كى تتجلى فيه روحه الوثابة كما تجلت فى « العروة الوثقى ».

وكان الشيخ محمد عبده غير مقتنع بهذه الفكرة ؛ لأن هذا التفسير لن يحقق الغرض من وراء وضعه ، ولكنه غير رأيه بعد ذلك ، واقتنع بهذه الفكرة لما رأى فيها من صلاح وخير.

---

(١) المنار ، عدد ٥ ، م١٠ ، ١٩٠٧م.
(٢) المنار ، عدد ١٣ ، م ٨ ، أغسطس ١٩٠٥م.
(٣، ٤) المنار ، عدد ٢٤ ، م ٤ ، ١٩٠١م.

وبدأ يلقى دروسا فى تفسير القرآن الكريم فى الرواق العباسى بالأزهر ، وقد حضر هذه الدروس الشيخ محمد رشيد رضا ، وكان يسجل أثناء إلقاء الدروس مذكرات تتضمن ما قاله الأستاذ الإمام ، ثم قام بتنقيحها بعد ذلك ووسع فيها ، ثم عرضها على الإمام فأقرها وغير فيها ما رآه يستحق من تغيير ، وبدأ رشيد رضا ينشر هذا التفسير تباعا فى «المنار بدءًا من المجلد الثالث عام ١٩٠٠م/١٣١٨هـ بعنوان: تفسير الشيخ محمد عبده، وقد نشره منسوبا إليه ؛ لأنه رأى وجوب ذلك ما دام اطلع عليه الشيخ عبده وأقره قبل نشره ووافق عليه (١) .

وقد واصل رشيد رضا تفسير القرآن الكريم ونشره على صفحات «المنار» بعد وفاة الشيخ محمد عبده « على منهج أقرب ما يكون إلى منهج أستاذه ، وكان يميز بين ما حفظه من كلمات الإمام ، وبين ما كان يكتبه هو. وكان يرى أنه لا فرق بين ما يفسره وبين تفسير الإمام فيقول : « إنى أعتقد مع هذا أنه لو بقى حيا واطلع عليه لأقره كله » (٢).

ويقول الدكتور أحمد الشرباصى : « سار الشيخ رشيد رضا على نهج الشيخ محمد عبده، ولكن طريقة الإمام كانت طاقة نفسية وليست منهاجا فقط ؛ ولذلك لا نجد فى الأجزاء التى أتمها السيد رشيد التغلغل الذى كنا نراه فى المنقول عن الإمام » (٣) .

ويرى أن هناك فروقا كثيرة بين تفسير الإمام والسيد رشيد رضا، من أهمها ما يلى:

١ ـ كان رشيد رضا يتوسع فى شرح معانى الكلمات الغريبة والعبارات اللغوية، مع العناية بالجوانب البلاغية ، والتعرض أحيانا للقواعد النحوية ، وإيراد شواهد ونصوص من كتب اللغة والأدب والشعر .

٢ ـ وكان يتوسع فى الاستعانة بالأحاديث النبوية والآثار الواردة المتعلقة بالسورة أو الآية .

٣ ـ وكان يذكر مقدمات للسورة وخلاصات لها .

٤ ـ كما كان يتوسع فى الرد على شبهات المعاندين والمجادلين من الجهلة أو الملاحدة أو الضالين .

٥ ـ أيضا كان يتوسع فى العلوم الطبيعية والمادية ومعارف العصر فى تقريب معانى التفسير ، وبخاصة فى المسائل العلمية والاجتماعية .

---

(١) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٠.

(٣) د. أحمد الشرباصى : رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

٦ ـ وكان يكثر من ذكر المسائل الخلافية ، وترجيح بعض الأقوال منها على بعض والإتيان برأى آخر فيها .

٧ ـ وتخفف من الركون إلى حكم العقل فيما قد يعلو على إدراكه .

٨ ـ وكان يكثر من قرن الآيات بما يماثلها من آيات أخرى، ويستطرد فى بعض الموضوعات التى يفيد منها العلم .

٩ ـ وكان أسلوبه أخف من أسلوب الشيخ محمد عبده (١) .

رابعا : اللغة العربية :

أفسح رشيد رضا صدر مجلته لنشر أبحاث عن اللغة العربية لكبار الكتاب والباحثين، تناولت تاريخ اللغة العربية ، ودحض الافتراءات الموجهة إليها ، ومحاربة الدعوة إلى العامية، وطرق المحافظة على العربية الفصحى.

وقد نشرت « المنار » بحثا لجبر ضومط معلم اللغة العربية فى المدرسة الكلية الأمريكانية ببيروت بعنوان : « اللغة العربية » بحث تاريخى فلسفى فى : « موطن العربية المصرية ونسبتها إلى أخواتها من اللغات السامية » تحدث فيه عن فروع اللغات السامية ، وعن مهد اللغة السامية ، ووطنها الأصلى ، ثم أثبت فيه أن أصل سكان شمالى إفريقية من العرب ، وأن مدنية مصر الأولى عربية وعراقية ، وأن الحبش من العرب (٢) .

وقد واصلت « المنار » نشر هذا البحث ، وفى العدد التالى لما سبق بين فيه الباحث، من هم الأصليون فى جزيرة العرب، القحطانيون أم العدنانيون؟ وأثبت أن القحطانية أصلية فى شبه الجزيرة العربية ، واستدل على ذلك بأدلة تاريخية وعقلية (٣) .

كما نشرت بحثا للشيخ محمد الخضر حسين ـ المدرس بجامعة الزيتونة بتونس ـ بعنوان : « أطوار اللغة العربية » (٤) ، وبحثا للشيخ أحمد السكندرى كان قد ألقاه فى خطبته فى نادى دار العلوم عن اللغة العربية ، بين فيه حال اللغة العربية بين الماضى والحاضر كما وضح فيه الحاجة إلى تقريب المصطلحات الجديدة ، وبيان من لهم حق التعريب، وخطر التعريب على اللغة العربية ، وطريقة ترجمة المصطلحات، والمخترعات العصرية (٥) .

وأيضا نشرت خطبة لحفنى بك ناصف ـ رئيس نادى دار العلوم ـ فى : « التعريب»،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٢) المنار ، عدد ٢ ، م ١٥ ، ١٩١٢م.

(٣) المنار ، عدد ٣ ، م ١٥ ، ١٩١٢م.

(٤) المنار ، عدد ١٢ ، م ١٠ ، ١٩٠٩م.

(٥) المنار ، عدد ٢ ، م ١١ ، ١٩٠٨م.

وخطبة أحمد فتحى باشا زغلول ـ وكيل نظارة الحقانية ـ فى نادى دار العلوم ، الذى تحدث فيها عن ماهية اللغة العربية وحقيقتها العلمية (١) .

وفى مقام الرد على الافتراءات الموجهة إلى اللغة العربية العلمية نشرت « المنار » مقالة لرئيس جمعية الدعوة والإرشاد ، رد فيها على المستشرقين الذين اتهموا اللغة العربية بعدم استطاعتها على التعبير عن الأفكار الدقيقة ، وتدوين العلوم المتصفة بالحديثة ، وبين أن هؤلاء اعتادوا منذ أمد بعيد الطعن فى اللسان العربى الفصيح لأغراض فى النفس ، كان منشؤها التعصب الدينى الطائش، والجشع الاستعمارى الذى يعمى ويصم (٢) .

وقد حاربت « المنار » الدعوة إلى العامية ، وتناولت تاريخ هذه الدعوة ومؤسسها فى مقالتين مطولتين ، ووَضَّحَتْ ما فى هذه الدعوة من الخديعة ، وأن القصد منها ضياع اللغة العربية ، لغة الدين والقرآن الكريم (٣) .

كما حملت على مشروع التعليم باللغة العامية المصرية ، واقترحت لحفظ اللغة العربية أن يتعود متعلمو اللغة الكلام العربى الفصيح ، وقد استنجدت بمشيخة الأزهر الشريف وطلبت مساعدتها على ذلك ؛ ليكون العلماء القدوة لإنقاذ لغة الدين من أيدى الآثمين المعتدين ، كما طالبت « بأن يلتزم المدرسون والمتعلمون بالنطق بالعربية الصحيحة فى إلقاء الدروس ثم فى غير الدروس ؛ لأن تأثيرهم لا شك سوف يحيى هذه السنة التى هى على حد تعبير المجلة : حياة جميع الفروض والسنة » (٤) .

واقترحت « المنار » أيضا لحفظ اللغة العربية أن ينهض المصريون بالعلوم والفنون الأدبية حتى تنهض اللغة العربية وتظل قوية حية يملكون زمامها، ولا يجرؤ أى دخيل فى الحكم عليها بأنها لا تقدر على التعبير عن المصطلحات العلمية وتدوين العلوم الحديثة (٥).

كما اقترحت إنشاء مَجْمَع للغة العربية يعهد إليه التعريب، ينتظم فيه من توافرت لديه ملكة اللغة العربية ، ومَهَر فى معرفة مفرداتها ولهجاتها ، على أن يكون اختصاص هذا المجمع محصورا فى دائرة أسماء الأجناس والأعلام ، فإذا جاء مسمى حديث ورأى فى اللغة لفظا دالا عليه بنفسه أطلقه عليه ، وإلا عُرِّبت الكلمة الأعجمية وصارت موافقة لأوزان العرب ، فضلا عن ذلك أن يكون للمجمع سِجِلٌ تقيد فيه هذه الكلمات وإزاءها مسمياتها (٦) .

---

(١) المنار ، عدد ١ ، م ١١ ، ١٩٠٨م .
(٢ ، ٣) المنار ، عدد ٥ ، ٦ ، م١ ، ١٨٩٨م.
(٤) المنار ، عدد ٢١ ، م ٤ ، ١٩٠١م.
(٥) المنار ، عدد ٦ ، م١٤ ، ١٩١١م.
(٦) المنار ، عدد ١١ ، م ١٠ ، ١٩٠٧م.

وهكذا يتضح اهتمام « المنار » باللغة العربية فى مواجهة الحملات التى وجهت إليها من قبل المستشرقين ، والمحتلين .

خامسا : التعليم :

من الأمور التى أولتها « المنار » الاهتمام والرعاية إصلاح التعليم فى المدارس الأميرية والأزهر الشريف ، ومحاربة التعليم على الطريقة الغربية ، والتحذير من انتشار المدارس الأجنبية .

فقد اهتمت بنقد المدارس الأميرية واتهمتها بأنها « ليس فيها شىء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة» ، ثم بينت أنه كان الغرض من إنشاء هذه المدارس فى عهد محمد على بإشارة بعض الفرنسيين ـ هو « تعليم بعض أولاد الأرناؤوط ، والأتراك ليكون منهم رجال عندهم إلمام ببعض الفنون المحتاج إليها فى نظام الحكومة التى أسسها» (١) .

وذكرت أن التعليم قد أهمل فى عهدى عباس وسعيد ، حتى جاء عصر إسماعيل الذى شهد رغبة من الناس فى المدارس والتعليم ، ولكن على أساس أن يتعلم التلميذ ما يؤهله للقيام بعمل ما من أعمال الحكومة ، أما كون التعليم ينشئ رجلا صالحا فى نفسه محسنا للعمل الذى يسند إليه فى الحكومة أو غيرها، فذلك الأمر لم يعرف لدى المعلمين ولا القائمين على أمور التعليم (٢) .

من هذا المنطلق بينت « المنار » فوائد التعليم فى أنه أقوى طرق الكفاح بين الأمم ، حتى نقلوا عن البرنس بسمارك الشهير أنه قال : « إننا قد غلبنا فرنسا بالمدرسة » . لذلك فقد طالبت بإصلاح التربية والتعليم فى المدارس والأزهر على السواء ، فقالت : «إن الجامع الأزهر مدرسة دينية عامة يأتى إليها الناس ، إما رغبة فى تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة ، وإما طمعا فى بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه ، ولا يزال بعضها إلى اليوم .

ولكن مما يؤسف عليه أنه لا نظام لها فى دروسها ، ولا يسأل فيها التلميذ عن شىء من أعماله ، ولا يبالى أستاذه أحضر عنده أم لم يحضر ؟ أفهم أم لم يفهم ؟ أصلحت أخلاقه ؟ أم فسدت ؟ » (٣) .

وقد اقترحت لإصلاح الدراسة فى الأزهر ما يلى :

---

(١) المنار ، عدد ١ ، م١٠ ، ١٩٠٧م.   (٢) المنار ، عدد ٢١ ، م ٨ ، ١٩٠٥م.
(٣) المنار ، عدد ٥ ، م ١٥ ، ١٩٠٥م.

١ ـ تغيير نظام الدروس بالتدريج .

٢ ـ إلزام الطلبة الحضور فى الدروس ، وإلا حرموا من الامتيازات التى خصها الأزهر لهم .

٣ ـ كل أستاذ يسأل عن طلبته ، ويتعهد أخلاقهم .

٤ ـ ينبغى تدريس الآداب الدينية المفقودة (١) .

ثم تنعى على الحال التى وصلت إليها مدرسة دار العلوم التى أنشأها على مبارك لتكوين أساتذة قادرين على التربية ، عارفين بالعلوم الدينية والعربية حق المعرفة لا ليقيموا عليها من النظار إلا جاهلا بالدين واللغة العربية بل غير معتقد به كلية (٢) .

وقد حذرت « المنار » من التعليم على الطريقة الأوربية ، والفساد الذى قد ينجم عن انتشار المدارس الأجنبية فى القطر المصرى ، والتعليم على الطريقة الغربية ، ومن خطر قيام المربين الإفرنج والمتفرنجين بتعليم النشء المسلم؛ لأنهم يقطعون روابط الأمة الدينية.

فنراها تقول : « الأمم تصلح بالتربية ، ونحن قد أفْسَدَنا المربون الإفرنج والمتفرنجون والعلماء المقلدون المفتونون ، وتقوى وتعز بجمع المدارس لكلمتها، ونحن قد أدْهَشَنا وشقت عصانا المدارس؛ لأنها إما معاهد سياسية وإلحاد وإما أديار وكنائس، قد قطعت روابطنا الدينية والمدنية وفتنتها بالأهواء، والشهوات الحيوانية، وسرى سم تقليدها إلى المدارس الأميرية ، والأهلية ، فالمتخرجون فيها أقلهم الذين يَسْلَمون ، ومنهم الملحدون وأكثرهم الفاسقون » (٣) .

ثم تشير إلى دور هؤلاء المتعلمين على الطريقة الغربية فى تغريب الأمة ، وقطع صلتها بدينها ؛ لأنهم يعملون على تحويل ثروة الأمة إلى الأجانب ويمهدون للنفوذ الأجنبى من جانب ، الذى يجعلهم يتولون فيها المناصب ، ومن ثم « يحقرون للأمة سلفها ويعظمون فى نفسها كل ما هو أجنبى منها ، فيقطعون جميع روابطها الملية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ التى يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على إدارة البلاد ؛ لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنع معاملهم » (٤) .

وتُبيِّن الغرض من مدارس الجمعيات النصرانية فى الشرق بأنها ليست وسيلة لتعليم العلم فحسب ، بل إنها وسيلة لنشر النصرانية ، ولبعضها غرض سياسى أيضا ، فهى طريق من طرق الدعوة إلى مذاهب مؤسسيها فى دينهم، وتضرب على ذلك مثلا بالمدرسة

(١، ٢) المنار ، عدد ١ ، م ١٠ ، ١٩٠٧م.

(٣، ٤) المنار ، عدد١ ، م ١٧ ، ١٩١٤م.

الكلية الأمريكانية فى بيروت [1] .

ولذلك فقد دعت إلى إنشاء المدارس الإسلامية على غرار هذه المدرسة ، وناشدت أغنياء الأمة وسراتها بأن يتبنوا هذه الدعوة ، ويتبرعوا لهذا الغرض الذى يخدم الملة والدين[2] .

وقد بدأ رشيد رضا ـ لهذا الغرض ـ أيضا بإنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد فى مارس ١٩١٣م لإعداد الدعاة والمرشدين ، ولمواجهة الدعوات التبشيرية فى جميع البلاد الإسلامية [3] .

ومما سبق يتضح لنا مدى الجهد الذى قامت به « المنار » فى ترشيد التعليم وبنائه على أسس دينية ، تخدم الدين والأمة ، فضلا عن تحذيرها من إنشاء المدارس الغربية فى الأقطار الإسلامية ، ومواجهتها لمتخرجى هذه المدارس ، الذين يقومون بنشر الإلحاد، والمذاهب الغربية بين المسلمين .

سادسا : الرد على المذاهب المنحرفة :

هاجمت « المنار » المذاهب المنحرفة عن الإسلام مثل مذهب الباطنية ، والبهائية، وغلاة الشيعة .

فقد عرضت لرأى الإمام أبى حامد الغزالى فى نقد مذهب « الباطنية » ، وأظهرت خروجه عن الدين ، وأنه شر المذاهب وأشأمها فى هذه الأمة : «فقد ذهبوا إلى أن للدين ظاهرا وباطنا ، وأن الباطن هو الحق المراد به المولى عز وجل ، وأنه لا يمكن أن يعرف من النظر فى الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة فى الأصول ، وقوانين اللغة التى للألفاظ والمعانى ، بل لابد فى كل عصر من إمام معصوم ، يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال : إن الشمس والقمر فى القرآن ليس المقصود بهما هذان الكوكبان المعروفان وإنما المقصود بهما فلان وفلان ، لزم تصديقه ، فلا يعارض فى شىء مما يقوله .

وأنصار هذا المذهب يعتقدون أن إمامهم هو الله الذى خلق الخلق جميعا ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، تعالى الله علوا كبيرا عن ذلك » [4] .

ثم حذرت من خطر انتشار هذا المذهب بين المسلمين ؛ لأنه قد سرت دعواه بين مقلدة المذاهب الأربعة ، والمذهبين الأشعرى والماتريدى فى الكلام ، وهم من أتباع أهل

(١ ، ٢) المنار ، عدد ١ ، م ١٢ ، ١٩٠٩م .

(٣) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، مرجع سابق، ص ١٨٦ .

(٤) المنار ، عدد ١ ، م ١٢ ، ١٩٠٩م ، العصمة المراد بها هنا : هو عدم رد قولهم ، أو إسناد خطأ إلى شيخ مذهبهم ، وليست العصمة على قول متبعى المذهب الباطنى .

السنة ، فجعلوا أئمتهم معصومين [1] ، «فمبدأ التقليد عند أكثرهم : أن الواجب اتباع ما يثبت فى المذهب من غير بحث ولا دليل ، وأنه لا يجوز رد شىء من المذاهب لما يظهر أنه مخالف من آية قرآنية ، وسنة نبوية » [2] .

ثم عرضت لرد أبى حامد الغزالى على « الباطنية » فى إبطال مذهبهم والنزعات التى سرت منه إلى غيرهم ، وإبطاله مبدأ التقليد مطلقا ، وإثباته أنه ليس فى البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد ﷺ منذ بعثته إلى آخر الزمان [3] .

وقد نَوَّهَتْ بكتاب « القسطاس المستقيم » الذى وضعه الإمام الغزالى فى الرد على الباطنية ، فقالت : إنه « أحسن ما وصل إلينا من كتب أبى حامد فى إبطال مذهب الباطنية ويسمى: كتاب القسطاس المستقيم فى تقويم أهل التعليم» الذى شرح فيه مناظرة بينه، وبين أحد دعاة الباطنية [4] .

أما خطر الباطنية على المسلمين فتقول « المنار » : « إنه أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضرة الدهرية ، وسائر أصناف الكفرة عليهم، وأعظم من ضرر الدجال الذى يظهر آخر الزمان ؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوى الباطنية ، من وقت ظهور دعوتهم إلى اليوم أكثر من الذين سوف يضلون فى وقت ظهور فتنة الدجال ؛ لأن فتنته سوف لا تزيد عن أربعين يوما وفضائح الباطنية ليس لها حصر » [5] .

وقد تابعت المجلة بيان مقاصد الباطنيين ، ودعواتهم ، وتشكيكاتهم فى رسل الله وشرائعه [6] .

ثم انتقلت « المنار » إلى مهاجمة دعوة « البهائية » ، وذكرت فى الرد على سؤال وجهه أحد القراء عن معنى البهائية « أن البهائية قد انتحلوا دينا جديدًا فى هذا العصر، وأن دينهم أبعد عن الإسلام من دين اليهود ؛ لأن أساس دين اليهود التوحيد الذى هو أساس الإسلام . وأساس دين البهائية وثنى مادى ، وهم يعددون مناقب والد زعيمهم عباس أفندى الملقب بعبد البهاء . وما هذا اللقب إلا عنوان القول بألوهية البهاء، وشريعتهم ملفقة من الأديان المختلفة »[7] .

وقد أشارت إلى صلة البهائية بالباطنية بأن فلسفة البهائية هى نفس فلسفة فرق الباطنية السابقة عليها ، الذين حاربوا الإسلام بالدسائس التى اخترعتها لهم جمعيات

(١ ـ ٣) العدد السابق نفسه .
(٤) المنار ، عدد ٩ ، م ١٢ ، ١٩٠٩م.
(٥) المنار ، عدد ١١ ، م ١٣ ، ١٩١٠ م .
(٦) المنار ، عدد ١٢ ، م ١٣ ، ١٩١٠م.
(٧) المنار ، عدد ٣ ، م ١٧ ، ١٩١٤م.

المجوس السرية لإفساد عقيدة المسلمين ، وإزالة ملكهم انتقاما للمجوسية التى أبطلها الإسلام (١).

وعندما نشرت « المؤيد » مقالة تمتدح عباس أفندى زعيم البابية ، وأنه من علماء الإسلام المجتهدين كالأئمة الأربعة مثلا ، وأن سياسته كسياسة الماسون ، وأن هذا مما يسهل عليه نشر دعوته فى مصر ، لم يمنع رشيد رضا ـ رغم صداقته بالشيخ على يوسف ـ أن ينبرى على صفحات مجلة «المنار » لتصحيح ما نشرته «المؤيد » وبيان خطر هذه الدعوة على الدين الإسلامى ، وتناول نشأتها ثم صرخ فى الرأى العام قائلا : « ألا فليعلم الناس أن هؤلاء الباطنيين قد قصدوا فى وضع تعاليمهم الأولى محو الإسلام، وإزالة سلطانه من الأرض ، فقد وضعها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم، وأزالوا ملكهم ، واستعانوا عليها بالشيعة » (٢) .

وقد بين ما أدخلته الشيعة فى الدين الإسلامى من البدع والخرافات ، وما يردده وعاظهم فى العراق عن أهل البيت ، وأن الدنيا قد خلقت لهم ولأجلهم ، وأن كربلاء أفضل من مكة ، وأن زيارة الحسين أفضل من الحج إلى الحرم ، وأن القرآن الذى فى أيدينا ليس بالقرآن الذى أنزل على محمد ، وما أمرنا بقراءته إلا تعبدا، أما قرآن الشيعة فهو عن صاحب الزمان ، إذا ظهر يخرج به ويحرق هذا القرآن الموجود (٣) .

ولم تقتصر « المنار » على بيان مخالفة البدع السابقة لصريح القرآن ولما جاء به رسول الله ﷺ ، بل عرضت لعقيدة الشيعة الصحيحة ، وأجلت معتقدات الفرقة الإمامية فى القرن الرابع ، وذلك نقلا عن كتابة علماء ذلك العصر ، مفندة لتلك البدع ، وللخرافات التى ابتدعها غلاة الشيعة فى هذا العصر (٤) .

وقد ذكرت « المنار » أن غرضها من نشر هذا الكلام عن الفرق الشيعية ليس الهدف منه التنديد بها ، وإنما الغرض هو « التأليف بين المسلمين المتفرقين فى المذاهب والآراء بعضهم مع بعض ، وكذا بينهم وبين غيرهم من أهل الملل الذين يعيشون معهم» (٥) .

كما هاجمت الفلسفة الجديدة التى ابتدعها غلاة الشيخ أحمد الأحسائى ، وأتباعه كريم خان القاجار ، والسيد كاظم الرشتى ، وأطلقوا عليها اسم « الشيخية » .

وكانت هذه الفلسفة نتيجة لتأثر الشيخ الأحسائى وأصحابه بضلالات قدماء الباطنية، وما رأوه من إقرار الناس لبعض زعماء الباطنية بالإمامة ولبعضهم بالألوهية ، وغير ذلك

---

(١) العدد السابق نفسه . (٢) المنار ، عدد ١١ ، م ١٣ ، ١٩١٠م.
(٣ ـ ٥) المنار ، عدد ٤ ، م١٣ ، ١٩١٠م.

مما ابتدعوه وشايعه هؤلاء (١) .

من كل هذا يظهر لنا الدور الذى أدته المنار فى خدمة العقيدة الإسلامية ، ومحاربة المذاهب الضالة ، والمضلة باسم الإسلام ، وهو بعيد كل البعد عن تعاليمه الصحيحة وقرآنه المجيد ، وسنة محمد ﷺ .

سابعا : الرد على افتراءات المبشرين :

بدأت « المنار » تنشر الكتب التى يؤلفها « كتاب مسلمون » للرد على افتراءات المبشرين، فقد نشرت كتاب « مقام المسيح عليه السلام فى النصرانية والإسلام » الذى أثبت طهارة نسب المسيح عليه السلام وتبرئة أنبياء الله من الفسق ، والفجور الذى ثبت فى كتب النصارى وترجمات المبشرين .

وقد لفتت أنظار المبشرين ، والأب لويس شيخو الذى ألف رسالة بعنوان : «خرافات القرآن » وترجمها المبشر « زويمر » ونشرها فى مجلة العالم الإسلامى ، وعاب فيها القرآن الكريم الذى أثبت طهارة نسب المسيح عيسى عليه السلام وأنه من سلالة طاهرة ، قد حفظها الله من الأقذار وأدران الزنا والسفاح (٢) .

وقد نبهت إلى ما يفعله دعاة النصرانية من المغالاة ، والطعن على الإسلام قولا وكتابة بإصدار الصحف الدورية والكتب التى ينشرونها ، وتلفيق الرسائل فى الطعن والقدح فى الإسلام ، والدعوة إلى النصرانية من خلال المحافل والجمعيات التى أنشؤوها فى القاهرة وسائر البلاد والقرى، ومن خلال أيضا إغراء فقراء العامة بالمال ، وإجبارهم على إظهار التنصر حتى صار من يريد الرجوع إلى حظيرة الإسلام يهدد بالإيذاء، ولا يقدر على ذلك إلا أن يغادر القاهرة إلى أى بلد آخر يظهر إسلامه فيه(٣) .

كما تصدت « المنار » للرد على كتاب التنصير «المبشرين» فى المجلة التى أسسوها لهذا الغرض ـ وأطلقوا عليها مجلة الشرق والغرب ـ وكانت تطبع فى مصر والتى هاجمت كتاب رشيد رضا « العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية » ، وطفقت تحمل على الإسلام، وتشكك فى الدين الإسلامى والقرآن الكريم .

وكان الذى تولى الرد على هذه المجلة التنصيرية محمد طاهر ، المتخرج فى الكلية الأمريكانية ببيروت (٤) .

ثامنا : الرد على شبهات النصارى على الإسلام :

كان موضوع الرد على شبهات النصارى على الإسلام من الموضوعات التى أعطتها

---

(١) المنار ، عدد ٣ ، م ١٧ ، ١٩١٤م.

(٢ ـ ٤) المنار ، عدد ٢ ، م ١٧ ، ١٩١٤م.

المنار القدر الكبير من الاهتمام ، وقد صرح رشيد رضا بأنه من الواجب رد هذه الشبهات ودحضها ؛ لأن هذا الغرض أهم ما أنشئت « المنار » لأجله (1) .

وتحت عنوان : « القرآن والعلم » تفسير من اللغة والتاريخ والجغرافيا والطب فى رد الشبهات التى يوردها الإفرنج على بعض آيات الكتاب العزيز ، كتب الدكتور محمد توفيق صدقى سلسلة مقالات يرد بها على المستشرقين .

يقول : « اشتبه بعض علماء الإفرنج من المستشرقين وغيرهم من الباحثين فى الإسلام فى آيات كثيرة من القرآن الشريف ، لم يفهموا معناها الصحيح بسبب ما وجدوه فى بعض كتبنا من التفاسير السخيفة ، والآراء السقيمة ، وقد اتبعهم فى ذلك دعاة المسيحيين ، متخذين بعض آراء هؤلاء المستشرقين ذريعة للطعن فى كتاب الله العزيز ناسبين إليه الجهل والخطأ لتشكيك عوام المسلمين فى دينهم القويم » ، ثم بدأ يورد هذه الآيات موضع شبه المستشرقين والنصارى، ويثبت مفهومها الصحيح فى الإسلام ويفند أقوال الخصوم ، وكان من هذه الآيات آيات الإسراء والمعراج ، وآيات من سورة الحجر(2) .

ومن المسائل التى كانت موضع شبهات النصارى ووضحتها « المنار » وأجلت فيها قول الحق، وأرجعتها إلى أصولها فى الدين الإسلامى مسألة ذى القرنين ، ومطلع الشمس من مغربها ، ويحيى بن زكريا ، والسامرى ، والعجل ، وتكوين الجنين ، وميراث بنى إسرائيل ، والأرض بعد فرعون (3) ، وموت سليمان ، والجسد الذى ألقى على كرسى سليمان ، واللؤلؤ والمرجان ، والسماء فى القرآن ، والأرض والجبال ، وتفسير آيات عدم صلب المسيح (4) .

وعندما ألف نقولا أفندى غبريل - أحد أدباء وعلماء النصارى - كتابا جديدا فى الدعوة إلى النصرانية ، والطعن فى الإسلام ، واتهام المسلمين بالتخلف ، تصدى له صاحب «المنار» ونقد أفكاره ، وفند مزاعمه فى أن المدنية الغربية الأوربية مدنية نصرانية؛ لأن هذا الزعم منقوض بداهة ،« فالمدنية الأوربية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء، والعظمة والتمتع بالشهوات ، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بإفراط بعيد . وما وصل الأوربيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد ما نبذوا تعاليم المسيحية ظهريا ، والمدنية الأوربية التى يسميها بعض الناس مسيحية ، لم توجد إلا بعد ما اتصل

---

(1) المنار ، عدد ٤ ، م ٤ ، ١٩٠١م .
(٢ ، ٣) المنار ، عدد ٣ ، م ١١ ، ١٩٠٨م.
(٤) المنار ، عدد ٥ ، م ١١ ، ١٩٠٨م.

أهل أوربا بالمسلمين ، وأخذوا كتبهم ، وترجموها ، وهم يزدادون ارتقاء فى مدنيتهم كلما ازدادوا بعدا عن المسيحية » (١) .

أى أن الحضارة الأوربية قائمة على دعائم الحضارة الإسلامية من خلال اتصال الأوربيين بالمسلمين فى الحروب الصليبية ، والاتصال التجارى والفتح الإسلامى للبلاد الأوربية ، وعلى سبيل المثال : الأندلس التى كانت قنطرة عبرت منها الحضارة الإسلامية إلى الغرب.

كما أن أوربا لم تتقدم إلا بعد الثورة على الكنيسة ورجال الدين ، وظهور الحركة التى سميت بالعلمانية (٢) ؛ لأن الكنيسة كانت تحجر على العلم والتقدم .

وتشير « المنار » إلى أن بعض الصحف التى يحررها أحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الإسلام ، يردد شبهات فى الإسلام نتيجة تأثره بقراءة هذه الكتب .

ومن الشبهات التى أثارها : مخالفة بعض نصوص الدين الإسلامى لما ورد فى كتب اليهود والنصارى ، وورود أشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب.

وقد تصدت « المنار » لتفنيد هذه الشبهات ودحضها ، مؤكدة أن كتب اليهود والنصارى الموجودة الآن باطلة .

فالتوراة التى يشهد لها القرآن بالصحة هى كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثيولوجيا الآشوريين والكدانيين وغيرهم ، فالتوراة الحقة هى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بها موسى ومن بعده من أنبياء بنى إسرائيل وأحبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب التاريخية التى كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمن طويل.

وأما الإنجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى إلى المسيح عليه السلام من المواعظ والحكم والأحكام التى كان يعظ بها الناس ويعلمهم . وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى أطلقوا عليها اسم الإنجيل فهى فى نظر المسلمين من التاريخ ، فضلا عن أن القرآن يشهد على النصارى أنهم لم يحفظوا جميع ما وعظهم به المسيح من الوحى المسمى بالإنجيل (٣) .

كما ردت « المنار »على صاحب كتاب « أبحاث المجتهدين » الذى أورد سبع آيات من القرآن المجيد وقام بتحريفها وليّ عنق الآيات لإثبات صحة كتب اليهود والنصارى ، وإلزام

(١ ، ٢) المنار ، عدد ٩ ، م ٤ ، ١٩٠١م.

(٣) المنار ، عدد ٤ ، م ٤ ، ١٩٠١م.

المسلمين بالاعتقاد فيها والأخذ بها ، وبينت مواضع التحريف فى الآيات ، وتفسيرها تفسيرا يوائم وجهة نظر الإسلام فى كتب اليهود والنصارى [١] .

وقد انتقدت « المنار » أيضا المجلة البروتستانتية المسماة « بشائر السلام » ، التى قامت بنشر المطاعن الشديدة على الإسلام [٢] .

وعندما لخص سلامة موسى كراسة بعنوان : « نشوء فكرة الله » ـ تحتوى على خلاصة كتاب «لجرانت ألين » الكاتب الإنجليزى الشهير عن نشوء الاعتقاد بالله ، وترقى الإنسان من الوثنية إلى التوحيد مع بيان أصول النصرانية ونشوئها ، والطعن فى الإسلام ـ قامت «المنار» بتقريظ هذه الكراسة ، وبينت ما فيها من أخطاء المؤلف ، وهدف الناشر منها . ومما جاء فى هذا التقريظ : « لخص هذه الكراسة من ذلك الكتاب وطبعها ونشرها سلامة موسى أفندى ، وهو شاب قبطى الجنس مادى الاعتقاد ، يعنى بإقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة ينبغى لهم تركها ، والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعى وأصول الاشتراكية ، ومنها ـ على رأيه ـ تبعا لبعض غلاة الماديين من الإفرنج أن يعجل الأقوياء بإهلاك الضعفاء، ومنعهم من الزواج ، ومن كل ما يطيل حياتهم على الأرض كمعالجة المرضى، والصدقة على البائسين ، وما نشر هذه الكراسة إلا فى سبيل مذهبه ، وهذه الحملات التى يحملها الملاحدة على الدين تؤثر فى النصرانية دون الإسلام؛ لأن النصرانية الحاضرة وثنية متسلسلة من قدماء المصريين والهنود وغيرهم » [٣] .

و « المنار » فى ذلك تبين ما للنصارى المصريين من إسهامات فى الطعن على الإسلام، ونشر المذاهب الهدامة للأديان بين المصريين ، والمسلمين بوجه خاص .

وأقوى شاهد على ذلك أنه كان من أثر دفاع « المنار » عن المسلمين ودحضها لحملات النصارى على الإسلام ، أن قام بعض غلاة التعصب من النصارى على المسلمين، وهاجموا المنار وصاحبها ، وسعوا لدى الوكالة البريطانية أولا والحكومة المصرية ثانيا لتبطش بالمنار وصاحبها ، وتزج به فى السجن أو تنفيه خارج مصر ، واستعانوا فى ذلك ببعض الأجانب والقسس، وهاجموا المنار فى الجرائد القبطية ، وبعض الجرائد ذات الانتماء النصرانى التى يحررها السوريون النصارى [٤] .

تاسعا : أخبار العالم الإسلامى وقضاياه :

أولت « المنار » اهتماما كبيرا بأخبار العالم الإسلامى وقضاياه ، وكانت تنقل عن الجرائد والمجلات الأخرى ما يهم العالم الإسلامى أو يتصل بقضية تخص قطرا من

---

(١) المنار ، عدد ١٤ ، م ٤ ، ١٩٠١م.
(٢) المنار ، عدد ١٦ ، م ٤ ، ١٩٠١م.
(٣) المنار ، عدد ٣ ، م ١٧ ، ١٩١٤م.
(٤) المنار ، عدد ٤ ، م ١٧ ، ١٩١٤م.

أقطاره.

فقد اهتمت بنشر أخبار عن مسلمى الصين (١) وعن مسلمى الاتحاد السوفيتى، وأفسحت صفحاتها لما يرد من شكاياتهم ، فقد نشرت خطبة لصدر الدين أفندى مقصودوف النائب المسلم عن المسلمين فى مجلس الدوما « النواب » الروسى عن أحوال المسلمين فى روسية وسياسة الحكومة ، ألقاها على أعضاء المجلس ، ونقلتها « المنار » عن جريدة « ترجمان» التركية .

وقد بين فيها المعاناة التى يلاقيها المسلمون فى دينهم من جراء أعمال المنصرين «المبشرين»، الذين يحاولون تنصير المسلمين بالقوة ، ومن جراء اضطهاد الحكومة لهم، حيث تقوم بإقفال مدارسهم ، والتضييق على صحافتهم (٢).

وكانت « المنار » أيضا تقوم بنشر رسائل عن مسلمى تونس ، وحضرموت ، وسنغافوره (٣) وقد نشرت مقالات عن مسلمى إفريقيا لقسيس إنجليزى يدعى إسحاق طيلر، ونوهت بشأن هذا الكاتب ، وأن له خطبا وكلاما عادلا عن المسلمين والإسلام نشر فى الجرائد الإنجليزية من سنين ، وكان له دوى عظيم ، وقد عرب بعضه ونشر فى : «ثمرات الفنون الغراء» (٤) .

كما راقبت « المنار » ما يكتب عن المسلمين فى الجرائد الأجنبية ، وانتقدت ما كتبه المسيو « أندره » فى جريدة « الإكلير » عن مسلمى المستعمرات الفرنسوية وغيرهم من الوثنيين القاطنين فى تلك الأراضى . فقد فرق بين عقيدة المسلم الأبيض ، والمسلم الأسود وأخطأ فى بعض أمور الدين (٥) .

واهتمت « المنار » بنقل بعض المقالات المترجمة عن المسلمين أو الإسلام ، فقد نشرت بعض المقالات عن انتشار الإسلام فى إفريقيا ، نقلتها عن « جريدة الدبش كولونيا» للدكتور كارل كوم الذى قام بسياحات كثيرة فى إفريقيا (٦) ، ونشرت مقالة عن الإسلام فى الهند جاءت فى مجلة العالم الإسلامى الفرنسوية ، قامت بترجمتها جريدة « المفيد» البيروتية ، وعنها نقلت « المنار » (٧) ، كما نقلت عن جريدة « الأفكار العربية» التى

---

(١) المنار ، عدد ١٠ ، م ١٥ ، ١٩١٢م.
(٢) المنار ، العددان ٩ ، ١٠ ، م ١٥ ، ١٩١٢م ، والعدد ٥ ، م ١٣ ، ١٩١٠م.
(٣) المنار ، عدد ١٢ ، م ١ ، ١٩٠٦م. (٤) المنار ، عدد ٢٢ ، م ٤ ، ١٩٠١م.
(٥) المنار ، عدد ٢ ، م ١٣ ، ١٩١٠م.
(٦ ، ٧) المنار ، عدد ٤ ، م ١٣ ، ١٩١٠م.

تصدر فى البرازيل مقالة عن العالم الإسلامى بقلم السير هنرى جولستون [1] .

ونشرت أيضا مقالة للمسيو ميلى ـ الذى كان فى منصب الوزير المقيم لفرنسا بتونس ـ وكانت هذه المقالة تقريراً قدمه إلى مؤتمر الاستعمار الذى اجتمع فى مارسيليا ١٩٠٦م وقد ترجم هذه المقالة بعض التونسيين ، ونشرها فى جريدة « الزهرة » ثم قامت « المنار» بنشرها والتعليق عليها [2] .

وقد تابعت « المنار » نشر أخبار وتفقد أحوال المسلمين فى بعض البلاد الأوربية ، وبينت تعصب أوربا الدينى ضد المسلمين ، فذكرت أن حكومة النمسا قررت أن دين المسلمين لا يتفق مع مدنيتهم فى أحكام الزواج والطلاق ؛ لأنه لا يبيح تعدد الزوجات، لذلك فيجب إلزام المسلمين وإكراههم على اتباع محاكم الدولة فى ذلك ، وعدم السماح لهم بجعل ذلك على حسب شريعتهم والرجوع إلى محاكمهم الشرعية ، ثم تدلل على تعصب أوربا بأنه لو فعلت هذه الفعلة ـ التى فعلتها النمسا ـ الحكومة العثمانية أو حكومة مراكش أو الأفغان لقامت قيامة أوربا وأمريكا والعالم النصرانى كله ، حتى التابعين للحكومة الإسلامية التى تفعل ذلك ، وتجاوبت أصداؤهم بالضياع والشكوى من تعصب المسلمين والتحريض على إبادتهم [3] .

وهكذا يتضح مدى اهتمام « المنار » بأخبار المسلمين وقضاياهم ، حتى أنه يمكن القول : إن « المنار » لم تكن مجلة شخص أو حكومة ، بل كانت جريدة كل المسلمين فى العالم كله .

٣ ـ مجلة « الحياة »

صدر العدد الأول منها فى غرة صفر ١٣١٧هـ ، التاسع من يونيه ١٨٩٩م، مجلة دينية شهرية ، تصدر فى أول كل شهر عربى فى حجم الكتاب ذى القطع المتوسط ، ليس لها أى هدف سياسى ، وصاحبها محمد فريد وجدى.

أهداف المجلة من الصدور :

حدد فريد وجدى صاحب «الحياة » أهدافها فى أول عدد من أعداد مجلته حيث قال: ومقصد « الحياة » هو الحيلولة بين مكاريث الإلحاد ، وأذهان أبناء المشرق، ولذلك

(١) المنار ، عدد ٣ ، م ١٥ ، ١٩١٢م.
(٢) المنار ، عدد ١١ ، م ١٠، ١٩٠٧م.
(٣) المنار ، عدد ٥ ، م ٣ ، ١٩٠٠م.

فهى ستجعل مطمح نظرها جملة نقط :

١ ـ إقامة أقوى الأدلة العلمية على أن الديانة الإسلامية هى روح العمران ، وقوام سعادة الإنسان بطرق لا تجعل للشكوك مجالا فى الأذهان ، وستسلك لهذا الغرض المسالك العصرية فى تأييد أقاويلها بالحجج الفلسفية الحسية .

٢ ـ تثبيت الأحوال الدينية فى العقول الطموحة كإثبات وجود الله تعالى ، والحياة الآخرة بالأدلة الدامغة ، وستعمد فى ذلك على تحقيقات العلماء العصريين جريا مع سنة الزمان، اعتقادا منا بأن نشأتنا الحديثة أحوج إلى هذه الخدمة منها إلى سواها ، وإيقانا من لدنا بأن نقش أصول العقائد فى أذهاننا بالطرق العصرية أنفع للبلاد » [١] .

اهتمامات « الحياة » فى بداية صدورها :

بالرجوع إلى أعداد المجلة يلاحظ أنها حاربت مظاهر الانخداع بالمدنية الغربية الزائفة، والتقليد الأعمى لكل ما هو أوربى ، وانشغاف الشرق بهذا الزيف الحضارى ؛ لذلك فقد حذر فريد وجدى من الانسياق وراء هذا الزيف قائلا : « إياك وأخطار التمدن، فلا تخلط بين دسمه وسمه فتزل بك القدم ، كما زلت بسواك فجذبته فى تيار شديد السير ، وألقت به فى مجاهل يعوز فيها الدليل ، ويعدم فيها المرشد ، فكان كمن سعى لحتفه بظلفه» [٢] .

ولم يكن قصد فريد وجدى من إصدار « الحياة » الكسب المادى ، فقد ذكر أنه لا يطمع فى كسب مادى من وراء إصداره هذه المجلة ، وأنه ليس محتاجا إلى أى مساعدة من أحد، بل إنه مستعد أن يصرف عليها لا أن يكسب منها ، فهو لم يقصد من إصدار «الحياة » إلا أداء خدمة حقيقية للأمة والملة [٣] .

وقد ذاع صيت مجلة « الحياة » من خلال معالجتها لأمراض المسلمين ، وتناول فروض الإسلام بأسلوب فلسفى يختلف عن الأساليب المتبعة فى الكتابات الدينية فى ذلك العصر.

وقد قرظتها جريدة « اللواء » قائلة : « إنها من أحسن المجلات العلمية الإسلامية التى تنشر فى مصر ، فائضة بالمواضيع الفلسفية الدينية ، رائعة العبارات والمعانى ، معلمة

(١ ، ٢) الحياة ، عدد ١ ، غرة صفر ١٣١٧هـ ، ٩ يونيه ١٨٩٩م.

(٣) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين ، مرجع سابق ، ص ٧١ ، ٧٢.

للفضائل والكمالات بأحسن الأساليب . ومنشئها هو ذلك الشاب والكاتب البليغ محمد أفندى فريد وجدى، الذى أعجب القراء بكتاباته أيما إعجاب » (١) .

ولكن الذى غلب على اهتمامات « الحياة » فى هذه الفترة هو « بيان زيف الحضارة الأوربية ، ومحاربة المقلدين لها من المسلمين الذين بهرتهم بأضوائها البراقة حتى أنستهم أصلهم ، وذلك بعد أن بدأ الاختلاط بين الشرق والغرب فى الحين الذى كان فيه الثانى يتلألأ فى بهجة الفنون الصناعية والزخارف المدنية ، وكان الأول بما قصر فى حق وراثة أسلافه العظام فى غشوة عن تلك الفنون وعماية عن هاتيك العجائب فقابلها طفرة ، كما يقابل السجين تحت الأرض ضوء الكهرباء فاندهش لبه ، وانبهر عقله ، وسرت فى عروقه سموم اليأس من لحاق هذا الشأو الشامخ ، فأقر بالعجز ، وماتت فيه روح المجاراة . . واقتنع بالتقليد على أدنى وجوهه » (٢) .

وأشارت الحياة « إلى أن هذا التقليد لم يقتصر على التمتع بما أنتجته الحضارة الغربية من مخترعات الصناعة من فرش وأوانٍ وغير ذلك ، بل تعدى إلى مجاراة الإفرنج فى أخلاقهم وعوائدهم بل وعقائدهم ، حتى أصبح الكثيرون ـ ممن يدعون المدنية زورا ـ يفتخرون بالتظاهر بالإلحاد ، ظنا منهم أن ذلك غاية التمدين ، ووهمًا بأن الأوربيين أصبحوا ملاحدة لا يعتقدون شيئا وهو وهم باطل» (٣) .

كما أسهمت « الحياة » أيضا فى محاربة موجة الإلحاد التى كانت تتمثل فى مدعى العلوم الطبيعية ، ونفت الاتهام السائد بأن العلوم الطبيعية تقوض أركان الإيمان ، وأنها تؤدى إلى الإلحاد ونكران الخالق ؛ لأن ما فى الطبيعة من عجائب وغرائب يقف أمامها العقل مندهشا يدل على الإيمان ومعرفة الله (٤) .

ويلخص أنور الجندى أهداف الحياة فى هذه المرحلة فى الآتى :

١ ـ الرد على الشبهات العصرية على الأديان .

٢ ـ معجزات الإسلام الخالدة .

٣ ـ ما وراء المادة .

٤ ـ استحضار الأرواح .

---

(١) اللواء ، عدد ١٤ ، ١٦ رمضان ١٣١٧هـ ، ١٧ يناير ١٩٠٠م.

(٢ ـ ٤) الحياة ، عدد ١ ، السنة الأولى ، صفر ١٣١٧هـ ، يونيه ١٨١٩م.

٥ ـ تثبيت أصول الدين الإسلامى الحنيف فى عقول أبنائه بنتائج العلم العصرى.

٦ ـ إقامة الأدلة العمرانية والفلسفية على أن هذا الدين هو منتهى ما تصل إليه الإنسانية [١] .

وقد توقفت « الحياة » فى شعبان ١٣١٨هـ ،نوفمبر ١٩٠٠م حتى عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ـ ثم عادت إلى الصدور ـ بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا.

أما عن سبب توقفها ثم إصدارها مرة ثانية فيقول صاحبها : « كنا أصدرنا تحت هذا الاسم قبل خمس سنين مجلة إسلامية صغيرة الحجم كتبنا فيها ما اقتضاه المقام من فضائل الإسلام ، ونحونا فيها نحوا استوجب ثناء إخواننا المؤمنين ، ولبثنا على إصدارها مدة ثمانية عشر شهرا ، ثم بدا لنا أن نعطلها لأسباب عديدة فوقع هذا الأمر من إخواننا موقعا مؤلما وكتب لنا مئات منهم يظهرون الأسف الشديد... والمجموع القارئ كله يطالبنا بإعادتها لأنهم يرون فيها خدمة للإسلام يقتضيها حال أبناء هذا العصر ، فلم أر بُدا، وقد اقتنعت تمام الاقتناع ، بضرورة إعادة نشرها متوخيا فيها أمورا تهمنا فى هذا العصر الملية وأحوالنا الاجتماعية ، مما يعد السكوت عليه فى هذا العصر خيانة للدين والجامعة معـا»[٢] .

ولكن يبدو أن توقف « الحياة » كان سببه مماطلة المشتركين فى دفع الاشتراكات ، فقد طلبها الكثيرون بالاشتراك وأرسلها إليهم ، ولكن بعد أن انتهى العام لم يجد منهم ما يشجع على الاستمرار مما سبب الكثير من الخسائر التى أدت إلى توقف «الحياة».

وقد أعاد فريد وجدى إصدارها فى عام ١٩٠٦ وهو العام الذى توفى فيه الشيخ محمد عبده، وقد أصاب الأزهر ما أصابه من جمود وعودة إلى التقليد ، فضلا عما أصاب المصلحين من جبن أدبى ، وعجز الناس عن رد الشبهات الدخيلة على دينهم[٣].

منهج « الحياة» فى الإصلاح فى المرحلة الثانية :

حدد فريد وجدى منهج الحياة فى الإصلاح فى المرحلة الثانية من إصدارها مبينا المذاهب السائدة فى هذا العصر، والضرورة التى أدت إلى عودة « الحياة » فيقول:

« الأمة الإسلامية اليوم ليست كالأمس ، فقد تبدلت الأحوال وتغيرت ، فهذه الأمة بعد أن كانت قبل قرنين أو ثلاثة كالكتلة المندمجة فى سبات عميق أصبحت تشعر بأن لها

---

(١) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين ، مرجع سابق، ص٧٢ ـ ٧٤ .

(٢) الحياة ، عدد ١ ، مايو ١٩٠٦م.

(٣) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

وجودا ومجدا مفقودا . . وقد جاء العلم الأوربى ونحن فى هذه الحالة فأكسبنا روحا أخرى قد تتفق مع مصلحة الدين وقد لا تتفق ، وصار الناس بإزاء ذلك فرقا وأحزابا ، تجمعهم ثلاث طوائف عامة :

أولا : طائفة أنصار القديم : وهؤلاء يقولون : إننا أمة تكونت بالدين ونهضت به بين العالمين ، فلا حياة لنا إلا بالرجوع إليه والتعويل فى كل أمر عليه ، وفى مقدمة هذه الطائفة الأزهريون .

ثانيا : طائفة زعماء الجديد : وهم يدعون أن الدين سبب تأخرنا وجمودنا ، وأننا ما دمنا خاضعين لوصايته ، فلن نكون فى حالة نُجارى معها الأمم الحية أبدا .

ثالثا : طائفة المعتدلين : وهم يقولون : إن الإسلام دين عام جاء بالسعادتين ، ونيل الكرامتين ، وإنه صالح لكل زمان ومكان إن رجع به إلى أصله ، وطهروه مما ألصق به أهل الجمود .

وهذه الطوائف الثلاث موجودة فى كل بلد إسلامى ، ولكن فى حالة انعزال وانفراد، كل منهم معتقد الأصل الذى استحسنه » [1] .

أما منهج « الحياة » فى الإصلاح ، فهو مواجهة هذه الطوائف الثلاث فى مجموعها، والسعى فى إحداث حركة فكرية بينها بالتوجه لكل منها بما يناسبها فى أبواب خصصناها لها وهى :

الباب الأول : عنوانه : « الإسلام ماضيه وحاضره » ، وقد تناول فيه الإسلام فى شكله الخاص الذى دان به رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون قبل دخول الفلسفة اليونانية عند العرب .

وكان هدفه أيضا من هذا الباب تَفَهُّم معنى الإسلام وتلمس مراميه التى رمى إليها فى الدين والعقل والعواطف والأخلاق ، واستشراف تلك الروح التى انبثت فى قلوب الناس فأحيت مواتهم ، ثم بيان الفرق بين هذا الإسلام الخالص ، وبين الإسلام الشائع الآن الذى يدرس السنين الطوال فلا يكون له أثر فى تهذيب أخلاق متبعيه.

الباب الثانى : وكان عنوانه : « حلول الشبه الأوربية التى صبها العلم على أصول العقائد » ، وكان الهدف منه مواجهة المتفرنجين الذين يزعمون أن زمن الدين قد فات ، وبيان أن ذلك القول لا ينطبق على الإسلام الخالص الذى عمل به المسلمون نحوا من مائتى سنة ، بل ينطبق على ما حدث بعد ذلك حين دخلت العلوم الطبيعية والتفريعات

---

(١) الحياة ، عدد يوليه ، ١٩٠٦م.

التصورية إلى أصوله .

الباب الثالث : عنوانه : « دفع الشبه عن الإسلام » ، وكان يقصد منه الرد على كل شبهة أوردها المشككون على الإسلام ، ونبى الإسلام ، وكتاب الإسلام .

الباب الرابع : عنوانه : « ما وراء المادة » ، وقد نوه أنه سيكتب فيه كل ما يحدث فى مباحث العلماء فى أوربا ، من جهة إثبات الروح والخلود بواسطة علم التنويم المغناطيسى واستحضار الأرواح ، وغير ذلك [1] .

اهتمامات مجلة « الحياة » فى هذه المرحلة :

ونستطيع أن نلخص اهتمامات « الحياة » فى هذه المرحلة فيما يلى :

١ ـ محاربة الشبه الدخيلة على الإسلام ، والرجوع إلى الإسلام الذى عمل به محمد ﷺ.

٢ ـ محاربة المذهب المادى القائل بعدم الاعتقاد بعالم الأرواح أو الملأ الأعلى أو الجنة أو كل ما وراء المادة المحسوسة ، والرد على المجلات ، والكتب التى اهتمت بهذا الموضوع ومناقشتها .

٣ ـ محاربة الجمود الفكرى ، والتقليد الأعمى للمذاهب الأوربية .

٤ ـ الرد على الفلاسفة الملاحدة من أمثال «جيو » الذى أنكر الاعتقاد بالروح والخلود والثواب والعقاب والملائكة ، وغير ذلك من عوالم الغيب التى هى أصول الأديان [2] .

ومن الشبهات التى فندتها الحياة : الزعم بأن محمدا ﷺ كان على الوثنية قبل القرآن، ومسألة الغرانيق المشهورة فى التفسير الإسلامى والتاريخ [3] .

وقد تحدثت عن معجزة القرآن الكريم والاعتقاد فى وجود الله تعالى والملائكة والرسل[4] ، وعرضت للحكومات الإسلامية منذ عصر الخلفاء الراشدين حتى العصر الحديث، وكانت بين الحين والحين تعرض لمشاهير علماء الإسلام ، وتنشر الدروس التى كان يلقيها فريد وجدى فى مدرسة العلوم العالية عن علم طبائع الموجودات ، ودروس فى علم الأخلاق والفلسفة والتشريع [5] .

واحتوت « الحياة » أيضا على باب « للأسئلة والأجوبة » ، كان يتناول بعض المسائل

---

(١) السابق نفسه . (٢، ٣) الحياة ، عدد يوليه ، ١٩٠٦م.

(٤) الحياة ، عدد نوفمبر ، ١٩٠٦م.

(٥) انظر : أعداد شهر أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر ١٩٠٦م.

الدينية والدنيوية على السواء ، كما كانت تنشر بعض المقالات عن أحكام الصلاة والصيام والزكاة وأمور العبادة .

فضلا عما تقدَّم ، فإنها قد قدمت بحثا عن نشأة العلمانية وخطرها وأصلها بينت فيه أنها فكرة دخيلة على الإسلام نشأت فى أوربا نتيجة الحروب الوحشية بين أنصار الدين وأنصار العلم الحديث ، مما جعل العلم يحمل على الدين ، ولما انتهى الأمر بانتصاره أحدث فى القلوب الشكوك فى الدين فاعتقد بعض الناس ما قرره العلم الحديث من أن زمن الدين قد فات ، فقنع بالحياة الحسية على شكل اختاره لنفسه ، ثم تأثر بذلك بعض الناس فى العالم الإسلامى ، وانقسموا إزاءها فريقين : فريق ساير الأوربيين فى أفكارهم، وفريق هُدِى لمعنى الإسلام ، فأصبح مسلما حقا على مذهب يخالف الفريق الأول[1] .

المرحلة الثالثة لصدور « الحياة » :

توقفت « الحياة » بعد عامين من صدورها فى المرحلة الثانية من إصدارها ، وقد أعاد فريد وجدى إصدارها فى يونيه ١٩١٤م ، ١٣٣٢هـ ، وفى أثناء تلك المدة كان فريد وجدى قد شغلته السياسة فأصدر فى الفترة من عام ١٩٠٧ إلى عام ١٩١٠م جريدة «الدستور».

وكان صدور « الحياة » للمرة الثالثة يدل على اتصال فريد وجدى بجماهير الرأى العام عن طريق الصحافة ، ويدل أيضا على غيرة فريد وجدى على الدين من شبهات الإلحاد التى أخذت تشق الطريق إلى الدين الإسلامى فى هذ الفترة ، وقد عجز علماء الدين عن مواجهتها [2] .

وهو يتحدث عن ذلك فيقول : « إن فى البلاد عشرات الألوف من المنقطعين لدراسة الإسلام ، ولكنهم يمضون عشرات السنين فى دراسة المسائل من نحو وفقه ومنطق وعلوم آلية على طرق جمعت ضروب العقم ، جاعلين حظهم من الدنيا حفظ بعض الاصطلاحات ، كأن الإسلام صلاة وصيام وعبادة وزكاة وحج ونطق بالشهادتين مجردة عن كل أصل من أصول الحياة ، وتربية النفس ؛ ولذلك انحطت درجة أهل العلم فى نظرهم، وسرى الانحطاط منهم إلى ذات الدين ، فلم يتخيل الناشئ الذى يلوى لسانه بكلمتين أوربيتين أن فى الإسلام من الأصول ما يرفع أمة أو يحفظ جماعة ، أو ما

---

(١) الحياة ، عدد يونيه ، ١٩٠٦م.

(٢) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين ، مرجع سابق ، ص٧٤.

يساوى مبدأ من المبادئ الاجتماعية التى نقرؤها فى الكتب الأوربية اليوم » (١) .

وهو فى ذلك يبين الضرورة الملحة لإصدار مجلة دينية لمواجهة هذا الركود الذى أصاب المهتمين بأمور الدين ، ومن ثم أصدر « الحياة » مجلة شهرية خاصة بنقض الفلسفة المادية ،وخدمة الحقيقة الإسلامية .

اهتمامات « الحياة » فى المرحلة الثالثة لصدورها :

تناولت المجلة فى المرحلة الثالثة ما يلى :

١ ـ الآراء العلمية فى المادة وصفاتها ، والحياة ومصادرها ، والطبيعة ونواميسها ومذهب دارون وأصوله ، وما بنى عليه من الشبه ، وما نتج عنه من الشكوك وتقرير الحق فى ذلك كله بأسلوب علمى .

٢ ـ البحث فى مسألة وجود الخالق وإيراد آراء العلماء فيها ، ونفى الشبه عنها بأسلوب فلسفى علمى يوائم الروح العصرية .

٣ ـ البحث فى مسألة وجود الروح وسرد آراء العلماء فيها ، ونفى الشبه التى يثيرها أصحاب الفلسفة المادية .

٤ ـ نقل مباحث للعلماء الذين يبحثون فى مسائل ما وراء المادة كاستحضار الأرواح، والتنويم المغناطيسى، وغير ذلك مما يثبت بالحس أن للإنسان روحا خالدة بعد الموت.

٥ ـ إعادة بناء علم الأخلاق على الأصول الروحانية ، وهى الأصول التى هدمتها الفلسفة المادية .

٦ ـ خدمة الحقائق الإسلامية وإظهار جلالتها بأسلوب فلسفى يكشف عنها ظلمات الشبه التى اقتضتها التعاليم الإلحادية .

٧ ـ الرد على الكتابات التى تصدر فى مصر ، ويكون الغرض منها تثبيت أصول الفلسفة المادية ، واستخدامها لنفى العقائد الدينية .

٨ ـ تقوية العاطفة الدينية فى العقول لإعادة الثقة التى فقدتها بتأثير الفلسفة الإلحادية المهلكة (٢) .

وقد توقفت « الحياة » عن الصدور فى نهاية عام ١٩١٤م ولم يصدر منها سوى

(١) المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) الحياة ، عدد رجب ١٣٣٢ هـ ، يونيه ١٩١٤م .

خمس مجلدات فقط فى الفترة ما بين عام ١٨٩٩م / ١٣١٧هـ إلى عام ١٩١٤م / ١٣٣٢هـ.

٤ ـ مجلة « مكارم الأخلاق الإسلامية »

صدرت مجلة « مكارم الأخلاق الإسلامية » مجلة علمية أدبية دينية تهذيبية فى غرة رمضان ١٣١٧هـ ، ٢ من يناير ١٩٠٠م ، فى اليوم الذى صدرت فيه « اللواء » عن جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، التى كان يرأسها الشيخ محمد زكى الدين، وأمينها الشيخ عبد الوهاب النجار ، وهى أول صحيفة إسلامية تصدر عن جمعية إسلامية فى مصر.

وكانت أسباب صدور « مكارم الأخلاق الإسلامية » ـ كما جاء فى أول عدد منها ـ ما يلى :

١ ـ انحطاط مدارك الأمة الإسلامية .

٢ ـ ما أصاب الدين الإسلامى من ضياع ، ومن إهمال حتى أصبح على حد قول المجلة: «على شفا جرف هار » .

٣ ـ انهماك الناس فى الشهوات ، وبُعْدهم عن منابع الدين الأصلية .

٤ ـ فساد الزمان نتيجة للكوارث التى حلت بالأمة الإسلامية (١) .

وكان من أبرز كُتَّاب المجلة : الشيخ محمد زكى الدين ، رئيس جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، والشيخ عبد الوهاب النجار ، أمين الجمعية ، والشيخ طنطاوى جوهرى الذى كان يقوم بتفسير لبعض آيات من القرآن الكريم ، وإبراهيم أفندى صبحى، ومحمد أفندى جلال اللذان أصدرا المجلة بعد ذلك فى فرع جمعية الأخلاق الإسلامية بالأسكندرية بعد احتجابها عن الصدور عام ١٩٠٢م ، والسيد عبد الفتاح الصحن ، وأحمد ضيف ومحمد وجيه ، ومصطفى صبرى ، والشيخ عبد المجيد اللبان من علماء الأزهر بالإسكندرية وإبراهيم نسيم ، ونبوية موسى .

أهداف المجلة وخطتها :

حددت الجمعية فى أول عدد للمجلة هدفها من الصدور وخطتها فقالت :

«قامت الجمعية وأصدرت هذه المجلة لا تريد منها ربحا، ولا ترغب بها مناظرة ، ولا تحتال لقدح ولا تملق بمدح، ولا تدعو لبناء تمثال أو نقل جبال ولا لإعداد وليمة ، إنما

---

(١) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد١ ، رمضان ١٣١٧ هـ ، يناير ١٩٠٠م.

تدعو لإحياء معالم الدين التى طمست، وتأليف القلوب التى نفرت، كما تريد بها سرد علوم الشريعة فى أسلوب حلو فى الأذواق ، خفيف على الأسماع ، مع إرشاد التائه، وتنبيه الغافل، ولوم المقصر ، وتهذيب الجامح ، ولو قال قائل : ماذا تقولون ؟ لقلنا : لا نقول : اصرخوا فى وجوه الاحتلال ، ولا نقول : مزقوا أعراض الأمم بالشتائم، ولا نقول : اغتصبوا المناصب من أربابها، ولا نقول: خذوا الأمة من آخذيها ، لكن نقول: أدركوا الدين بالعمل ، قوموا ، اتركوا الفساد فالأمر زاد ، تيقظوا فقد طال المنام. . .فوالله لن ترقى أمة ، ولن تسعد دولة إلا إذا كان فى قلب كل فرد مرشد يهديه وخطيب يناجيه » (١) .

وأول ما يلاحظ على خطة المجلة أن الجمعية التى تولت إصدارها ليس لها هدف سياسى، وأن المجلة لا تبحث فى المسائل الوطنية ، وأنها أعلنت مسالمتها للاحتلال البريطانى الذى يجثم على صدر البلاد فى ذلك الوقت ، والمطلع على أعداد المجلة يجد أنها التزمت بتلك الخطة من المسالمة للمحتلين والحاكمين ، ولكن الهدف الأساسى من إصدار المجلة ـ كما أكدته فى أعدادها ـ إنما هو : « إحياء شعائر الدين ، ولَمّ شعث المسلمين، وإعزاز كلمة الله وتأييد سنة رسول الله ﷺ والعمل بكتاب الله، والأخذ بما أمر الله ، والترك لما نهى الله عنه » (٢) .

وقد أصبح لجمعية مكارم الأخلاق الإسلامية شأن كبير من خلال هذه المجلة وما كانت تنشره من اجتماعات الجمعية التى كانت تعقدها كل أسبوع ، ولكن بعد أن استتب الأمر للمجلة ، وحسنت أحوالها بدأ الخلاف ينشب بين أعضاء الجمعية مما أفضى إلى احتجاب المجلة عن القراء شهورا إلى أن قيض الله بعض ذوى الهمة فى فرع الجمعية بالإسكندرية ـ وفى مقدمتهم إبراهيم أفندى صبحى ، ومحمد أفندى جلال ـ فأعادوها إلى الصدور منتظمة فى مواعيدها فى مطبعة خاصة بها (٣) .

وبدأت المجلة تصدر من الإسكندرية بعد أن صدر منها فى السنة الثانية لها العدد الأول والثانى من القاهرة .

وقد أصبحت المجلة منذ العام السادس لها لسان حال جمعيتى: مكارم الأخلاق الإسلامية وجمعية الملاجئ العباسية ، وقرر مجلس إدارة المجلة أن يكتب لافتة المجلة كالآتى :

« مجلة جمعية الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية » تصدر بالإسكندرية

---

(١) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد١ ، غرة رمضان ١٣١٧ هـ ، ٢ يناير ١٩٠٠م.

(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٢ ، ١٥ رمضان ١٣١٧ هـ ، ١٤ يناير ١٩٠٠م.

(٣) المؤيد ، عدد ٣٦٥٨ ، ٩ صفر ١٣٢٠هـ ، ١٧ مايو ١٩٠٢م.

في أول كل شهر عربى .

وقد تغيرت ترويثة المجلة فأصبح اسم المجلة على شكل هلال وفى وسطه ثلاثة نجوم هكذا:

* * *

مجلة

جمعية الملاجئ العباسية

ومكارم الأخلاق الإسلامية

مجلة دينية علمية أدبية تهذيبية

وقد تطورت المجلة منذ السنة العاشرة لصدورها ، وزاد عدد صفحاتها إلى خمسين صفحة ، وخصصت عشرين صفحة للإعلانات ، وزودتها بالصور الظلية للبضائع والسلع المعلن عنها ، واستخدمت أيضا فى بعض الأحيان الصورة التوضيحية فى بعض المقالات، وأصبحت تصدر باسم مجلة الملاجئ العباسية ومديرها محمد بك عثمان ، وخصصت دخلها للأيتام والفقراء والعجزة ، وزادت من قيمة الاشتراك فى المجلة فأصبح ثلاثين قرشا بدلا من خمسة عشر قرشا فى بدء صدورها ، وجعلت نصف القيمة لطلبة العلم واستخدمت بعض الحلى والزخارف فى عناوين المقالات الدينية ، وأحيانا كانت تكتبها بخط مزخرف وقد توقفت المجلة فى عام ١٩١٢م.

اهتمامات المجلة فى فترة صدورها :

تنحصر أبرز اهتمامات المجلة بشكل عام فى ثلاثة ميادين : الميدان الإسلامى، الميدان الاجتماعى ، الميدان الثقافى .

أولا : الميدان الإسلامى :

اهتـمت « مكـارم الأخلاق الإسلامية » بقضـايا الإسـلام ، عقيدة وشريعة وأخـلاق[(١)] ، فقد تناولت أمور العقيدة الإسلامية كالإيمان بالله وبالرسل وبالقضاء والقدر واليوم الآخر ، وكانت تنشر الدروس التى يلقيها أعضاء الجمعية فى الناحية الدينية .

كما حاربت البدع التى استحدثت فى الدين ، مثل : بدع المآتم والحِداد ، وتشييد القباب والمقابر ، وخروج النساء نائحات وراء الموتى إلى المقابر [(٢)] .

وتناولت أيضا أمور الشريعة ؛ كالصلاة والزكاة والصوم والحج [(٣)] والجهاد ، وغير

---

(١) د . أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، القاهرة : دار الكتاب المصرى ، ص ١٦.

(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، ١٥ شوال ١٣١٧هـ ، ١٥ فبراير ١٩٠٠م.

(٣) العدد السابق ، رجب ١٣٢٩هـ .

ذلك من الفروض التعبدية وفروض الكفاية مثل : الجهاد والعلم ، وأولت أيضا اهتماما بقضايا الأخلاق فى الإسلام مثل: الأمانة والعفة والصدق والعدل ، ونشرت كتاب التربية والأخلاق لحجة الإسلام الإمام الغزالى الذى تحدث فيه عن الصفات والعيوب الخلقية فى البشر (١) .

وقد خصصت المجلة بابا تحت عنوان : « أسئلة وأجوبة » لتجيب فيه عن أسئلة القراء فى المسائل الدينية والشرعية (٢) .

وكان الشيخ طنطاوى جوهرى يقوم بتفسير بعض آيات من القرآن فى المجلة ، كما كانت تنشر بعض الخطب المنبرية أو المسجدية فى المناسبات الدينية المختلفة (٣) .

وعندما فرضت الحكومة على الحجاج دفع ضريبة ثقيلة بهدف صدهم عن أداء فريضة من الفرائض التى يستوجبها الدين ، قامت المجلة بكتابة مقال تحت عنوان : «الحج مات أو سيموت ، إنا إلى الله وإنا إليه راجعون » ، عددت فيه مساوئ نظارة المعارف، ثم استصرخت العلماء وكتّاب الجرائد ، والعُمَد ، وأعيان المديريات والجمعيات الخيرية بأنهم لا يستسلمون لهدم ركن من أركان الدين وهو « الحج » فتقول : « استسلمنا لحملة نظارة المعارف على اللغة العربية حتى أنهكت قواها أو حتى أماتتها فى تلقى العلوم العالية وأحيت سواها، واستسلمنا لها حتى جعلت للدين ساعة واحدة فى الأسبوع ، استسلمنا لها حتى جلبت يوما كتابا إنجليزيا فيه طعن للنبى ، ولولا الشكوى لبقى وهو مقروء مسموع. . . استسلمنا لكذا وكذا ، فما بالنا نستسلم لأمر فيه هدم ركن من أركان الدين هو « الحج » الذى يلتقى فيه من أطراف الأرض ألوف المسلمين » (٤) .

وقد حذرت المجلة من دعاة المدنية الغربية « العلمانيين » الذين أنكروا الدين وحقروا شأنه ، وطالبوا بتحرير العقول من ربقته ؛ لأن الدين ـ فى زعمهم ـ هو الذى قطع على الناس كل طريق للتقدم والنجاح، ثم تنعى على الذين اندفعوا فى تيار التقليد والمحاكاة للأوربيين ، واستهواهم حب الظهور بمظهر التسامح فتبعوا أولئك المضلين وآمنوا بمذهبهم.

وتشير إلى أن الاستهانة بشأن الدين « لمن أشد الأخطار التى تهدد كيان الأمة ؛ لأن الدين واسطة عقد الاجتماع ونقطة الوجود ، وأشد من ذلك خطرا هو نكوص العلماء

---

(١) العدد نفسه .

(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، غرة شعبان ١٣١٨هـ ، ٢٣ نوفمبر ١٩٠٠م .

(٣) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٣ ، ربيع الأول ١٣٢٨هـ .

(٤) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١٩ ، رجب ١٣١٨هـ ، ١٩٩٠م.

عن كَبْح هذه الحركة العلمانية أو فصل الدين عن الحياة » [1] .

وتتصدى المجلة لدعاة التغريب والعلمانية ، وتفند زعمهم بأن الدين هو سبب تأخر المسلمين ، وتستشهد على قولها بتاريخ المسلمين أنفسهم ، حيث كانت الأمة العربية قبل أن يشع عليها نور الهداية الربانية على يد محمد ﷺ تعيش فى وحشية الجهل ، فلما أضاء عليهم نور الإسلام وعَمَّتْهُم تعاليمه ارتفعوا إلى منزلة سامقة لم تعهد فى تاريخ البشرية جمعاء، ولم يمض عليهم قرن من الزمان حتى دانت لهم الأرض وتبوءوا عروش الملوك[2].

وتذهب المجلة أيضا بأن مدارس الغرب التى انتشرت بين المسلمين ، وأنشئ الكثير منها فى مصر ، والوفود الطلابية التى تذهب إلى أوربا لطلب العلم هى القناطر التى عبرت عليها رياح التغريب والأفكار العلمانية إلى المسلمين فى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامى .

ومما نقل عن طريق هؤلاء إلى مصر من أفكار تغريبية لم تعهد لدى المسلمين ما يلى:

١ ـ أن التمسك بالدين هو سبب تأخر المسلمين .

٢ ـ أن الغرب لم ينهض إلا بنسف أصول الديانة النصرانية ، وإطلاق سراح العقل بعيدا عن قيود الدين (الدعوة إلى العلمانية) .

٣ ـ وبناء على ذلك فإن ارتقاء المسلمين فى زعمهم متوقف على اتباع خطوات الغربيين واقتفاء أثرهم ، ونبذ الدين ، وتقديس الوطن ، والاستعاضة به عن الدين (الدعوة إلى القومية والإقليمية) [3] .

ومن أجل ذلك تهيب المجلة بعلماء المسلمين أن يستدركوا هذا الأمر قبل أن يشيع بين المسلمين ويصبح كالعدوى التى تسرى فى جسد الأمة ، وأن يستأصلوا جرثومة التغريب والعلمانية والتقليد الأعمى الذى لعب بالعقول والنفوس .

فدعاة التغريب قد حكموا على الدين الإسلامى بما حكم به الغربيون على دينهم ، مع ما بين الدينين من الفروق العظيمة ومن ظروف تاريخية مختلفة ، ولكن عذرهم فى ذلك أنهم تعلموا على يد أساتذة الغرب الذين لا هَمَّ لهم إلا تنفير المسلمين من دينهم وإظهاره أمام أعينهم على حالة تنفر منها الأسماع ، وتأنف من رؤيتها الأبصار [4] .

وهكذا نستطيع أن نقول : إن المجلات الإسلامية كانت خط الدفاع الوحيد الذى

---

(١) مكارم الأخلاق الإسلامية، عدد ١٠ ، شعبان ١٣٢٩هـ.

(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١٢ ، ١٣١٨ هـ، ١٩٠٠ م .

(٣، ٤) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٨ ، شوال ١٣١٨هـ ، ١٩٠٠م.

كان يصد الهجمات الغربية والأفكار المستوردة ، التى كانت تغزو العقول وتهدم الدين.

ثانيا : الميدان الاجتماعى :

أفسحت « مكارم الأخلاق الإسلامية » صفحاتها للتحذير من أخطار العادات الاجتماعية القبيحة ، التى تفشت فى المجتمع المصرى نتيجة اختلاط أفراده بالأجانب ، ونتيجة الحملات التغريبية التى قام بها المولعون بتقاليد وعادات الغربيين .

فقد زين المستعمر للمصرى بضاعة الخمر ولونها له بكل الألوان ، وذلك لاستنزاف ثروته وابتزاز أمواله ، حتى أصبح يرزح تحت أعباء الفقر والعوز ، وإذا سألته : ما الذى حملك على هذا ؟ أجاب بكل فخر : إنه غاية ما يتحلى به كل مُرْتَدٍ لجلباب المدنية رافل فى حلل الحضارة العصرية (١) .

وقد حذرت المجلة أيضا من تناول الخمور وشربها ، وذلك بإبراز الأدلة الطبية على ضررها ، والأدلة العقلية والشرعية على تحريمها (٢) .

أيضا حذرت من الدخول فى المضاربات ولعب القمار والميسر والتعامل بالربا ، الذى أرهق الناس بالديون ، وأغلق البيوت (٣).

كما حاربت الفواحش والزنا « الذى تعلق بكل ذيل، وفشا فى نهار وليل ، حتى صار الغيور فى دينه الحافظ لعرضه يحتفظ على أهل بيته احتفاظا » (٤) .

وقد اهتمت المجلة أيضا بأمر التدبير المنزلى ، وترتيب المعيشة فى المسكن ، واللباس والغذاء (٥) ، وأفسحت المجلة صفحاتها لمقالات القراء ورسائلهم فى نقد وإصلاح العيوب الاجتماعية والخلقية التى تتفق ومنهج المجلة في الإصلاح الاجتماعى.

« مكارم الأخلاق » والدعوة إلى السفور :

عارضت المجلة الدعوة إلى السفور التى حمل لواءها قاسم أمين فى تلك الفترة ، واستنكرت أن تخرج المرأة المسلمة متبرجة فى الشوارع والأسواق ، تتمايل بالجيد والخصر والساق ، واستنهضت علماء الدين لمقاومة هذه الدعوة التى راجت فى تلك الفترة ، ووجدت لها أنصارا يدافعون عنها ، وبخاصة تلامذة الغرب من المسلمين (٦) .

---

(١) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١٨ ، ١٥ أبريل ١٩٠٠م .
(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٢ ، صفر ١٣٢٨ .
(٣) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١٢ ، ذى الحجة ١٣١٨هـ.
(٤) مكارم الأخلاق الإسلامية ، ١٥ رمضان ١٣١٧هـ، ١٤ يناير ١٩٠٠م. .
(٥) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١٨ ، رجب ١٣٢٩هـ ، ١٥ جمادى الأولى ١٣١٨هـ.
(٦) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٤ ، ١٥ شوال ١٣١٧هـ ، ١٥ فبراير ١٩٠٠م.

لذلك فقد اهتمت مكارم الأخلاق بشؤون المرأة والحجاب فى الإسلام ، ونشرت ما جاء فى القرآن الكريم من آداب حددها المولى عز وجل للمرأة والرجل على السواء ، من غَض للبصر ، وحِفْظ للفرج ، ومكث المرأة فى البيت وعدم خروجها إلا للضرورة (١).

وعندما خاض الناس فى مبدأ تعدد الزوجات ، الذى أباحه الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه الكريم ، وسار على هذا النهج الصحابة والمسلمون ، نشرت المجلة رسالة بعنوان: «دحض الاستظهار على الإسلام» للشيخ عبد المجيد اللبان ـ أحد علماء الأزهر بمشيخة الإسكندرية ـ أفاض فيها البحث والكلام من الوجهة الدينية والاجتماعية فى مبدأ تعدد الزوجات ، وأثبت أنه مبدأ ثابت وشريف ، شرعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لإسعاد عباده غير لاعب ولا عابث ، تعالى الله عن ذلك (٢) .

وقد دعت إلى تعليم المرأة وتربيتها ، وذلك حتى تحفظ نظام البيت الذى هو أشبه شىء بالمملكة الصغيرة « لأن المرأة إذا كانت على قدر من التعليم والتربية قدمت للمجتمع رجالا يكافحون ويجاهدون فى سبيل حفظه واستمرار الحياة الكريمة فى أرضه » (٣) .

ثالثا : الميدان الثقافى :

كما اهتمت المجلة بنشر الثقافة الأدبية ، فضلا عن التثقيف الدينى والاجتماعى الذى تحدثنا عنه .

فكانت المجلة تنشر بعض القصائد الشعرية لكبار الشعراء وبخاصة الشعر الدينى، فقد نشرت قصائد لشوقى ، وحافظ إبراهيم ، وأحمد محرم (٤) .

وقد بدأت المجلة فى عامها الثالث تخصص بابا للأدب والكتابة الأدبية ، وشجعت على الإكثار من الكتاتيب لمحو أمية الجماهير ، فإنها برغم قصر نظامها عظيمة الفائدة ، وكافية لتأهيل الناشئة إلى المدارس الابتدائية ، وتعليم القراءة والكتابة (٥) .

وقد أوْلت المجلة اهتماما بأدب التلميذ وتهذيبه وما يلزمه فى تربيته وتثقيفه، وتوجيه الآباء إلى رعاية عقول التلاميذ ، وناشدت القائمين على التعليم بإصلاح معاهد العلم حتى تؤدى دورها المنشود فى تثقيف النشء (٦) .

ومنذ السنة السادسة بدأت المجلة تنشر تراجم لكبار الشخصيات الإسلامية ، فقد

---

(١) مكارم الأخلاق الإسلامية ، صفر ١٣٢٩هـ .

(٢ ، ٣) مكارم الأخلاق الإسلامية ، ربيع الأول ١٣٢٩ هـ .

(٤) انظر : عدد ذى القعدة ١٣١٨ هـ ، وعدد ٢٣ شعبان ١٣١٨هـ .

(٥) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٢ ، السنة الرابعة ، ذى الحجة ١٣٢٠هـ .

(٦) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٥ ، ربيع الأول ١٣٢١هـ.

نشرت ترجمة للإمام أبى حنيفة فى العدد الثانى من نفس السنة ، وفى العدد الثالث والرابع نشرت ترجمة لابن سينا ، وفى العدد السادس للإمام مالك ﷺ .

وهكذا يتضح دور « مكارم الأخلاق الإسلامية » فى الناحية الدينية والاجتماعية والثقافية .

٥ ـ مجلة « المرأة فى الإسلام »

صدرت مجلة « المرأة فى الإسلام » فى ٢٥ مارس ١٩٠١م ، ٤ من ذى الحجة ١٣١٨هـ، مجلة علمية تهذيبية لصاحبها إبراهيم رمزى . وقد استمرت فى الصدور عاما واحدا ، ولم يصدر منها سوى أربعة عشر عددا ، ولم تحظ بالذكر فيما كتب من مؤلفات فى تاريخ الصحافة المصرية .

وكان السبب الرئيسى فى إصدار هذه المجلة هو معارضة أفكار قاسم أمين فى الدعوة إلى السفور ، أو ما يسمى بتحرير المرأة يقول إبراهيم رمزى صاحب ومحرر المجلة :

« نشرنا أربع رسائل بجريدة « المؤيد » الغراء تحت عنوان : « المرأة فى الإسلام » فيما يختص بكتاب تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، تأليف حضرة قاسم بك أمين المستشار بمحكمة الاستئناف ، وقد استحسنا أن ننقل تلك الرسائل إلى هذه المجلة لأنها من موضوعها ، بل هى السبب فى إخراجها من حيز القول إلى حيز الفعل » [1] .

اهتمامات مجلة « المرأة فى الإسلام » :

سبق القول أن مجلة « المرأة فى الإسلام » مجلة متخصصة تبحث فى شؤون المرأة فى الإسلام ، فلذلك صبت كل اهتمامها فيما يخص المرأة فى الإسلام .

وقد رد صاحب المجلة ـ إبراهيم رمزى ـ على كتابى : « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة» لصاحبهما قاسم أمين فى أربع مقالات ، كانت قد نشرت فى « المؤيد » ، ثم أعاد نشرها فى مجلة « المرأة فى الإسلام » تباعا .

تَعَرَّض فى المقالة الأولى إلى الفئات التى تعرضت لنقد كتابى قاسم أمين فيقول:

« انقسمت أفكار الناس إلى ثلاث فئات :

١ ـ فئة ترى منع تعليم المرأة وزيادة الحجاب الحالى (البرقع) ، مرتكزة فيما تراه على الدين والعقل .

٢ ـ فئة ترى إطلاق الحرية والتعليم وإطلاق المرأة من كل حجاب وإلقاء حبلها على

(١) المرأة فى الإسلام ، عدد ١ ، ٤ من ذى الحجة ١٣١٨هـ ، ٢٥ مارس ١٩٠١م.

غاربها ، مرتكزة على العقل والدين أيضا .

٣ - فئة وقفت موقف الشاك فى أقوال الفئتين السابقتين ، مرتكزة على الدين والعقل أيضا وأشار إلى أن قاسم أمين هو صاحب الرأى الثانى ، أى النهاية فى التعليم وإطلاق حبل المرأة على غاربها [١] .

وقد طالبت « المرأة فى الإسلام » بوجوب تعليم المرأة وتربيتها تربية دينية ؛ لأن النساء قد وصلن إلى درجة كبيرة من الجهل حيث يتوسلن بالمشايخ ، ويعتقدن فى الأشجار، ويذهبن إلى حلقات الزار ، ويصدقن فى الخرافات ، كتصديقهن فى وجوب الله ووحدانيته [٢] .

أما عن موقف المجلة من مسألة الحجاب فقد طالبت بالحجاب الشرعى الذى حدده المولى عز وجل فى كتابه الكريم ، وهو ستر أعضاء المرأة كلها ما عدا الوجه والكفين وقد أنكرت الحجاب الحاضر وقصدت به البرقع الذى كان يسمى باليشمك ، ومع ذلك فقد حبذت ضرورة الحالة الحاضرة آنذاك وهى عدم كشف الوجه والاختلاط لموانع كثيرة منها:

١ - عدم أهلية النساء ؛ لعدم حصولهن على الدرجة اللازمة من التربية والتعليم.

٢ - عدم تربية الرجال أنفسهم .

٣ - وجود الامتيازات الأجنبية فى مصر .

ولذلك فقد عارضت استحسان قاسم أمين عادات نساء أوربا قائلة : « إن الذى يقرأ كتابى قاسم أمين لا يسعه إلا الإقرار بأنه مستحسن لآدابهم وتربيتهم ، مع أن الواجب علينا أن نعرف دقائق ما هم عليه من العادات قبل الحكم عليها بأنها مستحسنة أو مستهجنة. . . عرفنا أن نساء الإفرنج مهذبات مؤدبات عالمات يكدن لا ينقصن فى المعارف عن الرجال، يربين أولادهن تربية صالحة نافعة جسما وعقلا ، ولكنى رأيت فى عاداتهم ما لا يقبله المسلم ، لا شرعا ولا فرعا ولا علما ، ولا بأى وجه من الوجوه. فهذه عادة رقص النساء مع الرجال الأجانب عنهن ، وهذه عادة الخطبة التى يقضى فيها الخطيب مع خطيبته زمنا يختلى فى خلاله معها فى مكان لا ثالث معهما » [٣] .

وعندما أصدر الخديو عباس أمرا برفض كتاب « المرأة الجديدة » لقاسم أمين أيدته

---

(١) المرأة فى الإسلام ، عدد ١ ، ٤ من ذى الحجة ١٣١٨هـ.

(٢) المرأة فى الإسلام ، عدد ٣ ، مايو ١٩٠١م.

(٣) المرأة فى الإسلام ، عدد ٤ ، ١٥ مايو ١٩٠١م.

مجلة « المرأة فى الإسلام » ، وقابلت هذا الرفض بالقبول والرضا ، ووصفته بأنه جاء فى محله من الإصابة وبعد النظر (١) .

كما حذرت من الهجمة التغريبية « التى غيرت كل شيء فى المجتمع ولم يقتصر تغييرها على المحسوسات من السكن والأكل والشرب، بل قد تعداها إلى الأخلاق والعادات. ولا يظن أحد أن هذه التغيرات قد طرأت علينا لتقدم أفهامنا وعقولنا فى درجات التمدن فكانت خطوة إلى الإمام نحو سعادة مستقبلنا عن قصد ،ولكنها إنما حصلت لنا من اختلاط أهل أوربا بنا حيث أخذنا فى تقليدهم بلا عقل ولا روية »(٢).

وقد عرضت فى « الباب » الذى عقدته باسم « سيرة شهيرات النساء » لسيرة خديجة بنت خويلد زوجة النبى ﷺ ، وأسماء بنت أبى بكر ـ ذات النطاقين ـ والسيدة نفيسة العلوية، والخنساء الشاعرة الشهيرة ، وعائشة الباعونية ، وزبيدة بنت جعفر المنصور العباسى ، ومارى أنبرى ، وفاطمة بنت جودت .

وهكذا نرى أن هذه المجلة كانت قد صبَّتْ جُلَّ اهتمامها فيما يتعلق بشأن المرأة من أمور الحجاب والعفة والحياء والعادات والأخلاق ، وبالإضافة إلى ما سبق تناولت الفرق بين المرأة التركية والأوربية والعربية ، وتربية البنات وكيفيتها ، وأهميتها ، وخدم البيوت وإصلاح شأنهن والتدبير المنزلى ، وأمور الزواج وما يتعلق به .

كما نشرت كتاب محمد طلعت حرب الذى اشتهر فيما بعد فى عالم الاقتصاد : «فصل الخطاب فى المرأة والحجاب » الذى كتبه ليرد على كتابى قاسم أمين « تحرير المرأة » و «المرأة الجديدة » .

٦ ـ جريدة « العالم الإسلامى »

أصدر مصطفى كامل جريدة « العالم الإسلامى » أسبوعية بجانب « اللواء » فى فبراير ١٩٠٥م ،وكان ينشر فيها المقالات والأخبار التى تخص الدول الإسلامية ، وبخاصة ما تكتبه الصحف الأوربية عن العالم الإسلامى (٣) .

وكانت أبرز اهتمامات الجريدة فى فترة صدورها ـ التى لم تستمر سوى سنتين فقط إذ غابت عن الصدور فى فبراير ١٩٠٧م ـ ما يلى :

(١) المرأة فى الإسلام ، عدد ٤ ، ١٥ مايو ، ١٩٠١م.

(٢) المرأة فى الإسلام ، عدد ٢ ، ٤ ذى الحجة ١٣١٨هـ ، ٢٥ مارس ١٩٠١م.

(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

١ ـ نشر أخبار العالم الإسلامى فى كل مكان (١) .

٢ ـ البحث فى المسائل السياسية والامتيازات الأوربية فى الممالك الإسلامية ، فقد نشرت عدة مقالات عن المسائل السياسية فى الأقطار الأفغانية ، والبلاد المغربية، وبلاد الجزيرة العربية (٢) .

٣ ـ تعريب المقالات الخاصة بالعالم الإسلامى ونقلها عن الجرائد العالمية.

٤ ـ كشف حركات المبشرين فى الدول الإسلامية (٣) .

٥ ـ بيان المؤامرات النصرانية على مسلمى روسيا (٤) .

٦ ـ الدفاع عن الشبهات التى يرمى بها الإسلام (٥) .

٧ ـ الاهتمام بأخبار العالم الإسلامى فى اليابان (٦) .

٨ ـ متابعة ما يقوله المستشرقون عن الإسلام (٧) .

٧ ـ مجلة « الهداية »

صدرت مجلة « الهداية » مجلة دينية علمية أدبية اجتماعية شهرية فى أول محرم ١٣٢٨هـ، فبراير ١٩١٠م، لمنشئها الشيخ عبد العزيز جاويش، وصاحب امتيازها حسين بك تيمور وشركاؤه .

ويذكر الدكتور أحمد الشرباصى أن السبب فى صدور الهداية « هو الغيرة الصحفية بين الشيخ عبد العزيز جاويش وبين رشيد رضا ، فقد دفع تألق المنار وانتشارها شرقا وغربا الشيخ عبد العزيز إلى منافسة رشيد رضا فى دنيا الصحافة ، فأنشأ مجلة باسم «الهداية الإسلامية» (٨) .

ومع وجاهة هذا الرأى ، وذلك لما حدث بين رشيد رضا والشيخ عبد العزيز جاويش من مساجلات صحفية ، فقد كتب الشيخ عبد العزيز جاويش سلسلة مقالات يسفه فيها

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
(٢) انظر : العالم الإسلامى الأعداد الصادرة من ٢٣ نوفمبر ١٩٠٥ إلى نهاية أبريل ١٩٠٦م .
(٣، ٤) العالم الإسلامى ، عدد ٥٨ ، ٤ أبريل ١٩٠٦م.
(٥) العالم الإسلامى ، عدد ٦٤ ، أول يونيه ١٩٠٦م.
(٦) العالم الإسلامى ، عدد ٦٩ ، ٦ يوليه ١٩٠٦م.
(٧) العالم الإسلامى ، عدد ٨٣ ، ١٢ أكتوبر ١٩٠٦م.
(٨) د. أحمد الشرباصى : رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

آراء رشيد رضا فى كتابه المسمى بالحكمة الشرعية [1] ، وهاجمه أيضا فى مشروع إنشاء مدرسة التبشير الإسلامى [2] ، غير أنه لا ينبغى أن نقول : إن هذا هو السبب الرئيسى فى صدور هذه المجلة ، فقد حدد الشيخ عبد العزيز جاويش أسباب صدور الهداية فى أول عدد منها فيما يلى :

١ ـ تفريط المسلمين فى دينهم.

٢ ـ انقسام المسلمين على أنفسهم شيعا تجاه المدنية الغربية .

٣ ـ غرور بعض المسلمين وفتنتهم بزخارف المدنية .

٤ ـ انصراف بعض الناس عن فرائض الدين وسننه ، وسيرهم خطوات فى طريق التفرنج ، بل وتشبعهم بمبادئه .

٥ ـ التقليد الأعمى للغربيين .

٦ ـ انصراف المسلمين عن التفكير فى مصائرهم .

٧ ـ دخول الشبهات على الدين الإسلامى من المستشرقين والمبشرين والقساوسة.

٨ ـ النصح للمسلمين ودعوتهم إلى السبيل القويم ، والتمسك بدينهم.

٩ ـ إذاعة أسرار القرآن الكريم الذى هو دستور السعادتين .

١٠ ـ رد الشبه وإدحاض الأكاذيب على الإسلام .

١١ ـ بيان أن الإسلام دين الفطرة التى فطر الناس عليها .

١٢ ـ الدفاع عن اللغة العربية الفصحى [3] .

أبرز كتاب المجلة :

عينت المجلة فى بداية صدورها محمد صادق أفندى ـ أحد محررى اللواء لينشئ الفصول اللغوية والأدبية ، ويساعد فى تحرير المجلة ، كما عينت عبد القادر أفندى المغربى ليكتب المقالات الإصلاحية والعمرانية . وفتحت المجلة أبوابها للكتاب المصاحفين أو كتاب القطعة كما يطلق عليهم فى الوقت الحاضر ، وخصصت المجلة مكافأة مادية لمن يطلبها من هؤلاء الكتاب [4] .

كان من كتاب المجلة أيضا : طه حسين ، والعقاد ، ومحمد بدر ، ومحمد صادق،

---

(١) الهداية ، عدد ٦ ، ٧ ، جمادى الثانية ورجب ١٣٢٩هـ ، يونيه ويوليه ١٩١١م.

(٢) الهداية ، محرم ١٣٢٩هـ ، يناير ١٩١١م.

(٣) الهداية ، محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م.

(٤) الهداية ، محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م.

ويحيى أحمد الدرديرى ، والشيخ طنطاوى جوهرى الذى كان من مدرسة الشيخ محمد عبده (١) ومن كتاب المقالات الإسلامية للتوفيق بين المدنية الحديثة والإسلام(٢) ، والدكتور أحمد أفندى عيسى ، الذى كان يكتب البحوث الاجتماعية عن المواليد والوفيات(٣) ، والسيدة لـلا قاسم الشماخية التى كتبت سلسلة مقالات حملت فيها على الداعين إلى السفور أو ما سمى « بتحرير المرأة » (٤) .

اهتمامات مجلة « الهداية » :

تعددت اهتمامات مجلة « الهداية » فى فترة صدورها ، وسوف نركز هنا على الجوانب الرئيسية التى عنيت بها المجلة .

أولا : القرآن الكريم واللغة العربية :

اهتمت الهداية بتفسير بعض آيات من القرآن الكريم ، وقد ذكر الشيخ عبد العزيز جاويش أنه قد عزم على تفسير ما استعجم على كثير من المفسرين ، معتمدا فى ذلك على ما يفيده القرآن نفسه أو ما تفسره السنة الصحيحة ، وسيأخذ من كلام جلة العلماء ما يزيد الكتاب الكريم إيضاحًا وبيانا ، مجتنبا فيه كل ما يربك الأذهان ويبعد آيات الله عن الأفهام، وقلما يتكلم فيما له علاقة بقواعد اللغة العربية ومسائلها، فإن كتاب الله أظهر من أن يتوقف فهمه على المماحكات اللفظية والتصاريف الإعرابية (٥) .

وقد بدأ الشيخ جاويش بتفسير سورة البقرة ، وهذا التفسير اعتمد فيه على مقدرته اللغوية والثقافية واجتهاداته وربطها بقضايا المجتمع والناس، ومنذ العدد الثالث نشرت الهداية تفسير جزء تبارك أعده الشيخ عبد القادر المغربى.

ويذكر الدكتور محمد حسين أن الشيخ جاويش تابع أستاذه الشيخ محمد عبده فى منهجه فى تفسير القرآن الكريم فى مجلته « الهداية » التى صدرت عام ١٩١٠م، وأخذ يفسر فيها القرآن على أسلوب شيخه فى تقريب الإسلام من قيم العصر وثقافته التى هى فى الحقيقة مستمدة من قيم الغرب وثقافته (٦) .

وكان منهج الشيخ محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم يسير على ربط التفسير بالظروف القائمة ، مستخدما فى ذلك شواهد من التاريخ والأدب والاجتماع

---

(١) تشارلز آدمز ، الإسلام والتجديد مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) د. محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط٣ ، مرجع سابق، جـ١ ، ص ٣٣٦.

(٣) الهداية ، مايو ١٩١٠م ، يونيه ١٩١٠م.

(٤) الهداية ، رمضان وشوال ١٣٢٨هـ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩١٠م.

(٥) الهداية ، عدد ١ ، محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م.

(٦) د. محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ط٣ ، مرجع سابق ، جـ١ ،ص ٣٣٦.

والسياسة[1].

ولم تقتصر «الهداية» على الجانب التفسيرى للقرآن الكريم فحسب بل دافعت عن القرآن الكريم ضد هجمات المستشرقين . فعندما ألف المسيو سالمون ريناش كتابا فى تاريخ الأديان حمل فيه على القرآن حملة منكرة وجرده من كل مزية فيه حتى مزية الفصاحة والبلاغة ، وقد قام بالرد عليه المستشرق الدكتور موريس من كبار المستشرقين الفرنسيين الذين حذقوا اللغة العربية ووقفوا على آدابها .

وتعلق الهداية على ذلك قائلة : « كفانا الدكتور موريس مؤنة الرد على ريناش ، وأثنت فى هذا التعليق على المستشرق الدكتور موريس الذى تولى الرد على ريناش ، ثم تدافع عن بلاغة القرآن قائلة : « إن القرآن فى أعلى رتب البلاغة ، وكل آياته بليغة ولم يجئ النبى بالقرآن من عند نفسه ، ولم ينزل القرآن ليكون مجموع مسائل فنية أو كتاب علم لتدريس الحقائق الطبيعية ، ولم يأت القرآن بما ينافى الحقائق العلمية » [2] .

وقد تصدت الهداية لمجلة « بشائر السلام » التى أصدرها المبشرون فى مصر ، وخاضت فى أمر النسخ فى القرآن الكريم .

فقد ادعى الكاتب النصرانى ميخائيل منصور ـ فى المجلة السابقة الذكر ـ أن:

أولا : النَّسْخ عند المسلمين يكون فى وقت واحد على لسان نبى واحد ، وهذا ينافى قول المسلمين : إن النسخ للمصلحة الإنسانية ؛ إذ لا يعقل أن تتغير المصلحة الإنسانية فى يوم أو يومين مثلا، بخلاف ما عندنا فى الكتاب المقدس .

ثانيا : أن النسخ عند المسلمين ليس للتكميل وإصلاح المعوج ، بخلاف ما يسميه البعض عندنا بالنسخ .

ثالثا : أن كثيرا من النسخ عند المسلمين لم يقع لغرض كالمنسوخ تلاوة لا حكما ، والمنسوخ حكما لا تلاوة ، فعلى المسلم أن يقرأ الكتاب المقدس الخالى من النسخ على تلك الصور البعيدة عن العقل والحكمة .

هكذا قدح الكاتب النصرانى فى القرآن ، وقد انبرى للرد عليه فى « الهداية » محمد قنديل ـ من الأزهر الشريف ـ لتفنيد هذه الادعاءات التى نشرتها مجلة « السلام » التبشيرية قائلا :

١ ـ « إن النسخ حقيقة يكون عندنا نحن المسلمين فى عصر واحد على لسان نبى واحد، ولكنه لا ينافى قولنا : إنه للمصلحة الإنسانية ؛ لأن النبى ﷺ أرسل إلى قوم

---

(١) المرجع السابق ، جـ١ ،ص ٣٤٠ . (٢) الهداية ، عدد ١ ، فبراير ١٩١٠م.

يعبدون الحجارة ، وقوم هذا حالهم يجب أن يعاملوا حسب أحوالهم ، وما يقتضيه تقدمهم شيئا فشيئا .

٢ ـ النسخ عندنا معاشر المسلمين ليس إلا للتكميل وإصلاح المعوج ، لأن المنسوخ أنزل ليعمل به فى زمن محدود ، وحالة مخصوصة لكونه صالحا مهما ، فإذا ما انتهى ذلك الأجل ، وتغيرت تلك الحالة انقلب العمل بتلك الأحكام غير صالح وصار معوجا ، فإذا نسخت تلك الأحكام بأحكام أخرى تتحد مع المصلحة فى الزمان والحالة الثانية كان تكميلا وإصلاحا .

٣ ـ النسخ عندنا معاشر المسلمين لا يقع إلا لغرض من الأغراض الصالحة لسياسة الملك ، سواء كان المنسوخ منسوخ الحكم فقط أو منسوخ التلاوة فقط أو منسوخهما معا»(١).

الهداية واللغة العربية :

دأب الاستعمار وأعوانه من المستشرقين والمبشرين على أن يكيلوا التهم إلى اللغة العربية، ومن هذه التهم : أنها لا تصلح أن تكون لسان حضارة وفن ولا لغة علم واجتماع ، إلى ما ماثل ذلك من التهم .

وقد انبرت «الهداية » لدفع هذه التهم عن اللغة العربية ، وطالبت اللغويين بأن يهبوا لينفضوا غبار ما رميت به لغة القرآن الكريم من التهم الجائرة ، واقترحت «أن يكون لهذه اللغة مؤتمر يتولى تقوية جوانب الضعف فيها ، فإن العاملين لها اليوم هم قوى متجزئة ، وما أحوجنا أن تتحد هذه القوى وينضم شمل أولئك العاملين ، فإن هذا الأمر ليس مما ينهض به الناس فرادى وإنما ينجح إذا عملوا له جماعة ».

وقد حددت مهام هذا المؤتمر فيما يلى :

١ ـ بعث اللغة العربية الجميلة من مرقدها.

٢ ـ تجديد اللغة العربية .

٣ ـ حصر ما استحدث من المسميات العديدة فى كل فن وباب ، ووضع لكل مسمى ما لا يصلح له غيره من الأسماء ، ولكل معنى أصح ما يتأدى به من الأوضاع، راجعا بكل ذلك إلى مراجع اللغة العربية ، وطرائق الوضع على نحو ما بينه العرب.

٤ ـ نشر آداب العرب المطوية فى بطون الأسفار (٢) .

---

(١) الهداية ، عدد ٩ ، ١٠، رمضان وشوال ١٣٢٨هـ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩١٠م.

(٢) الهداية ، عدد ١ ، محرم ١٣٢٦هـ ، يناير ١٩١١م.

وقد أشارت إلى أن هذه الدعوة لمؤتمر اللغة العربية ليست أول دعوة فى هذا الشأن، بل عقد مؤتمر للغة العربية قبل ذلك وكان مؤلفا من السيد توفيق البكرى والأستاذ الإمام والكاتب محمد بك المويلحى والأديب عثمان بك جلال ، وقد انعقد للمرة الأولى فى ١٦ رجب ١٣١٠هـ ثم انعقد بعد ذلك بخمسة عشر يوما وذلك منذ ست عشرة سنة(١) .

ولم تقتصر مهمة « الهداية » فى بعث اللغة العربية وإحيائها فى الدعوة إلى مؤتمر لها، بل كانت تقوم بتفسير بعض المصطلحات اللغوية التى ترد إليها من القراء فى صورة جواب وسؤال ، وخصصت لذلك بابا معينا بعنوان : « أسئلة وأجوبتها فى اللغة »(٢).

وكانت « الهداية » تقوم بتصحيح بعض الأخطاء الشائعة فى اللغة ، وخصصت كاتبا(٣) يتولى ذلك ، ويقوم بتحرير بعض المقالات عن اللغة العربية تحت عنوان: «اللغة والأدب » ويصحح أخطاء بعض الكتاب فى الجمل والمفردات ، ويأتى فى كل عدد بطائفة من العبارات يبين ما فيها من الخطأ ثم يقوم بتصويبها.

وبالإضافة إلى أن فى حفظ اللغة العربية حفظا للقرآن الكريم ، توضح « الهداية » أهمية اللغة العربية فى الوحدة الوطنية ؛ حيث إنها الأساس الذى يقام عليه بنيان تلك الوحدة فى جيش معين ، والصلة الحسنى بين المتكلمين بها فرادى وصورة الحياة الاجتماعية عندهم جميعا ، ولها الأثر البين فى توثيق عرى الألفة بين إنسان وإنسان ، بل هى الحد الفاصل بين أمة وأمة ، وبها تتميز الجنسية فى الأمم ، وفى موضع آخر تقول: «إن ضياع اللغة تسليم للذات وصيانتها صيانة للجنس » (٤) .

مما سبق يتضح أن القرآن الكريم واللغة العربية كانا موضع اهتمام من «الهداية »، وقد شغلا الجزء الأكبر من المواد التحريرية لـ «الهداية » فى كل عدد .

ثانيا : الرد على الافتراءات الموجهة إلى الإسلام :

دأب المستعمر على تشويه تاريخ الإسلام وفكره ، وإلصاق التهم الباطلة به، والتى من شأنها أن تصرف الناس عنه، وتصف أهله بالهمجية ، فقد حاول أن يروج لفكرة انتشار الإسلام بالسيف ، وأنه يميل إلى سفك الدماء. فانبرى للرد على ذلك الشيخ عبد العزيز جاويش فى « الهداية » ، وعرض لهذه الأفكار ، ثم بين وجهة الإسلام فى ذلك قائلا : إن الله لم يشرع القتال للمسلمين إلا بعد أن احتملوا فى دينهم الأذى ، ولاقوا أنواع العذاب والشدة ؛ لذلك أذن الله لهم بالقتال ، مستدلا بقول المولى عز وجل:

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) الهداية، عدد ١ ، محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م.

(٣) هذا الكاتب محمد صادق عنبر .

(٤) الهداية ، عدد ٢ ، محرم ١٣٢٨ هـ ، فبراير ١٩١٠م.

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج] .

فكان أمر الله بالقتال للمسلمين لدفع الظلم الواقع عليهم من قريش وإخراجهم من ديارهم ، وتجريدهم من أموالهم بغير ذنب ولا إثم إلا إيمانهم بدينهم، فالقرآن الكريم لم يشرع الحرب للمسلمين إلا دفاعا عن الدين ، وباستقراء التاريخ من غير ميل ولا حيدة نعرف أن حروب النبى ﷺ وأصحابه لم تكن إلا لهذا الغرض ، ومن يقرأ القرآن الكريم ـ أيضا ـ يتضح له أن الإسلام هو دين السلام لا دين الحرب، وأن المسلمين لم يبدؤوا بقتال أحد[1] ، يؤيد ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾ [البقرة] .

وقد عاب المستعمرون أيضا الدين الإسلامى بأنه أقر الجزية ، وضربها على رؤوس الناس من النصارى ليدخلوا فى الإسلام مرغمين .

وقد ردت « الهداية » هذه الفرية بأن الإسلام لم يفرض الجزية لهذا الغرض ، وإنما فرضها لحماية النصارى والدفاع عنهم ، وحفظ أموالهم وأنفسهم وأعراضهم ودينهم، إذن فليس هناك بأس على المسلمين إذا أخذوا مبلغا قليلا من المال لينفقوه فى مصالح النصارى وليس فى مصالح المسلمين . فالذين ينكرون الجزية على الإسلام لا يفعلون ذلك للحقيقة والتاريخ ، وإنما يفعلون ذلك رغبة فى مقت المسلمين والنيل من دينهم [2] .

وعندما رمى المستعمرون المسلمين بالتعصب والتشبع بروح الاستبداد واضطهاد النصارى ، أبطلت « الهداية » هذه الفرية بأن كل الحوادث التى تجرى فى بلاد المسلمين تناقض ذلك ، وتؤيد روح التسامح التى اتسم بها المسلم فى كل مكان «فالمسيحى والإسرائيلى يعيشان إلى جانب المسلم كصديقين بل كأخوين ، متمتعين بكافة حقوقهما ، لا يصيب أحدهما من الضرر إلا ما كان قد جلبه لنفسه من مخالفته حقوق الاجتماع وقوانين العدل والإنصاف، ، بينما ترى المسلم يسام الخسف والهوان فى البلدان التى تكون حكومتها مسيحية» [3] .

وتضرب لذلك مثلا مما جاء فى مجلة « العالم الإسلامى » الفرنسية من القبض على أحمد روجى ـ رئيس تحرير جريدة البلقان ـ الذى قبض عليه وهو فى بيته بطريقة

(١ ، ٢) الهداية ، عدد ٣ ، ربيع الأول ١٣٢٩هـ ، مارس ١٩١١م.

(٣) الهداية ، عدد ٤ ، ربيع الثانى ١٣٢٨هـ.

وحشية، وأودع سجن فيلوبولى لأنه دافع عن حقوق المسلمين فى بلغاريا ، وهذا أيضا مصير كل من يحاول المدافعة عن حقوق المسلمين فى البلاد البلغارية (١) .

ثالثا : الإصلاح الاجتماعى والخلقى :

حاولت « الهداية » أن تصحح بعض المفاهيم الخاطئة التى آمن بها الناس نتيجة للجهل الذى سيطر على عقولهم .

فقد اعتقدوا فى الأولياء ، وألصقوا بهم من المعجزات التى هى من خواص الأنبياء، فمثلا ، اعتقد بعض الناس أن السيد البدوى يُحيى الموتى ويُخلص الأسرى، وأن السيد المتولى يفرج عن الحزين ويفك عن المدين إلى غير ذلك من الأشياء (٢) .

وقد أشارت إلى العادات الاجتماعية السيئة التى فشت فى المجتمع ، مثل : عادة الزار، والندب والنواح على الميت فى صورة غير إسلامية، ولبس السواد ، ولطم الخدود، وشد المناديل على الأعناق، وتمزيق الثياب ، وغير ذلك من العادات التى لا تتفق وشرع الله ـ سبحانه وتعالى .

كما حاربت العادات الاجتماعية الوافدة ، مثل : تضييق الثياب الذى يظهر مفاتن الجسم، ويخرج بالإنسان عن حدود الأدب والحياء والذوق والدين، وحملت أيضا على الشباب الولع بتقليد الأوربيين فى ملابسهم وعاداتهم (٣) .

وقد بحثت «الهداية» الأمور التى أدت إلى التنابز والتباغض الذى سرى فى جسد الأمة ، وقطع ما وصل الله بين الأسرة الواحدة من الرحم والأواصر ، وأرجعت ذلك إلى أسباب عديدة ، كان أبرزها ما يلى :

١ ـ عدم تحقق الشرائط التى يتوقف على مراعاتها حسن العشرة بين المتزاوجين.

٢ ـ الجهل الذى لا يعرف معه أهل البيت الواحد حدود واجباتهم، وما يناسب كل فرد من أفراد الأسرة من التكاليف والحاجات.

٣ ـ تزوج الشيخ اليائس من الشابة الصغيرة .

٤ ـ خلو تعدد الزوجات من تحقق شرائطه الشرعية .

٥ ـ تزوج المسلم بالكتابيات من الأجانب (٤) .

هكذا نلاحظ أن « الهداية » كانت تشخص الداء وتصف الدواء لأمراض المجتمع

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢، ٣) الهداية ، عدد ١ ، محرم ١٣٢٩هـ ، يناير ١٩١١م.

(٤) الهداية ، عدد ١ ، محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م.

وعلله، محاولة أن تقف بالمجتمع فى الطريق الصحيح الذى شرعه الله بعيدا عما ألصقه الناس بالدين من الخرافات والأباطيل.

رابعا : « الهداية » والمرأة :

اشتد النزاع فى ذلك الوقت بين أنصار الحجاب وبين الداعين إلى السفور ، وقد وقفت « الهداية » مع الفريق الأول ، فنشرت مقالا للسيدة للا قاسم الشماخية ، ثارت فيه على الداعين إلى السفور ، وحملت عليهم واتهمتهم بأنهم حكموا بهواهم أن تأخر الأمة هو الحجاب ، وأثبتوا بأدلتهم التى هى أوهَى من نسيج العنكبوت أن الحجاب عادة لا شرع، وعلى فرض أنه من المشروعات السماوية فيلزم الرجوع عنه؛ لأنه لا يلائم مدنية أوربا الحديثة التى نسعى إليها سعيا حثيثا !! (١) .

وقد تعجبت من المسلمين الذين استهوتهم المدنية الغربية حتى حجبت أبصارهم عن إدراك مرامى الإسلام وشرع الله فى إسعاده البشر . فقد ثبت فى إحصائية إحدى دول أوربا المولعين بمدنيتها أن ٥٠ ٪ من نسائها ملوثات نتيجة للاختلاط بين الجنسين فى مدارس التعليم وغيرها ، فالحجاب فرضه الله حفظا للأنساب وصونا للكرامة (٢).

ولذلك فهى توجه هذا النداء إلى نساء المسلمين قائلة : « إنى أنصح لبنات جنسى ألا ينخدعن بترهات هؤلاء الكتاب المتفرنجين ؛ لأنهم لا يريدون إلا الفجور وتعميم الشرور، ليخلدوا لأنفسهم اسم أنصار المرأة وما هم إلا أعداؤها».

وقد حذرت «الهداية » أن تخرج المرأة إلى العمل كما هو حادث فى أوربا ، حيث إن هناك فرقا بين حالة المرأة فى أوربا وحالة المرأة فى الإسلام من ناحية القوانين التى تحكم إرادتها.

فإذا كانت المرأة الأوربية قد خرجت إلى العمل بقوانين بلادها الوضعية ، واقتضاها ذلك الخروج أن تخالط الرجال فى العمل، فإن المرأة فى الإسلام على العكس من ذلك ، فقد ضمنت لها أحكام دينها نفقاتها وأسباب حياتها ولم تخرج إلا للضرورة (٣) .

كما هاجمت المجلة تعليم المرأة المصرية على الطريقة الأوربية ، ذاك التعليم الخالى من كل مادة دينية يتولد منها الوازع الدينى، فالمرأة المسلمة لا يستقيم حالها بتعلم علوم الجغرافيا ، والتاريخ ، والعلوم الرياضية ، واللغة الإنجليزية، ولكن الواجبات المنوطة بها تنحصر فى النقط الآتية :

(١، ٢) الهداية ، عدد ٩ ، ١٠ ، رمضان وشوال ١٣٢٨هـ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩١٠م.

(٣) الهداية ، عدد ١ ، محرم ١٣٢٨هـ ، فبراير ١٩١٠م.

١ ـ تدبير نفسها .

٢ ـ تدبير منزلها.

٣ ـ تدبير أمر ولدها.

لذلك فقد رأت « الهداية » أنه ينبغى أن تتعلم العلوم المتصلة بذلك ، فيجب عليها أن تتعلم القواعد الصحية والمبادئ البسيطة لوظائف الأعضاء، والقوانين المتعلقة بإطعام الطفل وتعليله وحسن تنشئته ، وتهذيب نفسه وتجمل آدابه ، كما يجب على المرأة أن تتعلم طرق إسعاف بعض الأمراض والعلل الكثيرة الوقوع ، ثم تتعلم أيضا من تدبير المنزل دروس الطباخة والحياكة والنسج والكى والطى والنشر ونحوها من كل ما يلزم المنزل[1] .

وقد ألقى الشيخ عبد العزيز جاويش خُطبة فى دار التمثيل العربى، قدم فيها اقتراحاته فى إصلاح شأن المرأة، ونشرتها «الهداية ».

وكان من أهم هذه المقترحات ما يلى :

١ ـ أن تؤسس للمرأة مدارس فى عواصم الحواضر المصرية كالقاهرة والإسكندرية ونحوها، لا تخرج مواد دراستها عما سبق تحديده.

٢ ـ أن يتعاهد الرجال على عدم ترك منازلهم إلا فى أوقات أشغالهم ، فإذا أرادوا التنزه فعليهم بمصاحبة أزواجهن ومحارمهن محتشمات منتقبات.

٣ ـ أن تُخطَب المرأة لدينها وكمال آدابها قبل كل شىء .

٤ ـ أن يقضى الرجل مصالح المرأة فلا يَدعها تذهب إلى الحوانيت إلا إذا كان هو معها.

٥ ـ أن يكلف رجال الشرطة بتنفيذ القوانين التى يجب عليهم تنفيذها فى كل ما له علاقة بالآداب العمومية .

٦ ـ أن يُعجِّل الشباب بالزواج ، فإنه أعف لنفوسهم ، وليحذروا المتبرجات فإنهن أخوات الشياطين .

٧ ـ لابد أن يصطلح على أزياء مخصوصة وأشكال تمتاز بها الحرائر عن العاهرات الفواجر [2] .

كان هذا هو موقف « الهداية » المعارض للسفور ، ولكنها فى عامها الثانى قد أتاحت

---

(١) الهداية ، عدد ٩ ، ١٠، السنة الأولى رمضان وشوال ١٣٢٨هـ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩١٠م.

(٢) الهداية . عدد ١ ، محرم ١٣٢٨ هـ ، فبراير ١٩١٠م.

الفرصة لطه حسين أن يكتب مقالة دعى فيها إلى السفور وعارض الحجاب والنقاب للمرأة، حيث قال : « لم يأخذها الإسلام بحجاب ولا نقاب ، ولئن سألت الذين ينتحلون ذلك على الإسلام من أى آية فى كتاب الله أو أى حديث فى سنة نبيكم أخذتم الحجاب والنقاب لنالهم الإعياء والقصور » ، كما أنه دعى إلى أن تخرج المرأة وتتمتع بلذات الحياة كالرجل سواء بسواء » (1) .

وقد عقبت « الهداية » على هذه المقالة معارضة لهذه الدعوة ؛ لأن المرأة «إذا أبيح لها التسكع فى الطرقات ، وغشيان المجالس ، سهل عليها أن تتذرع لذلك إلى الخلوة بالأجنبى التى قد تفضى إلى اضمحلال إرادتها واحتكام هواها، فإذا كان هناك من يمنع المرأة من الخروج حاسرة الوجه فما ذلك إلا لأن الخروج على هذا الشكل مجلبة لتمكن أهل الغواية والفساد من بلوغ مأربهم » (2) .

كما أنها أفسحت صفحاتها للكتاب الذين ردوا على طه حسين ، وكان من هؤلاء الشيخ عبد المجيد اللبان ـ أحد علماء الأزهر بمشيخة الإسكندرية ـ فقد عارض طه حسين فى مبدأ نزع الحجاب بالأدلة الشرعية والعقلية (3) .

وهكذا نستطيع أن نقول : إن « الهداية » وقفت فى الخط المهاجم للسفور وتقليد الأوربيين فى عادتهم وتقاليدهم .

(1 ، 2) الهداية ، محرم ١٣٢٩هـ ، يناير ١٩١١م.
(3) الهداية ، صفر ١٣٢٩ هـ ، فبراير ١٩١١م.

ثانيا : الصحافة العامة ذات الاتجاه الإسلامى

بعد أن فرغنا من التأريخ لصحف الاتجاه الإسلامى المتخصصة ، نعرج إلى التأريخ للصحف العامة ذات الاتجاه الإسلامى فى فترة البحث مرتبة حسب تاريخ الصدور .

١ ـ المؤيــد

خلت البلاد من الصحافة الوطنية بل والإسلامية أيضا منذ أن أصيبت بكارثة الاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م، فى حين أن الاستعمار البريطانى، وأصحاب المصالح فى مصر كانا لهما صحفهما .

فكانت «المقطم» تنطق باسم الاحتلال البريطانى ، و«الأهرام» باسم أصحاب المصالح الفرنسية ، وكان محررو هاتين الصحيفتين ليسوا بمصريين ولا مسلمين (١) .

لذا فكر الوطنيون فى إنشاء صحيفة وطنية تواجه «المقطم» ، وتسفه آراءها ، وتحارب الاحتلال البريطانى (٢) ، حيث كانت الصحف على اختلاف أنواعها من جرائد ومجلات هى وسيلة الإعلام الأولى ذات التأثير فى القرن التاسع عشر (٣) ، فاجتمع لطيف باشا سليم الحجازى وحسن باشا عاصم وإبراهيم الهلباوى وغيرهم ، واستقر رأيهم على أن يتولى لطيف باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة وطنية على رياض باشا تحارب الاحتلال البريطانى ، وتظهر أخطاءه وتبين مساوئه .

فصدرت «المؤيد» فى أول ديسمبر ١٨٨٩م بموافقته ـ رئيس الحكومة رياض باشا ـ وكان صاحبها الشيخ على يوسف ، الذى اشتهر فى ذلك الوقت ، حيث إنه كان صاحب مجلة أدبية تسمى «الآداب» ومن تلامذة جمال الدين الأفغانى المؤمنين بمبادئه وأفكاره واتجاهاته (٤) .

وكانت «المؤيد» أول صحيفة وطنية ذات اتجاه إسلامى يرتفع صوتها بعد الاحتلال بالمطالبة بجلاء هذا الاحتلال ومواجهة عملائه ، فقد صدرت ـ كما ذكرت سابقا ـ لتواجه

---

(١) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر من ١٨٨٢ ـ ١٩١٤م ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص١٤٤ .

(٢) د إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية، القاهرة : سجل العرب ١٩٨٢م ، ط٤ ، ص١٥٣ .

(٣) د . محمد سيد محمد : الإعلام والتنمية ، القاهرة : مكتبة كمال الدين ، ١٩٧٨ ، ط٣ ، ص٦٠ .

(٤) د . إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

المقطم ذات الصبغة الاحتلالية (١) .

وقد استقبل المصريون هذه الجريدة استقبالا حماسيا ، فزاد توزيعها بعد فترة قليلة من صدورها ، لم تحظ به أى صحيفة عربية أخرى فى ذلك الحين (٢) .

وأصبحت موئلا للأقلام الوطنية الشابة فى البيئة المصرية التى كانت تلفظ الاستعمار، وقد ذاع صيتها وانتشر اسمها لما كانت تنشره من بحوث عن الاستعمار النمساوى فى السودان ، ومن مقالات ضد الاستعمار فى أى مكان ، والحملة على الأجانب ، وإظهار الظلم الواقع منهم على المسلمين ، كما عالجت الموضوعات المصرية والإسلامية وخصصت لها المقالات الطويلة التى كانت تملأ الصفحة الأولى فى بعض الأحيان (٣).

وقد وجدت دار الوكالة البريطانية أن ساعد هذه الصحيفة الوطنية الجديدة قد اشتد ، وأنها تقرأ فى بلاد الشرق جميعا ، فأمرت بمنعها من دخول السودان وحاربتها بشتى الأساليب ، فكانت تصادرها هنا وهناك دون علم منها فلا تصل إلى مشتركيها (٤) .

وكان يكتب فى «المؤيد» كبار الكتاب الوطنيين والإسلاميين ، والقادة السياسيين والمفكرين من أمثال : الشيخ محمد عبده ، وأحمد تيمور ، وأمين باشا ، وسعد زغلول، وقاسم أمين ، وعبد الرحمن الكواكبى ـ الذى نشرت له «المؤيد» فصول من كتابه : «طبائع الاستبداد » قبل صدوره فى شكل كتاب ـ والأستاذ كرد على ، والشيخ عبد الحميد الزهراوى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وغيرهم (٥) .

وبعد عام وعشرة شهور من صدور «المؤيد» دب خلاف بين الشيخ على يوسف ـ صاحب امتياز الجريدة ـ وبين الشيخ على ماضى مدير الصحيفة ـ الأمر الذى عمل على احتجابها من ٣٠ سبتمبر إلى ٢نوفمبر ١٨٩١م ، ولولا تدخل سعد زغلول ومساعدته المادية للشيخ على يوسف لاحتجبت الصحيفة إلى الأبد (٦) .

ثم انتظمت «المؤيد» بعد ذلك فى الصدور وخاصة بعد عام ١٨٩٣م؛ حيث أبطل العمل بقانون المطبوعات الذى أنشئ للتضييق على «المؤيد» فى عهد رياض باشا الذى منحها قدر أكبر من الحرية ، وقد أقبل الجماهير على «المؤيد» وزاد انتشارها أضعاف ما

---

(١) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٥٩ .
(٢) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٤٤ .
(٣) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق، ص١٥٣ ، ١٥٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .
(٥) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٥٤ .
(٦) السيد محمد حسين : الفن الصحفى عند الشيخ على يوسف ،رسالة دكتوراه ،كلية اللغة العربية ، ص١٥٤ .

كانت عليه بعد قضية التلغرافات المشهورة فى تاريخ الصحافة المصرية (١) .

أهداف «المؤيد» فى بداية صدورها :

حدد الشيخ على يوسف فى افتتاحية العدد الأول من «المؤيد» أهدافها ، نجملها فيما يلى :

١ ـ خدمة الوطن ؛ لأنه ـ على حد قول الشيخ على يوسف ـ من أوجب الواجبات وألزم الفرائض .

٢ ـ النصح والإرشاد للحكام والمحكومين .

٣ ـ الحث على التعاون والمشاركة بين أفراد المجتمع .

٤ ـ بث الأفكار ونشر الأخبار المفيدة الصادقة التى فيها صلاح شأن الأفراد وقوام معيشتهم ، والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتعذير ، أو الترويح والتبشير ، وكل ما يهم الوطن معرفته .

٥ ـ الاهتام بشأن التجارة والأخذ والعطاء وحركات الأسواق وهبوطها وصعودها ، والنظر فى أسباب الارتفاع والانحطاط .

٦ ـ البحث عن الحقيقة النافعة والتماسها أينما تكون (٢) .

أبرز محررى «المؤيد» :

تولى رئاسة «المؤيد» فى فترة صدورها على التوالى الشيخ على يوسف، وسيد كامل، وحافظ عوض ، ومحمد بك أبو شادى ،وحامد إبراهيم .

وقد كتب فى «المؤيد» كوكبة من مفكرى مصر ورجالها الوطنيين وعلمائها المجيدين ، فقد كتب فيها الشيخ محمد عبده المقالات الدينية والإصلاحية، وأحمد تيمور المقالات الأدبية، وأمين باشا المقالات السياسية ، وسعد زغلول وفتحى زغلول المقالات السياسية والإصلاحية ، وقاسم أمين المقالات الاجتماعية والتربوية ، وعبد الرحمن الكواكبى المقالات السياسية ، ومصطفى لطفى المنفلوطى المقالات الأدبية والدينية والإصلاحية ، والأستاذ كرد علىّ المقالات السياسية والإصلاحية ، والشيخ عبد الحميد الزهراوى المقالات الدينية والإصلاحية ، وعبد العزيز نظمى المقالات السياسية ، والدكتور حسين همت المقالات السياسية ، ومحمد عثمان المقالات التاريخية ، ومحمد البشير ظاهر الأزهرى المقالات الدينية والإصلاحية ، وأحمد عبد المتعال المقالات الدينية ، ومصطفى توفيق المقالات الإصلاحية ، وأحمد بدوى المقالات الدينية ، وخليل رينيه المقالات

---

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) المؤيد ، عدد ١ ، أول ديسمبر ١٨٨٩م .

السياسية ، وكان يرسلها إلى المؤيد من باريس ، وفرج الله المقالات السياسية ، وعباس طه المقالات الدينية ، وأحمد عبد الرحمن المقالات السياسية ، وعبد الفتاح بركة المقالات الإصلاحية ، وسليم قبعين الذى كان يترجم مقالات من الجرائد الروسية ، ومقبل بن محمد الحسينى الهندى الذى كان يراسل «المؤيد» من الهند ، ومحمد وجيه راشد المقالات الإصلاحية والنقدية ، والدكتور محمد توفيق صدقى المقالات الدينية والاجتماعية ، وعبد القادر المغربى المقالات الإصلاحية والدينية ، ومحمد العربى المقالات الإصلاحية ، ومحمد مسعود المقالات الدينية ، وحسن السندوبى المقالات الدينية ، وحسن القلينى المقالات الدينية الذى كان يكتبها للجريدة من دسوق كفر الشيخ ، وعبد الحميد شكرى المقالات الدينية ، وأحمد شوقى ـ الشاعر ـ القصائد الشعرية فى مدح الرسول ﷺ، والقصائد الشعرية فى مدح الخديو وأسفاره ، ومسعود فراج مسعود المقالات الدينية ، والذى كان يرسلها من السودان ، وحسن البنا ـ رئيس محكمة الإسكندرية الشرعية ـ المقالات الدينية والإصلاحية ، والشيخ محب الدين الخطيب ، وأحمد أمين المقالات الإصلاحية، والشيخ محمد شاكر ـ وكيل الجامع الأزهر ـ المقالات الدينية .

وكان للمؤيد مكاتبون من جميع المحافظات والأقاليم ، فضلا عن مكاتبيها فى بعض الدول ، وقد ذكر منهم الدكتور عبد اللطيف حمزة ، والدكتور على بك زكى مبارك فى باريس ، والمسيو أميجو فى لندن ، والأستاذ توحيد السلحدار فى برلين ، والأستاذ زكى بك مغامز فى الأستانة .

وكان لها أيضا مكاتبون فى كل من مراكش وتونس والجزائر ، وكان هؤلاء يخافون على أنفسهم من بطش الحكومة الفرنسية فلم يعلنوا عن أسمائهم ، كما كان لها مكاتبون فى كل من الهند وأفغانستان وإيران واليمن والحجاز والشام وفلسطين والبوسنة (١) .

اهتمامات الجريدة فى فترة الصدور :

صدرت «المؤيد» فى فترة من أحلك فترات النضال الوطنى ضد الاستعمار وعملائه من اللبنانيين الموارنة الذين أصدروا «المقطم» (٢) جريدة تدافع عن الاحتلال ، وتصوره على أنه حقيقة واقعة ، فكان المصريون فى حاجة إلى جريدة ترد سهام الاحتلال وتكشف زيفه.

وقد نهضت « المؤيد » بكل ذلك فى تلك الفترة قبل أن ينضم إليها « لواء » مصطفى كامل ، ولم تكن صحيفة تحمل عبء الكفاح الوطنى فحسب ، بل كانت فوق ذلك

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ،ط٢ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ص٩٩ .
(٢) فارس نمر ، يعقوب صروف ، شاهين مكاريوس.

مدرسة مفتوحة الأبواب ، تعلم المصريين أجمل أساليب لغتهم ، ومعهدا يروى لهم تاريخهم ، ويبصرهم بشؤون السياسة الداخلية والخارجية ، ويلقنهم أصول الاقتصاد العام ومبادئ السياسة الأساسية ، ويصل المصريين بكل العالم الإسلامى » (١) .

وكانت « المؤيد » من أولى الصحف المصرية التى صدرت بعد الاحتلال ، وطالبت بجلاء الإنجليز عن مصر ، وسجلت على الحكومة البريطانية وعُودها بالجلاء عن مصر ، ودحضت أعذار الإنجليز فى البقاء فى البلاد ، تارة بحجة الدفاع عن العرش وتارة أخرى بحجة إصلاح البلاد من جميع نواحيها الاقتصادية والثقافية والحضارية (٢) .

وقد دارت بين « المؤيد » وجريدة الاحتلال « المقطم » معارك صحفية متعددة حول هذه الأمور السابقة (٣) .

وقد سارت « المؤيد » على خطة مؤيدة للخديو عباس حلمى الثانى ، وكان الاتجاه الواضح لها أنها جريدة القصر ، لذلك انعكس هذا على موقفها من الحركة الوطنية ، فقد ساندتها ووقفت بجوارها عندما كان يحتضنها الخديو ، فلما انفصل عنها بعد رحيل كرومر عن مصر ومجىء الدون غورست المعتمد البريطانى الذى أعلن سياسة الوفاق بينه وبين الخديو ، تخلت «المؤيد » عن مساندتها للحركة الوطنية (٤) .

ومما يؤكد تبعية « المؤيد » للخديو ما ذكره فى مذكراته التى نشرتها جريدة المصرى فى ١٣ مايو ١٩٥١م : « كنت أريد أن تكون لى صحيفة قادرة على أن تثير الشعب وتقوده شيئا فشيئا إلى إدراك أكثر وضوحا للوطنية وواجبات الوطنية ، فدعوت كاتبا من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه ، وهو الشيخ على يوسف ، وكان قد تردد على مدرسة المعلمين ، وكان خارجا من الجامعة الأزهرية ، وقد لفت الأنظار إليه إن لم يكن باتساع أفقه الفكرى فبحماسته فى المناقشة وبموهبة مجادل حقيقية وبقدرته المشهورة فى هضم المسائل ، وخاصة إذا ذكرنا أنه لم يتكلم غير العربية ، ولم يدرس إلا فى المساجد . وكان الشيخ على يوسف ، وهو من أهل الصعيد ، يعرف عقلية مواطنيه ومطامعهم، وكان رغم أنه تربى فى بيئة دينية يعرف كيف يفرق بين واجبات الفرد نحو بلاده ، والاحترام الواجب للدين ، وكانت سياسته تستند أحيانا على نفوذ الخليفة العثمانى، ولكنها لم تكن على الخصوص تركية» (٥) .

---

(١) مجلة الدوحة القطرية ، عدد ٨٥ ، ربيع الأول ١٤٠١هـ ، يناير ١٩٨٣م.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر جـ١، ط١ ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣، ٤) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

(٥) مجلة الدوحة القطرية ، عدد ٨٥ ربيع الأول ١٤٠٣، يناير ١٩٨٣م.

ورغم ذلك فلم تغفل « المؤيد » الجانب الإسلامى ومعالجة القضايا الإسلامية ، فقد كانت ذات خطة إسلامية تدافع عن حقوق المسلمين فى كل مكان، ويؤيد ذلك ما قاله رشيد رضا فى « المنار » : « إن « المؤيد » جعل مشربه الإسلامى المصرى فوق جرائد القطر كله »:

وقد أعطت اهتماما خاصا بأخبار الدولة العثمانية ، وفتحت صفحاتها لكتابات العديد من رجالها ، الأمر الذى جعلها تتجاوز حدود مصر ، وتنشر فى الشام والحجاز واليمن وغيرها من بلدان العالم الإسلامى (١) .

ونستطيع أن نجمل اهتمامات « المؤيد » بوجه عام فيما يلى :

١ ـ الدفاع عن الدين الإسلامى الذى كان غرضا للإنجليز ، فقد رموه بكل التهم الباطلة وأسرفوا فى التشنيع عليه ، وزعموا أنه السبب فى تأخر المسلمين عن ركب الحضارة الحديثة .

٢ ـ الدفاع عن الكفاءة المصرية ، وبيان قدرتها التامة على تولى الحكم .

٣ ـ الاشتداد فى نقد الأجانب الموجودين فى شتى النظارات الحكومية ، ووصفهم بالجهل المطبق بعادات البلاد وتقاليدها ، وبأنهم بذلك لا يصلحون للاشتراك فى حكمها بصورة من الصور .

٤ ـ الحملة ضد الاحتلال البريطانى فى شىء من الهدوء حتى لا يضطر الاحتلال إلى تعطيل الصحيفة ، وحتى تؤثر حملاتها فى خطط الاحتلال نفسه.

٥ ـ الدفاع عن الخديو عباس حلمى الثانى، لأنه كان هدف الاحتلال البريطانى الذى أراد أن يحطمه ويحطم به الحركة الوطنية التى ساندها فى ذلك الحين (٢) .

٦ ـ الدعوى إلى الشورى وتأليف مجالس نيابية شبيهة بالمجالس الأوربية (٣) .

وقد توقفت المؤيد عن الصدور نهائيا فى ديسمبر ١٩١٥ م بسبب إعلان الحماية البريطانية على مصر ، وفرض الرقابة على الصحف المصرية (٤) .

٢ ـ جريدة « اللواء »

فكرة الصدور :

كانت « المؤيد » لسان الحركة الوطنية ودعاتها فى العقد الأخير من القرن التاسع

---

(١) أديب مروة : الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٤٦.

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق، ص ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ ، ود . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٤٥.

(٤) محمد السيد حسين : الفن الصحفى عند الشيخ على يوسف ، مرجع سابق ، ص ٢٦١.

عشر، وكان مصطفى كامل يعبر عن آرائه فيها من خلال مقالات تنشرها له .

وفى ذلك الوقت كان الشيخ على يوسف يسير فى ركاب الخديو ، وحينما يشعر بفتور العلاقة بين مصطفى كامل والخديو يحجز مقالات مصطفى كامل، فلا يسمح بنشرها فى «المؤيد » مما أدى إلى ضعف العلاقة بين مصطفى كامل والشيخ على يوسف . وربما كان الشيخ على يوسف يحسد فى مصطفى براعته وشهرته (١) .

ويؤيد ذلك ما رواه محمد فريد فى مذكراته فهو يقول : « سار الشيخ على يوسف وطنيا وكلنا كنا معه ، ثم لما أثرى قليلا ، وظهر اسمه أخذ يزاحم مصطفى كامل عند الخديو ويعاكسه بعدم نشر مقالاته التى كان يرسلها من أوربا . . . فقررنا إنشاء جريدة وطنية لنخلص من معاكسات الشيخ على يوسف » (٢) .

وينكر الشيخ على يوسف أن ثمة فتورا بين الخديو ومصطفى كامل ، وأن الحقيقة وراء إصدار اللواء تكمن فيما يلى :

١ ـ فتور العلاقة بين مصطفى كامل والشيخ على يوسف نفسه بسبب تعرض الأول لشؤون « المؤيد » الخصوصية مما يخالف حقوق الصداقة .

٢ ـ طموح مصطفى كامل ورغبته فى أن تكون له جريدته الخاصة فلا يقيده قيد فى إبداء رأيه فيها (٣) .

ويضيف الدكتور إبراهيم عبده سببا ثالثا وهو : عدم عناية « المؤيد » بالمسائل العليا التى تتصل بحياة مصر ، فقد حدثت اتفاقية السودان المعروفة فى عام ١٨٩٩م ، ولم تنشر المؤيد شيئا عنها إلا بعد اعتمادها من الطرفين المصرى والإنجليزى ، « فلم يرتح الوطنيون للفتور الذى خيم على جهاد « المؤيد » واللين الذى تخلل سطوره فى معارضة الإنجليز ، والتقاعس الذى بدا من صاحبه فى تأييد الوطنية ، فأعد مصطفى كامل العدة لإنشاء «اللواء » (٤) .

ونستطيع أن نجمل الأسباب التى أدت إلى صدور « اللواء» فيما يلى :

١ ـ كان إصدار « اللواء » تعبيرا على رفض اليأس الذى غرقت فيه البلاد بعد توقيع اتفاقية السودان ، التى أظهرت ضعف الخديو والحكومة أمام الاحتلال .

---

(١) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق، ص٢٦٣ ، ٢٦٤.

(٢) مذكرات محمد فريد ، المنشورة فى كتاب محمد صبيح : كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، ط٢، القاهرة : ١٩٦٦م، ص٣٧٨.

(٣) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ ، ٢٦٤.

(٤) د. إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٩.

٢ ـ فتور العلاقة بين مصطفى كامل والشيخ على يوسف بسبب تدخل مصطفى كامل فى أعمال الشيخ الخاصة .

٣ ـ طموح مصطفى كامل ورغبته فى أن تكون له جريدته الخاصة ، فلا يقيده قيد فى إبداء رأيه فيها .

٤ ـ فتور حماسة « المؤيد » تجاه قضايا البلاد الوطنية .

صدور « اللواء » وتسمية الجريدة :

وقد صدرت « اللواء » فى ٢ يناير ١٩٠٠م أول رمضان ١٣١٧هـ ، وذاع صيتها منذ العدد الأول ، حيث إنه كان لمصطفى كامل ومؤيديه شهرتهم فانسحب ذلك على «اللواء»، فكانت منذ بدء صدورها أكثر الصحف انتشارا ، وقد استمر ذلك حتى أن الناس قد امتنعوا عن شراء الصحف فى يوم كانت « اللواء » تأخرت عن الصدور [(١)] .

ويتحدث مصطفى كامل عن السبب فى تسمية الجريدة باللواء ، حيث يخفق عند هذا الاسم كل قلب ، وتجتمع حوله أصدق الآمال [(٢)].

وكانت « اللواء » شعلة ملتهبة من الوطنية الخالصة ، حيث عرضت كتابات مصطفى كامل الحماسية ضد الأجنبى ، بالإضافة أنه قد التف حولها شباب مصر وشيوخها ، وأنشأت أول حزب سياسى فى مصر وهو الحزب الوطنى ، وأنشأت للغرض نفسه صحيفتين ؛ إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالإنجليزية ، ولكنهما لم يعمرا طويلا[(٣)].

وهى بذلك تعتبر مفترقا فى صحافة مصر الوطنية ، فقد حملت لواء الجهاد فى وجه الاستعمار ، مؤمنة برسالتها الصحفية الوطنية إيمان الواثق المؤمن بحقه فى الوجود.

وكانت مثلا يحتذى فى صحافة مصر الوطنية فى ذلك الوقت من حيث المضمون والتحرير والإدارة ، وهى ثانى صحيفة بعد « المؤيد » تستخدم الآلة الكهربائية فى طبعها[(٤)].

أهداف اللواء فى بداية صدورها :

قدمت « اللواء » أهدافها فى أول عدد لها وهى : « خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها . . والحكم على الأشياء حكما صحيحا ، والسعى وراء الاتحاد، والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى، والسعى لتربية أبناء

---

(١) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤.

(٢) اللواء ، عدد ١ ، غرة رمضان ١٣١٧هـ ، ٢ يناير ١٩٠٠م.

(٣) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة : النهضة ، ١٩٥٠، ص١٤٤.

مصر أحسن تربية وطنية ، وترقية التجارة والصناعة ، وإجلال كل من يعمل عملا مفيدا للوطن والدولة ، واجتناب الشتائم والشخصيات اجتنابا تاما (١) .

أبرز محررى « اللواء » :

كان مصطفى كامل غالبا ما كان يكتب المقال الرئيسى للواء أو الافتتاحية ، وممن كانوا يكتبون فيه أيضا : محمد بك فريد ، وشوقى بك أمير الشعراء ، وإسماعيل باشا صبرى، وخليل بك مطران ، ومصطفى بك نجيب مؤلف كتاب « حماة الإسلام » ، وإسماعيل بك شيمى، وويصا واصف ، ومحمد فريد وجدى، ومحمد لبيب بك البتاتونى، ومحمود بك سليم ، وفؤاد بك سليم باشا ، ومحمود بك أنيس ، ومحمود أفندى سلامة ، وأحمد أفندى حلمى صاحب القطر المصرى، وعبد القادر حمزة ، ومحمد لطفى جمعة ، وعثمان أفندى صبرى، وسيد على، وأمين عمر ، ومحمد صادق عنبر ، ومحمد علام (٢) ، وعلى فهمى كامل ، وعبد العزيز جاويش ، وأمين الرافعى ، ومأمون بيومى من الحقوقيين المعروفين فى ذلك الوقت ، وتوفيق العطار ، ومحمود سلامة صاحب « الواعظ » ، ومحمد الكلزة صاحب «وادى النيل » (٣) ، ومحمود فهمى المحامى والكاتب السياسى والمؤرخ المشهور ، وعبد الرحمن الرافعى الذى كان يكتب المقالات السياسية ، ويندد بسياسة الاحتلال الاقتصادية فى البلاد ، والشيخ على الغاياتى الذى كان يكتب المقالات التى تندد بتصرفات الاحتلال بمصر ومجونهم وعبثهم وسكرهم وأذاهم للوطنيين ، ومحمود سالم : المقالات الدينية والسياسية ، وصالح حمدى : المقالات الأدبية ، ومحمد كرد علىّ : المقالات الثقافية ، والدكتور منصور رفعت : المقالات السياسية ، ومحمد توفيق العطار : المقالات الاجتماعية والإصلاحية ، وأتربى أبو العز : المقالات الإصلاحية والاجتماعية ، ومحمد محمد الحكيم : المقالات الاجتماعية ، ومحمد هلال : المقالات السياسية ، وحسين يسرى : المقالات الدينية ، ومن الشعراء : حافظ إبراهيم ، وأحمد محرم .

فضلا عن بعض الكتاب ممن كان يوقع تحت مقالاته باسم مستعار مثل : «نجى» «إنسان»، أو يكتب حرفا من اسمه .

---

(١) اللواء ، عدد ١ ، غرة رمضان ١٣١٧هـ ، يناير ١٩٠٠م.

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٤٤.

(٣) أميره محمد عباس : موقف الصحافة الحزبية تجاه أهم القضايا السياسية والاجتماعية فى مصر منذ نشأتها عام ١٩٠٧م إلى قيام الحرب العالمية الأولى ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة، ص ٣٧.

أبرز اهتمامات « اللواء » فى فترة الصدور :

بادئ ذى بدء نريد أن نقول : إننا هنا نشير فقط إلى اهتمامات الجريدة بوجه عام ، وسوف نعرض لأهم القضايا الإسلامية والاجتماعية والثقافية والسياسية التى تناولتها فى الأبواب القادمة إن شاء الله .

فمنذ أن ظهرت جريدة « اللواء » فى ٢ يناير ١٩٠٠ وهى تشعل الحرب ضد الإنجليز، وكانت قضية الجلاء تشغل حيزا كبيرا من اهتمامات « اللواء» وبخاصة بعد انتصار مصطفى كامل على الإنجليز ومعتمدهم فى مصر عقب حادثة دنشواى ، وكان ذلك فى السنة السابعة من حياة هذه الجريدة (١) .

وفى الفترة التى استمر فيها صدور « اللواء لم تأل جهدا فى سبيل بث الروح الوطنية والأخلاق ، وتبصير المواطنين بحقوقهم ، وواجباتهم ، وكشف مساوئ الاحتلال وصنائعه ، وتشجيع المصريين على المضى فى سبيل تحرير البلاد واستقلالها ، وإحياء ذكرى الحوادث الماضية من مفاخر وهزائم ، وبيان جهاد الأمم فى سبيل الحرية والاستقلال ، فضلا عن تغذية عقول المصريين فى جميع النواحى العلمية والاقتصادية والاجتماعية (٢) .

ولم تكن الوطنية المصرية حتى ذلك الحين بمعزل عن التبعية الروحية لسلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين ؛ لذلك فقد دافع مصطفى كامل على صفحات «اللواء» عن الخلافة العثمانية لغرضين :

١ ـ الاستعانة بالدولة العثمانية ضد الاحتلال البريطانى.

٢ ـ مسايرة الروح العام المصرى التى كانت تدين بالولاء لخليفة المسلمين (٣).

ومن أجل ذلك فقد هاجمت « اللواءُ » « المقطم » التى طعنت فى مقام الخليفة، واعتادت أن تنشر المفتريات ، وتدس الفتن بين الحاكم والمحكوم فى الممالك العثمانية(٤)، شأن الصحف النصرانية فى مصر التى « دأبت على الطعن ضد الدولة العلية كدأب فرعون على مسخ كل ما يبديه الكليم من آيات الله ، ومع ذلك فإنها تدعى أنها تناصر الضعفاء وتنصف المظلومين » (٥) .

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر، جـ١، ط ١، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .
(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٤٤، ١٤٥ .
(٣) د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .
(٤) اللواء ، عدد ١٧٦٦، ٦ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ ، ٩ يوليه ١٩٠٥م.
(٥) اللواء ، عدد ١٧٧٧، ١٩ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ ، ٢٢ يوليه ١٩٠٥م.

ويمكننا أن نوجز اهتمامات «اللواء» فى فترة صدورها إلى ما يلى :

١ ـ مقاومة الاحتلال البريطانى فى كل جوانبه .

٢ ـ تشجيع المصريين على الجهاد فى سبيل تحرير بلادهم.

٣ ـ مهاجمة الخديو عباس حلمى عندما انحرف عن مسار الحركة الوطنية فى مصر.

٤ ـ الدفاع عن الدين الإسلامى ضد هجمات الاستعمار الغربى.

٥ ـ الدفاع عن فكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها الطريق الوحيد للتخلص من الإنجليز.

٦ ـ تنشيط الحركة الوطنية بكل الوسائل الممكنة، والدعوة لها داخل القطر وخارجه.

٧ ـ العناية التامة بالإصلاح الاجتماعى، ومحاربة الدعوة التى قام بها قاسم أمين لتحرير المرأة .

٨ ـ تخليص المصريين من اليأس الذى ملأ نفوسهم بازدياد النفوذ البريطانى ، ولاسيما بعد حادث فاشودة الذى أصبحت به بريطانيا شريكة لمصر فى حكم السودان (١) .

٩ ـ مقاومة الصحف النصرانية التى دأبت على الطعن فى الإسلام.

١٠ ـ تجديد التفكير الدينى والاجتماعى (٢) .

١١ـ الاهتمام بأمور التعليم والتعليم الشعبى الذى ينبغى أن يقوم على أكتاف الشعب ليلمس الشعب أثره فيحقق أغراضه فى الحرية والاستقلال (٣) .

١٢ ـ الدفاع عن اللغة العربية الفصحى ، ومهاجمة الدعوة إلى العامية التى كانت على أشدها فى ذلك الوقت (٤) .

١٣ ـ الدعوة إلى جامعة مصرية تنشئ الشباب تنشئة يعجز أمامها الاحتلال إذا طلب السلامة أو أبى الجلاء (٥) .

وقد زادت «اللواء» حدة بعد أن تولى الشيخ جاويش تحريرها فى ٣ مايو ١٩٠٨م، وقد حمل فيها على دانلوب فى المعارف وعلى الحكم الإنجليزى فى السودان بأسلوب

---

(١) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ٢٦٥ .

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٣) الهلال ، عدد نوفمبر ، ١٩٨٣م.

(٤) د. إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٥) د. سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة : الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٨م ، ص ٢٩٥.

فى غايـة القسوة ، ولم يأبه لتكذيب وزارة الحربيـة لمقـالاته إلـى أن انتهى بـه الأمـر إلى القضاء[1].

وعندما لم يستطع الاحتلال أن ينال منه بسبب عدم انطباق قانون العقوبات على الصحف الوطنية الكبرى مثل «اللواء» ، اضطر الدون غورست المعتمد البريطانى إلى إعادة قانون المطبوعات الصادر فى ١٨٨١م [2] .

وقد صدر العمل به فى ٢٥ مارس ١٩٠٩م [3] ، وقد عطلت «اللواء» فى سبتمبر ١٩١٢م [4] ، ويرجع سبب تعطيلها إلى أنها قد عينت رئيس تحرير بغير أن تخطر نظارة الداخلية ، وبذلك تكون قد خالفت نصا من قانون المطبوعات[5] .

وليس من شك فى أن إعادة قانون المطبوعات كان مقصودا به الصحف الوطنية وبخاصة « اللواء» التى كانت حربا على الاستعمار البريطانى فى مصر .

٣ ـ صحيفة « الدستور » [6]

صدر أول عدد من هذه الصحيفة فى ١٦ نوفمبر عام ١٩٠٧م وكان رئيس تحريرها محمد فريد وجدى [7] ، جريدة يومية سياسية تجارية فى بدء صدورها ، ثم أصبحت منذ العدد الصادر فى ١٩ أبريل ١٩٠٩م لسان حال المقيمين على مبادئ الحزب الوطنى ، وذلك على أثر الخلاف الذى حدث بين فريد وجدى ولجنة الحزب ، فغير شعار «الدستور» إلى جريدة يومية سياسية إسلامية فى ١٦ مايو ١٩٠٩م [8] .

وقد ظهرت «الدستور » على هيئة صحيفة مساهمة ، كان نصف أسهمها للقراء ، وقيمة السهم جنيه واحد ، على أن يخول لمن له الحق فى أخذ ما يخصه من ريع الجريدة السنوى [9] .

---

(١) د. إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ .
(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .
(٣) د. إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ .
(٤) مذكرات محمد فريد ، المنشورة فى كتاب محمد صبيح ، مرجع سابق ، ص ٣٥٣.
(٥) جريدة الشعب ، صفر ١٣٣٢هـ ، ١ يناير ١٩١٤م.
(٦) لم يعثر الباحث على أى عدد من أعداد الدستور فى دار الكتب المصرية .
(٧) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص٢٦٦ .
(٨) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، رائد التوفيق بين العلم والدين ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م ، ص ٣٩ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٣١.

ورغم أن الصحيفة قد ظهرت ولم يكن الحزب الوطنى قد تكون بعد ، غير أنها كانت موالية للأفكار التى تكون على أساسها الحزب، ويرجع ذلك إلى ما كان بين فريد وجدى ومصطفى كامل من علاقة وطيدة ، فضلا عن أن فريد كان من كتاب « اللواء » وقد رحبت «اللواء » بـ « الدستور » ترحيبا شديدا عند صدورها (١) .

أسباب صدور الجريدة وفكرة التسمية :

كان من أسباب صدور الدستور ما يلى :

١ ـ تخلى الخديو عن الحركة الوطنية ولجوئه إلى سياسة الوفاق مع غورست ـ المعتمد البريطانى فى مصر .

٢ ـ جنوح الشيخ على يوسف إلى صف الإنجليز تبعا للخديو .

٣ ـ تكوين حزب الأمة وصدور صحيفته «الجريدة» الموالية للإنجليز.

٤ ـ فضلا عن أنه قد اشتدت الدعوة إلى الدستور والنظم البرلمانية كما هو موجود فى أوربا (٢) فلذلك أطلق فريد وجدى على صحيفته اسم «الدستور».

أهداف الدستور :

كان من أهم أهداف الدستور ما يلى :

١ ـ المطالبة بالحقوق الطبيعية التى يندرج تحتها الاستقلال ، والحكم الذاتى ، وبيان الحصول عليها عن طريق الآداب الاجتماعية السليمة .

٢ ـ تقوية العاطفة الوطنية فى النفوس ، وهى العاطفة التى عليها إمداد الوجود السياسى.

٣ ـ العمل على ترقية الشعور العام بالحقوق والواجبات الاجتماعية، وإعداد النفوس لقبول عظات الحوادث والاستفادة منها.

٤ ـ توجيه العواطف والميول الوطنية المتبددة إلى وجهة عامة مشتركة لتتأكد للأمة شخصيتها.

٥ ـ البحث فى الأحزاب المصرية ومراميها.

٦ ـ تصوير موقف مصر بإزاء الأمم عامة وبإزاء السلطات التى تتنازعها بخاصة، وتعيين واجبات المصريين حيال ذلك .

---

(١) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، رائد التوفيق بين العلم والدين ، مرجع سابق ، ص٣٢، ٣٣.

٧ ـ الدعوة إلى التعليم والتربية وتنشيط النهضة المصرية .

٨ ـ نشر مباحث فى العلوم السياسية والاقتصادية ، وتعريف الأمة بواجباتها وحقوقها(١) .

أبرز محررى « الدستور » :

كان من أبرز محررى « الدستور » محمد فريد وجدى ، وعباس محمود العقاد ، وأحمد وجدى ، وإبراهيم عبد القادر المازنى ، وكثير من أصحاب الأقلام الشابة فى ذلك الوقت (٢) .

اهتمامات صحيفة الدستور :

كان من أهم ما تناولته الدستور :

١ ـ الاهتمام بالمرأة ونشاطها .

٢ ـ الاهتمام بالحركة العلمية والأوربية .

٣ ـ الاهتمام بالدراسات والأبحاث المدنية فى مختلف مجالات السياسة والعلم والاجتماع والفكر .

٤ ـ الاهتمام بالصحة والأمراض وأبحاث العلاج الطبيعى.

٥ ـ الاهتمام بالتراث والفكر العربى (٣) .

٦ ـ الاهتمام بالأحداث والمواقف فى الحركة الوطنية وأحداث العالم الإسلامى(٤).

٧ ـ مهاجمة صحيفة «الجريدة » و « حزب الأمة » و « المقطم » لمخالفتها الخط الوطنى وميولها نحو الإنجليز (٥) .

توقف « الدستور » :

وقد توقفت الدستور عن الصدور فى ديسمبر ١٩٠٩م ، والسبب فى تعطيلها يرجع إلى خلاف بين فريد وجدى وبين الحزب الوطنى مما أدى إلى عدم توزيع الصحيفة ، فعجزت عن النهوض بتكاليفها المالية ، الأمر الذى سبب خسارة لفريد وجدى ، ولم يقبل أية معونة قد لا تتفق مع مبادئ صحيفته فأوقفها (٦) .

---

(١) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، مرجع سابق ، ص ٣١.

(٢ ، ٣) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٠ . (٥) المرجع السابق ، ص ٥٢ ـ ٥٤.

(٦) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، مرجع سابق ، ص ٦٠.

٤ ـ الشعب

أصدر رجال الحزب الوطنى عدة صحف تحمل طابع الحزب الوطنى ، الإسلامى الوجهة ، وهو نفس الطابع الذى تميزت به جريدة «اللواء» و « الدستور » مثل جريدة «مصر الفتاة» و « القطر المصرى » و « وادى النيل » و « العلم » ولكن هذه الصحف لم تعمر طويلا ، فضلا عن أنها كانت غير منتظمة الصدور ولم تتوفر جميع أعدادها فى دار الكتب المصرية .

ولم تحظ صحيفة بالصدور لفترة طويلة سوى صحيفة «الشعب» ، ولذلك كانت محل اهتمامنا فى الدراسة عن بقية هذه الصحف .

لم يستطع الاحتلال أن يطفئ جذوة الصحافة الوطنية ذات الطابع الإسلامى، فكان إذا أقفل صحيفة صدرت أخرى مكانها ، فعندما تعقب الاحتلال وحكومة بطرس غالى جريدة « اللواء » وأغلقوها فى أوائل ١٩١٠م ، صدرت جريدة «العلم » فى ٧ مارس ١٩١٠م لتحل محلها ، وتكون لسانا للحركة الوطنية (١).

وقد خصص الحزب الوطنى لها خمسة آلاف جنيه ، زيدت إلى أحد عشر ألف جنيه، وكونوا لها شركة غير تجارية على أساس أن تضاف الأرباح إلى رأس المال ، ولاربح فيها لأحد (٢) .

وقد نهجت « العلم » نهج « اللواء » فى الهجوم على الخديو إلى جانب الاحتلال والحكومة (٣) ؛ لذلك فقد تعمد الاحتلال تعطيلها لمدة شهرين فى ٢٠ مارس ١٩١٠م حتى يتخلص من نقدها ومعارضتها أثناء نظر مشروع الفتاة فى الجمعية العمومية ، وخلال محاكمة المتهمين فى قضية الوردانى .

وذلك بناء على إشارة من الوكالة البريطانية ، مع أن صحيفة «مصر الفتاة » و«المؤيد» كتبت موضوعات متماثلة وأشد لهجة من « العلم » دون أن تنذر أو تغلق، فأصدر الحزب الوطنى جريدة « الاعتدال » ، ثم « الشعب » ، ثم «العدل» إلى أن عاد «العلم» إلى الظهور فى ٢٠ مايو ١٩١٠م (٤) .

وقد استمرت العلم فى الهجوم ضد الاحتلال ، ولم تأبه للمصادرة أو التعنت ، وقد

---

(١) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٧١.

(٢) د. إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٤.

(٣) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية، مرجع سابق ، ص٢٧٣.

(٤) د. إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٥.

استطاع أمين الرافعى أن يسافر إلى بروكسل لحضور مؤتمر الحزب الوطنى ، وكان يوافى «العلم» بأخبار وأحداث المؤتمر ، واستطاع أيضا أن يشن حملة قوية ضد الاحتلال والحكومة على أثر صدور الحكم بسجن محمد فريد فى يناير ١٩١١م (١) .

وأمام هذه المقاومة الشديدة على الاحتلال وسياسة المعتمد البريطانى كتشنر بقيادة أمين الرافعى ، لم تجد الحكومة بدا من إصدار قـرار بتعطيل «العلم» فى ديسمبر ١٩١١م(٢) .

وقد أصدر الحزب الوطنى بعد تعطيل «العلم» صحيفة «الشعب» فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩١١م، وانتظمت فى الصدور منذ نوفمبر عام ١٩١٢م (٣) ، وقد رأس تحريرها أمين الرافعى، الذى سار على نفس النهج الذى سارت عليه جريدة «اللواء» و «العلم» من انتقاد الاحتلال ، ومهاجمة الحكومة وأعوان الاستعمار (٤) .

أبرز محررى « الشعب » :

كان أمين الرافعى رئيس تحريرها ، ويكتب المقالات السياسية ، ومحمد توفيق العطار المحامى : المقالات السياسية ، وعباس محمود العقاد : المقالات السياسية ، وعبد العزيز جاويش : المقالات الدينية والإصلاحية ، وأحمد الصيرفى: المقالات الدينية ، ومحمد فريد : المقالات السياسية ، ومحمد عوض جبريل : المقالات السياسية ، وإبراهيم صالح زكى : المقالات السياسية ، وأحمد حلمى : المقالات الاجتماعية والسياسية ، وأحمد خيرى: المقالات السياسية ، ومحمد صادق عنبر : المقالات الدينية والسياسية والاجتماعية، وجمال الدين عبد الحميد : المقالات السياسية ، وأحمد محمد حنفى: المقالات الدينية ، وعمر رضا : المقالات السياسية ، وعبد الفتاح الأنصارى : المقالات السياسية ، ومحمد رضا : المقالات السياسية والدينية والاجتماعية ، وطه حسين : المقالات الأدبية ، والشيخ طنطاوى جوهرى : المقالات الدينية والإصلاحية ، ومحمد نبيه سلام المحامى: المقالات الإصلاحية ، ومحمد زكى على المحامى : المقالات الاجتماعية والسياسية ، ومحمد الباقر ـ صاحب جريدة البلاغ البيروتى: المقالات الدينية، وشكيب أرسلان : المقالات الدينية والإصلاحية، ومحمد فريد وجدى : المقالات الاجتماعية ، وعبد الحميد شكرى: المقالات الدينية ، ونجيب حسين الجندى : المقالات الإصلاحية ، وحسين فتوح : المقالات الدينية والاجتماعية ، ومحمد فائق : المقالات

(١) محمد سعد إبراهيم : أمين الرافعى صحفيا ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .
(٢) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٧ ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٥٩ م ، ص ١٠٤.
(٣) محمد سعد إبراهيم : أمين الرافعى صحفيا ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠.
(٤) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

الإصلاحية ، ومحمد على ثروت: المقالات الإصلاحية ، ومحمد إبراهيم حسن : المقالات الإسلامية ، وعبد الحميد سويلم: المقالات السياسية ، ومصطفى نوح : المقالات الاجتماعية ، ومحمد فهمى : المقالات الإسلامية ، وأحمد الصيرفى من مشايخ الأزهر: المقالات الإصلاحية ، ومحمد عثمان : المقالات الإصلاحية ، وأحمد سامى : المقالات الاجتماعية ، وسويلم الغبارى : المقالات الدينية ، ومسعود فراج مسعود : المقالات الدينية .

فضلا عن بعض الكتاب ممن كان يؤثر ألا يوقع على مقالاته ، وبعضهم كان يرمز إلى اسمه بحروف الهجاء، والبعض الآخر كان ينشر مقالات تحت اسم : أزهرى، أو بعض الألقاب.

اهتمامات الجريدة فى فترة الصدور :

أسهمت جريدة « الشعب » فى قضايا الأمة السياسية والدينية والاجتماعية وغيرها، وسوف نذكر بوجه عام أهم ما اهتمت به الشعب فى فترة الصدور ، على أن نوضح ذلك بالتفصيل فى الأبواب القادمة إن شاء الله .

ويمكن إيجاز ذلك فيما يلى :

١ ـ مقاومة الاحتلال البريطانى ، وكشف نواياه ، وانتقاد تصرفاته وتصرفات الحكومة وأعوان الاستعمار (١) .

٢ ـ الدعوة إلى النظام النيابى وحفز الحكومة على ذلك (٢) .

٣ ـ الدعوة إلى الجامعة الإسلامية لنهوض المسلمين (٣) .

٤ ـ التنديد بالاستعمار الإيطالى على طرابلس «ليبيا » ، والدعوة إلى مناصرة المجاهدين بالنفس والمال (٤) .

٥ ـ مؤازرة الدولة العثمانية فى حروبها فى البلقان (٥) .

---

(١) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ ، و د. عبد اللطيف حمزة : **قصة الصحافة العربية فى مصر**، مرجع سابق ، ص ١١٣ ، ود . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص٢٧٦، والشعب ، عدد ٣٨٧، ١٠ جمادى الثانى ١٣٣١هـ ، ١٦ مايو ١٩١٣م.

(٢) الشعب ، عدد ٢٥ ، ١٧ ربيع الأول ١٣٢٨هـ ، ٢٨ مارس ١٩١٠م.

(٣) الشعب ، عدد ٣٧٥ ، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، ٢ مايو ١٩١٣م، والأعداد رقم ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٦٢ ، ٢٩٥ ، ٣٧٦ .

(٤) الشعب ، عدد ١٣٥ ، ١٠ جمادى الثانى ١٣٣٠هـ ، ٢٧ مايو ١٩١٢م.

(٥) الشعب ، عدد ٣٩٩ ، ٢٤ جمادى الثانية ، ٣٠ مايو ١٩١٣م ، والأعداد رقم ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤١، ٢٦٢، ٣٧٦.

٦ ـ الاهتمام بنشر الثقافة الإسلامية [١] .

٧ ـ الدفاع عن الإسلام ضد هجمات التغريب ، والتبشير والغزو الفكرى [٢] .

٨ ـ الدعوة إلى حرية الصحافة وإلغاء قانون المطبوعات [٣] .

٩ ـ المساهمة فى الإصلاح الاجتماعى[٤] .

١٠ ـ الاهتمام بالتربية والتعليم [٥].

تعطيل الشعب :

قد أعلنت الحرب العالمية الأولى فى أغسطس ١٩١٤م مما دفع الحكومة البريطانية أن تعلن الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ م ، وصدر الأمر من الحكومة إلى جميع الصحف بنشر خبر إعلان الحماية البريطانية على مصر ، فأبت وطنية أمين الرافعى أن تنشر إعلان الحماية واعتبرها إهانة للشعب المصرى، ففضل أن يعطل صحيفة «الشعب» حتى لا يلوثها بنشر مثل هذا الخبر [٦] . وقد سجل بهذا الموقف أول احتجاج مصرى على الحماية مما اضطرت السلطات الإنجليزية أن تصدر أمرا باعتقاله ضمن أول فوج من الوطنيين الذين زج بهم فى غيابة السجون ، وبالفعل تم إغلاق «الشعب» فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٤م [٧] .

وعند هذا التاريخ تنتهى فترة البحث وهى نهاية لها ما يبررها ، حيث كانت معظم الصحف قد أغلقت ، ولم تستمر فى الصدور إلا « المنار».

---

(١) الشعب ، عدد ١٥٦ ، ٥ رجب ١٣٣٠ هـ ، ٢٠ يونيه ١٩١٢ م ، والأعداد رقم ٢٧٠ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٤٠٧ .

(٢) الشعب ، عدد ٢٧٠ ، ٢١ محرم ١٣٣١هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩١٣م ، وانظر الأعداد : ١٠٦، ١٤٦، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٣٢، ٤٥٥، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٦، ٤٩٠ .

(٣) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحيفة ، جـ٧ ، ط ١ ، مرجع سابق ، ص ١١٣.

(٤) الشعب ، عدد ٣٦٦ ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، أبريل ١٩١٣م ، والأعداد : ١٤٢، ٢٩٠، ٣٥٧، ٣٦٨، ٤٥٨، ٤٧٨ .

(٥) الشعب ، عدد ٤٥٨ ، ٥ رمضان ١٣٢١هـ ، ٧ أغسطس ١٩١٣م.

(٦) د. عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٠٣، وأنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٧) محمد سعد إبراهيم : أمين الرافعى صحفيا ، مرجع سابق، ص ٢٢.



الفصل الثالث

أبرز قادة صحافة الاتجاه الإسلامى

كان من أبرز قادة صحافة الاتجاه الإسلامى فى مصر فى الفترة ما بين عام ١٩٠٠م حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م :

١ ـ **الشيخ على يوسف**: كان صحاب جريدة « المؤيد » ومدير تحريرها ومنشئ سياستها ومؤلف حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية .

٢ ـ **رشيد رضا** : كان صاحب «المنار» ومدير تحريرها ، وراسم سياستها ، وكاتب معظم مقالاتها ، كما أسهم بالكتابة فى «الأهرام» و «المؤيد» و «الإسلام» .

٣ ـ **فريد وجدى** : كان صحاب مجلة «الحياة» ومنشئ معظم مقالاتها ، وراسم سياستها ، وصاحب صحيفة «الدستور» ومدير تحريرها ، ومؤلف معظم مقالاتها، كما أنه أسهم بمقالاته فى مجلة «المنار» و «الإسلام» و «المؤيد» و «اللواء» و«الشعب» و «الهداية» .

٤ ـ **مصطفى كامل** : كان منشئ صحيفة «اللواء» وروحها وعقلها وقلبها فى فترة حياته وراسم سياستها التى سارت عليها بعد مماته ، كما أنه أسهم بمقالاته فى «المؤيد» و«الأهرام» قبل إصداره «اللواء» وصاحب صحيفة العالم الإسلامى .

٥ ـ **الشيخ جاويش** : كان صاحب مجلة «الهداية» وراسم سياستها ، ومدير تحريرها ، ورئيسا لتحرير «اللواء» بعد موت مصطفى كامل ، ورئيسا لتحرير «العلم» ، كما أسهم بمقالاته وآرائه فى صحيفة «الشعب» للرافعى .

وفيما يلى ترجمة لهؤلاء القادة :

الشيخ على يوسف

ولد على يوسف فى جمادى الثانى عام ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٣م فى بلصفورة من أعمال مركز منفلوط بمديرية أسيوط بمصر العليا .

وقد نشأ يتيما وكفله أحد أخواله ، وحفظ القرآن الكريم فى الثانية عشرة من عمره، وتلقى مبادئ الدين على يد الشيخ حسن الهوارى فى بلدته ، حيث لازمه الصبى فترة تتراوح بين عام ١٢٩١ ،١٢٩٩هـ [١] .

ثم سافر إلى القاهرة لينضم إلى صفوف طلبة الأزهر الشريف ، وهناك تعلم الفقه على يد الشيخ حسن داود على مذهب الإمام مالك ، والنحو والبلاغة على الشيخ أحمد أبى الفضل ، الذى قرأ عليه كتاب الأشمونى ، وحاشية الصبان ، وكتاب السعد التفتازانى فى البيان والبديع والمعانى ، كما قرأ كتبا كثيرة فى الحديث والتفسير والمنطق والتوحيد ، وأدب البحث والمصطلح وذلك على كبار الأساتذة يومئذ كالشيخ الإمبابى، والشيخ محمد البحيرى ، والشيخ محمد المغربى ، كما اطلع على كتب الأدب والسير والتاريخ [٢] .

ولا شك أن هذه الكتب وتلك العلوم كان لها أثرها العظيم في توسيع عقله وتزويده بالمعرفة والثقافة الدينية ، فضلا عما قرأه من مجلات وصحف اشتملت على مقالات كانت تعالج شؤون سياسية واجتماعية قد شارك فى تحريرها الأفغانى أو محمد عبده أو النديم .

وقد توفر له من ذلك مقومات الصحفى ، التى كانت تعتمد فى ذلك الوقت على الروح الأدبية والأساليب ذات التراكيب البيانية [٣] .

وقد بدأ على يوسف حياته الصحفية فى جريدة «الأهرم» ، ثم أصدر بعد ذلك صحيفته «الآداب» ١٨٨٧م ، جريدة أسبوعية تاريخية علمية أدبية فكاهية ، تصدر فى ثمانى صفحات متوسطة الحجم [٤] .

وقد استطاع أن يحصل على رخصة هذه الصحيفة من الحكومة بعد معاناة مالية وجسمانية ، مما يدل على عزيمة قوية وحماسة وصبر على دخول الميدان الصحفى فى ذلك

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ، ط١، مرجع سابق ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) السيد محمد حسين : الفن الصحفى عند الشيخ على يوسف ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

(٤) الفيكونت دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، جـ٣ ، بيروت : المطبعة الأدبية ١٩١٤م ، ص٣٠ .

الوقت (١) .

ثم أصدر بعد ذلك جريدة «المؤيد» صحيفة يومية سياسية تجارية فى عام ١٨٨٩م ، ٨ ربيع الثانى ١٣٠٧هـ ، وكان مديرها الشيخ أحمد ماضى ، وصاحب امتيازها على يوسف،وكلاهما من تلامذة الأزهر ، وكانت هذه الجريدة ـ كما وصفها الفيكونت دى طرازى :

«أرسخ جريدة إسلامية وأقدمها عهدا بين الجرائد الحاضرة فى أرض الفراعنة . ومنذ أول إنشائها التف حولها أعيان المصريين وحملة أقلامهم ، فعززوا شأنها لمعاكسة مبدأ الاحتلال الإنجليزى ، والمنتصرين له ، فنالت من الصيت المسموع والانتشار الواسع ما لا يختلف فيه اثنان ، وللوزير رياض باشا اليد الطولى فى معاونة صاحبى هذه الجريدة الوطنية على إصدارها لتكون على مذهبه ورأيه» (٢) .

والحقيقة أن الشيخ على يوسف يعتبر رائدا من رواد الصحافة الإسلامية فى مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، فضلا عن أنه قد حمل لواء الوطنية والحرب على الاحتلال البريطانى ، وقد أيد الخديو وسار معه مدافعا عنه وعن سياسته فى الوقت الذى كان يعانى فيه من ظلم الاحتلال ويقف فى صف الحركة الوطنية (٣) .

وعندما تخلى الخديو عن الوقوف مع الحركة الوطنية بعد الاتفاق الودى بين فرنسا وإنجلترا عام ١٩٠٤م وأبدى الضعف والاستسلام ، تغيرت سياسة الشيخ على يوسف تجاه الاحتلال وأصبح يهادن الإنجليز وذلك بعد أن سافر إلى لندن ، واجتمع بحافظ عوض وأباظه باشا ، وأعلن هناك أن «لندن كعبة المصريين» (٤) .

ولكن هذا الموقف لم يغير من اتجاه على يوسف نحو تركيا أو الإسلام ، فقد كان يدين بالولاء لتركيا عن عقيدة دينية ، وكان مؤيدا للسلطان عبد الحميد ، وقد أيد الدولة العلية أيضا فى حربها مع الدول البلقانية وطرابلس على صفحات «المؤيد» (٥) .

وكان الشيخ على يوسف مخلصا للأستاذ الإمام ورجال حزبه وبخاصة حسن باشا عاصم ، وسعد زغلول ، فقد كان على اتصال بهم دائما ، يعرض عليهم أسرار الخديو وما ينكره من أعماله وآرائه .

وقد كان الشيخ يوسف بذكائه وحيلته يحاول التوفيق والتقريب ما

(١ ، ٢) الفيكونت دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ٣١ ، ٣٧ .

(٣) مذكرات محمد فريد ، المنشورة ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص٣٧٨ ، ٣٧٩ ، و د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية جـ٤ ، ص٥٤ ،٥٥ .

(٥) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .

استـطاع (١) ، وذلك لمعرفته بالعداء بين الأستاذ الإمام والخديو (٢) ، والذى كان سببه ما قام به بعض الوشاة من اتهام الأستاذ الإمام لدى الخديو بأنه غير راض عن إمارته ، وأنه يكره آل محمد على ، وأنه يريد تحويل مصر إلى جمهورية ، فضلا عن أنه يكون عصبة لنزع الإمارة من الخديو (٣) .

وقد كون الشيخ على يوسف حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية بإيعاز من الخديو على أثر تأليف مصطفى كامل للحزب الوطنى .

فقد رأى الخديو أن الحزب الوطنى قد توسع فى برنامجه بما لا يناسب حالة الوفاق بينه وبين السير الدون غورست ، فعمل على تكوين حزب يؤيده ، ويكون عاملا لإحداث التوازن بين الحركة الوطنية والاحتلال وسياسته ، ولم يكن هناك أخلص له للقيام بهذه المهمة من الشيخ على يوسف (٤) .

وكان من أهم ما جاء فى برنامج حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ما يلى :

١ ـ تأييد سلطة الخديو فيما منحتها الفرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الإدارى .

٢ ـ الاعتماد على الوعود والتصريحات التى أعلنتها بريطانيا العظمى عند احتلالها القطر المصرى ، ومطالبتها بتحقيق هذه الوعود .

٣ ـ المطالبة بمجلس نيابى مصرى يكون تام السلطة فيما يتعلق بالمصريين والمصالح المصرية .

٤ ـ أن يكون التعليم الابتدائى عاما ومجانا .

٥ ـ أن تكون اللغة العربية لغة التعليم فى المدارس المصرية .

٦ ـ أن تعطى الوظائف فى المصالح المصرية للوطنيين بمقتضى الكفاءة والاستحقاق ، مع تقليل عدد الأجانب بقدر الإمكان ، حتى يتأتى للمصريين أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم فيما بعد .

٧ ـ أن تكون محاكمة الأجانب جنائيا أمام المحاكم المختلطة، كما هم يتقاضون أمامها اليوم فى الحقوق المدنية والتجارية والمخالفات ، وذلك إلى أن يتم توحيد المحاكم المصرية (٥) .

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص ٥٩٤ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٣) أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ٢ ، ص ١٢٦، القاهرة :مطبعة مصر ١٩٣٤م ،ص١٢٦.

(٤) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص١٨١ .

(٥) المؤيد ، عدد ٥٣٣٧ ، ٩ فبراير ، ١٩٠٧ م ، ود . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ، ط١، مرجع سابق ، ص١٨١ ، ١٨٢ .

ورغم أن الشيخ على يوسف قد أعلن فى برنامج حزبه المطالبة بتحقيق وعود الاحتلال فى الجلاء عن مصر ، غير أن الشيخ قد صانع الاحتلال ، ولكنه لم يستمر فى تلك المصانعة وذلك «تجنبا لما قد يلحق العمائم من العار فتوسط بين هؤلاء ، وهؤلاء (أى ما بين الحزب الوطنى الذى أعلن الحرب على الاحتلال فى غير هوادة ، وحزب الأمة الذى هادن الاحتلال ، فدعا إلى حرب الإنجليز ثانية ، معتقدا أن الملاينة أخت الخديعة ، وصنع معهم صنع معاوية مع على بن أبى طالب ، فطورا يجرد الحسام ، وأخرى يرفع المصاحف على الرماح» (١) .

وفى رأى الباحث أن هذا الوصف هو أحسن ما يوصف به الشيخ على يوسف ؛ لأنه يتوسط بين من يتهمه بأنه تخلى عن الحركة الوطنية تخليا تاما ، وبين من ينسب له أنه لاين الاستعمار أو مال إليه كلية .

ولا أدل على ذلك أيضا من الحملات التى شنها على يوسف على الاحتلال قبل وبعد رحيل اللورد كرومر فى الفترة ما بين أكتوبر ١٩٠٦ ، وأبريل ١٩٠٧م ، ومقالاتــه المشهورة فى التاريخ «قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء» (٢) .

أسلوب الشيخ على يوسف :

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : إن أسلوب الشيخ على يوسف قد تميز بصفات لم تتوفر فى أساليب غيره من الكتاب ، كان أبرزها ما يلى :

١ ـ شيوع الروح المنطقية فى كتابته .

٢ ـ اعتماده فى أكثر الأحيان على أسلوب الاستفهام الاستنكارى .

٣ ـ مساواة اللفظ للمعنى .

٤ ـ اعتماده على الواقع المحسوس ، يشتق منه الدليل الذى يسوقه على صحة رأيه فى مسألة من المسائل .

٥ ـ زهده فى البديع وخلو أسلوبه من الأساليب البلاغية المعقدة .

٦ ـ إيثاره للأساليب العصرية ، والعبارات المتداولة والألفاظ الجارية على الألسن (٣) .

وبهذه الصفات نستطيع أن نقول : إن الشيخ على يوسف قد طور أسلوب الصحافة وجدد فيه ، وقدم للقراء فى ذلك الوقت نموذجا جديدا من الكتابة الصحفية . يقول دى

---

(١) الفيكونت دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ـ ٢٥٤ .

طرازى : «إن الشيخ على يوسف كان له تأثير على المدرسة الصحفية التى تكونت فى مصر فى بداية القرن العشرين» (١) .

وقد وصف المستشرق براون الشيخ على يوسف «بأنه رجل واسع الاطلاع على جميع العلوم التى تجعله فى مصاف علماء الدين ، وبالرغم أنه لا يعرف سوى اللغة العربية لا يعد فقط فى طليعة صحفى الشرق ، بل هو بصفته صحفيا وصاحب مقالات افتتاحية ربما لا يطاوله صحفى من صحافى العالم» (٢) .

وفى الحقيقة: إن الشيخ على يوسف قد أثرى الصحافة المصرية والإسلامية فى مصر بما كان ينشره من آراء ، وبما كان يفجر من قضايا من خلال جريدته «المويد» اليومى ، و«المؤيد» الأسبوعى العربى ، و«المؤيد» الأسبوعى الفرنسى (٣) .

وفى يوم ١٣ من ربيع الأول ١٣٣٠هـ استقال الشيخ على يوسف من رئاسة تحرير «المؤيد» بعد أن خدم الصحافة ثلاثا وعشرين سنة ، وقد مدحه أحمد محرم بقصيدة جاء فى مطلعها :

شيخ الصحافة من لها ولأهلها	يحمى محارمها ويكشف عارها
قومت بالعزم الأشـد عمادهـا	ورفعت بالرأى الأشد منارهـــا

وقد احتفل فى سراى عابدين فى يوم ٢٧من ربيع الأول ١٣٣٠ هـ بإسناد مشيخة السجادة الوفائية للشيخ على يوسف ، وقد حضر الاحتفال الخديو عباس ، وحضره العلماء ، ثم ألبس العمامة الكبرى ، وبعد تلاوة الأوامر الرسمية بهذا الاحتفال سار الموكب إلى زاوية السجادة الوفائية باحتفال عظيم (٤) ، وقد رحل الشيخ على يوسف عن الحياة فى ١٧أبريل ١٩١٣م ربيع الثانى ١٣٣١هـ .

---

(١) دى طرازى : تاريخ الصحافة ، جـ٣ ، مرجع سابق ، ص٣٨ .
(٢) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٤ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص١٧٣ .
(٣، ٤) مجلة الإسلام ، عدد ٤ ، ربيع الأول ١٣٣٠هـ ، مارس ١٩١٢م .

رشيد رضا

ولد محمد رشيد رضا فى ٢٧جمادى الأولى ١٢٨٢هـ ، ١٨٦٥م فى قرية «القلمون» التى تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط من جبل لبنان والتى تبعد عن مدينة طرابلس «الشام» بنحو ثلاثة أميال ، وهو من أسرة عريقة يتصل نسبها إلى الحسين بن على كرم الله وجهه .

وقد نشأ رشيد رضا فى بيت اشتهر بالزهد والورع والعبادة وتكريم العلم والعلماء والاهتمام بالعلوم الإسلامية ، وقد درج رشيد رضا فى هذا المضمار منذ طفولته الأولى فحفظ القرآن الكريم فى كُتَّاب القرية ، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية الابتدائية ، فتلقى فيها مبادئ النحو والصرف ، والحساب والجغرافيا ، وعلم العقائد والعبادات ، وكانت الدراسة فيها بالتركية .

وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره ألحقه أبوه بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس حيث كانت هذه المدرسة أرقى من المدرسة الرشيدية والتعليم باللغة العربية ، بالإضافة إلى اللغة التركية والفرنسية ، وكان لها اهتمام بالعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة (١) .

وفى هذه المدرسة أخذ رشيد رضا عن الشيخ حسين الجسر ، الذى كان له الفضل فى توجيهه إلى كثير من العلوم والمعارف ، كما تلقى العلم أيضا على يد الشيخ محمود نشابة ـ من كبار علماء طرابلس ـ والشيخ عبد الغنى الرافعى ، حيث درس معه كتاب «نيل الأوطار» للشوكانى ، والشيخ محمد القاوجى،الذى شرح لرشيد رضا كتابا فى الحديث من تأليفه .

وقد اهتم رشيد رضا أيضا بحضور جلسات العلم فى شتى المواضيع ، وأحب حلقات الأستاذ محمد الحسينى ومناقشاته فى كتب الأصول والمنطق ، كما طالع كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالى (٢) .

وقد تأثر رشيد رضا فى مقتبل حياته بآراء ابن تيمية فى الإصلاح ، ومحاربة البدع الدخيلة على الإسلام (٣) ، كما تأثر بحركة الإصلاح الإسلامى التى قامت فى مصر على

---

(١) د . إبراهيم العدوى : رشيد رضا الإمام المجاهد ، سلسلة أعلام العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ ، ص ١٩ ـ ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣ ـ ٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

يد جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده ، وبـ «العروة الوثقى» ، التى أصدرها جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده فى باريس عام ١٨٨٤م (١) .

وقد ذكر رشيد رضا فى صحيفته «المنار» ما كان لـ: «العروة الوثقى» من أثر فى تكوينه الثقافى والفكرى ، وقد أعلن أنه وصحيفته امتداد لحركة الإصلاح الإسلامى التى أحدثتها «العروة الوثقى» .

وقد حاول رشيد رضا أن يتصل بمؤسس هذه الحركة «جمال الدين الأفغانى» خلال إقامته باستنبول ، ولكن لم يشأ القدر أن يتصل به حيث قد وافته المنية عام ١٣١٥هـ، ١٨٩٧م قبل وصول رشيد رضا إليه ، فحاول فى العام نفسه أن يتصل بالشيخ محمد عبده مدير تحرير «العروة الوثقى» وتلميذ الأفغانى (٢) .

وقد رحل رشيد رضا إلى مصر فى السادس من شعبان ١٣١٥هـ ، ١٨٩٨م ، واستقر به العزم على إنشاء صحيفة إسلامية إصلاحية ، وقد اتصل بالشيخ الإمام وبحث معه فكرة إصدار هذه الصحيفة ،ومن خلال لقاءاته معه أوضح له الأمور التى يجب مراعاتها فى الصحيفة وهى :

١ ـ ألا يتحزب لحزب من الأحزاب .

٢ ـ ألا ترد جريدته على جريدة من الجرائد التى تتعرض لها بذم أو انتقاد .

٣ ـ ألا تخدم أفكاره أحدا من الكبراء (٣) .

ثم استشار رشيد رضا الإمام أيضا فى تسمية الجريدة وعرض عليه عدة أسماء كان من بينها «المنار» ؛ لينتقى من بينها ما يراه الإمام مناسبا مع الغاية التى توخاها رشيد من صدور الصحيفة، فاختار الأستاذ الإمام اسم «المنار» ووافق عليه رشيد رضا (٤) .

وقد أصدر رشيد رضا صحيفة «المنار» فى الثانى والعشرين من شوال ١٣١٥هـ وحدد فى مقدمة العدد الأول الأغراض التى يهدف إليها وكانت ما يلى :

١ ـ نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية ، وأن الإسلام باعتباره نظاما اجتماعيا يتفق مع العلم والعقل وصالح لكل زمان ومكان .

٢ ـ مواصلة السير على نهج «العروة الوثقى» وخاصة فى سعيها للقضاء على الخرافات والاعتقادات الباطلة الدخلية على الإسلام ، ومحو الأفكار الباطلة عن القضاء

---

(١) أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ١، المنار ، مرجع سابق، ص١٩ ـ ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٣) د . إبراهيم العدوى : رشيد رضا الإمام المجاهد ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ ـ ١٣١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

والقدر فى الإسلام ، ودفع الشبه الباطلة التى تعزى إلى الإسلام وهو منها بـــراء.

٣ ـ الحث على ترقية التعليم العام ، وإصلاح كتب التدريس وطرائق التعليم .

٤ ـ دفع الأمم الإسلامية إلى التقدم ، ومباراة الأمم الأخرى فى ميادين الإصلاح والتقدم (١) .

وقد اشتهرت صحيفة المنار وذاع صيتها ليس في مصر فحسب ، بل على مستوى العالم الإسلامى كله ، وأصبحت موئل الفتيا فى التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الحديثة(٢) .

ولم يقتصر رشيد رضا على الكتابة فى «المنار» ، بل كتب فى صحف ومجلات عديدة مثل «الأهرام» و «الجريدة» صحيفة حزب الأمة و «المؤيد» و «الهلال» وجريدة طرابلس ، ومجلة «ثمرات الفنون» للقبانى التى كانت تصدر فى دمشق ، وغيرها من الصحف التى كانت تصدر فى مصر والأستانة (٣) .

ويمكن القول : إن رشيد رضا كان من الكتاب المبرزين ، فقد أحدث فى مصر حركة إسلامية إصلاحية ، سارت على نهج الحركة الإصلاحية التى قام بها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وذلك من خلال ما طرق من قضايا وناقش من أفكار وفتاوى ، وعرض لآراء فكرية وتجديدية كان لها أثرها فى المجال الفكرى والثقافى والعقائدى .

وعندما رأى رشيد رضا فساد المدارس القائمة وخضوع معظمها للاستعمار ، وكثرة المدارس التبشيرية فى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامى ، سارع فى إنشاء جمعية تسمى : «جمعية الدعوة والإرشاد» ، تكون مهمتها الإشراف على مدرسة تحمل اسم الجمعية ، وتهدف إلى تحقيق الإصلاح فى ميدان التربية والتعليم ، وقد تم له ذلك وافتتح المدرسة فى ربيع الأول ١٣٣٠هـ ١٩١٢م على غرار الكليات التى تهتم بالعلوم والفنون ، بالإضافة إلى التربية الدينية والعلوم الإسلامية ، وقد توقفت هذه المدرسة مع نشوب الحرب العالمية الأولى (٤) .

وقد ذاع صيت رشيد رضا صاحب «المنار» فى العالمين العربى والإسلامى ،وفى بعض

---

(١) أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية ،مرجع سابق ، جـ١ ، المنار، ص ٣٠ ، ود. إبراهيم العدوى : رشيد رضا الإمام المجاهد ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

(٢) د. إبراهيم العدوى : رشيد رضا الإمام المجاهد ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٣) د . أحمد الشرباصى : رشيد رضا الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، مرجع سابق ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٤) انظر : د. إبراهيم العدوى : رشيد رضا الإمام المجاهد ، مرجع سابق .

الدول الأوربية أيضا ، وتوافد إليه العلماء من بلاد مختلفة يسألونه فى أمور الدين وما صعب عليهم فهمه ، وأرسلت إليه جمعية العلوم الروحانية ، والأبحاث النفسية بمملكة رومانيا العظمى خطابا فى ١ يناير ١٩١٣م تذكر فيه أنه تم اختياره عضو شرف فيها.

بالإضافة إلى أنه كان له تلاميذ ومريدون فى بلاد شمال إفريقية وأندونيسيا والهند [١].

وفد توفى رشيد رضا ـ بعد حياة عريضة فى المجال الصحفى [٢] امتدت إلى حوالى أربعين سنة ـ فى ذى الحجة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤٩ .

(٢) أنور الجندى : تاريخ الصحافة الإسلامية ، جـ١ ، المنار ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

محمد فريد وجدى

ولد محمد فريد بن مصطفى وجدى فى الأسكندرية فى عام ١٨٧٨م ، ثم انتقل إلى دمياط حيث كان أبوه يعمل محافظا لها ، ثم أقام فى السويس فترة إلى أن سافر إلى القاهرة ليعمل فى وظيفة صغيرة فى ديوان الأوقاف (١) .

وقد تلقى محمد فريد تعليمه الأولى فى مكتبة والده ، وقد تعلم اللغة الفرنسية ـ وتفوق فيها ـ ثم الأدب والعلوم والفقه والتاريخ والسنة والشرائع والقرآن ، وكون بذلك ثقافة عربية إسلامية ، فضلا عن الثقافة الغربية التى كونها من خلال مطالعة كتب الغربيين، وقد مزج ذلك كله فى عقله فأصبح ذا ثقافة عربية إسلامية عصرية جمعت عصارات الثقافات القديمة ، والمستحدثات الشرقية والغربية على السواء (٢) .

وقد أصدر فريد وجدى فى عام ١٨٩٩م مجلة «الحياة» مجلة إسلامية شهرية ، ثم أخذ ينشر فيها أبحاثا تتناول الكون ، وإثبات وجود الله ، وتطبيق الديانة الإسلامية علي النواميس الحديثة .

وفى هذه المرحلة أصدر عددا من المؤلفات كانت عبارة عن أبحاث فى شكل مقالات نشرت فى مجلة «الحياة» ، وكان فريد وجدى صاحب أسلوب متميز فى الدراسات الروحية والدينية والإسلامية على طراز عصرى يختلف عن أسلوب الكتابة فى اللغة العربية وعما كتب فى هذه الدراسات (٣) .

وكان فريد وجدى قد وضع كتابه : «تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنيـة» بالفرنسية أولا، ثم ترجمه بعد ذلك إلى العربية بهذا الاسم وسماه فى طبعة أخرى «مدنية الإسلام» .

وقد أراد بهذا الكتاب «تفهيم الأوربيين حقيقة الدين الإسلامى وماهيته ، وإثبات أنه ضامن للإنسان نيل السعادتين ، وكافل له راحة الحياتين» (٤) .

وندد فريد وجدى بالبدع والأضاليل التى دخلت فى الإسلام ، مثل : الصياح فى الطرقات خلف الطبول والرايات ، والبدع التى تحدث فى الموالد كالتمايل فى الأذكار ،

---

(١) الزركلى : قاموس تراجم الأعلام ، جـ٧ ، ط٢،مطبعة كوستاموس،القاهرة:١٣٧٥هـ،١٩٥٦م ، ص٣٢٠.

(٢) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين ، مرجع سابق ، ص٤ .

(٣) المرجع السابق ص٥ . (٤) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦ .

واقتراف المنكرات التى كانت من الأسباب التى جعلت الأوربيين يسيؤون فهم الإسلام ، ويجهلون حقيقته ، ويلصقون به التهم (١) .

وقد أثنى رشيد رضا على هذا الكتاب ثناء عظيما وقال: إنه لا يسبق كتاب المدنية فى بيان التعاليم الدينية فى قالب حديث إلا رسالة التوحيد التى وضعها الشيخ محمد عبده (٢) .

وفى عام ١٩٠١م أصدر فريد وجدى كتابه : «الحديقة الفكرية فى إثبات الله بالبراهين الطبيعية» ، وناقش فيه بعض التحديات الفكرية التى واجهت الفكر الإسلامى والعربى إزاء الفلسفة المادية وقضايا التشكيك فى الألوهية (٣) .

وقد أصدر فريد وجدى صحيفة «الدستور» صحيفة يومية فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٧م ، وكان الهدف من صدورها الدفاع عن حقوق الأمة ، والمشاركة فى جعل صوت مصر حاصلا على كل ما يجعله محترما مسموعا (٤) .

ونستطيع أن نقول : إن فريد وجدى كان كاتبا فذا كثير التأليف والنشاط الصحفى ، فلم يقتصر على جانب التأليف فقط والكتابة فى صحيفتيه «الحياة» و «الدستور» ، بل كان يكتب فى معظم الصحف اليومية ، والأسبوعية والشهرية التى كانت تصدر فى تلك الفترة مثل : «الأهرام» و «المقتطف» و «الهلال» و «المنار» ، و«الإسلام» و «المؤيد» و «العلم» و «الشعب» و «اللواء» و «مكارم الأخلاق الإسلامية» .

فقد كتب فى مجلة «الإسلام» مقالات عن تهذيب المرأة ، وعن العادات والتقاليد الأوربية التى غزت العالم الإسلامى ومصر (٥) .

وقد عالج عشرات من القضايا فى مختلف تطورات العصر، الفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية (٦) .

وكان فريد وجدى من الكتاب الذين هاجموا التغريب ، وكان أول من أطلق على التغريب «الميكروب الأورباوى» ، فقد كتب فى مجلة «مكارم الأخلاق الإسلامية» تحت عنوان: «داؤنا ودواؤنا» قال : «إن ذلك الميكروب الأورباوى المتمدن قد أصاب رابطتنا الاجتماعية مباشرة ، وأخذ تحليل عناصرها تحليلا ، وبما أن رابطتنا الدينية محصنة فقد صار الدواء الوحيد اليوم لداء أو أدواء المسلمين هو تعهد الدين وحمايته من الشكوك

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ . (٢) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥ .

(٣) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين ، مرجع سابق ، ص١٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٥) مجلة الإسلام ، عدد ٨ ، ١٣١٧هـ ، ديسمبر ١٨٩٩م .

(٦) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، مرجع سابق ، ص ٦ .

والشبه العلمية الحديثة ، التى تفعل فى القلوب من نفث سموم الإلحاد ، وإيقاظ عوامل الفساد ، ما لا يفعله الطاعون فى البلاد . . . » [1] .

ثم يضيف أن هذه المدنية الأوربية فتنت الشرقيين وخاصة من يقرؤون أو يعرفون اللغات الأجنبية ، فقد تأثروا بملحدى الغرب [2] .

وقد دافع فريد وجدى عن فكرة الجامعة الإسلامية ، ووالى تركيا فى سبيل مقاومة بريطانيا ، وهاجم الدعوة إلى الإقليمية التى دعا إليها لطفى السيد ، وحاول أن يزاوج بين مفهوم الدين ومفهوم الوطنية ، وقاوم النفوذ الأجنبى والاستعمار [3] .

كما هاجم فريد وجدى دانلوب مستشار وزارة المعارف الإنجليزى ، وناظر المعارف سعد زغلول ؛ لعجزه عن مقاومة أهداف الاحتلال البريطانى فى وزارة المعارف ، ودعا إلى تأييد مشروع الجامعة المصرية .

وقد هاجم الشيخ على يوسف صاحب «المؤيد» عندما تخلى عن تأييد الحركة الوطنية وتحول إلى سياسة الملاينة للإنجليز ، بعد أن أدار الخديو ظهره للحركة الوطنية [4] .

وقد انفرد فريد وجدى بالاهتمام بالدراسات الاجتماعية ، وبخاصة الجانب الاجتماعى للحياة المصرية ، والبحوث الغيبية والروحية [5] .

وألف فريد دائرة معارف القرن العشرين ، وأصدر منها عشرة أجزاء لم يشاركه فيها أحد وكتب كثيرا من المواضيع العلمية والفلسفية ، وبدأ ينشر فى عام ١٩٢١م صحيفة نصف شهرية سماها : «الوجديات» ، كانت تشتمل على مقالات أدبية فى شكل حوار على ألسنة الطيور وغيرها ، ومقالات أخرى كان يتناول فيها الموضوعات الدينية والعلمية والفلسفية على نحو يسهل فهمه للقارئ ، وقد صدر من هذه الصحيفة سبعة عشر عددا فقط ، كان آخرها ما صدر فى أبريل ١٩٢٢م .

وكان الهدف من نشر هذه المقالات هو : «تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة ، وإمداد النفوس بالقوى الأدبية الضرورية» [6] .

وفى الحقيقة إنه بالرغم أن ثقافة فريد وجدى كانت ثقافة ذاتية ، أى أنه لم يتخرج من الجامعة ولكنه كان كاتبا موسوعيا كتب فى مختلف نواحى الحياة العلمية والأدبية

(١ ، ٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٢٢ ، السنة الثانية ١٣١٨ هـ ، ١٩٠٠م .

(٣) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٢ ـ ٤٨ .

(٥) تشارلز آدمز : الإسلام والتحديات ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

والاجتماعية والفلسفية فى أسلوب جذاب وحوار مقنع وأدلة وبراهين قوية .

وقد تولى فريد وجدى رئاسة تحرير مجلة الأزهر فى بداية صدورها ، وكانت حينذاك تسمى : «نور الإسلام» ، ثم تغير اسمها إلى «مجلة الأزهر» (١) .

وقد توفى فريد وجدى فى عام ١٩٥٤م بعد حياة مليئة بالأعمال العلمية والأدبية والصحفية (٢) .

---

(١) أنور الجندى : محمد فريد وجدى ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٢) الزركلى : قاموس تراجم الأعلام ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

مصطفى كامل

ولد مصطفى كامل فى الصليبة بحى الخليفة بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس ١٨٧٤م ، الموافق غرة رجب ١٢٩١هـ ، وكان أبوه على أفندى محمد يعمل ضابطا فى الجيش .

وقد تعلم مصطفى كامل فى منزل والده ، حيث استحضر له رجلا يدعى الشيخ أحمد السيد ، ليعلمه مبادئ القراءة والكتابة ، ويحفظه القرآن ، ولما أتم السادسة من عمره دخل مدرسة عباس الأول الابتدائية بحى الصليبة ، وبعد أن حصل على الشهادة الابتدائية دخل المدرسة التجهيزية الخديوية ١٨٨٧م ، وقد ظهرت عليه أمارات النبوغ والشجاعة فى هذه المرحلة المتقدمة من عمره (١) .

وقد حصل مصطفى كامل على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٨٩١م ، والتحق بمدرسة الحقوق ، ونجح فى السنة الأولى ، ثم التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية فى أكتوبر ١٨٩٢ ، وجمع بين المدرستين ، واستطاع الحصول على شهادة الحقوق من كلية تولوز فى نوفمبر ١٨٩٤م (٢) .

وفى هذه المرحلة من حياة مصطفى كامل استطاع أن يتعرف على رجال عصره البارزين، من أمثال الشيخ على الليثى الشاعر والأديب الكبير ، ولطيف باشا سليم ، وإسماعيل باشا صبرى الشاعر المشهور ، وعلى بك فخرى ، وأمين باشا فكرى ، ومحمود بك سالم ، وإسماعيل بك شيمى ، وبعض أعضاء مجلس شورى القوانين ، والجمعة العمومية .

وفى غرة شهر رمضان ١٣١٠هـ ، الموافق ١٨ فبراير ١٨٩٣م أصدر مصطفى كامل «مجلة المدرسة» وقال : «إنها مجلة علمية تهذيبية ، تصدر فى غرة كل شهر عربى» .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : « إنها تعتبر أول مجلة مدرسية ظهرت فى مصر ، وأن صاحبها تولى تحريرها بنفسه كما تولى الإنفاق عليها بنفسه ، وصرح بأنه أنشأها لخدمة الناشئين لا للشهرة أو الربح المادى ، وقد جعل شعارها الذى يصدر فى صدر كل عدد من أعدادها : حبك مدرستك حبك أهلك ووطنك» (٣) .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ـ تاريخ مصر القومى من ١٨٨٢ ـ ١٩٠٨م ، ط٣، القاهرة : النهضة المصرية ١٩٥٠ ، ص ١٨ ـ ٢٢ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، ط١ ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

وفى هذه المرحلة بدأ مصطفى كامل يتصل بعبد الله النديم ـ خطيب الثورة العرابية ـ وعرف منه أسرار هذه الثورة وأسباب إخفاقها وهزيمتها ، كما أوقفه أيضا على دسائس السياسة الإنجليزية (١) . وتلقى عنه فكرة الاتفاق مع الخديو حتى تسهل الدعوة إلى الاستقلال (٢) .

وقد بدأ مصطفى كامل يتصل بالصحافة ، فكتب فى «الأهرام» مقالات متعددة بتوقيعات رمزية تحت عنوان : «مصر للمصريين» ، والتى نشرت فى يونيو ١٨٩٥م ، واشترك أيضا فى تحرير جريدة «المؤيد» فى بداية صدورها قبل أن يصدر «اللواء» فى يناير ١٩٠٠م .

وقد أسس مصطفى كامل جريدة «اللواء» فى يناير ١٩٠٠م صحيفة جديدة فى تنوع المقالات والأبحاث والأخبار (٣) ، وقد حمل فيها لواء مقاومة الاستعمار البريطانى من خلال أمرين أساسيين هما : خلق الوعى الوطنى ، والوعى الإسلامى ، فضلا عن أنه عمل على إيقاظ الشعور الإسلامى فى مصر ، وربطها بالعالم الإسلامى الكبير عن طريق تذكير المصريين بتعاليم الإسلام (٤) .

وكانت هناك حلقة اتصال بين مصطفى كامل وتعاليم جمال الدين الأفغانى عن طريق عبد الله النديم (٥) ، الذى تتلمذ على يديه مصطفى كامل ، حتى أنه يمكن القول :إن حركة اليقظة الإسلامية التى أوجدها مصطفى كامل فى بداية القرن العشرين فى مصر كانت امتداداً لحركة اليقظة التى قادها جمال الدين الأفغانى وتلاميذه الذين فى مقدمتهم الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم .

فلم يفتر مصطفى كامل عن التحدث فى صحفه عن الإسلام والمسلمين ، وربما كان من الأسباب التى دفعته لذلك هو موقف الاحتلال المعارض للإسلام والمسلمين ، وما تكتبه الصحف الأوربية كثيرا فى التهوين من شأن الإسلام والمسلمين (٦) .

وقد أصدر مصطفى كامل فى عام ١٩٠٥م جريدة أسبوعية أطلق عليها اسم : «العالم الإسلامى»، كان ينشر فيها أهم المقالات والأنباء التى تهم الأمم الإسلامية ، ويتابع فيها ما

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .
(٢) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ .
(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ .
(٤) د . محمد البهى : الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى،القاهرة : وهبه ١٩٧٥م،ط٨ ، ص١٠٣ .
(٥) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية . جـ٣ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص١٢ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

ينشر عن العالم الإسلامى فى الجرائد والمجلات الأجنبية ويقدمه إلى قراء العربية [1] .

وكان مصطفى كامل يفهم مهمة الصحافة فهما دقيقا ، ويعرف مدى تأثيرها فى الأفراد والجماعات والشعوب ؛ لذلك فقد أصدر صحيفتين يوميتين ؛ إحداهما بالفرنسية ، والأخرى بالإنجليزية ،وقد بين المقصد من إصدارهما قائلا :«إن قصدنا من تأسيس هاتين الجريدتين هو إحاطة العالم المتمدن ـ وكافة الذين يهتمون بشؤون مصر ـ علما بخطتنا الوطنية التى غير خصومنا شكلها وقلبوا حقيقتها ، فقد مثلونا فى أغلب الأحيان كأننا أعداء لأوربا ، نريد جمع كافة قوى الإسلام ضدها وإحداث انقلاب عام ، وأظهرونا لمن يجهل لغتنا كأننا ننادى بالبغضاء والتعصب الدينى ، فنحن جئنا اليوم نكذب بصورة قطعية هذه التهم الدنيئة ، ونثبت للعالم كله أن مطلبنا الوحيد ، بل مطلبنا العالمى السامى ، هو أن نرد لمصر مكانة فى العالم تليق بتاريخها وماضيها ومركزها» [2] .

وقد دعا مصطفى كامل إلى الجامعة الإسلامية ، وإلى التمسك بشرعية الدولة العثمانية لكى يثبت بطلان الاحتلال ويجبره على الجلاء .

ثم استطاع أن يجمع بين جانب الوطنية الليبرالية للأوربيين والمصريين ذوى الميول الغربية ، وجانب التعصب المحافظ على القيم الإسلامية للجماهير من العثمانيين والمصريين المحافظين [3] .

وقد بلغ اهتمام مصطفى كامل بأمر المسلمين إلى الحد الذى أقلق نصارى مصر ، فأرسل إليه أحدهم يلومه على هذا الاهتمام ، وقد رد عليه مصطفى كامل قائلا : «إن جريمتنا الكبرى عند سواس أوربا كوننا مسلمين لا أكثر ولا أقل» [4] .

ومما لاشك فيه أن مصطفى كامل قد كون مدرسة صحفية كبرى فى بداية القرن العشرين ، عرفت بالشدة فى محاربة الاستعمار ، وكان قلمه من أبرز الأقلام التى عنيت بمعالجة قضايا الوطن .

وقد تميز أسلوب مصطفى كامل بسمات أساسية ، كان من أهمها ما يلى :

١ ـ شيوع اللهجة الخطابية فيه .

٢ ـ جنوحه إلى إحداث الموازنات فى الأفكار والمعانى ، وذلك لإحداث التأثير المطلوب فى نفس القارئ .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٣) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ٥ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

٣ ـ الإسهاب النسبى فى العبارات .

٤ ـ السخرية الجادة والتهكم المرير فى بعض الأحيان .

٥ ـ الزهد فى الاقتباس من كلام الأدباء [١] .

وقد توفى مصطفى كامل فى ١٠ فبراير ١٩٠٨م بعد أن قام بتأسيس الحزب الوطنى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧م ، والذى كان من أهم أهدافه تحقيق جلاء القوات البريطانية عن مصر [٢] ، وكان لوفاته الأثر البالغ فى نفوس المصريين حتى اهتزت البلاد لموته [٣] .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢ .

(٢) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٤١ .

عبد العزيز جاويش

ولد عبد العزيز جاويش فى مدينة الأسكندرية عام ١٨٧٢م من أسرة مغربية ، وكان والده خليل حسن جاويش قد استقر فى بنى غازى ، ثم رحل إلى الأسكندرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ضمن من كان يفد إليها من تجار المغاربة ، فاستوطنها ، واتخذ له محلا بسوق المغاربة ، ثم تزوج منها وأنجب ولده عبد العزيز وأخوته محمد وأحمد وعبد اللطيف ، ثم بعث بهم إلى جامع الشيخ إبراهيم باشا لتلقى دروسهم الأولية والتزود بالقرآن الكريم وعلوم الدين ، حيث كان هذا الجامع يشبه الجامع الأزهر فى القاهرة من حيث تعليم الدين وسمو المنزلة ، وكان التعليم فيه بالمجان ، ويقوم بالتدريس فيه خيرة العلماء والأساتذة (١) .

غير أنه لم يواصل التعليم من هؤلاء الأولاد سوى الطفل عبد العزيز ، أما باقى أخوته فقد اختاروا مهنة التجارة مع أبيهم .

وقد حفظ عبد العزيز جاويش القرآن الكريم وهو فى السادسة عشرة من عمره ، ثم انتقل إلى الجامع الأزهر عام ١٨٨٩م وفى هذه المرحلة وجد أمامه المجالات الواسعة لتطلعاته الثقافية والوطنية ، فهناك الرواق العباسى بالأزهر ، حيث كان الشيخ محمد عبده يلقى بأحاديثه فى تفسير القرآن الكريم على النهج الحديث الذى يربط القرآن بالأحداث والإسلام بالعصر (٢) .

وكانت جريدة «المؤيد» مجالا مفتوحا للمثقفين والوطنيين ، وتعاليم جمال الدين الأفغانى مازال ذكرها قريبا فى نفوس تلاميذه ومريديه ، فضلا عن الثورة العرابية وحديث الناس عنها ، وهزيمة عرابى ونفيه مع أصحابه: البارودى ، ومحمود فهمى ، وعبد العال حلمى (٣) .

كل هذا لاشك قد أثر فى نفس وعقل عبد العزيز جاويش ، وفتح أمامه طرق الجهاد والنضال ، وأوقفه على أحوال البلاد السياسية والاجتماعية .

ثم التحق عبد العزيز جاويش فى عام ١٨٩٣م بمدرسة دار العلوم التى أنشأها على

---

(١) سالم عبد النبى قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الأدب العربى المعاصر ، عبد العزيز جاويش ١٨٧٢ ـ١٩٢٩م ، مكتبة الأندلس ، بنغازى : ١٩٦٨م ، ص ٩١ ـ ٩٣ .

(٢) أنور الجندى : عبد العزيز جاويش ، سلسلة أعلام العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤١ .

مبارك ناظر المعارف ، ومكث فيها خمس سنوات وهى مدة الدراسة بها ، ثم تخرج فى عام ١٨٩٧م (١) .

وقد عين مدرسا بمدرسة الزراعة ، غير أنه لم يستمر فى العمل طويلا ؛ إذ اختارته وزارة المعارف لبعثة لدراسة الآداب والتربية فى جامعة «برودود» فى بريطانيا ، عاد منها عام ١٩٠١م ليعمل مفتشا للكتاتيب فى النظارة (٢) ، وظل يؤدى عمله فى تفتيش الكتاتيب حتى عين مدرسا فى مدرسة المعلمين الناصرية ، ثم اختير بعد ذلك للتدريس بجامعة اكسفورد (٣) .

وقد حضر الشيخ عبد العزيز جاويش مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى الجزائر عام ١٩٠٥م ،وحضر هذا المؤتمر محمد فريد ، وكان فى هذا الوقت موظفا فى نظارة المعارف وقد أعجب بالشيخ جاويش حينما وقف يرد على المستشرق الألمانى «ولفروس» ، الذى ألقى بحثا قال فيه :«إن القرآن كان أول كتاب عربى وضع باللغة العامية لعرب ما قبل الإسلام»، فكان رد الشيخ قائما على العلم بتاريخ اللغة والدين معا ، فعرض عليه أن يعرفه بمصطفى كامل فقبل هذا العرض وسافرا معا إلى لندن ، حيث التقى الشيخ جاويش بمصطفى كامل وتوثقت العلاقات بينهما (٤) .

وكان هذا اللقاء تحولا فى حياة الشيخ جاويش ، وبداية لدخوله المجال الوطنى والصحفى حيث عمل محررا بـ «اللواء» وعندما توفى مصطفى كامل تولى رئاسة تحرير «اللواء» .

وفى الصفحة الأولى من لواء ٢ مايو ١٩٠٨م جاء تحت عنوان رئيس تحرير اللواء ومدير سياسته المسؤول : «وقع اختيار شركة اللواء على رجل كبير الفؤاد ، غزير المادة ، عاطر الاسم ، هو حضرة الفاضل الشيخ عبد العزيز جاويش ، الذى كان مفتشا بنظارة المعارف ، والقراء يعرفونه من كتاباته وخطاباته التى طالما أعجبوا بها ، وأنه لو لم تكن حالت الظروف دون هذا التعيين من زمن بعيد لكان رئيسا لتحرير اللواء من سنة مضت على الأقل ؛ لأن المرحوم المبرور مصطفى كامل باشا قد تخابر معه فى أن يشغل هذا المركز لأهليته واستعداده ، وها هوذا والحمد لله قد أصبح كما كان يحب له المرحوم

---

(١) مجلة الدوحة القطرية ، عدد ٨٨ ، جمادى الثانية ١٤٠٣ ، أبريل ١٩٨٣م .

(٢) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٤) مجلة الدوحة ، عدد ٨٨ ، جمادى الثانى ١٤٠٣ هـ ، أبريل ١٩٨٣م .

ويحقق أمنيته العزيزة» (١) .

وهذا يدل على المكانة التى كان يحتلها الشيخ جاويش فى ذاك الوقت ، ومنذ اليوم الأول لتوليته اللواء أعلن خطته فيها وهى : الدفاع عن الأمة المصرية ، وجهاد الإنجليز ما بقوا محتلين البلاد ، والحث على الفضيلة والأخلاق ، والدعوة إلى توحيد عناصر الأمة.

وقد واصل الشيخ جاويش الهجوم على الخديو عباس حلمى الثانى ؛ لأنه قد تخلى عن الحركة الوطنية وارتمى فى أحضان الإنجليز ، كما حمل الشيخ جاويش على السياسة التعليمية لوزارة المعارف ، وهاجم مستشارها الإنجليزى دانلوب (٢) .

وسار الشيخ جاويش على منهج مصطفى كامل فى «اللواء» ، وتعاون مع محمد فريد رئيس الحزب الوطنى فى معالجة القضايا التى شغلت الحركة الوطنية والتى كان من أهمها حرب المحتلين ، وتأليب الرأى العام ضدهم ، والمطالبة بالدستور ، وإنشاء حياة نيابية سليمة فى البلاد (٣) .

كما عارض حكومة بطرس غالى عندما وافقت على إعادة قانون المطبوعات الصادر فى عام ١٨٨١م ، والذى يقضى بتقييد حرية الصحافة ، وحذرها من سوء ما قد ينشأ عن هذا التصرف (٤) .

وكان الشيخ جاويش صاحب أسلوب جرىء وعنيف ، مما أزعج الحكومة وسلطات الاحتلال ، فبدأت تعمل للتآمر عليه ومراقبته ، وما زالت به حتى حوكم فى يوليو ١٩٠٨م من أجل مقالة بعنوان : «دنشواى أخرى فى السودان» وسجن ثلاثة شهور ، ثم حوكم فى يونيه ١٩١٠م من أجل مقدمته لديوان وطنيتى للشيخ على الغاياتى وسجن ثلاثة شهور (٥) .

ولم يضعف السجن من عزيمة الشيخ ، وبالرغم من انشغاله بقضايا مصر السياسية والاجتماعية لم يغفل أن يربط هذه القضايا بالأسس الإسلامية . فأنشأ لهذا الغرض مجلة «الهداية» الشهرية فى فبراير ١٩١٠م ، وظلت تصدر حتى عام ١٩١٢م ، وقد طرق فيها سائر أبواب الإصلاح الدينى والمدنى (٦) .

وفى الوقت نفسه كان الشيخ جاويش يواصل الكتابة فى «اللواء» ويرأس تحريرها ،

---

(١) اللواء ، عدد ٢٦٣٥ ، ٢ مايو ١٩٠٨م .

(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٨٢ .

(٣) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الأدب المعاصر ،مرجع سابق ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ . (٥) أنور الجندى : عبد العزيز جاويش ، مرجع سابق ، ص٧١ .

(٦) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص٢٨٧ .

حتى اختلف الحزب الوطنى مع ورثة مصطفى كامل فى أوائل ١٩١٠م فأصدر فى ٧ مارس ١٩١٠م جريدة «العلم» ، كان صاحب امتيازها إسماعيل حافظ .

وقد تولى الشيخ جاويش رئاسة تحريرها ، وكانت مقالاته الافتتاحية هى أبرز ما يكتب فى «العلم» (١) .

وقد سار فيها أيضا على نفس النهج الذى سار عليه فى «اللواء» من الهجوم على الاحتلال والخديو والحكومة ، الأمر الذى جعلهم يتربصون به الدوائر ، فلم يطب له المقام فى مصر فهاجر إلى تركيا فى يناير ١٩١٢م (٢) .

وهناك أعاد إصدار «الهداية» دون انتظام ، حتى توقفت نهائيا فى أواخر ١٩١٤م(٣).

وقد توثقت علاقة الشيخ جاويش بزعماء الاتحاد والترقى ، فأبدى لهم رغبته فى أن يواصل كفاحه السياسى، فلبوا رغبته ، وساعدوه فى إصدار صحيفة الهلال العثمانى ، والتى رحبت بها كل صحف الحزب الوطنى فى مصر ، فكانت تنقل عنها وتدعو لها (٤) .

وقد عاد الشيخ جاويش إلى مصر عام ١٩٢٣م بعد رحلة استمرت اثنتى عشرة سنة وكان لعودته دوى ، فقد أثار ضجة فى أوساط الوفد الذى كان قد انفصل عنه «حزب الأحرار الدستوريين» ، وبدأت معركة ضد الحزب الوطنى الذى يختلف مع الحزبين الجديدين فى مفاهيم الوطنية (٥) .

وفى ذلك الوقت أعاد الحزب الوطنى «اللواء» مرة ثانية تحت اسم «اللواء المصرى» فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٣م ، وتولى أحمد توفيق رئاسة تحريرها ، وفى أكتوبر من العام نفسه عطلت حكومة يحيى إبراهيم الصحيفة ، ثم سمح لها بالصدور مرة ثانية فى مايو ١٩٢٤م، وقد تولى الشيخ جاويش مع أحمد توفيق رئاستها (٦) .

غير أنه لم يستمر فى هذا العمل طويلا حيث أسند إليه مراقبة التعليم الأولى فى وزارة المعارف (٧) . حتى وافته منيته فى فجر يوم الجمعة ٢٥ يناير ١٩٢٩م (٨) بعد مرحلة من الجهاد فى مختلف القضايا التى مرت بها الأمة المصرية فى الجوانب الاجتماعية والأدبية والدينية والسياسية .

---

(١) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص٢٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٣) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢ . (٤) المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

(٥) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٨٤

(٦) سالم قنبير: الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الأدب العربى المعاصر، مرجع سابق، ص٤١٢ ٤١٣ .

(٧) المرجع السابق ، ص٤١٩ . (٨) المرجع نفسه ، ص٤٢٤ .

الباب الثانى

صحافة الاتجاه الإسلامى والدعوة الإسلامية

ويتناول الفصول التالية :

الفصل الرابع : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى التفقيه والإرشاد .

الفصل الخامس : دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى مقاومة البدع والخرافات الدخيلة على الإسلام .



الفصل الرابع

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى التفقيه والإرشاد الدينى

نحاول فى هذا الفصل أن نقف على الدور الذى أدته الصحافة الإسلامية فى الدعوة ومدى إسهامها فى تفقيه الجماهير المسلمة وإرشادها ، والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد .

أولاً : الدعوة وتفقيه الجماهير وإرشادهم :

كان للصحافة الإسلامية فى ذلك العصر أثر فى إعداد الدعاة والرأى العام الدينى ، بما لا يقل أثرا عن دور المؤسسات الإسلامية الموجودة فى هذا العصر إن لم يزد عليها .

وقد حددت « المنار » طرق الدعوة إلى الله وحصرتها فى طريقتين هما : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، وعرفت الحكمة بأنها : خطاب العقل بالبرهان ، أما الموعظة : فهى التأثير فى النفس بمخاطبة الوجدان . والأولى يخاطب بها الخواص ، والثانية يخاطب بها العوام [1] .

ثم ترسم الطريقة الصحيحة أو المنهج السليم لإعداد الدعاة فتقول : يشترط فى الدعاة الشروط الآتية :

١ ـ العلم بلغة من يراد دعوتهم ومجادلتهم .

٢ ـ العلم بأخلاق الناس وعاداتهم ومواقع أهوائهم ورغباتهم ؛ ليخاطبهم بما يعقلون ويجادلهم بما يفهمون .

٣ ـ الوقوف على ما عندهم من المذاهب والتقاليد الدينية والعلوم والفنون الدنيوية .

٤ ـ إلقاء الدعوة بصوت ينبه العقول والفكر ، وصيحة تستلفتها إلى النظر وتشوق النفوس إلى غايتها .

٥ ـ التلطف فى القول والدقة فى المعاملة .

٦ ـ إيمان القائم بالدعوة بما يقول ، بأن يكون موقنا أو مقتنعا بما يدعو إليه .

٧ ـ الصبر وسعة الصدر ، فمن استعجل الشىء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، ومن ضاق صدره ملّ ، والملل آفة العمل .

---

(١) المنار ، م ٣ ، عدد ٢١ ، غرة جمادى الثانية ١٣١٨ هـ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٠٠ م .

٨ ـ الأمل بالنجاح ، والرجاء بالفلاح ، مهما عظمت المصاعب وانتابت النوائب ، فإن اليأس أدوأ الأدواء الذى لا ينجح مع وجوده دواء [١] .

ونلاحظ أن هذه الشروط التى قد وضعتها المنار لإعداد الدعاة كفيلة لإنجاح أى مهمة إعلامية ، وكفيلة أيضا بأن يترسمها الدعاة فى الوقت الحاضر وبخاصة الدعاة الذين يُوفَدون من قبل الأزهر ووزارة الأوقاف إلى البلاد الإسلامية التى لا تتكلم العربية .

وقد اهتمت المنار بتقويم اعوجاج الوعاظ والخطباء ، ونعت عليهم جهلهم بأحاديث رسول الله ﷺ ، وبينت الأضرار التى يمكن أن تترتب على ذلك وأثره على الجماهير المسلمة وعلى الإسلام نفسه ، فقالت : « ما أصيب الإسلام بآفة كآفة الخطباء ، وما أضر بالمسلمين كوعاظهم الجهلاء الذين كانوا ـ ولم يزالوا ـ سببا لحيرة العقول ، ومصدر البلاء، وسبب الشقاء بما يَتْلُون على مسامع العامة من الشجعات المقلوبة والأحاديث المكذوبة الداعية إلى استدراج العامة من السجعات المقلوبة والأحاديث المكذوبة الداعية إلى استدراج العامة فى الشرور ، اعتمادا منهم على ما يسمعونه من أولئك الوعاظ والخطباء من الأكاذيب المضلة ، كقولهم : من قرأ كذا فله من الحسنات كذا ، ومن فعل كذا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » [٢] .

لذلك فقد حَمَّلَت الخطباء والوعاظ ما وصلت إليه الأمة من فساد الأخلاق والضمائر واجتراح الآثام والجرائر ، حقا فإذا كان قادة الرأى ومصلحو الأمة بهذا السوء ، فلا شك أن أفراد الأمة سوف يكونون أسوأ حالا منهم ، ومن هنا يتبين مدى أهمية إعداد الدعاة وقادة الرأى والوعاظ .

وقد نبهت « المؤيد » إلى أهمية الوعاظ ، ومدى حاجة الناس إليهم فنشرت مقالة بعنوان : « حاجة الناس إلى الوعاظ » ، بينت فيها أنه « لا يُصلِح أخلاق الناس ولا يُقوِّمها إلا الوعاظ المرشدون ، والهداة المحسنون ، فهم الدين يؤيدونهم بالفضائل ، ويجنبونهم الرذائل التى تميت النفوس ، وتفسد الشعور ، فيرتكب الواحد الإثم تلو الإثم حتى تسود صفحة قلبه ، وتعلق به أدران النقائص والأوزار » [٣].

وتؤكد « المؤيد » على وجوب الدعوة الإسلامية وضرورتها « بأنها ماء الحياة الذى تستقى منه المبادئ والآراء ، وهو زيت السراج لا يضىء المصباح إلا إذا أمددته به » [٤] ؛ ولذلك فهى تشترط على من يقومون بهذه الرسالة السامية أن يكونوا قدوة حسنة لمن يدعونهم إلى هذا الصلاح ، فهم ورثة الأنبياء ، ورسالاتهم هى رسالة الرسل الكرام فى

---

(١) المنار ، م ٣ ، عدد ٢١ ، غرة جمادى الثانية ١٣١٨ هـ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٠٠م .

(٢) المنار ، م ٢ ، عدد ٤٤ ، ١٢ رمضان ١٣١٧ هـ ، ١٣ سبتمبر ١٩٠٠م .

(٣) المؤيد ، عدد ٦٢٧٦ ، ٢٨ محرم ١٣٢٩ هـ ، ٣٠ يناير ١٩٠٠م .

(٤) المؤيد ، عدد ٦٣٣٢ ، ٦ ربيع الثانى ١٣٢٩ هـ ، ١٥ أبريل ١٩١١م .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [1] ، فهذه الوظيفة من أرقى الوظائف ، ولن ينجح فيها أى إنسان مهما أوتى من العلم والحكمة وفصاحة البيان إلا إذا كان متخلقا بخلق الأنبياء .

وقد اهتمت الصحف الإسلامية ـ على اختلاف أنواعها ـ بشرح قواعد الدين الإسلامى ، وحثت الناس على إقامة فرائضه كالصلاة والزكاة والحج ، وتفقيه الجماهير فى أمر دينهم وتقبيح السلوك غير السوى ، ومحاولة تقويمه .

تنعى « المنار » على الذين يتركون فريضة الصوم من المسلمين تقليدا منهم للأجنبى غير مبالين بالأمر الإلهى ، ولا إلى ما فى هذه العبادة من المنافع الروحية والجسدية ، مشيرة إلى أن هؤلاء هم الذين نشأوا فى مهد التمدن العصرى الشرقى ، وضموا إلى مفاسد التربية الشرقية الكثير من مفاسد التربية الغربية ، فنسوا ما ذكروا به على لسان الشرع الحكيم وآداب الدين وفضائله [2].

فضلا عن ذلك فهى ترشد الجماهير المسلمة إلى فوائد الصوم الروحية والجسمية وإلى عدم الذهول عن حكمته ، وفوائده ، ومزاياه ، حتى ينتفعوا بصومهم ، فيكون عبادة ، وليس عادة [3] .

وقد حضت « المنار » أيضا جماهير المسلمين إلى الإنفاق فى سبيل الله ، وإعطاء الزكاة للفقراء والمساكين ، وأكدت أن هذه الفريضة من مقومات المدنية الحديثة ؛ ولذلك فهى تبين مشروعية الزكاة والحكمة منها ، فتذكر أن الله سبحانه وتعالى « فرض على المؤمنين أن يجعل أغنياؤهم جزءا من أموالهم لمواساة الفقير والمسكين العاجزين عن كَسْب يقوم بكفايتهما ، ولتأليف القلوب التى لم تطمئن بالإيمان كمال الاطمئنان ، لا سيما من يتبعه فى الهداية غيره ، وفى فك الرقاب من ذل الرق وإطلاق الأسارى من قيود الأعداء، ولمساعدة الغارمين بتحمل الديون للنفقة الشرعية على أنفسهم وأهليهم أو لإصلاح ذات البين ، ولإعانة المجاهدين الذين يتطوعون ببذل أرواحهم لحفظ الأمة وإعلاء كلمة الملة »[4].

مما سبق يتضح أن مصارف الزكاة قد حددتها « المنار » فى هذه الأصناف : الفقير والمسكين العاجزين عن الكسب ، والمؤلفة قلوبهم ، وفك الرقاب ، والغارمين ، وإصلاح ذات البين ، وإعانة المجاهدين فى سبيل الله . ويمكن أن نضيف صنفين آخرين وهما العاملين على الزكاة وابن السبيل كما جاء فى قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ

---

(١) المؤيد ، العدد السابق نفسه .

(٢ ، ٣) المنار ، م٢ ، عدد ٤٣ ، ٥ رمضان ١٣١٧ هـ ، ٦ يناير ١٩٠٠ .

(٤) المنار ، م٢ ، عدد ٤٥ ، ١٩ رمضان ١٣١٧ هـ ، ٢ يناير ١٩٠٠ .

﴿وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٦٠] .

وقد بينت « المنار » أن مساعدة هذه الأصناف التى حددتها الشريعة الإسلامية من مقومات المدنية الحديثة ، وإهمال شأنهم خروج عن الإنسانية ، فمنع الزكاة يهدم ركنا من أركان الإسلام ويعني نسخ آيات كثيرة من كتاب الله تعالى ، ونسخ العديد من حديث رسول الله ﷺ والإعراض عن سيرة السلف الصالح الذين قاتلوا مانعى الزكاة (١) .

وترد على شبه المتفرنجين الذين ينكرون هذه الفريضة الإسلامية بحجة أن إعطاء المال بدون مقابل يعلم الناس الكسل ، ويكثر من المتسولين ، وتدحض هذه الشبهة قائلة :

أولاً : أن مفاسد البذل والزكاة تعارضها الآن مفاسد أعظم منها وأشدها خطرا على الإنسانية ، وهى مفاسد الاشتراكية التى ليس لها منشأ إلا عدم رضا الاشتراكيين بجعل المال دولة بين الأغنياء ، بحيث يقاسى السواد الأعظم من أبناء الإنسان متاعب الفقر وشقاء العوز ، حيث يموت الكثير منهم جوعا ويتمتع القليل بجميع صنوف النعيم .

ثانيا : أن فضلاء الأوربيين وعقلاءهم الذين لم ينسلخوا من المزايا الإنسانية ، ولم يحرموا من الشفقة والرأفة على أبناء جنسهم ، قد خصصوا جزءا من أموالهم لبناء المستشفيات لمعالجة مرض الفقراء .

ثالثاً : لا ينبغى أن يلتفت إلى قول الإفرنج ؛ لأن احتجاجهم بتعليم الناس البطالة والكسل إنما يأتى إذا كانت الشريعة تعطى من يقدر على الكسب ولا يكتسب إخلادا إلى الكسل والبطالة ،ولكن الشريعة تمنع إعطاء مثل هذا كما تمنع إعطاء العاجز فوق كفايته(٢).

وفى مجال التفقيه والإرشاد الدينى أيضا كانت الصحف الإسلامية تنتهز فرصة حلول المناسبات الدينية ،وتقوم بنشر المقالات عن الإسلام وتاريخه ، وأثره فى الأمم الأخرى ، وفضله على البشرية بوجه عام . من ذلك ما كتبه محمد رشيد رضا إبان ذكرى الهجرة النبوية فى « المؤيد » .

فقد وضح كيف قضى الإسلام على الوثنية التى أذلت البشر ، وأن الإسلام هو الذى قرر حرية الاعتقاد ، والشورى فى السياسة والإحكام ، وأبطل امتيازات الأنساب والأجناس التى كانت موجودة بين الناس بغير علم نافع أو عمل رافع (٣).

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) المؤيد ، عدد ٦٥٥٤ ، غرة محرم ١٣٣٠ هـ ، ٢٢ ديسمبر ١٩١١ م.

(٣) المؤيد ، عدد ٦٥٦٦ ، ١٥ محرم ١٣٣٠ هـ ، ٥ يناير ١٩١٢ م.

وقد نشرت « المؤيد » فى هذه المناسبة سلسلة من المقالات عن المعاهدات والمحالفات التى أبرمها رسول الله ﷺ مع المشركين مثل المحالفة الثنائية بين خزاعة والمسلمين ، وصلح الحديبية (١) .

ونشرت أيضا همزية شوقى فى شمائل سيد العالمين الذى قال فى مطلعها :

ولد الهدى فالكائنات ضياء	وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حولـه	للدين والدنيا به بشراء

ثم تبين أهمية البعثة النبوية وإرسال سيدنا محمد ﷺ الذى كان مبعثه رأفة من الله بعباده ؛ ليجدد شريعته الأولى التى اندثرت بمرور الزمان إلى أن وصلت إليه . فقد كان للناس قبل ظهوره آلهة متعددة ، ومذاهب متشتتة ، فقام ﷺ بالدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وإخلاص الدين والعبادة له وحده ، ونور الأذهان بالمعارف الإلهية ، وهذب الأخلاق ، ووحد الكلمة (٢) .

ولم تقتصر الصحف الإسلامية فى هذا المجال على نشر المقالات الوعظية فقط ، بل كانت تنشر الخطب التى يلقيها كبار كتاب الإسلام فى المناسبات الدينية ، وذلك ما فعلته «المؤيد» فقد نشرت خطبة ألقاها المفكر الإسلامى رفيق العظم عن «أسباب الهجرة النبوية ونتائجها الأدبية » ،والذى قرر فيها أن الهجرة كانت سببا فى سعادة قريش نفسها وسعادة الملايين من البشر ، فقد استقرت الدعوة فى يثرب ، وبذلك كانت نهاية القضاء ـ فى قسم عظيم من الأرض ـ على عبادة الأوثان ،وعلى سلطنة أفراد من سدنة الهياكل وكهنتها(٣) .

وعرضت أيضا لخطبة المستر « إيوان مولر » التى ألقاها فى قاعة كاكستون فى مدينة لندن بعنوان : « الإسلام دين المدنية ، والتسامح » على أعضاء جمعية مسلمى الهند والتى اعترف فيها « بأن أوربا بأسرها وإنجلترا بوجه خاص مدينة بالدين الأول والأعظم للإسلام بمزيته الفائقة ، وهى أنه قد نشر فى الغرب مبادئ التسامح الدينى . . . ثم إن أوربا عموما والجنس الأنجلوساكسونى ـ خصوصا ـ مدينة من جهة أخرى للإسلام فى أن الإصلاح الدينى المسيحى كان مستحيلا لولا أن روح الإسلام طهرت جو أوربا الدينى » (٤) .

وأول ما نلاحظه هنا أن « مولر » يعترف بأن الإسلام هو الذى خلص أوربا من التعصب الدينى ، وأنه كان للإسلام الفضل فى النهضة العلمية فى أوربا التى كانت تعيش عصورا مظلمة إبان النهضة الإسلامية فى الشرق ، ويؤيد ذلك قوله : « إن أنوار التهذيب

---

(١) المؤيد ، عدد ٦٦٢١ ، ١٨ ربيع الأول ١٣٣٠هـ ، ٧ مارس ١٧١٢م .
(٢) المؤيد ، عدد ٥٨١٠ ، ١٩ جمادى الثانى ١٣٢٧ هـ ، ٧ يوليه ١٩٠٩ م.
(٣) المؤيد ، عدد ٦٢٥٦ ، ٣ محرم ١٣٢٩ هـ ، ٤ يناير ١٩١١ م.
(٤) المؤيد ، عدد ٥٨٢١ ، ٣ رجب ١٣٢٧ هـ ، ٢٠ يوليه ١٩٠٩ م.

التى قدر لها أن تشعل ثانية مصباح العلم فى سائر أوربا بعد أن خمد نوره إنما نشأت عن التعاليم التى أوجدها الإسلام فى إسبانيا ، فضلا عن أنه أخذ بيد حرية القول والفكر التى كان من مصلحة البابوية تعطيلها ، والتى هى طليعة الإصلاح الدينى المسيحى » (١).

وكانت الصحف الإسلامية تنتهز أيضًا فرصة حلول شهر رمضان من كل عام ، وتنشر العديد من المقالات عن الصلاة ، والصيام ،وفوائد الصوم ، ونصائح الصوم ، وأفضلية شهر رمضان ، ووجوب الزكاة ، وغير ذلك من المقالات التى تستدعيها هذه المناسبة ، ومن يرجع إلى هذه الصحف يجدها حافلة بمثل هذه المقالات (٢) .

ومن المناسبات الدينية التى كانت الصحف توليها من الاهتمام القدر الكبير : حلول المولد النبوى الشريف ، فكانت تقوم بتزويد القراء بالتاريخ المحمدى ، حيث تعرض لحياة الرسول ﷺ ، ومولده ،ونشأته ، وحالة العرب قبل الإسلام والأحداث التاريخية فى عصره ﷺ (٣) ، ثم تعرض أيضا لأخلاقه ﷺ وشمائله ورسائله إلى المقوقس ، والنجاشى ، والملوك والأمراء لدعوتهم إلى الإسلام (٤).

وقد سنت الصحافة الإسلامية سنة تعتبر فى ذلك الوقت رائدة فى مجال الصحافة بوجه عام ؛ إذ كانت تقوم بنقل المحاضرات والدروس التى كان يلقيها أساتذة الجامعة المصرية المشهورين فى حقل الدراسات الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى والشريعة الإسلامية ، والفلسفة وبعض العلوم الأخرى .

فقد نشرت « المؤيد » المحاضرات التى ألقاها الشيخ محمد الخضرى ـ أستاذ تاريخ الأمم الإسلامية فى الجامعة ـ عن أسطول الدولة الفاطمية ، وعن نظام الصناعة فيها ، ونظام الخراج (٥) ، وتاريخ الفتح العثمانى ، وعلاقة المسلمين بالعثمانيين منذ هذا الفتح إلى التاريخ الحديث (٦) .

كما نشرت سلسلة مقالات عن تاريخ الدولة الأيوبية ، وتاريخ صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، والحروب الصليبية (٧) .

وكان لـ « المؤيد » خاصة اهتمام بالتاريخ الإسلامى ، فأفسحت صفحاتها لنشر العديد

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) انظر : المؤيد ، واللواء ، والشعب ، والهداية ، والمنار ، والإسلام ومكارم الأخلاق الإسلامية .

(٣) الشعب ، عدد ٣١٦ ، ١٥ ربيع الأول ١٣٣١ هـ ، ٢١ فبراير ١٩١٣م .

(٤) الشعب ، عدد ٣١٨ ، ١٧ ربيع الأول ١٣٣١ هـ ، ٢٣ فبراير ١٩١٣م .

(٥) المؤيد ، عدد ٦٩٠٣ ، ٦٩٠٤ ، ٥ ، ٦ ربيع الأول ١٣٣١ هـ ، ١١ ، ١٢ فبراير ١٩١٣م .

(٦) المؤيد ، عدد ٧١٨٠ ، ٧١٨١ ، ٩ ، ١٠ صفر ١٣٣٢ هـ ، ٧ يناير ١٩١٤م .

(٧) المؤيد ، عدد ٦٩٢٩ ، ٢٠ربيع الثانى ١٣٣١ هـ ، ١٠ مارس ١٩١٣م .

من المقالات المتخصصة فى التاريخ الإسلامى ، فضلا عن محاضرات الشيخ الخضرى كتب مسعود فراج مسعود فعرض ـ تحت عنوان : « المقترحات الإسلامية فى البلاد المصرية » ـ لتاريخ الإسلام ، وكيف أنقذ البشرية من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ثم عرج إلى الفتوحات الإسلامية فى البلاد المصرية ، وتناول تاريخ مصر قبل الإسلام وبعده، ووضح كيف أن الإسلام أنقذ المصريين من ظلم الحكام وأدخل المدنية إلى مصر، ولم يقف جهده إلى حد الفتح أو الاستعمار فى جميع مراحله ، بل كانت خطته نشر المدنية ، وتعميم الحضارة ، وبذر بذور الاتحاد والائتلاف ، وكل ما عليه مدار العمران ، ثم بين أثر الإسلام فى أوربا وحضارتها ، وقد نقل قول العلامة« ليبرتى » فى معرض حديثه عن مدنية الإسلام :« لومحا الله العرب من صفحات التاريخ لتأخر ظهور النهضة الأوربية العلمية فى أوربا أجيالا متعاقبة » [١] .

ونشرت « المؤيد» أيضا العديد من المقالات عن الآثار الإسلامية والتاريخية [٢] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصحافة الإسلامية ، بالإضافة إلى ما كانت تنشره من مقالات عن الصلاة والزكاة والحج ، وقواعد الدين الإسلامى ، فإنها كانت تنشر المباحث التى تتناول الثقافة الإسلامية بمعناها الواسع ، والتى تشمل الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامى والعقيدة الإسلامية ، واللغة العربية ، والعلوم وغيرها .

وقد نشرت « المؤيد » ما ألقاه الشيخ محمد الخضرى أيضا فى محاضراته عن الإمام الغزالى ، ونشأته وتعاليمه ، ومؤلفاته العلمية ، وآرائه فى الخلافات الفقهية ومناظراته لعلماء عصره ، وأقواله فى العلوم الجدلية ، والكلامية ، والخلافات ، واشتغاله بالفلسفة وتصديه لفلاسفة الإسلام كابن سينا والفارابى وأضرابهما [٣].

كما نشرت سلسلة مقالات علمية عن الإسلام والفلك ، كتبها الزرقاوى الفلكى ، ومقالات عن تطور الأمم ونهوضها فى القرن العشرين [٤] .

وأشارت « الشعب » إلى ما قدمه المسلمون فى مجال الفلسفة والفنون ، وبينت أن المسلمين هم الذين صنعوا الحضارة، وأنه قد نبغ فى العالم الإسلامى الكثير من الفلاسفة والحكماء ، ومع ذلك فقد أهملها المسلمون ، واستفاد الغربيون من هذا الإهمال، وكانت النتيجة أن صار العالم الإسلامى فى جهل وتأخر ، بينما نبغ الغرب بعد أن نقل الأوربيون الكثير من الكتب الإسلامية والعربية فى العلوم والفنون إلى بلادهم ، واستفادوا منها ،

---

(١) المؤيد ، عدد ١٧٤٢ ، ٢٨ ذى الحجة ١٣٢١ هـ ، ٢٧ نوفمبر ١٩١٣م.

(٢) المؤيد ، عدد ٧٢٠٧ ، ١٧ ربيع الأول ١٣٣٢ هـ ، ١٣ فبراير ١٩١٤م.

(٣) المؤيد ، عدد ٥٧٤٢ ، ١٤ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ، ١٨ أبريل ١٩٠٩م.

(٤) المؤيد ، عدد ٧٢٠٤ ، ١٤ ربيع الأول ١٣٣٢ هـ ، ١٠ فبراير ١٩٠٩م.

وساروا فى طريق التقدم والرقى وصنعوا حضارة ومدنية على أنقاض حضارة ومدنية المسلمين [1] .

وقد نشرت أيضا المحاضرات الدينية والعلمية التى كان يلقيها الشيخ طنطاوى جوهرى فى الجامعة المصرية [2] . ونشرت « المؤيد » أيضا مقالات عن كروية الأرض وحركتها مبينة أن القرآن أثبت ذلك فى قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [الزمر : ٥] وأن إثبات القرآن لتلك الحقيقة العلمية وهى كروية الأرض قبل علماء الفلك بألف أو يزيد من السنين ، دليل على صدق رسالة محمد ﷺ [3] .

وقد ذكرت أيضا أن العلم كشف فى هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لمكتشفيها ومخترعيها من علماء أوربا وأمريكا ، ولكن المدقق فى القرآن يجد أكثرها قد ورد التصريح به أو التلميح فى القرآن الكريم ، وما خفى من هذه الحقائق إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ، شاهدة بأنه كلام رب العالمين .

وقد أوردت لذلك شواهد عديدة ، منها : إذا كان العلم الحديث اكتشف مثلا أن مادة الكون هى الأثير ، فإن القرآن قد ذكر ذلك عند بدء التكوين فقال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت : ١١] ؛ وإذا كان العلم اكتشف أيضا أن الأرض فى حركة مستديرة دائبة ، فالقرآن قد ذكر ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس] [4] .

وكانت الشعب تفسر بعض الآيات العلمية فى القرآن ، وتأتى بما أثبته العلم الحديث تجاه هذه الآيات ، محاولة أن تثبت أن القرآن قد سبق العلم الحديث قبل ١٣٠٠ (ثلاثمائة وألف سنة) [5] .

وقد نشرت بعض المقالات العلمية عن المذنبات فى الفلك والقرآن مبينة موافقة العلم للدين ، وأن القرآن لم يترك شيئا إلا فصله وليؤمن الجاحدون أنه قانون السماء ،

(١ ، ٢) الشعب ، عدد ٢٧٠ ، ٢١ محرم ١٣٣١هـ ، ٣٠ ديسمبر ١٩١٢م .

(٣) المؤيد ، عدد ٧١٠٢ ، ٧ ذى القعدة ١٣٣١هـ ، ١٧ أكتوبر ١٩١٣م .

(٤) المؤيد ، عدد ٦٧٧٧ ، ٢٦ رمضان ١٣٣٠ هـ ، ٩ من سبتمبر ١٩١٢م ، ومحاضرة إسلامية ألقاها الشيخ عباس طه بندر أشمون ، انظر : العدد ٦٧٧٨ ، ٢٧ رمضان ١٣٣٠ هـ ، ١٠ من سبتمبر ١٩١٢م.

(٥) الشعب ، عدد ٤٨٠ ، ٤ من شوال ١٣٣١هـ ، ٥ سبتمبر ١٩١٣م .

وليستمد منه المسلمون العلم والاختراع والجد والعمل ، والسياسة والعدالة ، وطيب الحياة ، حتى إذا رجعوا فى كل شىء إلى دينهم القويم ، وعملوا بما فيه كانوا من أسعد السعداء (١) .

ومن الحقائق الهامة التى ينبغى الإشارة إليها هنا هى : أن بعض الصحف الإسلامية كانت تحاول أن تقرب بعض حقائق العلم الحديث إلى الدين وتشير إلى موافقتها لما جاء به الدين والقرآن ، وأحيانا تطوع الآيات القرآنية لما جاء به العلم . وإذا كان هذا الاتجاه لا غبار عليه من ناحية تفقيه الجماهير المسلمة وإيقافهم على الحقائق العلمية التى جاء بها القرآن الكريم ، إلا أن هذا من ناحية أخرى فيه خطورة على الدين والقرآن ، فإن القرآن الكريم لا ينبغى أن تطوع آياته لما جاء به العلم الحديث ، وإنما ينبغى أن يطوع العلم الحديث لما جاء به القرآن ، فإن وافقه كان صحيحا ، وإن لم يوافقه ، فالقرآن ليس كتاب يخضع للنظريات أو المخترعات ، كما أن هذه المحاولة قد جرّت بعض علماء المسلمين المشهورين آنذاك أن يوفق بين الإسلام ونظرية التطور لدارون رغم أن العلم والدين قد أثبتا فشلها وبطلانها . هذا العالم هو الشيخ طنطاوى جوهرى الذى كتب فى مجلة «الهداية» مرجعا نظرية دارون فى التطور إلى علماء المسلمين (٢) .

وإذا كانت الصحافة الإسلامية الحديثة تقوم بعرض الكتب التى ترى أن فيها مادة ثقافية تهم الجماهير ، أو تنقل فصولا من بعض الكتب ، وأحيانا تنقل عن بعض المجـلات والصحف الأخرى ، فإن الصحافة الإسلامية فى فترة البحث قد تنبهت إلى هذا الأمر .

فـ « المنار » عقدت بابا ثابتا لتقريظ بعض الكتب والجرائد ، أطلقت عليه : «آثار علمية وأدبية» ، وكانت الشعب تنشر فصولا من بعض الكتب الإسلامية بقصد تعميم النفع على المسلمين ، فقد نشرت فصولا من كتاب : « الجواب المنيف فى القرآن الشريف» ، هذا الكتاب ألفه يوسف الدجوى من علماء الأزهر ليرد فيه على المستشرقين الذين قاموا بتحريف كتاب الله الكريم (٣) .

كما كانت تقوم بتقريظ بعض الكتب والتعريف بها ، فقد عرضت لكتاب : « علم الأخلاق » الذى ألفه إبراهيم رمزى صاحب مجلة « المرأة فى الإسلام » (٤) .

---

(١) الشعب ، عدد ٤٢٨ ، ٢٨ من رجب ١٣٣١هـ ، ٣ يوليه ١٩١٣م .

(٢) الهداية ، أكتوبر ١٩١٠ م ، وانظر : د . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، ط ٣ مرجع سابق ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٣) الشعب ، عدد ٤٠١ ، ٢٧ من جمادى الأولى ١٣٣١ هـ ، ٢ من يونيه ١٩١٣ م .

(٤) الشعب ، عدد ٤٠٧ ، ٣ من جمادى الثانية ١٣٣١ هـ ، ٨ من يونيه ١٩١٣ م .

وقد نشرت « المؤيد » أيضا منتخبات من مؤلفات الإمام الغزالى بعنوان : « التربية النفسية » فى أكثر من عدد [1] ، وعرضت لبعض الكتب الإسلامية ، منها كتاب ألفه طلعت حرب بعنوان : « تاريخ دول العرب والإسلام » شرح فيه جغرافية بلاد العرب ومواطنهم، وحاصلات بلادهم ومساحات هذه البلاد ، وأحوالهم، وصفاتهم ، وحروبهم وعاداتهم، كما تناول فيه سيرة محمد ﷺ من بعثته إلى وفاته [2] .

كما عرضت لكتاب : « حضارة الإسلام فى دار السلام » لجميل أفندى مندور ، الذى تحدث فيه عن تاريخ المسلمين وآدابهم وعلومهم ومآثرهم ، والأسباب التى نهضت بهم إلى فتح العالم كله [3].

وكانت الصحافة الإسلامية تستكتب بعض كبار العلماء ، فقد نشرت « المؤيد » سلسلة مقالات كتبها الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر عن الأحاديث الموضوعة وبيان الصحيح منها وغير الصحيح [4] .

وكتب الشيخ توفيق البكرى ـ شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى القطر المصرى ـ سلسلة مقالات بعنوان : « المستقبل للإسلام » نشرتها « المؤيد » فى شكل فصول ، تناول فى الفصل الأول منها مستقبل الإسلام من ناحية المكان والسكان ، وقد أثبت أن العالم الإسلامى يشغل قلب العالم كله ، فالعالم النصرانى عن يساره ، والعالم الوثنى عن يمينه على هيئة قلب وجناحين ، ثم بين ما احتوى عليه العالم الإسلامى من ثروات طبيعية ، وأنه أرض الديانات السماوية كلها ، وأن هذه السعة فى الأرض والبسطة فى الخصب التى رزقها العالم الإسلامى أصل كبير فى نمو أفراده ، وهذه الأشياء أيضا من المقومات التى تجعل المستقبل للإسلام [5] .

وأشار إلى الأسباب التى أدت إلى انتشار الإسلام فى كل موقع فى العالم ، نوجزها فيما يلى :

أولا : سلامة العقيدة الدينية لدى المسلمين الأوائل .

ثانيا : الدور الذى قام به الدعاة من الصوفية فى مجاهل إفريقيا وآسيا .

ثالثا : موافقة أحكام الإسلام للفطرة الإنسانية .

---

(١) المؤيد ، عدد ٦٩٢٤ ، ٦٩٢٥ ، ٦٩٢٦ ، ١٤ ربيع الأول ١٣٣١ هـ ، ٢١ فبراير ١٩١٣ م .

(٢) المؤيد ، عدد ٤٦١٦ ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٢٣ هـ ، ١٧ يوليه ١٩٠٥ .

(٣) المؤيد ، عدد ٤٦٤٤ ، ١٨ جمادى الثانية ١٣٢٣ هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٠٥ .

(٤) المؤيد ، عدد ٣٨٢١ ، ٢٥ شعبان ١٣٢٠ هـ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٠٢ م .

(٥) المؤيد ، عدد ٣٨١٩ ، ٢٣ شعبان ١٣٢٠ هـ ، ٢٤ نوفمبر ١٩٠٢ م .

رابعاً : تعدد الزوجات .

خامسا : بغض الأمم الوثنية للنصارى [1] .

وفى الفصل الثانى من مقالات الشيخ البكرى بيّن أسباب انحطاط المسلمين وأرجعها إلى سببين رئيسيين هما : ضعف الإرادة ، والجهل « فجميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم ، فإن صلحت الأشخاص صلحت الأحوال ، والعكس بالعكس» [2] .

وفى الفصل الثالث وضح الأسباب التى عليها مدار تقدم الأمة الإسلامية ، وهى :

١ - تعميم المدارس الابتدائية فى كل قرية ، والمدارس الثانوية فى كل مركز ، والمدارس العليا « الجامعات » فى المدن الكبرى .

٢ - نقل العلم الحديث وإيجاده بين المسلمين ، وقد حدد لذلك طريقتين :

أ - ترجمته إلى لغات المسلمين أو تعليم المسلمين لغة من اللغات الحية الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية ، لتكون لغتهم العلمية .

ب - أن تكون اللغة الإسلامية فى حالة يمكنها أن تكون لغة علمية ، وذلك بنقل الألفاظ والمصطلحات العلمية إليها [3] .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى الجهد الذى قامت به الصحف الإسلامية فى تفقيه الجماهير وإحاطتهم بمختلف ألوان الثقافة الإسلامية من خلال المقالات والأبحاث وعرض الكتب، ونشر أجزاء منها ،وتفسير بعض الحقائق العلمية التى وردت فى القرآن الكريم .

فضلا عن ذلك ، فقد مارست الصحافة سلطة النقد والتوجيه ، فـ« اللواء » طالبت بإصلاح المحاكم الشرعية ، وأن يكون القضاء بعيدا عن الأغراض ، وتحت عنوان : «الشرع والأغراض » كتبت تقول :« الشرع كلمة ينطوى تحت معناها الكمال والجلال ، ويدخل ضمنها أسباب الرقى بجميع أساليبه ، والأغراض بالعكس آفة من آفات الآداب ومعول يهدم بنيان العمران ،ويقوض صرح النجاح والفلاح . . . وإن أولى الناس باحترام الشرع والمدافعة عن حوزته والزود عن حياضه رجال المحاكم الشرعية ، الذين لم يشغلوا مراكزهم إلا ليظهر بهم الشرع فى أحسن مظاهره . غير أن من يتصفح أعمال بعض العمال فى المحاكم الشرعية ينقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير ، لكثرة ما فيها من مخالفة الشرع وميلها مع الأغراض » [4] .

(١) المؤيد ، عدد ٣٨٢٠ ، ٢٤ شعبان ١٣٢٠ هـ ، ٢٥ نوفمبر ١٩٠٢ م .
(٢) المؤيد ، عدد ٣٨٢١ ، ٢٥ شعبان ١٣٢٠ هـ ، ٢٦ نوفمبر ١٩٠٢ م .
(٣) المؤيد ، عدد ٣٨٢٢ ، ٢٦ شعبان ١٣٢٠ هـ ، ٢٧ نوفمبر ١٩٠٢ م .
(٤) اللواء ، عدد ١٤٢٧، ٥ يونيه ١٩٠٤م ، ٢٠ ربيع الأول ١٣٢٢ هـ .

ويبدو أن الشريعة الإسلامية والمطالبة بتطبيقها هى قضية كل عصر ، فقد طالبت «المؤيد» المسلمين باتباع منهاج الشريعة الإسلامية ؛ لأن الدين له تأثير على الأخلاق والسياسة ، لذلك ينبغى العناية بأمر الأطفال وتنشئتهم على الدين ؛ لأن الطفل يولد على الفطرة السليمة ، وهو مستعد للأخذ بكل صبغة والعمل على كل شاكلة .

وطالبت أيضا علماء الدين بأن يؤدوا دورهم على أكمل وجه ، بأن يبينوا للناس الأوامر والنواهى ، وأن يدعو الناس إلى الائتمار بأمر الله والانتهاء بما نهى الله عنه . وترجع أسباب ضعف الأمة الإسلامية وضياع هيبتها بين الأمم وافتقاد أجزاء كثيرة من الممالك الإسلامية إلى عدم انتهاج المسلمين نهج الشريعة الإسلامية ، وعدول بعضهم عن سلوك الفضائل الإسلامية [١] ، فالأمة الإسلامية ما ارتقت يوما إلا بتمسكها بقواعد الدين ، وما انهزمت يوما إلا ببعدها عن هذا الدين ، وهذا ما يؤيده تاريخ الفتوحات الإسلامية [٢] .

وكانت « المؤيد » ترشد الجماهير المسلمة إلى القراءة واقتناء الكتب ، لأن « الكتب فى الأمم بمثابة مقياس يعرف به مقدار رقيها وحالة اجتماعها ، كما أن الكتب من جهة ثانية من أشد العوامل فى إنهاض الأمم وانتقالها من وهدة التأخر والانحطاط » [٣] .

وقد نعت على ضياع المسلمين للكتب والمؤلفات التى كانت تزخر بها المكاتب الإسلامية فى بغداد ، ومصر والأندلس ، والتى بلغت زهاء خمسة ملايين كتابا ، أحصاها المستشرق غوستاف فلوغل قبل النهضة الأخيرة ، فبلغت ثلاثين ألف كتاب ، فأين بقية الخمسة ملايين ؟

وقد بينت أنه لم يبق بين المسلمين إلا ما كان تافها فى فائدته ،ركيكا فى عبارته ، وقد كانت تدعو إلى التنقيب عن كتب التراث وإلى وضع مؤلفات جديدة تواكب العصر، وتشير إلى ما قاله جمال الدين الأفغانى فى هذا الشأن :« لا بد فى إصلاح شؤوننا معشر المسلمين من تهذيب علومنا ، وتنقيح تآليفنا ، ووضع كتب جديدة فى الفنون المختلفة تكون قريبة المآخذ ، سهلة الفهم ، حسنة التبويب » [٤].

وإذا كانت الصحافة الإسلامية الحديثة تقوم بتفسير آيات من القرآن الكريم فى أعداد متوالية ،كما نشاهد ذلك على صفحات مجلة « اللواء الإسلامى »و« الوعى الإسلامى» و« منار الإسلام» و « منبر الإسلام » و « الأزهر » و « الأمة الإسلامية » لتفقيه الجماهير

---

(١) المؤيد ، عدد ٧١٨٤، ٢٠ صفر ١٣٣٢ هـ ،١٧ يناير ١٩١٤م .

(٢) المؤيد ، عدد ٤٣٣١ ، ٢٤ جمادى الأولى ١٣٢٢ هـ ، ٧ أغسطس ١٩٠٤م .

(٣ ، ٤) المؤيد ، عدد ٥٩٦٢ ، ٢ محرم ١٣٢٧ هـ ، ١٥ يناير ١٩١٠م .

المسلمة فى كتاب الله ، فإن الصحافة الإسلامية ـ فى فترة البحث ـ قد خصصت الكثير من صفحاتها لتفسير كتاب الله ، واشتهرت بذلك « المنار » و « الهداية » ؛ لأنهما كانتا تخصصان فى كل عدد من أعدادها بعض الصفحات لتفسير آيات من الذكر الحكيم ، فضلا عن أن بعض الصحف كانت تقوم بتفسير بعض الآيات فى بعض أعدادها كـ«الإسلام» و « الشعب » و « مكارم الأخلاق الإسلامية » و « المؤيد » .

ثانياً : الدعوة إلى الاجتهاد :

الاجتهاد فى اللغة يعنى : تحمل الجهد أى المشقة ، وفى الاصطلاح : استفراغ المجهود فى استنباط الحكم الشرعى ، والمجتهد من تكون له ملكة يقدر بها على ذلك الاستنباط وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى قوله لقاضيه أبى موسى الأشعرى : «الفهم الفهم عندما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى ﷺ»[1].

ولقد كان المسلمون فى القرون الأولى قادرين على الاجتهاد ، فقد تيسر لهم شروطه ووسائله ، غير أنه مع مرور الزمن فَقَد المسلمون شروط الاجتهاد ، ولم يعودوا قادرين عليه ، وأصبحوا بمنزلة العامة العاجزين من حيث وجوب التقليد عليهم ،وكان السبب فى سد باب الاجتهاد وتعطيل العقل شيئين هما :

١ ـ تغاير العلماء وتحاسدهم فى القرون الوسطى .

٢ ـ ترويج القول بلزوم سد باب الاجتهاد ،وقد روج لهذه السياسة استبداد ملوك الإسلام [2] .

وكان أول من تكلم فى وجوب الإصلاح الدينى ـ أو الدعوة إلى التجديد ـ هو السيد جمال الدين الأفغانى الذى حدد ذلك بقوله : « وليس المراد بإصلاح تعاليمنا أن نجدد فى الدين أو نحدث فيه حدثا لم يأت به نبينا ﷺ أو نحذف منه تعليما أو حكما أتى به ونص عليه ، وإنما المراد أن نرجع فى بساطة عقائدنا وسهولة تعاليمنا إلى ما كان عليه الحال الأول فى الصدر الأول ، فنتوسع ما شئنا فى أمور الدنيا ومقومات عمرانها ، أما أمور الدين فنقف عند حدوده ونصوصه وقفة عواجز ، ثم نسعى إلى تعلمه وتفهمه من أقرب الطرق وأسهلها ، فلا يقضى أحدنا عمره فى تعلم الدين تعلما يقصينا عنه ، ويحول بيننا وبين العمل به والاهتداء بهديه » [3] .

وفى بداية القرن العشرين انقسمت مذاهب الإصلاح إلى ثلاث طوائف :

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٩٤٩ ، ١٥ من ذى الحجة ١٣٢٧ هـ ، ٢٨ ديسمبر ١٩٠٩ م .

(٢ ، ٣) المؤيد ، عدد ٥٩٠٥ ، ١٧ من شوال ١٣٢٧ ، ٣١ أكتوبر ١٩٠٩م .

أولاً : طائفة أنصار القديم ، وهم الذين يقولون : إننا أمة تكونت بالدين ونهضت به بين العاملين ، فلا حياة لنا إلا بالرجوع إليه والتعويل عليه فى كل أمر من أمورنا ، وفى مقدمة هذه الطائفة الأزهريون .

ثانياً : طائفة زعماء الجديد ،وهم يدعون أن الدين سبب تأخرنا وجمودنا ، وأننا مادمنا خاضعين لوصايته فلن نكون فى حالة نجارى معها الأمم الحية .

ثالثاً : طائفة المعتدلين ، وهم يقولون : إن الإسلام دين عام جاء لسعادة الدنيا والآخرة ، وأنه صالح لكل زمان ومكان إن رجع به إلى أصله ، وتطهر مما ألصقه به أهل الجمود [1] .

ونلاحظ أن بعض الصحف قد سارت فى هذا الاتجاه الأخير ، وأسهمت فى الدعوة إلى التجديد ،ومحاربة الجمود الفكرى الذى ران على العقول فى هذه الفترة ، وكان فى مقدمة هذه الصحف ، صحيفة « المنار » .

فقد حملت على المقلدين « الذين ظنوا أن النظر فى مسائل الشرع قد انسدت طرقه وعميت مسائله ، وأن الغاية القصوى عندهم أن يسأل واحد منهم عن مسألة فيقول : فيها وجهان أو قولان ، وقال الشافعى فى القديم كذا ، وفى الجديد كذا ، وقال أبو حنيفة كذا ومالك كذا . . . وتراهم يقدحون فى المجتهدين ويجادلون الطالبين » [2] .

وقد اعترضت « الحياة » على من يقولون بسد باب الاجتهاد ؛ لأن « التقليد فى الشريعة والدين هو ما نهى الله عنه بصراحة لا تقبل التأويل ، ولا ندرى على أى آية استند المسلمون فى إغلاق باب استنباط الأحكام من القرآن والسنة على مقتضى حاجات الأزمنة والأمكنة والأجيال البشرية ، ولا أدرى كيف لم يفطن الذين أغلقوا هذا الباب أن التقليد فى ذاته خروج بالإسلام عن صراطه المستقيم ، وذهاب به بين مذاهب الملل المنحرفة » [3] .

وكانت « المؤيد » تدعو دعوة صريحة إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وتوجه أنظار علماء الدين أن ينقبوا عن نص الدين وجوهره فى أقوال أئمتنا المبعثرة فى كتب المذاهب المختلفة ، فلا يمنعهم قول أى إمام من الأئمة عن العمل به والاهتداء بهديه وعن ترك قول الإمام الآخر إذا لم يوافق مصلحة المسلمين اليوم [4] .

---

(١) الحياة ، عدد ١ جمادى الأولى ١٣٢٤ هـ ، مايو ١٩٠٦ م .

(٢) المنار ، عدد ٣ ، م١٥ ، مارس ١٩١٢ م .

(٣) الحياة ، عدد ٣ ، م٣ ، صفر ١٣٢٤ هـ .

(٤) المؤيد ، عدد ٥٩٢١ ، ٧ ذى القعدة ١٣٢٧ هـ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٠١ م .

وقد دعت « المؤيد » إلى ضرورة النظر فى تعاليم الفقه الإسلامى ، حيث إن صعوبة الاستفادة من هذه التعاليم والانتفاع بمسائل الفقه الإسلامى حالت بين أهل الإسلام وبين العمل به ، لا سيما فى محاكمهم ومحال أشغالهم ، وقد اضطروا أن يقتبسوا من القوانين الأوربية ما يسدون به هذه الثغرة التى لم تفتح إلا بأيديهم [1] .

وحذرت من الاعتماد على الرأى الواحد ؛ لأنه من أوهى المصائب التى حلت بأمتنا الذهول عن اجتهاد غير الواحد وجمود القرائح على أمثلة الكتاب ،فكأن الدين ما نزل إلا لفهم عالم خاص ومثال معلوم [2] .

وقد أعلنت أن التقليد لا يوافق المدنية العصرية ؛ لأنه يبعد طلاب العلم عن معرفة الحقائق والتعاليم الصحيحة من الكتاب والسنة ، ويؤيد مزاعم الطاغين على الإسلام بأنه دين جامد لا يناسب العصر .

وهكذا نرى أن دعوة الصحف الإسلامية إلى الاجتهاد وإعمال العقل ـ التى روجت له فى بداية القرن العشرين ـ كان الغرض منها أن يعمل بالقرآن والسنة ، ويبطل العمل بأقوال الفقهاء التى لا تتناسب مع العصر والتوسع فى أمور الدنيا ، واستنباط الأحكام من القرآن والسنة على حسب ما تقضيه حاجات الأزمنة والأمكنة والأجيال البشرية ، حتى لا يرمى الإسلام بالجمود ،وتكون الفرصة سانحة لدخول القوانين الغربية لتحل محل القوانين الإسلامية فى بعض شؤون الحياة .

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٩٢١ ، ٧ ذى القعدة ١٣٢٧ هـ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٠١ م .

(٢) المؤيد ، عدد ٣٦٧٢ ، ٢٧ صفر ١٣٢٠ هـ ، ٤ يونيه ١٩٠٢ م .



الفصل الخامس

دور صحافة الاتجاه الإسلامى فى محاربة البدع والخرافات

شاع فى المجتمع فى ذلك العصر بعض البدع والخرافات التى دخلت الإسلام نتيجة لضعف العقيدة ، وسيطرة الجهل على نفوس عامة المسلمين ، وسنعرض هنا لبعض هذه البدع والخرافات وموقف الصحافة الإسلامية منها .

لقد استحدثت الطرق الصوفية فى مصر بدعا لم تكن فى ذهن واضعى هذه الطرق مثل الذكر على أنغام الموسيقى ، وعلى نغمات المغنيين ، ولبس الخرق والأسمار ، حتى أصبحت هذه الصفات وصمة عار فى جبين الدين الإسلامى .

فضلا عن انقسام هذه الطرق إلى أحزاب ، كل حزب يؤيد طريقة معينة ،ولكل طريقة شيخ معين يعتقد فيه أتباعه الخير والمنفعة والصلاح (١) .

وقد أشارت «المؤيد» إلى ما تمتلئ به كتب الصوفية من خرافات مثل كتب المناقب والأوراد والأذكار ، ومثل الكتب المنسوبة للشعرانى ككتاب «المنن الكبرى فى التصوف » وكتاب « الميزان » ، فهذه الكتب قد شوهت وجه الدين الإسلامى السمح ، وذلك لما فيها من الخرافات التى تصطدم مع العقيدة الإسلامية الصحيحة (٢) .مثال ذلك : ما يفعله الصوفيون مثلا فى زفة مولد أحمد البدوى بطنطا حيث يتزيا الرجال بأزياء النساء ، والنساء بأزياء الرجال ويختلط النساء بالرجال ويحدث مالا يليق بالأخلاق (٣).

ومن البدع والخرافات التى دخلت فى الإسلام نتيجة للجهل الذى سيطر على الناس وحاربتها الصحافة الإسلامية : الاستشفاء بمياه الآبار ، والاعتقاد أن فيها أسرارًا إلهية وقوة غيبية تشفى الأمراض وتزيل الأسقام . ومن هذه الخرافات أيضا ما يفعله العامة من التمسح بباب « المتولى » وتقبيل مسامير الباب اعتقادا منهم أنه يشفى الأسقام ، ويزيل العلل ، ويرقق قلوب المعشوقين عليهم أو المحبين لهم (٤) .

وقد شددت « المؤيد » النكير على من يقدسون قبور الأسلاف والعظماء والأولياء إلى

(١ ، ٢) المؤيد ، عدد ٦٦٩٠ ، ١١ جمادى الثانية ١٣٣٠ هـ ، ٢٨ مايو ١٩١٢ م .

(٣) المؤيد ، عدد ٥٠٧٩ ، ٢٠ من ذى الحجة ١٣٢٤ هـ ، ٤ فبراير ١٩٠٧ م .

(٤) المنار ، عدد ٢١ ، م٣ ، غرة جمادى الثانية ١٣١٨ هـ ، ٢٥ سبتمبر ١٩٠٠ م .

حد العبادة ، كما كان يفعل ذلك مشركو العرب وأمثالهم فى عبادة الأصنام ، مشيرة إلى أن الدين قد حرم من أجل ذلك بناء القباب على القبور ، وحرم شد الرحال إلى المساجد الذى لم يأمر بشد الرحال إليها كمساجد الأولياء والعظماء وتقديم النذور لهم (١) .

وكانت « المؤيد » تنكر على علماء الدين أيضًا سكوتهم على تفشى هذه البدع وغيرها، مثل السجود على أعتاب الأولياء حبا فى التقرب إلى العامة ، وسيرا وراء تيار العادات التى نشؤوا عليها ، وتلفت أنظارهم أيضا إلى انتشار كتب الضلال والدجل والشعوذة التى تطبعها المطابع التجارية دون رقيب ، ويقبل عليها العامة (٢) .

وقد حاربت « مكارم الأخلاق الإسلامية » بعض العادات الدخيلة فى الدين أيضا ، مثل إحضار النائحات للميت ، والحداد عليه ، ولبس السواد ، ولطم الخدود ، وتمزيق الأثواب ، وتشييد القباب والمقابر ،وخروج النساء للجنازة ، وزيارتهن للمقابر (٣) .

ومن الصحف التى حفلت بمحاربة البدع والخرافات « مجلة المنار » ، فقد حاربت تقبيل أحجار القبور ودعاء الموتى والتوسل بهم، وقالت: « إن تقبيل هذه الأحجار من سنن الوثنية وأقبح البدع فى الإسلام . وأما دعاء الموتى فهو عبادة حقيقية لهم وإن غير المبتدعون اسمها وأطلقوا عليها لفظ التوسل ، فقد كان هذا النوع من العبادة ـ وهو دعاء غير الله ، أى نداؤه لطلب المنفعة منه أو دفع الضرر أو التقرب به إلى الله واتخاذه شفيعا ـ هو جل ما يعرف من عبادة المشركين لغير الله ، ولذلك فسر الدعاء بالعبادة (٤) .

ومن هذه البدع أيضا ما استحدثه العامة فى ليلة النصف من شعبان ، حيث يتجمعون فى حلقات ،ويأتون بأوراد يزعمون أنها تطول أعمارهم (٥) .

كذلك حاربت « المنار » ما يفعله بعض الناس من جعل فرش البيت وطنافسه مقلوبة، ووضع غطاء أسود على الأرائك والحشايا عند فقد أحد أفراد البيت (٦) .

وعندما نشرت باحثة البادية « ملك حفنى ناصف » فى « الجريدة » اقتراح بناء مدفن لعظماء رجال مصر ، تنقل إليه عظام من مات منهم ، ويدفن فيه من سيموت بعد ذلك تصدى للرد عليها فى « المنار » رشيد رضا ، وفند أقوالها قائلا : « لا أكتفى بأن أقول : إن هذه شعائر وثنية منع الإسلام صورتها لأنها تذكر بمعناها ولو بعد حين ، ويخشى أن

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٨١٢ ، ٢٢ جمادى الثانية ١٣٢٧ هـ ، ١٠ يوليه ١٩٠٩ م .
(٢) المؤيد ، ٦٧٥٠ ، ٢٤ شعبان ١٣٣٠ هـ ، ٧ أغسطس ١٩١٢ م .
(٣) « مكارم الأخلاق الإسلامية » ، عدد ١٠ ، م١ ، ١ شعبان ١٣٢٩ هـ .
(٤ ،٥) المنار ، عدد ١٥ ، م ٨ ، غرة رمضان ١٣٢٣ هـ ، ٢٩ أكتوبر ١٩٠٥ م .
(٦) المنار ، م ٨ ، عدد ١٣ ، غرة رجب ١٣٢٣ هـ ، ٣١ أغسطس ١٩٠٥ م .

تعيد روح الوثنية إلى نفوس المستقدمين ، فلا نعيد هذه الصورة وإن أمنت العلة سدا للذريعة ولو فى مستقبل الزمان ، بل أقول أيضا : إن العلة غير مأمونة فى هذه الأيام ، لا سيما عند جماهير العوام ، فلو نصبت التماثيل وبنيت الهياكل الخاصة لبعض القبور فإنها لا تلبث أن تصبغ الصبغة الدينية بمصر ، ويتبرك بها أو يعبدها الجمهور [1] .

وقد استدل على ذلك بأقوال باحثة البادية نفسها ، فقد جاء فى مقالها ما نصه : «العامة من أهل مصر بل بعض الخاصة لهم ولَع فائق بزيارة الأضرحة ، واعتقاد راسخ بنفع بعض أصحابها ، حتى أنك لو دفنت حمارا ، وبنيت له ضريحا لزاره عدد من الناس يتبركون به وهم يعلمون أنه حمار ، فإذا كان الأمر كذلك فى الحمار فكيف به فى الرجال، وكيف به فى عظمائهم » [2] .

إذا فإن عظماء الرجال يكونون أجدر بهذا التعظيم والتبرك ، وهذا ما يحرمه الإسلام ويعده معارضا للتوحيد .

وقد حمل رشيد رضا على دعاة هذه الفكرة من المتفرنجين ،وبين أنهم يقصدون بذلك أن يهزموا الشرع الحنيف والدين وإلا فالمدارس العلمية والدينية والكتب التاريخية والفنية والجمعيات الخيرية والدينية والأدبية أنفع من القبور والتماثيل الوثنية ، فلماذا لا تبذل لها الأموال ويدعى إلى تعميمها فى البلاد [3] .

وانبرى رشيد رضا أيضا فى « المنار » للرد على الشيخ « عليش » والبدعة التى قام يدعو إليها ،وهى وقف المساجد على الأموات غير المسلمين لأجل الصلاة على أرواحهم، فقال : « كيف وأن وقفها على أموات المسلمين أنفسهم من البدع التى لا يعرفها كتَّاب الإسلام ، ولا تقبلها سنة نبيه ﷺ » [4] .

وقد آذرت « المنار » جهود الشيخ حسن الدمياطى أحد مشايخ الأزهر الذى صاح فى المسلمين منكرا هذه البدع والخرافات التى سادت فى المجتمع مثل : تقبيل أعتاب القبور ، وبناء الأضرحة ، وصناديق النذور .

وعندما عاقبته الأوقاف ـ لإنكاره هذا ـ بمنع رزقه الذى يستحقه شرعا ، ومنعته من تعليم المسلمين وإرشادهم نددت « المنار » بهذا الموقف ، وطالبت بعودة الشيخ الدمياطى إلى ممارسة عمله [5] .

(١ـ٣) المنار ، م ١١ ، عدد ٥ ، جمادى الثانى ١٣٢٦ هـ .

(٤ ، ٥) المنار ، عدد ٥ ، جمادى الأولى ١٣٢٥ هـ .

كما أسهمت « المؤيد » أيضا فى محاربة الخزعبلات والخرافات التى يعيشها بسطاء الأمة حيث يقدمون القرابين للمشايخ بصفة نذور ، ويولمون الولائم ، ويقيمون الأذكار ويصرفون على ذلك من دمائهم قائلين : « إنها للشيخ الفلانى ؛ لأن بركته أنقذت فلانا من المرض ، أو حفظت الزرع من الهلاك » وغير ذلك (١) .

وفضلا عن ذلك ، حاربت الصحافة ما يقوم به بعض المشعوذين الذين يطوفون بالقرى ويعطون العهود للفلاحين البسطاء ، الذين يعتقد الواحد منهم أنه لو خالف أمر شيخه هلك ،وربما اعتقد فى الشيخ وخاف منه أكثر من خوفه من الله أو الرسل (٢) .

ومن العجيب أن هذه الخرافات ما زالت تسود فى بعض مدن وقرى مصر ، ولقد شاهدت بعضا من هؤلاء الناس عن كثب فى قريتنا وتحاورت معهم وناقشتهم ،والغريب أن بعضهم كان يحذرنى من السير فى معارضتهم حتى أنال بركتهم وآمن من عقابهم .

بالإضافة إلى ذلك هناك بعض القباب وأكوام التراب العالية القديمة يعتقد فيها الناس النفع والضر ، حتى أن بعض الطلبة يذهبون قبل الامتحان إليها للتربك ، اعتقادا منهم أن الشيخ أو الولى يقف بجوارهم ويوفقهم فى الإجابة .

وإذا كانت الصحافة الإسلامية قد حاربت هذه الخرافات منذ ثمانين عاما ، فإنه ينبغى على الصحافة فى هذا العصر ووسائل الإعلام أن تتصدى لمحاربة هذه الخرافات وتقدم الأدلة والبراهين على أنها ليست من الدين فى شىء ، وأنها لا تعدو أن تكون خزعبلات ورثها المصريون دون فهم أو تعقل لها .

وكانت « الموالد » من الموضوعات التى شددت الصحافة الإسلامية النكير عليها ، نظرا لما يحدث فيها من المنكرات والبدع التى ليست من الإسلام فى شىء ، وقد وصفت «المؤيد» الموالد بأنها سوق للفجور ،ومعرض للموبقات والفاحشة ،وارتكاب ما حرم الله، ثم وضحت ما كان يجرى فى هذه الموالد من منكرات مثل « شرب الخمر ، وجذب المئات من ربات الفجور وشراذم أشرار اللئام فاسدى الأخلاق والتربية، فهناك يختلط الحابل بالنابل،وتتمثل فصول الدعارة،وروايات تدمى كبد الدين والحياة، ومن أجل ذلك صاحت « المؤيد » بأعلى صوتها مطالبة بإصلاح هذه العوائد حيث قالت:« إنه لمن العار الشديد على الأمة المصرية أن تغفل عن إصلاح هذا الفساد وتلك العوائد القبيحة ،التى وصمتها بوصمة العار بين الغربيين الذين يتعمدون مشاهدة هذه الفضائح، ونقلها إلى بلادهم ليمثلوا الأمة المصرية فى نظر قومهم بأنها أمة الخزعبلات وأن دينها دين الخرافات» (٣) .

(١ ، ٢) المؤيد ، عدد ٥٧٣٠ ، ١٠ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ، ١٥ أبريل ١٩٠٩ م .
(٣) المؤيد ، عدد ٧٠٣٩ ، ١٥ شعبان ١٣٣١ هـ ، ١٩ يوليه ١٩١٣ م .

وفى مقال آخر بعنوان : « الموالد » اتهمت « المؤيد » الحكومة بأنها برضائها عن هذه المنكرات والمفاسد التى تحدث فى الموالد تقتل الدين وتفسد الأخلاق (١) .

وقد هاجمت « المنار » بدع الصوفية فى الموالد ، حيث « يضعون فى أعناقهم السلاسل والأغلال ، وبعضهم يلبس الخرق والأسمار ، وقد تجسدت عليهم الأدران والأقذار ، ولبدوا شعورهم المضفورة حتى لا ينفذ منها الماء ، والحشرات ترتع فى أجسامهم ، وتطوف فى أطواء مرقعاتهم ، وأهداب قبعاتهم » (٢) .

وشددت النكير على ما يسمونه بحلقات الذكر الذى يقومون فيها كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، وما كان ذكرهم إلا همهمة ودمدمة تشوبها صيحات ونبآت ، وتخالطها شهقات وزفرات ، ويعلوها مكاء « صفير » وتصدية وتصفيق ، ويتخللها أوامر ونواه ،ودعاو طويلة عريضة ، وتهذار وهذيان ، ويعقبها نوبات صرع وإغماء، يشترك فى ذلك كله النساء والرجال والشيوخ والأطفال ، هذا هو حزب الأولياء ، وثم أحزاب أخرى فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، فمنهم المتصدون للرقى والتمائم ، وشفاء الأمراض والأدواء ،ومنهم العرافون المتصدرون لبيان ما غاب علمه عن الناس . . . (٣) .

وقد ألقت بالتبعة على العلماء ونحت باللائمة عليهم لسكوتهم عن إنكار هذه الكرامات المزعومة ، وعدم الاعتراض على هذه الترهات لأن كل ذلك وأمثاله أوقع فى أذهان عامة الناس أن هذه الأعمال من مهمات الدين التى تضاعف بها الحسنات وتمحى بها السيئات (٤) .

كما أنكرت « المؤيد » القصص التى كانت تلقى فى الموالد ،والمولد النبوى الشريف؛ لأنها كانت تشتمل على بعض الأخطاء ، وكانت خالية من أهم ما ينبغى أن تشتمل عليه وهو التنويه بالإصلاح العظيم الذى حدث فى العالم على يد صاحب المولد ﷺ (٥) .

وهكذا رأينا أن الصحافة الإسلامية كانت منابر للإصلاح ومحاربة البدع والخرافات ، التى تفشت فى المجتمع ، واعتقد الناس أنها من أمور الدين ، وهى أبعد ما تكون عنه ، وإنه مما يؤسف له أن بعض هذه الخرافات ما زالت سائدة بين فئات من الناس وينبغى التصدى لها .

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٥٤٩ ، ٢٢ من رجب ١٣٢٦ هـ ، ١٩ أغسطس ١٩٠٨ م .
(٢) المنار ، عدد ٥ ،م ١، ٢١ ذى القعدة ١٣١٥ هـ ، ١٢ أبريل ١٨٩٨م .
(٣) المنار ، السنة الأولى ، ٢١ ذى القعدة ١٣١٥ هـ ، ١٢ أبريل ١٨٩٨ م .
(٤) المنار ، عدد ١٩ ، السنة الثانية ، ١٤ ربيع الأول ١٣١٧ هـ ، ٢٢ يوليه ١٨٩٩ م .
(٥) المؤيد ، عدد ٤٣٩٠ ، ٧ شعبان ١٣٢٢ هـ ، ١٦ أكتوبر ١٩٠٤ .



الباب الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى والدفاع عن الإسلام

ويتناول الفصول التالية :

الفصل السادس : موقف صحافة الاتجاه الإسلامى إزاء ظاهرة التغريب والعلمانية.

الفصل السابع : موقف صحافة الاتجاه الإسلامى إزاء حملات التبشير بالنصرانية .

الفصل الثامن : موقف صحافة الاتجاه الإسلامى إزاء الدعوة إلى السفور.

الفصل التاسع : صحافة الاتجاه الإسلامى ومعركة الحفاظ على اللغة العربية .



من الأمور التى ظهرت فى ظل الاحتلال البريطانى فى مصر وعارضتها الصحف الإسلامية ، والكتاب المسلمون، تلك المطاعن التى وجهها أعداء الإسلام إلى الدين الإسلامى .

فلقد كان رجال الاستعمار يحاولون دائما أن يتنقصوا قدر الإسلام ، فالدعوة إلى الأخذ بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية عود إلى القديم وجمود لا يتلاءم مع المدنية الحديثة ،والدعوة إلى الوحدة الإسلامية فى نظرهم تعصب ذميم .

وكان من المطاعن التى وجهت إلى الإسلام وتناولتها الصحف الإسلامية بالنقد ، ما قاله هانوتو وزير الخارجية الفرنسى ـ نقلا عن الفيلسوف اليونانى « كيمون » ـ من التحريض على نسف الكعبة ، ونقل القبر المعظم إلى متحف اللوفر بفرنسا ، ومن وصف الإسلام بالأوصاف القبيحة ، وقد تصدى له الشيخ محمد عبده وفند أقواله (١) .

وقد فندت « المنار » أيضا ما نشر فى الأهرام فى حديث جرى بين هانوتو ، وبشارة تقلا ، زعم فيه أن تقدم المسلمين مستحيل ونجاحهم بعيد المنال ؛ لأن الإسلام فى رأيه يحول دون ذلك .

كما ناقشت ما يدعو إليه من فصل السلطة الدينية ، والسلطة السياسية ، هذه الدعوة التى عرفت فيما بعد باسم العلمانية (٢) .

كما أشارت « الشعب » إلى أن موقف هانوتو هذا هو تعصب ضد الإسلام والمسلمين، ففضلا عما ذكره فى « الأهرام » من المطاعن السابقة الذكر فهو الذى أوعز إلى الدول الأوربية الكبرى بتقسيم أملاك الدولة العثمانية بينها (٣) .

وقد بينت « المؤيد » أن أوربا تحارب الدولة العلية لأنها تدين بالإسلام ، وأن الهدف من ذلك هو القضاء على الإسلام « فلو كانت الدولة العلية تدين بغير الإسلام مثلا ولها من الأملاك فى أوربا أضعاف ما كان لها ، لما وقفت دول أوربا فى طريقها ، ولكانت دولتنا اليوم فى عظمة الروس أو الألمان أو الإنجليز ، ولكن لكونها دولة إسلامية ، وسلاطينها خلفاء الإسلام قامت أوربا فى وجهها بجماع قوتها ، وسلخت عنها رومانيا ،

---

(١) محمد سعد الدين إبراهيم : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، جـ ١ ، القاهرة : نهضة مصر ١٩٥٦ م ، ص ١٨٧ .

(٢) المنار ، عدد ٣م ، ربيع الثانى ١٣١٨ هـ ، ٢٨ يونيه ١٩٠٠م.

(٣) الشعب ، عدد ١٤٦ ، ٢٣ جمادى الثانى ١٣٣٠ هـ ، ١٠ يونيه ١٩١٢ م .

وبلغاريا ، والصرب ، والجبل الأسود ، واليونان ، وكريت ، بحجة أن سكانها مسيحيون ولا يجب أن يحكموا بمسلمين » [1].

وكان من افتراءات المستعمرين الذين دأبوا على ترويجها أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وأنه دين يميل إلى سفك الدماء .

وقد انبرى للرد على تلك الفرية الشيخ عبد العزيز جاويش فى « الهداية » فى مقال له بعنوان : « الإسلام دين السلام » فند فيه هذه الفرية قائلا : « إن الله لم يشرع القتال للمسلمين إلا بعد أن احتملوا فى دينهم الأذى وقاسوا أنواع الشدة والجهد على اختلافها، وذلك حيث يقول القرآن الكريم فى الإذن بالقتـال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج]

فالقرآن قد علل الإذن للمسلمين بالقتال بما كان يصيبهم من أذى قريش حتى أخرجوا من ديارهم بغير ذنب ولا إثم اقترفوه إلا الدين ، فالقرآن لم يشرع الحرب للمسلمين إلا دفاعا عن الدين ، ومن قرأ التاريخ من غير ميل عرف أن حروب النبى ﷺ وأصحابه لم تكن إلا لهذا الغرض [2] .

من هذا يتضح أن الإسلام هو دين السلام لا دين الحرب كما زعم الأوربيون ، فالحرب إنما تشرع إذا لم يكن للمسلمين منها بد ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾ [البقرة] .

وقد أيدت « المؤيد » أن الجهاد فى الإسلام كان لدفع الأذى وإقرار النظام والسلطة ، بدليل أن النبى ﷺ قد نهى جيشه فى غزواته ضد النصارى عن التعرض لرجال الدين ورهبان الصوامع ، واقتفى الخلفاء الراشدون أثره ، فهل الذى يريد أن ينشر دعوته بالسيف يبقى على رجال الدين من أعدائه وهم جرثومة ؟ فالإسلام كان أسمى من ذلك . وإن ما شيده الإسلام من قواعد حربية ما كانت إلا للدفاع عن الإسلام وحماية النظام ، مع التسامح وعدم التعرض للمعتقدات الدينية السابقة [3] .

ومن الافتراءات التى كانت توجه للإسلام أيضا أنه اشتهر بعدم التسامح مع أهل

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٢٦٤ ، ٢ من شعبان ١٣٢٥ هـ ، ١٠ سبتمبر ١٩٠٧ م .

(٢) الهداية ، عدد ٣ ، ربيع الأول ١٣٢٩ هـ ، مارس ١٩١١ م.

(٣) المؤيد ، عدد ٥٥٠٧ ، ٣ جمادى الثانية ١٣٢٦ هـ ، ٣ يوليه ١٩٠٨ م .

الذمة ، وخاصة فى عصر عمر بن الخطاب ،وقد تصدت « المؤيد » لهذه الفرية ، وأكدت أن ذلك ما كان إلا لتدبير أحوال الأمم فى هذا الوقت ، ولفت النظر إلى أن الأوربيين ينددون بهذه الأمور البسيطة ، ويغمضون الأجفان عن نظائر لها فاقتها شدة وقسوة قامت بها الأمم الأوربية المتمدينة فى القرون الوسطى بل والمتأخرة ، ذاق منها البشر الأمرين ، حتى بين أبناء الدين الواحد .

وقد استشهدت بما حدث فى التاريخ وما قاساه اليهود من شدائد ،وما قامت به أوربا من الحروب الصليبية ، وما قام بين البروتستانت والكاثوليك من المنازعات البربرية والاضطهادات الوحشية ، وبما حدث أخيرا من فظائع الاستعمار فى أمريكا وإفريقيا [١] .

وكانت « المؤيد » أيضا ترد على من يتهمون المسلمين بعدم المدنية والآداب العصرية، ومما ذكرته فى هذا الشأن « أن من وقف على آداب الإفرنج الذين زعموا أنها عصرية وملؤوا بها الدنيا مفخرة ، وكان قد وقف على آداب العرب ورجال العصور الأولى الذين درجوا على كثير من قواعد الأدب الصحيح،وجد أن هذا الأدب من صنعهم ولكن الفرق فى تمسك الإفرنج بهذه الآداب وإهمال المسلمين لها حتى ظن أنها من صنع الغرب » [٢] .

وقد دافعت الصحف الإسلامية عن الإسلام ضد الصحف النصرانية التى دأبت على الطعن فى الإسلام والقرآن الكريم والرسول ﷺ ، من هذه الصحف مجلة «بشائر السلام» التى أصدرتها جمعية بروتستانتينية بالقاهرة ، وكان يرأس تحريرها رجل إنجليزى .

ولفتت « اللواء » أنظار القراء إلى السهام التى توجهها مجلة « بشائر السلام » إلى القرآن الشريف ، ودين الإسلام الحنيف ، كما استلفتت أنظار الحكومة أيضا ورجال مجلس الشورى للنظر فى أمر هذه المجلة التبشيرية ، التى تؤذى مشاعر المسلمين فى عقر دارهم [٣] .

وعندما انخدع « المؤيد » وراح يدافع عن هذه المجلة السالفة الذكر ، انبرت اللواء وهاجمت « المؤيد » بمقال بعنوان : (دفع دفاع « المؤيد » عن مجلة « بشائر السلام») قائلة : « لانظن أن الارتياح خامر قلب أحد مما قرأه منشورا فى « المؤيد » يوم الخميس الماضى تحفزا للدفاع دون الجرائد المسيحية عن مجلة « بشائر السلام » التى تطعن على دين الإسلام وتنسب للقرآن الشريف ما لا يرضى به أحد من المسلمين » .

ولذلك فهى توجب على كل مسلم أن يدفع افتراء كتاب هذه المجلة المذكورة أيا كانوا

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) المؤيد ، ٥٧٠٣ ، ٩ صفر ١٣٢٧هـ ، أول مارس ١٩٠٩ م.

(٣) اللواء ، عدد ١٣٢٠ هـ ، ١٢ من ذى القعدة ١٣٢١ ، ٣٠ يناير ١٩٠٤م .

باليد أو اللسان أو القلب ؛ لأنه منكر لا يرضى به الله تعالى ولا رسوله ولا أحد من المؤمنين (١) .

ومما نشرته المجلة البروتستانتية فى الطعن فى القرآن والتشكيك فى آياته : أن المسيح لم يرفع إلى السماء وإنما قتل وصلب . وتصدت « المنار » للرد على هذا التشكيك وهذه الافتراءات بالحجج المنطقية والبراهين القاطعة من الكتاب والسنة والعقل ، وبينت أن «أصحاب هذه المجلة البروتستانتية الطاعنين فى الإسلام مستأجرون من قبل الجمعيات الدينية لتشكيك عامة المسلمين فى دينهم ، وإهانة كتابهم ونبيهم ، وأن هذه الجمعيات تنفق على دعاتها فى السنة أكثر من ثلاثة ملايين جنيها لأجل هذا الغرض ، ونتيجة هذا أن النصارى بمجموعهم لا يمكن أن يرضوا عن الأمة الإسلامية حتى تتبع ملتهم ، فالذنب فى كل عداوة وشقاق على النصارى دون المسلمين » (٢) .

كما قام الشيخ محمد عبده على صفحات « المنار » يرد الشبه عن الإسلام ،ويبين حقيقة اضطهاد الأوربيين للإسلام ،وأكد على أنه لا يجب الاحتجاج بالمسلمين على الإسلام من خلال حقائق تاريخية ودينية ووقائع ثابتة وأقوال مشهورة ، كما رد على الفيلسوف « رنان » الفرنسى الذى اتهم الإسلام والمسلمين بالتعصب (٣) .

وترد « الشعب » مزاعم الأوربيين بأن الإسلام ليس دين مدنية ، بأن هذا جهل بدور هذه الديانة الإسلامية التاريخى ، وأكدت هذه المقولة بثلاث حقائق تاريخية هى :

أولا : إن محمدا ﷺ من المصلحين العظام ، فقد كانت بلاد العرب قبل بعثته غارقة فى بحار الجهل والتوحش ، وكانت آداب العرب غير متحضرة ، وديانتهم الوثنية عبارة عن مجموعة من الخرافات ، وكان مستواها الدينى غاية فى الانحطاط .

ثانيا : فى القرون الوسطى حين كان الجهل ضاربا بجذوره فى جميع أوربا أشرقت المدنية العربية إشراقا باهرا ، ولقد كان علماء الإسلام هم الواسطة التى نالت بها أوربا بعض المعارف من علماء اليونان .

ثالثا : إن الإسلام حتى هذه الأيام هو الناشر للوحدانية بين مشركى آسيا ، وعباد الأصنام فى إفريقيا . إذًا القول بأن الإسلام ليس بدين تمدين يعد جهلا بمعرفة الحالة الراهنة للمسلمين والدور التاريخى للإسلام (٤) .

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) المنار ، م ٦ ، عدد ٢ ، ١٦ محرم ١٣٢١هـ ، ١٤ أبريل ١٩٠٣م .

(٣) المنار ، عدد ١٣ ، م ٥ ، غرة رجب ١٣٢٠هـ ، ١٣ أكتوبر ١٩٠٢م .

(٤) الشعب ، عدد ٥٩٣ ، ٢٢ من صفر ١٣٣٢هـ ، ١٩ يناير ١٩١٤م .

وفى سبيل الدفاع عن الإسلام ضد هجمات الأوربيين ، كانت الصحف الإسلامية تنشر مقالات إسلامية لكتاب مسلمين غير عرب يدافعون فيها عن الإسلام ضد هذه الهجمات الشرسة على الدين الإسلامى ، فقد قامت « الشعب » بنقل مقالة « ليرز اكرام بيج » الشهير ، والتى نشرت فى جريدة « الشرق والغرب » ، دافع فيها عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام ومبادئه التى حمت الإنسانية من جميع المساوئ التى فشلت المدنية العصرية فى مقاومتها ، كما نفى فيها التهمة التى يلصقها الأوربيون دائما بالإسلام وهى : أن سبب تأخر المسلمين وهو تمسكهم بالإسلام مؤكدا « أنه إذا كان الإسلام قد انحط فى أيامه الأخيرة بسقوط ممالكه وذهاب عظمته فذلك يرجع إلى إهمال علماء وأساتذة المسلمين للقواعد الأساسية للشريعة والقرآن » (١).

وقد دعت « الشعب » المسلمين إلى اليقظة والاتحاد والوئام ، فإن ضياع الممالك الإسلامية فى الأندلس وغيرها كان بسبب تفرقهم وتعصب النصارى ضدهم فى كل بقعة من بقاع العالم الإسلامى ، فدول البلقان ما قامت فى وجه الدولة العلية إلا بإيعاز من روسيا والدول الأوربية لحماية الصليب فى تلك البقاع (٢) .

وكانت « اللواء » تعرض لآراء بعض منصفى الإسلام من الأوربيين . فقد عرضت لكتاب « المسيو بيرلوتى » « موت جزيرة فيلية » ، والذى قدم فيه نقدا للاتهامات التى وجهها اللورد كرومر إلى الإسلام ووصفه له بأنه دين الجمود ، ودين الجهل ، وأنه لا يأخذ بأيدى أهله إلى ذروة العلم الصحيح ،وهو مضاد لكل رقى وتهذيب » .

ونلاحظ أنه فى تفنيده لتلك الأقوال المنكرة قد دعم كلامه بأحاديث شريفة تعتبر مبادئ من الدين الإسلامى،فى مثل قوله ﷺ:« طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٣)، « إن الله يحب طالب العلم أكثر من المجاهدين فى سبيل الله » (٤) ، و « من علم العلم للجهلاء فهو كالرجل الحى فى وسط الأموات » (٥) ، و « لا بورك فى يوم لم أتعلم فيه شىء يقربنى إلى الله » (٦) ، و « اطلب العلم ولو فى الصين » (٧) ، و« العلم روح الإسلام ، وعمود الإيمان » (٨) (٩) .

(١ ، ٢) الشعب ، عدد ٢٧٥ ، ٢٧ محرم ١٣٣١ هـ ، ٥ يناير ١٩١٣ م .
(٣) الطبرانى فى الأوسط (٨٨٣٣) والبيهقى فى الشعب (١٦٦٤) .
(٤) انظر : الترمذى (٤٦٤٧) وجامع بيان العلم وفضله ص ٥٥ .
(٥) انظر : ابن ماجه (٢٤٠) فى المقدمة . (٦) ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله ص ٦١ .
(٧) انظر : البيهقى فى الشعب (١٦٦٣) . (٨) انظر : الجامع الصغير (٥٧١١) .
(٩) اللواء ، عدد ٢٨٨٣ ، ٢٦ محرم ١٣٢٧هـ ، ١٧ فبراير ١٩٠٩م .

وقد أشارت أيضا إلى ما قاله المسيو لوتى عن تعصب الأوربيين ضد الإسلام والمسلمين : « إننا معشر الأوربيين نعتبر الإسلام دينا يأخذ بأيدى أهله إلى الوراء ، ويمنعهم من سلوك سبيل التقدم العلمى ، فهذا يدل دلالة واضحة على جهل مطبق بتعاليم النبى ﷺ وعلى تناسى ما شهد به التاريخ » .

وتعلق « اللواء » على هذا قائلة : « فيا للعجب ، كيف عمى اللورد كرومر عن كل تلك المبادئ وهى روح الإسلام » (1) .

كما اهتمت « المؤيد » بالتعليق والرد على ما يكتب عن الإسلام فى الصحف الأجنبية، فعندما نشرت مجلة « البورص ميد يكال » مقالة تتهم فيها الإسلام بمخالفة القوانين الصحية ، وزعمت أن فى القرآن آية هى والصحة على طرفى نقيض،وهى «لعاب المؤمن شفاء » !! ، قد تصدت « المؤيد » للرد على هذه المجلة ونشرت مقالة بعنوان : «الإسلام إزاء القواعد الصحية » ذكرت فيها أنه ليس فى القرآن آية كالآية المذكورة ، وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على مبلغ جهلهم بالإسلام ، وأن هؤلاء الكتاب قاموا لمناصبة الإسلام العداء ، ورميه بالتأخر فاخطؤوا سبيل الصواب » (2) .

وعندما اشتد طعن النصارى فى القرآن الكريم هاجمتهم « المنار »بأسلوب شديد اللهجة ، مؤكدة أن كل الكتب المنزلة نالها التحريف إلا القرآن الكريم ، فهى تقول : «قل للذين لا يرون الجذوع فى عيونهم ويعيبون الكحل فى عيون الآخرين ، إذا كان كتاب دينكم لم يكتب فى عهد نبيكم ، وإذا كان الذين كتبوا تاريخه من بعده بعدة أزمنة مختلفة يروون عنه روايات مختلفة لا سند لها بالمرة ، وإذا كانت مجامعكم قد تحكمت فى ذلك المكتوب بأهوائها ، وأهواء الرؤساء السياسيين ، فحذفت ما شاءت وألغت ما شاءت وشاؤوا ، ونقحت ما شاءت وشاؤوا ، ، وأنتم تقبلون ذلك وتعدونه أصلا للدين ـ فما بالكم لا تخجلون من الكلام فى كتاب لم يوجد فى العالم إلى اليوم كتاب مثله ، نُقل عن صاحبه بالتواتر حفظا وكتابة ودراية ورواية وأداء ؟ وهو القرآن الكريم الذى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت] (3) .

وقد انتقدت « المؤيد » اللورد كرومر وصنيعه دانلـوب ـ مستشار وزارة المعارف المصرية ـ عندما أرادا أن يقللا من نشاط الكتاتيب التى كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، وتحويلها إلى مدارس أولية تقوم بتعليم أشياء قليلة من الدين ، وذلك بحجة إصلاح هذه

---

(1) العدد السابق نفسه .

(2) المؤيد ، عدد ٥٠٧٨ ، ١٩ ذى الحجة ١٣٢٤هـ ، ٣ فبراير ١٩٠٧ م .

(3) المنار ، عدد ٥٠ ، م ٦ ، غرة ربيع الأول ١٣٢١هـ ، ٢٨ مايو ١٩٠٣ م .

الكتاتيب ، هاجمت « المؤيد » هذه السياسة واعتبرت أن هذا ليس إصلاحا للكتاتيب ، والأجدر أن يسمى مسخا لها ، والهدف منه هو السعى لقطع دابر الفقهاء ، ومحو أثر حفظة القرآن الكريم من الوجود [١] .

وعندما اعتدت الحكومة على ركن من أركان الإسلام وهو الحج ، وقامت بمنع الحجاج المصريين ، وفرضت على من يريد أداء هذه الفريضة الضرائب الباهظة بإيعاز من الإنجليز ـ نددت « اللواء » بالاحتلال وبادعاءاته المتكررة أن مصر تنعم بالحرية فقالت : «إن الإنجليز أرادوا بالحرية دعوة المسلمين لترك دينهم ومنع المبعوثين المسيحيين حق الاعتداء على شريعة البلاد أمام الملأ كله ، وقصدوا بالدستور حرمان المصريين من السلطة ، وتجريدهم من الإدارة فى فروع الحكومة وانتقال أزمَّة الأمور من أصحابها إليهم ، ونادوا باحترام الأديان والعقائد ، وعمدوا إلى محاربة المسلمين المصريين فى أقدس عواطفهم ، ومضايقتهم فى أشرف شعائرهم » [٢] .

وقامت « اللواء » أيضا بنشر عرائض الاعتراض التى انهالت من المواطنين على الحكومة ، وأنحت باللائمة عليها ، فتقول : « إن الحكومة المصرية عندما وضعت منشور الحج الأخير قضت على الحرية الدينية وهى أعظم ما تقدسه الأمم والحكومات ، فهل راعت فى ذلك حقيقة الدستور ، ثم قضت على الحرية الشخصية ، وهى أعظم دعائم الدستور » [٣] .

وقد نددت بالضريبة التى فرضتها الحكومة على الحجاج واستصرخت المسلمين والعلماء أن يهبوا لينقذوا فرائض الإسلام التى أوشكت على الضياع قائلة : « الإسلام أيها المسلمون يستعينكم فأعينوه ويستنجدكم فانجدوه ، فإنما أنتم حفظة كيانه ، والأمناء على نطاقه ، واعلموا ياورثة النبى والخلفاء أنكم مسؤولون عن هذا الميراث، فاعملوا على شاكلة مورثيكم ، فإنهم كانوا لا يخافون فى أعمالهم لإحياء دينهم لوم اللوام ، فما بالكم فى ظل الكتب وتحت جدران المساجد نيام ؟ الأمة بلسان الإسلام تسألكم يانوابها أن تولوا الاحتجاج على عمل الحكومة المخالف للشرع الماس بالدين ، المهيج للعواطف ، الموجب للحقد ، المؤدى للغيظ ، الملزم للغضب » [٤] .

وبرغم سير « المؤيد » فى ركاب الخديو وتعاطفها معه ، إلا أنها أبت أن تقف موقفا سلبيا من مسألة الحج ، ورفضت أن يحسب هذا عليها ، فنراها تؤكد أن الحكومة

---

(١) المؤيد ، عدد ٤٥٩٣ ، ١٧ ربيع الثانى ١٣٢٣ هـ .
(٢) اللواء ، عدد ١٠٠٨ ، ٢٦ شوال ١٣٢٠ هـ ، ٢٥ يناير ١٩٠٣م .
(٣) اللواء ، عدد ٩٩٥ ، ١١ شوال ١٣٢٠ هـ ، ١٠ يناير ١٩٠٣م .
(٤) اللواء ، عدد ١٠٠٣ ، ٢٠ شوال ١٣٢٠ هـ ، ١٩ يناير ١٩٠٣م .

الخديوية أساءت للأمة وأساءت لنفسها بقدر ما أساء لها مستشاروها فى هذه المسألة التى أصبحت مشكلة بل ورطة ، لا خلاص منها إلا بإلغاء ما قررته سابقا ، والعدول عما فرضته من إتاوة باهظة على الحجاج ، وليس فى العدول عن خطأ عار ، وإنما الإصرار عليه هو العار والشنار » (١) .

وعندما قامت الصحف النصرانية لتقول بسقوط الحج ، نقلت المؤيد مقالة عن مجلة « مكارم الأخلاق الإسلامية » وبينت فيها أن الغرض من هذه الدعوة هو انقطاع المواصلات بين المصريين وبين الحرمين الشريفين وأم القرى ودار الهجرة النبوية ، والحيلولة دون اجتماع المسلمين وتباحثهم فى شؤونهم العامة والخاصة (٢) .

دعوى التعصب الدينى :

كان الإنجليز يدركون ما تنطوى عليه تعاليم الإسلام من الحض على الجهاد والدعوى إلى الأخذ بأسباب القوة ، فعملوا على إخماد جذوة العاطفة الدينية الإسلامية فى قلوب المصريين ، وصاروا يتهمونهم بالتعصب الدينى ويكررون هذه التهمة فى مناسبة وغير مناسبة ، ويصفون الإسلام بأنه قد جعل فكرة الانتقام أساسا للمعاملة بين الإنسان والإنسان .

وقد انتهز الإنجليز وجود فئة الأقباط ، وجعلوا منها سلاحا يرمون به المصريين بالتعصب وعدم التسامح (٣) .

وقد انبرت الصحافة الإسلامية على اختلاف أنواعها للرد على هذه الفرية ، فيقول مصطفى كامل فى « اللواء » : « امتازت مصر دون غيرها من بلاد العالم بالاعتدال الدينى والتسامح العظيم ، وجرت فى ذلك عملا بما أمرت به شريعة السماء » ، ثم يشير إلى تسامح الدولة العلية مع رعاياها النصارى ، فقد فتحت أبوابها للغربيين على اختلاف مللهم وتركت الحرية الدينية على مصراعيها ، وسمحت للبعثات الدينية النصرانية بسكنى الديار الإسلامية ، والدعوة إلى دينهم فى مصر والسودان ، بعكس الدول الأوربية التى لا تترك الحرية الدينية لأصحاب الأديان المخالفة لها ،ومن يطلع على أحوال هذه البلاد يجد أن هذه الدول أقل اعتدالا من مصر (٤) .

---

(١) المؤيد ، عدد ٣٨٥٧ ، ١٢ شوال ١٣٢٠ هـ ، ١١ يناير ١٩٠٣ م .
(٢) المؤيد ، عدد ٤٦٠٢ ، ٢٨ ربيع الثانى ١٣٢٣ هـ ، ١ يوليه ١٩٠٥ م .
(٣) انظر : د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، ط ٣ ، مرجع سابق .
(٤) اللواء ، عدد ١٥ ، ١٧ رمضان ١٣١٧ هـ ، ١٨ يناير ١٩٠٠ م .

و«اللواء» تبين أن الهدف من رمى المسلمين بالتعصب ضد النصارى إنما هو الرغبة فى إضعاف المسلمين ، واستعبادهم لتبقى لهم السيادة دائما ، وتبرهن على أن المتعصبين هم الأوربيون بما يجرى فى جزيرة كريت ، حيث قام النصارى يقتلون المسلمين ، ويسلبونهم أموالهم ، ويطعنونهم فى أعراضهم ، متغلبين عليهم بكثرة السلاح (١).

ويكتب الشيخ عبد العزيز جاويش مقالة فى « الهداية » يزيد هذا المعنى إشراقا ووضوحا وبرهانا ، فيقول :« يرمينا أعداء الحنفية السمحة بالتعصب والتشبع بروح الاستبداد واضطهاد المسيحيين مع أن كل الحوادث التى تجرى فى بلاد الإسلام تؤيد روح التسامح، فتجد الإسرائيلى والمسيحى يعيشان إلى جانب المسلم كصديقين ، بل كأخوين متمتعين بكافة حقوقهما ، ولا يصيب أحدهما من الضرر إلا ما يكون قد جلبه على نفسه من مخالفة حقوق الاجتماع ، وقوانين العدل والإنصاف ، بينما ترى المسلم يسام الخسف والهوان فى البلدان التى تكون حكومتها مسيحية » (٢) .

والغريب أنه كلما اشتكى المسلمون من مظالم أوربا وسوء معاملتها لهم ، نادى رجالها بالكلمة المشهورة : « التعصب الدينى » ، وطلبوا زيادة الجنود فى البلاد الإسلامية المحكومة بالأوربيين (٣) .

وقد بينت « المنار » أن الهدف من ذلك أن الأوربيين تأكد لديهم أن أقوى رابطة بين المسلمين ، إنما هى الرابطة الدينية، وقوة المسلمين لا تتأكد إلا من خلال العصبة الاعتقادية والتى تشكل خطرا على مطامع هؤلاء الأوربيين فى بلاد الإسلام ؛ لذلك فقد توجهت غايتهم إلى بث هذه الفكرة المنكرة بين المسلمين وزينوا لهم ترك الرابطة الدينية ليقضوا على هذه الملة الإسلامية ، ويقسموا أهلها شيعا (٤) .

وقد ظلت صحف الأوربيين وكتابهم يتحدثون عن التسامح وعن الإنسانية ،حتى توهم بعض السذج من المسلمين أن سمو الخلق وسعة الأفق أن تحب الناس جميعا حتى المعتدين منهم ، والمغتصبين الذين يحتلون ديارهم بغير حق (٥) .

وتتعجب « المنار » من هؤلاء المسلمين السذج الذين يسفكون الكلام فى ذم التعصب

---

(١) اللواء ، عدد ٢٦٧٤ ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ ، ١٥ يونيه ١٩٠٨م .

(٢) الهداية ، عدد ٤ ، السنة الأولى ، مايو ١٩١٠م .

(٣) اللواء ، عدد ٢ ، ٢ رمضان ١٣١٧ هـ ،٣ يناير ١٩٠٠م .

(٤) المنار ، عدد ١ ، م٣ ، ١ ذى القعدة ١٣١٧ هـ ، ٢ مارس ١٩٠٠م .

(٥) د . محمد محمد حسين . الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١ ،ط ٣ ،مرجع سابق ،ص ٩٥ .

الدينى ، ويلهجون فى رمى المتعصبين بالخشونة ، والبعد عن المدنية الحاضرة ،ولا يعلم أولئك المسلمون أنهم بذلك يشقون عصاهم ، ويفسدون شأنهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المارقين [1] .

وهكذا نستطيع أن نقول : إن الصحف الإسلامية كانت الصخرة التى تتحطم عليها كل افتراءات الغربيين ، وأنه رغم الظروف الصعبة التى كانت تعيشها هذه الصحف ، فإنها قد أدت دورها فى الدفاع عن الإسلام ومواجهة أعدائه ، وسنوضح ذلك خلال الفصول التالية .

---

(١) المنار ، عدد ١ ، م ٣ ، ٢٠ رمضان ١٣١٧ هـ ، ٢ مارس ١٩٠٠ م .

الفصل السادس

موقف صحافة الاتجاه الإسلامى إزاء ظاهرة التغريب والعلمانية

اختلف المفكرون فى تعريف التغريب ، فيقول الدكتور على عبد الحليم محمود : «التغريب هو مجموعة من الدراسات والأعمال والثقافات والنظم التى تجرى حول المسلمين وتطبق على مجتمعاتهم فتؤدى بهم فى النهاية إلى أن يتشبعوا بالفكر الغربى والحضارة الغربية المعادية للإسلام ، فتغريب المسلمين هو تحويل ولائهم للغرب ونظمه وعاداته وتقاليده بعد صرفهم عن الإسلام الذى شوه لهم » (1) .

ويرى الدكتور على جريشة : أنه « التغيير الذى يجرى أول ما يجرى داخل العقول والقلوب ، ثم ينتقل إلى الأخلاق والتقاليد والعادات ويخطط لهذا التغيير علماء النفس والاجتماع فوق أجهزة التخابر والإحصاء العامة المختلفة » (2) .

ويعرفه أنور الجندى بأنه « حمل المسلمين عامة والعرب خاصة على قبول ذهنية الغرب ، ومحاولة غرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية » (3) .

أما الدكتور محمد سيد محمد فيرى أن كلمة الغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، والأمركة والماركسة كل منها مرادفة لكلمة التغريب ويعنى « حرب الإنسان للإنسان بالأفكار والكلمات والمبادئ والقيم وما إلى ذلك من مختلف الوسائل غير العسكرية » (4) .

وبعد هذه التعريفات يمكن لنا أن نقدم مفهوما شاملا للتغريب فنقول : « التغريب هو محاولة غربية أو شيوعية تقوم على التخطيط والدراسة تستهدف إبعاد المسلمين عن الثقافة الإسلامية المنبثقة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، واتباعهم لتلك النظم الغربية أو

---

(١) د . على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٧٩ م ، ص ١٢٣ .

(٢) د . على جريشه ، وزيبق : أساليب الغزو الفكرى للمجتمع الإسلامى ، القاهرة :دار الاعتصام ، ١٩٧٨م، ص٥٨ .

(٣) د .أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة :دار الاعتصام ، ١٩٨١م، ص٢٢٣ .

(٤) د . محمد سيد محمد : الغزو الثقافى والاتصال الحضارى ، مفهومان متناقضان ، بحث مقدم إلى ملتقى الفكر الإسلامى التاسع عشر ، يوليه ١٩٨٥م بحولية الجزائر .

الشيوعية ، والتنكر للمفاهيم والقيم الإسلامية والعربية أيضا .

فلقد أدى الاحتلال البريطانى لمصر وتغلغل النفوذ الأجنبى إثر هذا الاحتلال وانتشار الحضارة الغربية ، أن شاع فى المجتمع المصرى عادات وتقاليد غربية لم يعرفها المجتمع الإسلامى والمصرى قبل ذلك بشكل سافر .

وكان من أخطر هذه العادات شرب الخمر ، ولعب الميسر والقمار ، حتى أصبح فى المجتمع الإسلامى حانات وأندية يمارس فيها هذا الرجس الشيطانى وشاعت الفاحشة وانتشر الزنا سرا وعلانية ، وأصبح فى مصر مراقص وبيوت دعارة مرخصة لتسهيل هذا العبث والفجور تحت سمع الاحتلال وبصره ، بل كان هو المشجع على ذلك والمحرض على التحلل من الأخلاق ،وتيسير كل السبل لانطلاق الشهوات وإثارة الغرائز [١].

كما انتشرت الرشوة والمحسوبية ، واندفع المصريون يقلدون الأجانب فى كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة ، فانتشر اختلاط الرجال بالنساء ، وأوشكت بعض البيوت أن تكون أوربية لا شرقية ، كما بدأ بعض الناس يغيرون ألسنتهم ويبدلون عاداتهم حتى أصبحت ولا صلة لها بالعادات الإسلامية [٢] .

يقول الدكتور محمد حسين : « كانت الحياة الأوربية بخيرها وشرها تغزو مصر دائبة، لا تنى ولا تفتر ، فتأسست شركة التليفونات الإنجليزية ١٨٨٤ م ، وافتتحت السينما فى القاهرة ١٨٩٦ م ، وافتتح أول خط للترام ١٨٩٧ م ، ثم أنشئ البنك الأهلى ومنح امتياز إصدار الأوراق المالية ١٨٩٨ م ، وافتتحت الخمارات حتى تغلغلت إلى الريف وأحياء العمال ، وفتحت دور البغاء المرخصة من الحكومة فى كل العواصم ، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات والجهر بها باسم الحرية الشخصية التى لم يفهمونها إلا أن يحل الناس أنفسهم من كل قيد ، لا يبالون دينا ولا عرفا ولا مصلحة »[٣] .

هكذا كان حال الأمة المصرية فى مطلع القرن العشرين ؛ فساد خلقى ، فساد دينى ، فساد اجتماعى ، فساد عقلى ، جاء هذا كله نتيجة لعملية التغريب التى قام بها الاستعمار فى القرن التاسع عشر ، وبخاصة فى الربع الأخير منه .

وليس من شك فى أن هذه العملية التغريبية كانت عملية منظمة ، لها أهدافها ودعائمها ، وقادتها ، الذين يقومون بالإشراف عليها وتوجيهها . وهى ليست إلا حلقة

---

(١) د . يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، ط ٣ ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٧٣ م ، ص ٦٤ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٣ ، ط ١ ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٣) د . محمد محمد حسين :الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، جـ ١ ، ط ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤.

من مخطط استعمارى مدروس قصد به القضاء على معالم الشخصية العربية والإسلامية وتحويلها إلى الصورة الغربية ، ونشر النظم والمذاهب والثقافات الغربية وتعميقها فى قلب كل مصرى وعقله ، والقضاء على القيم والثقافات الإسلامية والعربية حتى يتسنى لهم فصل المسلمين عن ماضيهم ، ومن ثم تقبل الأوضاع الحاضرة التى يفرضونها [1] .

وكان القائمون بالدعوة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، أو عملية التغريب ـ كما أطلق عليها ـ للشعب المصرى والإسلامى عددا من أصحاب الثقافات الأوربية الذين أطلقت عليهم الصحف الإسلامية آنذاك « المتفرنجون » ، وكان بعضهم من الشوام النصارى الذين تلقوا دراساتهم فى أوربا ، أو فى المدارس الأوربية ومدارس الإرساليات الدينية .

وكان هؤلاء الشوام موزعين بين النفوذ الفرنسى ، والنفوذ الإنجليزى ، وكان أصحاب « الأهرام » يمثلون الاتجاه الأول ، بينما كان فارس نمر ، وشاهين مكاريوسى أصحاب « المقطم » و « المقتطف » يمثلون الاتجاه الثانى[2] .

أما عن دور هذه الصحف فى عملية التغريب فيقول الدكتور محمد حسين : « كانت هذه الصحف والصحيفة الأخيرة منها بوجه خاص « المقتطف » دائبة على تعريف المذاهب الغربية فى الفلسفة والأدب وسائر صنوف الثقافة ، لا تكاد تشير إلى شىء من قديم الشرق وتراثه الفكرى ،وكانت تترجم لعظماء الغرب ،ولا تكاد تجد فيها ترجمة لرجل من أبطال الإسلام أو الشرق أو مصر فى تاريخها الحافل الطويل ، كما كانت تعمل عن طريق خفى على إضعاف النزعة الدينية ، والوطنية بما تنشر من آراء تشكك فى العقيدة وبما تدعو إليه من نزعات عالمية لا يراد بها فى حقيقة الأمر إلا تقريب الفوارق بين المصريين وبين أعدائهم الذين يمتصون دماءهم والذين يحتلون ديارهم لكى يسكنوا إليهم ويألفوهم »[3] .

أما الذين تولوا الدعوة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية من المصريين ، فكانوا ممن افتتنوا بالحضارة الغربية أو تربوا فى مدارسها المنتشرة فى مصر والبلدان العربية ، واستمدوا مثلهم العليا فى حياتهم من الثقافة الغربية التى لا تمت بصلة إلى الحضارة الإسلامية أو العربية ، فهم يعرفون تاريخ إنجلترا وفرنسا والكنيسة الأوربية ،والمذاهب الأوربية أكثر مما يعرفون عن تاريخ الإسلام أو العرب ، وهم يعرفون أيضا أعلام الفكر

---

(١) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢ ، ٣) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، ط ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

الأوربى وشعراءه ولا يعرفون عن أعلام الحضارة الإسلامية والعربية إلا قليلا . فضلا عن أنهم يعيشون فى بيوتهم عيشة تكاد تحاكى الحياة الغربية فى مظهرها ، وربما أوكلوا إلى بعض المربيات الأجنبيات تربية أبنائهم وتنشئتهم ،وبذلك توثقت الصلات الروحية والمادية بينهم وبين الغرب ، بينما فترت الصلات الروحية والمادية بينهم وبين الشرق والإسلام بالطبع (١) .

لقد استهدفت هذه العملية التغريبية القيم الخلقية والسلوكية والعادات والتقاليد كى يذوب المجتمع الإسلامى فى بوتقة الغربيين ويصبح مسلوب الإرادة ، ومن ثم يرتمى فى أحضان الحضارة الغربية ، وما مظاهر الطعام والشراب واللباس والاحتفالات والمصايف والملاهى إلا أثر من آثار تغريب المسلمين .

هذه كانت نبذة عن التغريب وأهدافه ، ودعاته ، فما هو موقف الصحافة الإسلامية فى فترة البحث تجاه هذه العملية التغريبية ؟

لقد انبرت الصحافة الإسلامية بمختلف أنواعها للتصدى لرياح التغريب التى كانت تهب على مصر ، والمجتمع الإسلامى خلال الاحتلال البريطانى على البلاد . فقد حاربت العادات والتقاليد والمظاهر التى تحاكى عادات وتقاليد الأوربيين ، ونددت بالمواطنين الذين انزلقوا إلى الارتماء فى أحضان الغرب ، أو الذين قاموا بتقليد الغرب والانتصار لحضارته ، أو ما كان يطلق عليهم فى هذه الفترة بالمتفرنجين .

فنرى « المنار » تهاجم دعاة التغريب من النصرانيين والمسلمين ، مؤكدة أن غرضهم هو مهاجمة الإسلام والمسلمين فتقول :« يهاجم الإسلام والمسلمين جيش خارجى من دعاة النصرانية ،وجيش آخر داخلى من دعاة التقاليد الإفرنجية » ، وتشير إلى أن النوع الأخير أخطر من الأول « لأن جل أفراده من المارقين الذين يعدهم المسلمون منهم ، وما هم منهم ، فلسبعون عدوا خارج الدار أهون من عدو واحد داخل الدار » ، ثم توضح خطر هؤلاء المنافقين قائلة : « هؤلاء المنافقون المتفرنجون يغشون المسلمين بأنهم منهم ينفعهم ما ينفعهم ، ويضرهم ما يضرهم ، وإنما يدعونهم إلى الترقى على ما هم عليه إلى مدنية أعلى ، وحضارة أسمى ، وهى أن يكونوا مثل الإفرنج فى عزهم وثروتهم وزخرفهم ، ويحسبون بصغر عقولهم وقصر نظرهم ، أن ما يفوقنا به الإفرنج من الثروة وأسباب القوة قد جاءهم من رقص نسائهم مع رجالهم ومن اختلاطهن بهم فى محافلهم ومجامعهم ، أو من عدم مبالاة كثير منهم بالدين وإن كان الأكثرون يتعصبون له ويبذلون له الملايين » (٢) .

---

(١) المرجع السابق ،ص ٢٤٠ .

(٢) المنار ، م ١٧ ، عدد ٢ ، صفر ١٣٣٢ هـ ، فبراير ١٩١٤م .

هكذا تكشف لنا « المنار » عن أخطر عامل من عوامل تأخر المصريين فى مضمار الحضارة الحديثة ، فالذين تزعموا الدعوة للأخذ بأساليب الحضارة الغربية فى مطلع القرن العشرين ، نقلوا لنا الجانب السيئ من حضارة الغرب ؛ كالرقص ، والاختلاط المزرى، والسفور ، وعدم المبالاة بالدين فى حين أن مصر كانت فى حاجة شديدة إلى نقل النظريات العلمية ، والاختراعات الحديثة التى تمكن لها أسباب القوة .

ولكن يبدو أن هؤلاء الدعاة قد تشبعت عقولهم بما كان يعلنه ساسة أوربا وكتابها فى ذلك الوقت من أن تخلف الشرقيين إنما يرجع إلى تمسكهم بالإسلام ، ويتهمونه بأنه دين ساذج ، إن صلح لتنظيم حياة نفر من البدو فهو لا يصلح لتنظيم المجتمع الجديد فى القرن العشرين .

وقد اعترف الغرب بالإسلام كدين ، ولكنه لم يعترف به كنظام اجتماعى شامل لكل قوانين الحياة ، يقول كرومر :« إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين ،ولكنه فاشل كنظام اجتماعى ، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى ، ولا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنسانى » [(١)] .

وقد بينت « الشعب » خطأ هذا القول ، مستدلة على ذلك بأن الأوربيين أنفسهم قد أقدموا على قوانين الإسلام ونظمه وسننه وعلومه وآدابه واقتبسوها ، فإذا لم تكن صالحة فلماذا أقبلوا عليها ؟ أليس هذا أمرا عجبا ؟ أليس الإسلام هو الذى جعل الأحكام شورية ونَظَّم علاقة الحاكم بالمحكوم ، ونشر لواء الحرية ؟ أليس الإسلام هو الذى أوجد العلوم والمعارف ؟ وساوى بين القوى والضعيف ، وأوصى باليتيم والضعيف خيرا ؟ [(٢)]

ولما كانت المدنية الغربية تزحف إلى مصر ،وتجد من يروج لها ويزينها للناس ، فقد تصدت الصحف الإسلامية لمهاجمتها ومهاجمة دعاتها من المستغربين الذين انخرطوا فى سلكها ، وجذبهم بريقها هذه الفئة « من البكوات والباشوات والأفندية ممن تشبعوا بالمدنية الغربية ،وذاقوا فى جوارها طعم الملذات والملاهى ، لا يهدأ لهم بال إلا إذا أصبح ذلك الكون الشرقى والعالم الإسلامى قطعة من أوربا ، فتسمع من أفواههم كل يوم عبارات السخط وكلمات الازدراء لعوائد المصريين » [(٣)].

فهم ينادون بأن تجتمع النساء على الرجال كما هوالحال فى الغرب ، وتقام حفلات الرقص ، وتأخذ المرأة حريتها ،وتتساوى بالرجال . . . [(٤)].

---

(١) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص .٢٤ .

(٢) الشعب ، عدد ٢٩٢ ، ١٦ صفر ١٣٣١ هـ ، ٢٤ يناير ١٩١٣ م .

(٣ ،٤) المؤيد ،عدد ٥٥١٤ ، ١٧ جمادى الثانية ١٣٢٦ هـ ، ١١ يوليه ١٩٠٨ م .

وتذكر « مكارم الأخلاق الإسلامية » أن هؤلاء المتفرنجين كانوا يحطون من قدر علماء الدين والشريعة الإسلامية أمام الأجانب ،ويجاهرون فى كل ناد من أنديتهم أن الدين الإسلامى مقوض لأركان المدنية ، مخرب لدعائم العمران ، هو والحضارة على طرفى نقيض .

وهؤلاء إذا رأوا لابس قبعة انحنوا له إجلالا ، وظهرت على وجوههم علامات البشر والسرور ، فى حين أنهم إذا رأوا عالما من علماء المسلمين ، أو شيخا من مشايخ الأزهر احتقروه وأعرضوا عنه [(١)] .

وللأسف فإن الإذاعة المرئية قد سارت على هذا النهج التغريبى فى بعض أفلامها ومسلسلاتها ، حيث تظهر لابس الزى الغربى فى صورة تدعو إلى الاحترام ، فى حين تظهر المشايخ وعلماء الدين فى صورة تثير الضحك والسخرية بل والاشمئزاز أحيانا ، وأبرز مثل على ذلك :مسلسل الأيام ، قصة طه حسين .

ويبدو أن الهدف الذى يقصده الغربيون وعملاؤهم فى عملية التغريب ومن الهجوم على رجال الدين والشريعة الإسلامية هو القضاء على الدين ذاته ؛ لأنهم قد عجزوا عن السيطرة على المسلمين بالسيف والنار منذ مئات السنين ، فطفقوا يفكرون فى القضاء عليه بطريقة سلمية ، فأرسلوا المبشرين الذين أفسدوا على المسلم عقيدته ، وغيروا أخلاقه وعاداته ، حتى أصبح كل ما نراه اليوم من المسلمين مخالفا لما كان عليه الإسلام إبان عزه ومجده ، فالأخلاق غير إسلامية ، والشعور غير إسلامى ،كل شيء عليه المسلمون غير إسلامى [(٢)].

وكانت دعوى المستغربين فى الهجوم على الدين الإسلامى هو اتهامه بأنه العقبة فى رقى المسلمين وتقدمهم ،وذلك حتى تنفذ سموم التغريب إلى المسلمين بلا مقاومة .

وتفند « الشعب » هذا الزعم بالحجج التالية :

أولا : إن المسلمين تقدموا عندما كانوا متمسكين بدينهم ، وارتفعت راياتهم على كل بقعة من بقاع الأرض .

ثانيا : إن سبب تأخر المسلمين هو عدم تمسكهم بدينهم ، وجميع عقلاء الأمة يعرفون أنه لا رقى ولا إصلاح إلا بالدين ، ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ولا ترجع للإسلام صولته إلا إذا رجعت له عزته ،ولا يعز الإسلام إلا إذا اتبع المسلمون أوامره ونواهيه .

---

(١) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٥ ، غرة ذى القعدة ١٣١٧ هـ ، ٢ مارس ١٩٠٠ م .

(٢) الشعب ،عدد ٤٣٧ ، ١٠ من شعبان ١٣٣١ هـ ، ١٣ يوليه ١٩١٣ م .

ثالثا : إن ما أصاب المسلمين من الضعف كان لتعصب الأجانب ضدهم وتعنتهم فى إذلال المسلمين ، وإرغامهم على الخنوع لسلطتهم وسياستهم ودينهم[1] .

وترد « المؤيد » على الصحف الأجنبية التى تفترى على الإسلام وعلى مدنيته أيضا فنشرت مقالة بعنوان: « المدنية الإسلامية ومدنية أوربا » قارنت فيه بين المدنية الغربية والإسلامية، وبينت فضل مدنية الإسلام على الأوربيين وما عادت حضارته على أوربا المتوحشة فى القرون الوسطى بالنفع العميم ، وأظهرت أيضا ما تقوم عليه المدنية الغربية الحديثة من الوحشية والخداع والكذب والتمويه على الشعوب المستضعفة ، وعدم مساواتها بين البشر، مخالفة فى ذلك روح الدين المسيحى الذى تدعو إليه وتنتمى إليه [2].

وتأتى بأمثلة على ذلك واقعية مما يجرى فى مقاطعة « الكنغو » من فظائع بربرية على أيدى أولئك الذين يدعون المدنية ، فهناك « تبتر أعضاء الأجسام، وتقطع الأيدى والأرجل قصاصا من الوطنيين الذين يتجرؤون على مخالفة لابسى القبعة من أتباع الدولة البلجيكية، التى تتصرف فى تلك البلاد باسم مليكها تصرفا ينكره التمدن الحقيقى وينفر منه المتوحشون أنفسهم » [3].

ثم تشير إلى تحامل مؤرخى الغرب على تاريخ المسلمين وقلبهم للحقائق قائلة : «من دأب مؤرخى الإفرنج أنهم يحكمون الغرض وهو النفس فيما يكتبون ، وإذا ذكروا «جنكيز خان » ملك التتار والجبار الشهير عظموا شأنه وأثنوا عليه وأعرضوا عن شروره ، وفتكاته التى روع بها قلب كل مسلم ، وإنما كان ذلك منهم لأن جنكيز خان أباد المسلمين ودمر عمرانهم ، وخرب ديارهم » [4] .

وقد نددت « اللواء » بالذين يروجون للمدنية الأوربية فى مصر على أساس أن مدنية أوربا هى أساس رقى أممها وعظمتها ومبعث مجدها وقوتها ، وإننا لن نصل إلى ما وصلت إليه أوربا إلا إذا أخذنا عاداتها ومعتقداتها ، واستعرنا منها أخلاق أهلها ونظاماتهم القومية، فتوضح لهؤلاء ما وصلت إليه هذه المدنية من مساوئ « فالرجل يشكو من عقوق الابن ، والزوج يتألم من خلاعة زوجه ، والصديق يتململ من عدم وفاء صديقه ، والغنى يرتجف جسمه إذا مر بالطريق خوفا من يد الفوضى السوداء ،والحكومة تبكى من حرية رعاياها التى لا حد لها » [5].

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) المؤيد ، عدد ١٨ ، ٥٥ ، ١٦ جمادى الثانية ١٣٢٦ هـ ، ١٥ يوليه ١٩٠٨ م .

(٣) المؤيد ، عدد ٥٠٥٦ ، ١٧ من ذى القعدة ١٣٢٤ هـ ، ٢ يناير ١٩٠٧ م .

(٤) المؤيد ، عدد ٥٠٦٠ ، ٢٤ من ذى القعدة ١٣٢٤ هـ ، ٩ يناير ١٩٠٧ م .

(٥) اللواء ، عدد ٢٦٤٠ ، ٦ ربيع الثانى ١٣٢٦ هـ ، ٧ مايو ١٩٠٨م .

وليس هذا فحسب ، بل إن هناك من المساوئ ما هو أشد ،مثل ظهور الممثلات عاريات على المسارح ، وتأجير هؤلاء الممثلات ليقدمن أجسادهن نموذجا للطلبة فى مدارس الفنون الجميلة ليرسموهن وهن عاريات [1] .

ويكتب مصطفى لطفى المنفلوطى فى « المؤيد » مظهرا أيضا بعض ما تنطوى عليه المدنية الغربية من مفاسد أخلاقية ، حيث يتسلل الشباب تحت ستار الليل إلى المقابر ينبشونها بحثا عن رفات الفتيات المقبورات شوقا إلى لثمة من خد أو رشفة من ثغر .

ثم أشار إلى مدرسة الغرام التى أنشأها قوم من الأمريكيين فى وسط مدينة من مدن أمريكا ليعلموا فيها النساء والرجال فنون الحب والمغازلة جهرا [2].

هذه هى الأمم التى تدعى المدنية وهى تفعل ما لم تفعله أى أمة من الأمم المتوحشة التى يطلقون عليها الأمم البهيمية !!

وترد « المؤيد » على ما كتبه اللورد كرومر فى الطعن على الإسلام والترويج للمدنية الغربية فى كتابه الذى أطلق عليه «مصر الحديثة » ، حيث زعم أن الإسلام خال من الآداب الراقية التى يصح أن تورث فيكون منها قانون ثابت تخضع له نفوس أهله ، بعكس النصرانية فهى ذات آداب راقية رسخت بمرور الزمان فى النفوس ، وكونت قانونا عاما تتحدى به النفوس ولا تستطيع الفكاك منه [3].

وقد فندت « المؤيد » هذا الزعم بأدلة كثيرة نذكر منها ما يلى :

١ ـ إن كثرة الرذائل فى أوربا تدل على أن الأوربى لم تقيده آداب الدين .

٢ ـ إن الأوربى أيضا إذا لم يخش الجزاءات الصارمة من القوانين النظامية التى لا يعرفها الدين المسيحى ظهر وحشا ضاريا .

٣ ـ إن الأوربى هو الذى يتاجر فى الرقيق الأبيض لا المسلم .

٤ ـ إن الأوربى يقطع أثداء النساء ويعلقهن من شعورهن فى الأشجار لحمل أزواجهن على الرضوخ لأمره فى الكنغو .

٥ ـ إن الأوربى هو الذى يقوم بحرق الأجنة والأطفال الذين يولدون من حرام [4].

أَبَعْدَ هذا يزعم اللورد كرومر أن أوربا ذات آداب راقية ، أم أنها الحملة على المسلمين ودينهم ؟

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) المؤيد ، عدد ٥٧٦٤ ، ٢٣ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ ، ١٣ مايو ١٩٠٩ م .

(٣ ، ٤) المؤيد ، عدد ٥٤٣٤ ، ٤ ربيع الأول ١٣٢٦هـ ، ١٥ أبريل ١٩٠٨ م .

إن كرومر كان يعمل على هدم الدين الإسلامى ، ويريد أن يجعل المسلم رويدا نصرانيا ، وأن الغاية من دعوته لتمدن المصرى أو تغريبه كانت فى نظره « أن ينقلب مسلما بالمعنى غير الموجود الآن ، فيكون موحدا بالله ، جاحدا لرسالة محمد ، منكرا لتعاليمه . عندئذ يتفق الإسلام والنصرانية أى يصير الإسلام نصرانية صرفه [1] .

لذلك تعلن « المؤيد » أن كرومر كان قسيسا فى زى سياسى ، وأن المدة التى قضاها فى مصر كان يمهد لتغريب المصرين ، ليس هذا فحسب بل لصيرورتهم نصارى ، يتضح ذلك من قولها إلى خلف اللورد كرومر وأنصاره من المستغربين : « ماذا يقول أنصار كرومر اليوم وهو يشهد على نفسه أنه قسيس فى زى سياسى ؟ ماذا يقول خَلَف اللورد فى ضرر هذه التصريحات التى أعلنها سلفه ، والتى ذل بها المصرين على أن معتمد بريطانيا العظمى لبث فى مصر ربع قرن مستغلا لتلك الغاية التى أعلنها ويوصى بها ، فإن كان هو فى ذلك موافق سياسة دولته التى يجب أن يسير عليها خلفه فقد كشف الغطاء عن سر كان يجب أن يبقى سرا ما دامت إنجلترا محتلة مصر ، وما دام المصريون لم يصيروا مسيحين »[2] .

ورغم ذلك فقد كان أنصار التغريب فى مصر يزعمون أن الإسلام تحت سلطة الأجانب مستمتع بكل حقوقه ، سالك طريق المدنية ، وكل ما كان يظهر من قبل المسلمين من كراهية الحكم الأجنبى ،والسعى فى توطيد الحكم الإسلامى يعدونه تعصبا ، ويسمونه تأخرا ، ويفتخرون بكونهم من دعاة المدنية ، والذين لا فرق عندهم بين ولاية إسلامية وولاية أجنبية ، بما أوتوا من التنور والتهذيب بالمعارف العصرية ، وما تعودوا عليه من حسب المساواة، مع أنهم فى الحقيقة إنما يعملون على سقوط دولتهم، وانقراض سلطانهم.

وما ألفاظ المساواة والحرية والعدل والإخاء التى يتشدقون بها إلا ألفاظ فارغة بين القوى والضعيف ،وأكبر شاهد على ذلك ما ارتكبته فرنسا من فظائع فى بلاد المغرب، وإيطاليا فى طرابلس، وروسيا مع المسلمين هناك، وهولندة مع مسلمى جاوة وسومطرة [3].

أليس كل ذلك شاهدا على كذب مقولة كرومر السابقة على تمدين النصارى ورقيهم؟ بلى .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن ركائز التغريب فى مصر كانت تتمثل فيما يلى :

أولا : المدارس التى أسسها القساوسة والرهبان بمساعدة الحكومة والمحتلين :فتقول «الشعب » :

(١ ، ٢) المؤيد ، عدد ٥٤٣٤ ، ٤ ربيع الأول ١٣٢٦هـ ، ١٥ أبريل ١٩٠٨م .

(٣) المنار ، عدد ١٨ ، م ١٥ ، ١٦ من رمضان ١٣٢٠ هـ ، ١٦ ديسمبر ١٩٠٢م .

أ ـ إن هذه المدارس لا تعلم الدارسين العلم بقدر ما تعنى فى الخوض فى العقائد ، والقول فى العادات والتقاليد على ما تشاء .

ب ـ إن هذه المدارس تنفث فى قلوب الدارسين وأكثرهم من المسلمين ما يضعف عقيدتهم ويسلبها من القلوب شيئا فشيئا .

جـ ـ إن المتخرجين من هذه المدارس أصبحوا شاكين فى عقيدتهم من جراء ما يسمعونه فيها من تشويه للإسلام وتقول عليه .

ومن أجل ذلك فقد نادت بتوحيد منهج التعليم فى جميع مدارس مصر ، وطبع المتعلمين على منهج واحد ، حتى يحتفظ الأبناء بعقيدتهم وينشؤون على هوى الوطنية ، والحرص على عادات البلاد وتقاليدها [١] .

ويلاحظ أن هذه المدارس الأجنبية كانت تؤسس على أنها مدارس للعلم فحسب ، ولكنها كانت سرعان ما تسفر عن وجهها الحقيقى ، حيث يظهر أن المدرسين بهذه المدارس ما هم إلا قساوسة ومبشرون ، ودعاة إلى النصرانية ، ومتخصصون فى تغيير عوائد البلاد وتقاليدها ، وطبع التلاميذ على المنهج الغربى ،وعوائد الغرب ، وهذا هو المقصود من عملية التغريب [٢] .

وتؤكد « المنار » خطر الدارسين فى هذه المدارس ، والمتعلمين على الطريقة الأوربية من المصريين والأتراك أيضا على مستقبل الإسلام فى مصر وغيرها من بلاد الإسلام قائلة: « إذا كان المتعلمون على الطريقة الأوربية من المصريين والأتراك كثيرا ما ينبذون الدين ظهريا ، ويحسبونه شيئا فريا ، ويستحلون الخمور ، ويسارعون إلى الفجور ، ويفضلون الظلمة على النور ،وإذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يقولون الأحكام ، ويأخذون من الأمة بكل زمام ،وإذا كان الناس على دين ملوكهم، والرعايا تبعا لحكامهم، وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لأمرائهم وكبرائهم، أفلا يحق لنا أن نحكم أن المسلمين سيكونون أسرع فى ترك دينهم ممن سبقهم » [٣] .

إن هذا بلا شك ما كان يبغيه المستعمر ، فإنه كان يضع قادة الرأى ، والحكام ، والأمراء فى بلاد المسلمين على عينه ، حتى إذا ما رحل عن هذه البلاد اطمأن أنها سوف تسير على نهج الغرب وهواه .

الركيزة الثانية ـ من ركائز التغريب فى مصر : البعثات الدراسية إلى الخارج : فهذه

---

(١) د . عماد الدين خليل :البعثات التعليمية بين السلب والإيجاب ، القاهرة:دار الاعتصام ، ١٩٨٠م ، ص٢ .

(٢) اللواء ، عدد ٤٥ ، ٢٠ شوال ١٣١٧ هـ ، ٢٠ فبراير ١٩٠٠ م.

(٣) المنار ، عدد ١٨ ، ١٥ ، ١٦ رمضان ١٣٢٠ هـ ، ١٦ ديسمبر ١٩٠٢ م .

البعثات كانت فرصة نادرة تجدها مؤسسات الاستعمار ،ومراكز توجيهه الرئيسية فى هذا النفر القادم من الشرق لتلقى علوم الغرب ، وفلسفاته ، وعقائده ، ورؤاه للحياة ، حيث تستخدم معه كافة الأساليب ،والوسائل المشروعة وغير المشروعة ـ التى تبيحها الأخلاق أو لا تبيحها ـ من إغراءات كثيرة وتهديدات فى بعض الأحيان ، ووسائل للتأثير النفسى والفكرى والأخلاقى [1] .

وتشير « اللواء » إلى دور طلاب هذه البعثات فى عملية التغريب وتقليد الأجانب ونقل مساوئ الغرب وعاداته إلينا ، فتذكر « أنهم لم يتعلموا العلوم والآداب والفنون ، ولم يقفوا على مدنية أوربا لنقلها إلى بلادهم كما كانت الغاية من إرسالهم ،وإنما تعلموا المفاسد والأهواء الشريرة ، وقلدوا الغرب فى كل شيء إلا فى الكمالات والفضائل وابتعدوا عن الدين الإسلامى ،والواجب القومى ، فإذا حدثت أحدهم عن واجباته نحو وطنه قالوا لك : بلادنا كانت ويجب أن تكون لغيرنا ، وإن سألتهم عن ارتباط الدين بالمدنية قالوا لك : إن زمن التدين قد فات [2] .

وينعى مصطفى كامل انجراف أبناء الإسلام فى موجة التغريب وتناسيهم لتعاليم الإسلام الراقية ، وأثر ذلك على الدين والوطن قائلا : « منى الإسلام بابتعاد أبنائه عن مبادئه الطاهرة السامية التى قادت آبائنا فى زمن يسير إلى أسمى وأرقى وأعظم تقدم . فانحطت بلاد المسلمين عن سائر البلدان ، وصارت أوطاننا أشقى الأوطان ، وأصبحنا للغربيين عبيدا أذلاء،إشارتهم لنا أمر،ورغبتهم ولو ضد أوطننا وعقيدتنا مقدسة منفذة»[3].

ولما كان لهؤلاء الطلاب المبعوثين إلى الخارج من أثر فى تغريب البلاد وضياع دينها ، فقد انتقدت «المؤيد» نظارة المعارف التى أرسلت فتاة فى سن الخامسة عشرة من عمرها بعد اجتيازها الشهادة الابتدائية إلى إنجلترا لتكمل تربيتها وعلومها فى مدارسها ، حتى إذا عادت عملت مدرسة فى إحدى مدارس الحكومة ، فيكتب حافظ عوض مقالة بعنوان : «خطوة جديدة لنظارة المعارف العمومية » يسأل نظارة المعارف بعض الأسئلة مستنكرا أن تصبح نساؤنا أجنبيات فى تفكيرهن ومعارفهن وآدابهن ،وذلك على النحو التالى :

أولا : أيجوز لفتاة مسلمة بالغة أن تعيش فى غير بيت والدها مكشوفة الوجه فى وسط الأجانب ؟

ثانيا : ماذا تستفيد هذه الفتاة من إنجلترا ؟ فإذا كان المقصود عادات الإنجليز فى معاشهن ، ومعاملتهن ، فهل هى فى حاجة إلى ذلك ؟ وهل يفيدها ذلك فى

(١) د . عماد الدين خليل: البعثات التعليمية بين السلب والإيجاب ،القاهرة :دار الاعتصام ، ١٩٨٠ م،ص ٢ .
(٢ ، ٣) اللواء ،عدد ٤٥ ، ٢٠ شوال ١٣١٧ هـ ، ٢٠ فبراير ١٩٠٠ م .

تعليم الناشئات من أخواتها المسلمات ؟

ثالثا : كيف احتاطت نظارة المعارف لوقاية هذه الفتاة فى أثناء إقامتها فى إنجلترا؟

رابعا : ألم يكن فى وسع نظارة المعارف العمومية أن تكمل تربية هذه الفتاة فى مصر لتشب على المبادئ الإسلامية ،والعادات الشرقية اللازمة لتربية أخواتها [1] .

ونلاحظ أن كاتب هذا المقال لم ينكر على المرأة أن تتربى تربية كاملة وتتلقى كل العلوم النافعة ، لتكون مماثلة للرجل فى معارفه وعلومه ، ولكنه أنكر أن تصبح المرأة أجنبية فى فكرها ومعارفها ، وهو ما يريده لنا دعاة التغريب ،والأوربيون .

الركيزة الثالثة ـ التى اعتمد عليها دعاة التغريب : الدعوة إلى السفور أو ما أطلق عليه آنذاك : « تحرير المرأة » [2] .

فلقد كان لطغيان موجة التغريب والمدنية الغربية وفتنها ، أن ظهر دعاة يدعون إلى كشف الحجب عن النساء ، لذلك يقول محمد فريد وجدى :« إنه ليس العجب أن يقوم قائمون منا يشيرون علينا بإلقاء الحجب عن النساء وتخليصهن من البراقع ، وإنما كان العجب ألا يقوم بتلك الدعوة داع ونحن تحت تأثير فتنة المدنية الغربية التى أخذت بمتنفسنا فى كل مكان » [3] .

وكان فريد وجدى من الكتاب البارزين فى ذلك العصر الذين حاربوا هذه الموجة التغريبية أو دعاة التغريب ، وكان أول من أطلق على التغريب « الميكروب الأورباوى » . فقد كتب فى مجلة « مكارم الأخلاق الإسلامية » تحت عنوان :« داؤنا ودواؤنا » يحذر المسلمين من التغريب وخطره،ووضع العلاج الناجع لـه قائـلا : « إن ذلك الميكروب الأورباوى المتمدن قد أصاب رابطتنا الاجتماعية مباشرة ،وأخذ فى تحليل عناصرها تحليلا. وبما أن رابطتنا الدينية محضة فقد صار الدواء الوحيد اليوم لأدواء المسلمين هو تعهد الدين وحمايته من الشبه والشكوك العلمية الحديثة ،التى تفعل فى القلوب من نفث سموم الإلحاد وإيقاظ عوامل الفساد ما لا يفعله الطاعون بالبلاد ،ولا الوباء فى جسم العباد»[4].

وهو بذلك يشير إلى **الركيزة الرابعة** التى اعتمد عليها دعاة التغريب وهى : إفساد أخلاق المجتمع .

فقد استغلت أوربا فى حربها ضد الإسلام وتغريب أفراده طريقة إفساد أخلاق

---

(١) المؤيد ، عدد ٣٤٧٧ ، ٢٣ جمادى الثانية ١٣١٩ هـ ، ١٦ أكتوبر ١٩٠١ م.

(٢) سوف نخص هذا الموضوع بفصل قادم إن شاء الله .

(٣) المؤيد ، عدد ٤٣٩٨ ، ١٦ من شعبان ١٣٢٢ هـ ، ٢ أكتوبر ١٩٠٤ م .

(٤) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٢٢ ، م ٢ ، غرة ذى الحجة ١٣١٨ هـ ، ديسمبر ١٩٠٠م .

المجتمع وارتكاب الناس للرذائل التى هى ضد الدين ، بهدف إضعاف العقيدة الإسلامية فى النفوس ،ومن ثم تسهل عملية التغريب والغزو الفكرى بطريقة سلمية .

وتؤكد « اللواء » هذا المعنى قائلة : « رأت أوربا عظيم نجاحها فى تلك الحرب الدينية، فواترت إرسالياتها البغائية ، وبعثاتها الخمرية حتى إذا ازدحمت بها المدن والثغور ، وفاض ما زاد عنها إلى القرى والنجوع ، وتدفقت الكاسات فى الحانات وتعرضت البغايا للشبان والكهول فى الطرقات تحت حماية الحرية والامتيازات . . . » (١) .

بهذه الطريقة ينغمس الناس فى الشهوات ويضعف أثر الدين فى نفوسهم ، وتكون النتيجة الحتمية أن يصبح المسلم أوربيا فى عاداته وتقاليده ، ومتحررا من الرابطة الدينية التى تدفعه إلى الذود عن دينه ووطنه .

لذلك فقد أسهم الاحتلال فى تفشى ظاهرة الانحلال فى تلك الفترة بإلغائه الحدود الشرعية ، والعمل بالقانون الوضعى المأخوذ من أوربا .

هذا القانون الذى لا يفرض عقابا على سكِّير ولا بَغِىّ إلا إذا جمع بين السكر والبغاء مخالفة أو جناية ، كان هذا سببا فى أن أخذ الناس يترددون على المواخير لشرب الخمر وجاهر بعض الناس بالتهتك فى المجامع والنوادى والشوارع ، والتفاخر بالفجور تحت سمع الاحتلال وبصره (٢) . بل إنه ساعد على ذلك حيث لم يمنع دخول « الحشيش» إلى البلاد ، وشجع على انتشار الملاهى وافتتاح الخمارات ،والمقامر ،وأباح الزنا والربا (٣) .

وقد انشغلت الصحافة الإسلامية فى هذه الفترة بمحاربة هذه العادات الدخيلة إلى مصر ، كشرب الخمر ولعب الميسر والقمار وأوراق اليناصيب والبغاء ، وغير ذلك من العادات الوافدة .

ثم تبين « اللواء » ضرر المسكرات وتخريبها للبيوت وقتلها للعقول والأبدان قائلة : «إن شرب المسكرات وإدمانها هما أعظم بلية يبتلى بها الإنسان ، فهى البلية التى تضعف العقل والجسم ، وتقلل قوة الإنسان ، وتميت منه الفضائل والمكارم ، وتحيى فيه كل رذيلة وتفقره بعد غنى » (٤) .

وتشير إلى أن الأديان كلها أجمعت على النهى عن شربها ،وحاربها الشرع الحنيف الإسلامى ، وأن الأوربيين أنفسهم قد استيقظوا إلى ضرر هذه المسكرات ، وتألفت

---

(١) اللواء ، عدد ٦٤ ، ١٠ من ذى القعدة ١٣١٧ هـ ، ١١ مارس ١٩٠٠ م.
(٢) اللواء ، عدد ٦٦ ، ١٢ من ذى القعدة ١٣١٧ هـ ، ١٣ مارس ١٩٠٠ م .
(٣) اللواء ، عدد ١٠٩٤ ، ١١ صفر ١٣٢٠ هـ ، ٩ مايو ١٩٠٣ م.
(٤) اللواء ، عدد ٩٩٠ ، ٥ شوال ١٣٢٠ هـ ، ٤ يناير ١٩٠٣ م.

الجمعيات لمنع شربها ، ثم تقترح لمنع المسكرات من البلاد المصرية « أن تتألف لجنة من فضلاء المسلمين فى هذه العاصمة قد شهد الفكر العام بمكارم أخلاقهم وحسن نيتهم ، فتجتمع وتبحث عن أكرم الوسائط لتنوير الأفكار وإرشاد السكيرين » (١) .

وتؤكد أن الغرب اليوم أصبح متمسكا بمبادئ الإسلام فى كل شؤون حياته ، فى حين أن المسلمين غارقون فى الجهل ، مشيرة أن الحكومة الإنجليزية قد وضعت قوانين فى بلادها تعاقب كل من سكر ، تارة بالحبس ، وتارة بالغرامة ، وتارة بكلتيهما . ولم يقتصر العقاب على الشارب بل تعداه إلى البائع أيضا (٢) .

ويلاحظ أن الصحف الإسلامية كلها قد دأبت على محاربة الخمور وبيان مضارها على الدين والأخلاق ، والنفوس والصحة ، وتنبيه الحكومة إلى إنزال أقصى عقوبة على شاربها وبائعها ، وإلزام علماء الدين فى التحدث عن عقوبتها الشرعية ، وأضرارها الخلقية والدينية (٣) .

كما دأبت على محاربة القمار والمتاجرة بأوراق اليانصيب واللعب بها ، فقد كتبت «الشعب » سلسلة مقالات هاجمت فيها عادة القمار التى انتشرت بين الناس ، وبينت مساوئ المقامرين ،وما يترتب على ذلك من فوضى وخلل فى النظام (٤) .

وتذكر « المؤيد » أن القمار « كالخمر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، وإذا ما انتشر بين أهل بلد كان دليلا على انحطاط فيهم ، يجب عليهم أن يتنبهوا إلى النهوض منه ، والابتعاد عنه قبل أن يعم الخطب ، وتسرى إلى الأصحاء عدوى البلاء(٥).

كما وجدنا « المنار » تحمل على هذه المنكرات أيضا (٦).

وقد حذرت « اللواء » من المتاجرة بأوراق البناصيب مؤكدة أنها مقامرة ، والمقامرة محرمة شرعا ، وطالبت الحكومة أن تبحث فى أمرها بعد أن استشرى اللعب بها وتعددت أسماؤها ، حتى سماها بعضهم القمار الحلال (٧) .

وتوضح « المؤيد » مفاسد المقامرة فى أنها تدعو الكثير من المقامرين إلى السرقة ،

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) اللواء ، عدد ١٠٠٥ ، ٢٢ شوال ١٣٢٠ هـ ، ٢٢ يناير ١٩٠٣م.

(٣) المؤيد ، عدد ٥٥١٩ ، ١٧ جمادى الثانية ١٣٢٦ هـ ، ١٦ يوليه ١٩٠٨ م . والمنار ، عدد ٣ ، ١٣ من ذى القعدة ١٣٠٦ هـ ، ١٨ مارس ١٨٩٩م.

(٤) الشعب ، ٦ ذى الحجة ١٣٣١ هـ ، ٥ نوفمبر ١٩١٣ م.

(٥) المؤيد ، عدد ٦٠٦٧ ، ١ جمادى الأولى ١٣٢٨ هـ ، ٩ مايو ١٩١٠ م.

(٦) المنار ، عدد ٢٢ ، م٣ ، ١١ جمادى الثانية ١٣١٨ هـ ، ١٥ أكتوبر ١٩٠٠ م.

(٧) اللواء ، عدد ٨٣٦ ، ٣٠ ربيع الأول ١٣٢٠ هـ ، ٦ يوليه ١٩٠٢ م.

وذلك عندما يفقد المقامر ماله ويندفع إلى اللعب ، ويعده الشيطان بالكسب فلا يجد وسيلة إلا السرقة ،وتارة ينشأ عن الولوع بالمقامرة قتل النفس، وإضاعة الأموال ، وارتكاب الكثير من الموبقات ، وانتشار الأحقاد بين البشر (١) .

وكان لانتشار هذه الرذائل فى المجتمع وتَفَشِّى الفساد أن قامت الصحف الإسلامية بالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ؛ لأنها الدعامة الأساسية فى بناء الأمم وتقدمها ،وليس هناك أى أمة قامت لها قائمة فى قديم الزمان وحديثه ، إلا بارتقاء الأخلاق الفاضلة بين أفراد هذه الأمة (٢) .

الركيزة الخامسة ـ من ركائز التغريب للمجتمع المصرى والإسلامى هى :الغزو اللغوى، فقد حاول الاستعمار أن يبسط لغته فى كل ميدان من ميادين الحياة حتى انتشرت الكلمات الأعجمية فى الأوساط المصرية ، واختلطت بالعربية « حتى لا تكاد تفتح صحيفة إلا وتجدها ملأى بكلمات أعجمية كتبت بحروف عربية،حتى تبلبلت الألسنة، واستعجمت الأفواه،وانشق حجاب السمع بأمثال التلمكاتيك ،والسينما فون ، والأتوموبيل ، والسينما توغراف . . . إلى غيرها من أسماء المخترعات الأوربية والمصطلحات العلمية » (٣).

ورغم زوال عصر الاستعمار إلا أن غزو المصطلحات الأجنبية للغة العربية ما زال قائما فى واجهات المحلات والشركات التى اتخذت أسماء أجنبية خالصة أو مختلطة بكلمات عربية مثل : سوبر ماركت ، إبراهيم فيديو ، خالد كار ، محمد كو ، عمر ماركت يقول الكاتب أحمد بهاء الدين : « حتى أن الصحف المصرية قد تنشر مثل هذه الكلمات الأعجمية فـ« ـالبرج صار تاور » والمركز التجارى صار يكتب باللغة العربية شوبنج سنتر والرحلات السياحية صار اسمها تورز .

وقد كنا نظن أن هذه الموجة من التغريب وهذه العقلية التى تحاول أن تجعل الناس يشعرون أن كل شىء حسن لابد أن يكون اسمه غربيا ، وإلا فإنه ليس على مستوى ذوى المال الجاهز والثراء الجديد ، الذين يحققون مصالحهم فى مصر وقلوبهم تخفق فى أوربا ، ومن أدلة انفصام الشخصية أن نجد محلات ضخمة لبيع ملابس المحجبات اسمها «السلام شوبنج سنتر » ، إضافة لذلك لاحظت أن وزارة التعمير وهى جهة حكومية تستخدم فى إعلاناتها عن بيع الشقق كلمة تراس وترجمتها بالعربية شرفة ، فالدولة أصابتها عدوى

---

(١) المؤيد ، عدد ٥١١٤ ، ٢ صفر ١٣٢٥هـ ، ١٧ مارس ١٩٠٧ م .

(٢) المؤيد ، عدد ٤٣٢٦ ، ١٨ جمادى الاولى ١٣٢٢ هـ ، ١ أغسطس ١٩٠٤م ، والمؤيد ، عدد ٥٨٧٢ ، ٤ رمضان ١٣٢٧ هـ ، ١٨ سبتمبر ١٩٠٩ م.

(٣) المؤيد ، عدد ٥٨٧٠ ، ٢ رمضان ١٣٢٧ هـ ، ١٦ سبتمبر ١٩٠٩ م .

التغريب المشار إليها » [1] .

ومن المعروف أن اللغة هى أداة الفكر ومساعدته ،وترتبط به ارتباطا مباشرا [2] ؛ لذلك اعتنى الاستعمار بلغته اعتناء زائدا ،وكان يحاول نشرها بين المصريين ، والهدف من ذلك تغير طباعهم وعاداتهم وأساليب تفكيرهم ، فمن يتعلم الفرنسية أو الإنجليزية مثلا ، لا تلبث عاداته وطباعه أن تتغير وتصطبغ بتلك الصبغة الفرنسية أو الإنجليزية [3] .

وهكذا رأينا أن صحافة الاتجاه الإسلامى قد تصدت للموجة التغريبية التى تعرضت لها مصر أثناء الاحتلال البريطانى عليها . وكشفت عن ركائز التغريب التى من أهمها المدارس الأجنبية والبعثات الدراسية ، والدعوة إلى السفور ، وإفساد أخلاق المجتمع المسلم ، والغزو اللغوى .

(١) الأهرام ، عدد ٣٦٠٣٥ ، ٢١ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ ، ١٧ أغسطس ١٩٨٥ م .
(٢) د . محمد سيد محمد : الإعلام واللغة ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٤ م ، ص ٣.
(٣) المؤيد ، عدد ٧٣٤٢ ، ٣٠ شعبان ١٣٣٢ هـ ، ٢٣ يوليه ١٩١٤ م .

العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية «secularity» ، وهذا اشتقاق من الكلمة الإنجليزية أيضا « secular » وهى مرادفة لكلمة « unrelijious » أى لا دينى أو غير عقيدى ، ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية (١) .

وكلمة علمانى بفتح العين وسكون اللام أى لا دينى ، وكلمة علمانية التى تنطق عادة بكسر العين وسكون اللام ترجمة ركيكة قام بها بعض نصارى الشام لكلمة أوربية بالإنجليزية «secularism» (٢) .

وفى تعريف مجمع اللغة العربية أن مصطلح العلمانية هو: نسبة إلى العلم - بفتح العين وسكون اللام - بمعنى العالم بفتح اللام ، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى. والعلمانى هو الذى يتبناها فردا أو جماعة (٣) .

وبعضهم ينطقها العلمانية - بفتح العين واللام - وتجدر الإشارة أن هذا المصطلح لا يوجد فى تراث مصر الثقافى، بل وربما العربى عامة حتى أواخر القرن التاسع عشر تقريبا (٤) .

والعلمانيون يحكمون العقل فى كل شىء دون التقيد بنصوص الدين ، ومن هنا كانوا دائما على خلاف مع رجال الدين .

ومصطلح العلمانية أوربى النشأة واللفظ ، وفى التراث الأوربى هناك نوعان لفهم كلمة علمانية :

الأول : نوع فكرى عقدى يفرض فكرة اللادين على المجتمع ، ومن ثم يتخذ موقفا عدائيا من الدين ، ويعتبر العلمانية دعوة اجتماعية فلسفية ذات مضمون قابل لأن يحل محل المضمون الدينى ؛ ولذلك فهو يرى التعايش مع الدين ، ويرى حصره فى المساجد والكنائس .

أما النوع الثانى : فهو العلمانية بالمعنى المحايد أو القانونى الشكلى ، الذى يفصل بين الدين والحكومة لا بين الدين والمجتمع ولا بين الدين والفرد . وهذا النوع أخف وطأة من النوع الأول؛ حيث إنه يترك للدين الحرية الكاملة فى مجالاته الروحية والأخلاقية والاجتماعية ، ولكنه يصدر قوانين وأنظمة من شأنها أن تحقق المساواة بين المواطنين بغض

---

(١) د . على جريشة ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى الإسلامى ، ط٣ ، مرجع سابق ، ص٥٩ .

(٢) د. محمد يحيى : فى الرد على العلمانيين، القاهرة : مطبوعات الزهراء للإعلام العربى ١٩٨٥م ، ص١١.

(٣) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص٦٢٤ .

(٤) د. أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ٣١١٣٠ ، ١٩٨٣ - ١٩٨٤م ، ص ٢٣٣ .

النظر عن دياناتهم (١) .

ولكن ما معنى «العلمانية» لدى مفكرى الإسلام ؟ يقول الدكتور محمد البهى : إن مفهوم كلمة العلمانية يعنى: «فصل بين سلطتين غير متجانستين ، بين دين أو كنيسة ، أو سلطة زمنية أو دولة . والعلمانية فصل فى كتاب الحياة الأوربية عنيت به الخصومة بين الكنيسة والسلطة الزمنية فى المجتمعات الأوربية فى محاولة لاستقلال كل منهما» (٢) .

ويرى الدكتور محمد حسين أن العلمانية دعوة مناهضة للدين ، نشأت وانتشرت فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى فى أوربا ، وسرت عدواها إلى العرب والمسلمين والشرق بوجه عام . وهى تدعو إلى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة، وهى أثر من آثار سيادة الأسلوب التجريبى الذى حرر الناس ـ حسب زعم العلمانيين ـ من الضلال والأوهام والخوف (٣) .

أما أبو الأعلى المودودى فيرى أن معنى العلمانية هو : «عزل الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، وهذا يعنى أن العلمانية ترى العقيدة الدينية والهدى السماوى وما يتبع ذلك من اتباع الدين وطاعة الله والوقوف عند حدود شرعه لا يجب الالتزام بـه فى الحياة الشخصية للأفراد ، أما ما عدا ذلك من شؤون الحياة فإنه يجب أن يعالج على أساس المادية البحتة وفق رغبات البشر وميولهم» (٤) .

ونخرج من هذه التعريفات بملاحظتين أساسيتين :

الأولى : أن العلمانية تعنى إبعاد الدين عن تصريف أمور الحياة .

الثانية : أن العلمانية أوربية النشأة ، وأنها قد سرت عدواها إلى المسلمين .

ويلاحظ أيضا أن العلمانية قد نشأت فى أوربا نتيجة لظروف دينية خاصة ، لم يكن لها مثيل لدى المسلمين ، حيث تسلطت الكنيسة على جميع شؤون الحياة ، ووقفت ضد كل تفتح فكرى أو كشف علمى ، ولم تقتصر فى الحجر على العقول بل تجاوز ذلك الحجر على القلوب حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان ، وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام ، فضلا عن محاكم التفتيش التى قتلت الألوف من العلماء ، غير

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) د . محمد البهى : العلمانية وتطبيقها فى الإسلام ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٨٠م ، ص٣ .

(٣) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص٢٧٨ .

(٤) مصطفى الدميرى : العلمانية وأثرها فى وسائل الإعلام ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين بالقاهرة ، ١٩٨٢م ،ص ١٠٢ ، وأبو الأعلى المودودى : الإسلام والمدنية الحديثة ، ط٢ ، القاهرة : دار الأنصار ١٩٧٨م،ص١٠ .

من زج بهم فى غيابة السجون (١) .

وقد ولدت هذه الظروف السيئة فكرة فصل الدين عن الحكومة «العلمانية» ، وساعد على ذلك أيضا ظروف الديانة النصرانية نفسها ، وذلك بعد ما أدخل عليها من تحريف كان اليهود وراءه (٢) .

ولكن كيف طرحت هذه الفكرة فى الفكر المصرى والإسلامى وتطرقت إليه ؟

لقد بدأت الأفكار العلمانية تدخل المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر مع بدء محاولات محمد على تحديث المجتمع المصرى على أساس أوربى ، ولم يتم قبل ذلك - رغم ظهور هذه الفكرة فى أوربا قبل هذا الأوان - لارتباط ذلك بخصوصية المجتمع المصرى المسلم الذى يدين بالولاء الدينى والسياسى للخليفة العثمانى المسلم ، كما أنه لا يوجد فى الإسلام سلطة دينية ، وبالتالى لم تكن هناك سلطتان دينية وسياسية (٣) .

ولم يكن هناك اضطهاد من علماء الدين الإسلامى للعلم أو العلماء فى عصر من العصور كما حدث فى أوربا ، بل شجع الإسلام العلم وجعل طلبه فريضة على كل مسلم (٤) .

ونستطيع أن نميز القنوات الرئيسية التى دخلت خلالها الأفكار العلمانية إلى مصر على النحو التالى :

١ - الاحتكاك بأوربا من خلال عملية تحديث المجتمع المصرى فى عصر محمد على والخديو إسماعيل .

٢ - البعثات التعليمية التى ذهبت إلى أوربا .

٣ - حركة الترجمة الواسعة التى صاحبت هذه البعثات .

٤ - استقدام الخبراء والمعلمين الأوربيين إلى مصر .

٥ - انتشار المدارس الأجنبية فى مصر .

٦ - النشاط الاستشراقى تحت رعاية الاحتلال البريطانى على مصر (٥) .

(١ ، ٢) د . على جريشة ومحمد الزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص٦٠ .

(٣) د . أحمد زكريا الشلق : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٤) د . على جريشة ومحمد الزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص٦١ .

(٥) المرجع السابق ، ص٦٥- ٦٧ ، د . أحمد زكريا : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، مرجع سابق، ص٢٣٦ ، ود . محمد يحيى : فى الرد على العلمانيين ، مرجع سابق ص ١٣ ، ١٤ .

فلقد كان المستشرقون والمتأثرون بهم هم الذين يروجون لهذه الأفكار العلمانية فى مصر، مسقطين مفاهيمهم عن النصرانية فى الغرب على الإسلام ، وكانت الجامعات والمدارس السائرة فى ركاب المذاهب الغربية هى التى تبشر بالأفكار اللادينية فى الميدان التعليمى .ففصلت الدين عن المناهج المقررة ، ونقصد بالدين هنا هو الإسلام ، وفى مجالات الفنون والآداب جاءت اللادينية مع الأنماط والنماذج الغربية كالرواية الواقعية ، والمسرح والشعر الحديث ، والباليه والسينما .

وقد ترعرعت هذه الأفكار فى ظل نفوذ الاستعمار ، وانتشرت بانتشاره حيث كان الاستعمار يحاول ترسيخ وجوده من خلال عمليات واسعة للتغيير الاجتماعى أطلق عليها اسم التحديث حيث يعطى الأولوية لمسألة العلمنة ؛ لارتباطها بالتغريب من ناحية، ولدورها الفعال فى إضعاف الإسلام من ناحية أخرى (١) .

فضلا عن ذلك فقد استغل دعوة جمال الدين الأفغانى ـ ثم الشيخ محمد عبده ـ فى التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية جماعة من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، من الذين آمنوا بالفكر الليبرالى الغربى وجعلوا هذه الدعوة قنطرة يعبرون عليها بأفكار ذات طابع علمانى ، داعين إلى إبعاد الدين عن مجال التطور الاجتماعى ، ومن تدخله أيضا فى أنظمة المجتمع وقوانينه .

وكان من أبرز أفراد هذه الجماعة قاسم أمين (١٨٦٣ ـ ١٩٠٨م) ، وأحمد فتحى زغلول (١٨٦٣ ـ ١٩١٤م) ، وأحمد لطفى السيد (١٨٧٢ ـ ١٩٦٣م) ، وهذا بالرغم من أن الشيخ محمد عبده لم يحاول قط أن يفصل بين الدين والدولة ، ولم ير أن المجتمع الإسلامى فى حاجة إلى العلمانية ؛ لأنه ليس فيه سلطتان دينية وسياسية (٢) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : ما هو موقف الصحافة الإسلامية من هذه الأفكار العلمانية ؟ بمعنى آخر : ما هو رد الفعل الإسلامى تجاه هذه الأفكار العلمانية ؟ هذا ما نحاول الإجابة عليه فى هذا المبحث .

فالشيخ محمد عبده على صفحات «المنار» يبين أن العلمانية لا تنطبق على الإسلام ؛ لأن الإسلام ليس فيه سلطة دينية قائلا : «إن الإسلام قلب السلطة الدينية ، وأتى عليها من أساسها ومحا أثرها ، حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ، ولا رسم ، ولم يدع الإسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولاسيطرة على إيمانه ، على أن الرسول ﷺ كان مبلغا ومذكرا لا مهيمنا» (٣) .

---

(١) د . على جريشة والزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، مرجع سابق ، ص١٣ ـ ١٥ .
(٢) د . أحمد زكريا الشلق: العلمانية والفكر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢ .
(٣) المنار ، عدد ١٢ ، م٥ ، ١٦ جمادى الأولى ١٣٢٠هـ ، ١٩ سبتمبر ١٩٠٢م .

والشيخ عبده فى مقاله هذا يناقش الذين يدعون إلى العلمانية ، ويروجون لها فى بلاد الإسلام ، بأن الإسلام ليس فيه رجال دين كما كان فى النصرانية فى أوربـا ، والخليفة عند المسلمين ليس بمعصوم ولا هو بمهبط وحى ، وليس من حقه الاستئثار بتفسير كتاب الله ، ثم إنه لا يطاع إلا إذا كان سائرا على نهج كتاب الله والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فإذا انحرف قوموه ، وإذا اعوج قاوموه بالنصيحة .

وذكر أنه لا يجوز أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الإفرنج ثيوكراتيك ، أى سلطان إلهى .

ويوضح الشيخ محمد عبده خطأ الذين يريدون تطبيق العلمانية فى الإسلام كما هو حادث فى أوربا فيقول : «كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ، فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه، تشرع وتنسخ ما تشاء ، وتراقب وتحاسب ما تشاء ، وتحرم وتعطى كما تريد ، وخول للسلطة المدنية حق التشريع فى معاملات الناس بعضهم لبعض، وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم فى معاشهم، وعدوا هذا الفصل منبعا للخير الأعم عندهم ، ثم يهمون فيما يرمون به الإسلام من أنه يحتم قرن السلطتين فى شخص واحد ، ويظنون أن معنى ذلك فى رأى المسلم أن السلطان هو مقرر الدين وهو واضع أحكامه ومنفذها . . . وهذا كله خطأ محض ، وبعد عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الإسلام ، فليس فى الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة» (١) .

كما تصدى الشيخ محمد عبده لكتاب «المقتطف» الذين روجوا لفكرة فصل الدين عن الدولة فى مصر ، واعتبار أن الإسلام معوق لا يتمشى وحضارة العصر الحديث (٢) .

وتجدر الإشارة هنا أن الصحف النصرانية كانت تروج لهذه الأفكار العلمانية وتمهد لتطبيقها فى مصر ، فتذكر «اللواء» أن جريدة «لوجيت ـ أدريس راغب» كانت ترى فى تعليم الطلبة مبادئ دينهم ضررا لأفهامهم ، وتشويشا لأذهانهم ، وقد تهكمت على أحد أعضاء الجمعية العمومية حين طلب إدخال تعليم الدين الإسلامى فى مدارس الحكومة ، وزعمت أنهم يريدون أن يرجعوا بالتعليم إلى الوراء (٣) .

وقد نشر «المقطم» رسالة من مندوبه فى الأستانة (٤) يقول فيها : «إن الأتراك لم يدينوا بدين من قبل ، ولم يعرفوا الإسلام إلا فى العهد الماضى المتأخر ، وهم فى الحقيقة غير

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، مرجع سابق، ص١٩٣ .

(٣) اللواء ، عدد ٢٦١٩ ، ١١ ربيع الأول ١٣٢٦هـ ، ١٢ أبريل ١٩٠٨م .

(٤) هذه الرسالة كانت خطبة ألقاها الدكتور رضا توفيق ـ مبعوث أدرنه ـ على ثلاثة آلاف نفس .

مسلمين ولا يريدون أن يكونوا مسلمين فى المستقبل ؛ لأن الأديان كلها حواجز فى سبيل المدنية والعمران» ، وهو فى ذلك يريد فصل الدين عن الدولة ويدعو إلى أن تطبق الدولة العثمانية فكرة العلمانية لأن فى زعمه أن الدين عائق من عوائق التقدم ، ويضرب مثلا بدولة طبقت فصل الدين عن الدولة وهى حكومة إيطاليا حيث قال : «إنها لم تنجح ولم تتقدم إلا يوم أن طرحت عن عنقها نير العبودية الدينية» (١) .

وقد انبرى للرد على هذه الدعوة العلمانية عبد القادر المغربى أحد كتاب جريدة «المؤيد» فى مقال بعنوان : «ماذا يريد بنا ؟ » فند أقواله وقال : إنه يدعو إلى مبادئ كفرية تضر بالأمة العثمانية أشد مما ضرت به الأمة الفرنسوية ، وأن ما ينادى به هذا الدكتور يؤدى بالأمة إلى الإلحاد والتلاشى (٢) . ثم يشير إلى ما جره تطبيق العلمانية فى فرنسا من انحلال وفوضى ، وتلاشى للدين ، وأنه إذا كان بعض الدول فى أوربا طبقت العلمانية لحجر الكنيسة على التقدم العلمى ،فإن الإسلام لم يعارض أبدا أى تقدم علمى ، ولم يقف حجر عثرة فى سبيل المدنية ، كما زعم هذا الخطيب ، فضلا عن أنه ليس فى الإسلام رئاسة دينية كالنصرانية وأن رجال الدين فى الإسلام ليس لهم من نفوذ فى شؤون الأمة إلا بقدر اعتقاد الناس الخير فيهم .

والدولة العلية أنشأت مشيخة الإسلام لا على أنها رئاسة دينية ، بل هى وظيفة كبرى كسائر الوظائف يرجع إليها فى فض بعض المصالح الدينية فى السلطنة (٣) .

و «المؤيد» فى ذلك إنما تصحح فكرة دعاة العلمانية فى الدولة العثمانية الذين ظنوا «أن الإسلام فيه كما للنصرانية كهنوت ، وزعامة دينية ، وأن مشيخة الإسلام فى الحقيقة ليست إلا مصلحة رسمية ليس إلا» (٤) .

وقد طالبت «المؤيد» الدولة العثمانية أن تقف فى وجه دعاة العثمانية ، وأن تحافظ على الدين الرسمى للدولة وهو الإسلام ، فتقول : «يجب أن يكون للدولة أسوة بغالب ممالك الأرض فتحافظ على إسلامها ، كما تحافظ تلك الدول على مسيحيتها ، وما العهد ببعيد عن تلك الغارة التى شنها الإنجليز على ملكهم يوم حضور صلاة فى كنيسة كاثوليكية ، مع أن الكاثوليك والبروتستانت يجمعهما دين واحد» (٥) .

وتؤكد أن جماعة «الاتحاد والترقى» لهم دور فى هذه الدعوة العلمانية لأن أكثرهم متساهلون فى دينهم ، ومنهم من يؤمن بغير الإسلام (٦) .

(١ ، ٢) المؤيد ، عدد ٥٦٦٨ ، ٢٥ ذى الحجة ١٣٢٦هـ ، ١٨ يناير ١٩٠٩م .

(٣ ، ٤) المؤيد ، عدد ٥٥٦٢ ، ٩شعبان ١٣٢٦هـ ، ٥ سبتمبر ١٩٠٨م .

(٥ ، ٦) المؤيد ، عدد ٥٧٦٥ ، ٢٥ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ ، ١٥ مايو ١٩٠٩م

وترد «المؤيد» على جريدة «جورنال دى كير» التى طالبت بفصل الدين عن الدولة ، وبإنشاء دين إسلامى يسير طبق العقل لا النقل ، وذكرت أن هذا أيضا يصعب تحقيقه لأن الدين والشريعة ـ فى زعمها ـ يقضيان بالخمول .

وقد عرضت «المؤيد» لهذه الأقوال وفندتها ، مشيرة إلى أن ما قالته هذه الجريدة النصرانية قد قالته مراراً «اجبسيان غازيت» ، وقاله اللورد كرومر بوضوح ، ويقوله الأعضاء النصارى والكثيرون منهم فى مجلس المبعوثين التركى ، ويقوله أيضا بعض ملحدى المسلمين من الأتراك وغيرهم ، ثم تقوم «المؤيد» بالدفاع عن الإسلام قائلة : «إنه من أرقى الأديان ؛ لأنه يأمر بعبادة إله واحد ، لا شريك له ، ويقضى القضاء المبرم على عبادة الماديات ، وأما من حيث هو نظام حكومة للهيئة الاجتماعية فهو أرقى نظام أيضا ؛ لأنه يجعل العدل أساس الحكم ، ويحترم الشورى ، ويجعلها أساس الأحكام والمعاملات» (1) .

ثم تحذر «المؤيد» الأتراك والنصارى الذين دأبوا على نشر الأفكار العلمانية قائلة : «فليعلم المسيحيون عموما والأتراك على الخصوص أن ارتباط الدين بالحكومة عند المسلمين أشبه بارتباط الروح بالجسد ، فحيث يحصل الافتراق بينهما يحل الموت بالجثمان ، فاليوم الذى يفصلون فيه الخلافة عن السلطة العثمانية هو اليوم الذى ينهار فيه بناء هذه السلطة ، ويتمزق فيه شمل المملكة العثمانية» (2) .

ومما سبق يتضح أن الصحافة الإسلامية قد رفضت بشدة الأفكار التى تنادى بفصل الدين عن الدولة .

ويبدو أنه فى هذه الفترة قد اشتد الهجوم على الدين الإسلامى ، باعتباره هو العائق فى تقدم الأفكار العلمانية ، والحصن الذى يصد هذه الرياح التغريبية ، لذلك فقد اتهم الغربيون الإسلام بأنه السبب فى تأخر الأمم الإسلامية ، فتبين «مكارم الأخلاق الإسلامية» كذب هذا الاتهام مشيرة إلى أن الدين سبب المدنية والحضارة والتقدم عكس ما يقوله الغربيون ، «فلقد كانت الأمة العربية قبل أن يرسل إليها الرسول ﷺ على نحو ما كان عليه هؤلاء المتوحشون ؛ لأنها لم تكن أهل كتاب وإن دخل بعض قبائلها فى الديانتين ـ اليهودية والنصرانية ـ ممن سكن بلاد الشام واليمن والعراق إلا أن سوادها الأعظم كان غارقا فى لجة الجاهلية ، فلما أضاء عليهم نور الإسلام ، وعمتهم دعوته ، واستجابوا له أخذ بأيديهم إلى منزلة لم تعهد فى تاريخ البشر ، ونقلهم على مدى ثلاثة وعشرين عاما من السذاجة والبداوة إلى حظائر العلم ومنازل المدنية ، بحيث لم يمض

(1 ، 2) المؤيد ، عدد ٥٧٦٦ ، ٢٦ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ ، ١٦ مايو ١٩٠٩م .

عليهم القرن الأول حتى تبوؤوا عروش الملوك ودانت لطاعتهم البرية» (١) .

وتؤكد «اللواء» على أهمية الدين فى الحياة ، مشيرة إلى أن الدولة الأوربية لم تنل من المدنية والمجد والسلطان ما نالت ، إلا باعتمادها على مبادئ الدين فى سياستها ، حتى صح أن تسمى السياسة الأوربية بالسياسة المسيحية لكونها تفضل دائما الدين المسيحى على غيره من الأديان (٢) .

وفى هذا المقال يؤكد مصطفى كامل «أن الدين والسياسة توأمان لا يفترقان» ، ثم يفند دعوى الأوربيين بأن الدين الإسلامى سبب انحطاط المسلمين ، ويدعو علماء المسلمين وعقلاءهم أن يظهروا ما فى هذا الدين من قواعد العلم ، المقيم للممالك ، الحافظ للدول، الأمين على مجد الأمم » (٣) .

ويرد محمد فريد وجدى فى مجلة «الحياة» على اللورد كرومر الذى انتقد كتاب المسلمين «القرآن الكريم» لأنه جمع بين القوانين الجنائية والمدنية فى آن واحد قائلا : «لعل اللورد كرومر يريد بها مبدأ جمع الإسلام بين الدين والسياسة ، وهو المبدأ الذى حاربته أوربا منذ القرن الثامن عشر ، ولم تزل تحارب بقاياه حتى اليوم وذلك لتبرز سياستها ملحدة بلا دين من وجه من الوجوه» ، ثم عرض لتاريخ فصل الدين عن السياسة فى أوربا ، وما كان من النزاع بين رجال الدين والشعب الذى تم فيه الانتصار للشعب على رجال الدين ، الذين كانوا يتميزون بميزات علت بهم على مستوى الخاصة والعامة ، هذا الأمر الذى لم ينطبق على الإسلام ، ففى الإسلام نجد الأمر على خلاف ذلك ؛ لأن الدين الإسلامى - بحكم مبادئه الحرة - لم يعترف بوجود طائفة ممتازة تُدْعى طائفة رجال الدين ، فلم توجد فيه الامتيازات الكهنوتية ، ولم تقم فيه طائفة قوية تنازع الحكومة سلطتها الزمنية (٤) .

والجدير بالذكر أيضا ، أنه فضلا عن الممارسات العلمانية التى روجت لها صحف الاستعمار ودعاته ، فقد كانت الدعوة إلى العلمانية تقوم بها مدارس الغرب وجامعاته ، ثم تنقل إلى المسلمين عن طريق الطلاب المسلمين الذين يفدون إلى أوربا أو الذين يتعلمون فى مدارس غربية أنشئت فى بلاد المسلمين . وهذا ما حذرت منه الصحافة الإسلامية ونبهت إلى خطره علماء المسلمين ، فمما ذكرته «مكارم الأخلاق الإسلامية» فى مقال لها بعنوان : «التقليد والدين ودعاة الإصلاح من المسلمين» : «إن كثيرًا من الشباب الناشئ

---

(١) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٠٢م .
(٢) اللواء ، عدد ٢٧ ، ١٢ فبراير ١٩٠٠م ، ١٢ شوال ١٣١٧هـ .
(٣) اللواء ، عدد ١٠٧١ ، ٢ أبريل ١٩٠٣م ، ١٤ محرم ١٣٢١هـ .
(٤) الحياة ، عدد ١٠ ، م٣ ، رمضان ١٣٢٤هـ .

فى المدارس ، وخصوصا من ذهب منهم إلى بلاد الغرب ، ينادى بأن التمسك بالدين هو سبب ما نحن فيه من انحطاط ويقيمون الحجة على ذلك بأن المدنية الأوربية لم تقم إلا على نسف أصول الديانة النصرانية ، ونبذ تعاليمها ، وأن الغرب لم ينهض هذه النهضة إلا بفك قيود الدين ، ولم يصل إلى ما وصل إليه إلا بإطلاق حرية العقل ، ويقصدون بذلك أن المسلمين لايرتقون إلا إذا اتبعوا خطوات الغربيين فى أعمالهم ، ونظروا إلى علماء الدين نظرة فيها احتقار وازدراء ، واقتفوا آثارهم فى تقديس الوطن ، والاستعاضة به عن علماء الدين » (١) .

ويبرز خطأ هؤلاء أنهم يحكمون على الدين الإسلامى بمثل ما حكم به الغربيون على ديانتهم، مع أنه بينهما فرق عظيم ، ولكن أنى لهم ذلك وهم قد تعلموا فى مدارس الغرب وتتلمذوا على أيدى أساتذته الذين كان همهم الأول تنفير الطلاب من الدين وعلمائه ، وإظهاره بصورة غير لائقة (٢) .

وكان تقصير المسلمين فى دينهم هو الذى شجع على رواج هذه الأفكار العلمانية فى البلاد ، واتهم الدين بأنه لا يلائم المدنية الحديثة ، وأنه لذلك يجب التخلص منه . وهذا ماأشارت إليه «المؤيد» ، حيث ذكرت أن السبب فى تركيز الأوربيين على هذه الدعوة «هو تمزيق جامعاتنا وإفساد ديننا» ، والدليل على ذلك أنه فى الوقت الذى يحبذون فيه ترك المسلمين لدينهم ، نجدهم جادين مجتهدين فى نشر ديانتهم ، يبذلون لأجلها الأموال والأرواح ، ويهتم بها كبيرهم وصغيرهم .

وتنعى «المؤيد» على الذين يجارون الغربيين فى أقوالهم وأفكارهم العلمانية ، ويتركون دينهم ، حتى لا يتهمون بعدم التمدين فى نظر الأوربيين (٣) .

وتشير «الهداية» إلى أننا لا نستغرب ما تقترفه أيدى هؤلاء المستغربين وألسنتهم من محاربة الدين الإسلامى ، فقد نشؤوا فى حجور غير المسلمات ، وتتلمذوا على أيدى غير المسلمين ، لا يكاد يبلغ علمهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، وسيرة النبى ﷺ قدر علمهم بالقانون الرومانى ومناقب فولتير وجان جاك روسو وأشباههم ، وإن بعضهم لا يعلم من القرآن والإسلام إلا بعض ما يقرؤه فى كتب الفرنجية ، وبعضهم يروى بعض عبارات زاعما أنها من كتاب الله وهى ليست منه فى شىء ، وإنما قرأها فى كتب الغرب (٤) .

وهكذا ساعد جهل المسلمين بدينهم وتشعبهم بأفكار الغرب على ولوج الأفكار

(١ ، ٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ٨ ،سبتمبر ١٩٠٢م .

(٣) المؤيد ، عدد ٧٢٢٨ ، ١٣ ربيع الثانى ١٣٢٣هـ ، ١٠ مارس ١٩١٤م .

(٤) الهداية ، عدد ١١ ، ١٢ وذى القعدة وذى الحجة ١٣٢٨هـ ، نوفمبر وديسمبر ١٩١٠م .

العلمانية إلى مصر .

وقد أنكرت «اللواء» الدعوة إلى الأفكار العلمانية ، وإنكار الأديان بين الشباب ، وأرجعت انتشار هذه الأفكار إلى سببين رئيسين :

أولا : عدم الاهتمام فى المدارس بتدريس العقيدة الإسلامية تدريسا صحيحا ، يثبت نفوس التلاميذ على الحق ، ويعرفهم بواجباتهم الدينية .

ثانيا : مجاهرة جماعة من العاملين بالصحافة فى مصر ـ وهم ليسوا من أهلها ـ بأنه ينبغى على الصحف الإسلامية أن تطرح الدين ؛ لأن ذلك شىء قديم لا يعبأ به ولا يلفت إليه ، وقد مضى زمانه ، ويلزم أن تنحصر البقية الباقية منه فى المساجد والكنائس ، والرجوع إلى الفطرة الطبيعية التى جعلت كل شىء حلالا مباحا ، يتمتع بـه الإنسان أنـى شاء وكيف شاء (١) .

وتؤكد «المؤيد» على أن المبشرين ـ المنصرين ـ كان لهم دور كبير فى نشر الأفكار العلمانية فى مصر ، حيث قام الغرب بإرسال الجيوش من المنصرين ـ الذين يقولون بحصر الدين داخل دائرة المسجد والكنيسة ـ إلى جميع البلاد المصرية والإسلامية ، وصارت لهم مجالس ومقاعد وجمعيات ، بل حكومة منظمة تتولى إعداد هؤلاء المنصرين الذين يعملون على تكفير المسلمين (٢) .

غير أن هؤلاء لم يكنوا أشد خطرا على المسلمين من دعاة الأفكار العلمانية من المسلمين أنفسهم ، الذين تسربت إلى نفوسهم عقائد الغرب وأشربوا تقاليدهم ، أولئك الذين يدعون الناس إلى جعل الإسلام دينا عائليا ، أعنى أنه أمر خاص بشخصية الإنسان،وسر من أسرار ضميرة ، ينبغى ألا يتفوه به فى المجالس العامة (٣) .

وقد حاربت «الشعب» أيضا الموجة الإلحادية التى ظهرت على بعض الشباب المسلم ، الذين تغربوا وابتعدوا عن تعاليم الإسلام حتى وصل الأمر ببعضهم أن أنكر الخالق جل وعلا ، وزعم أن الطبيعة هى الخالقة لكل شىء (٤) .

كما حاربت الدعوة إلى العقلانية التى تزعم أن العقل يغنى عن الدين ، وناقشت هذه الدعوة قائلة : «لو تحكم العقل بعيدا عن الدين لاختل نظام الكون ، وعم طوفان الظلم،وانتهز كل إنسان الفرصة لتحقيق رغبته ، فيقل الأمن على النفس والأعراض ، ويتمشى داء العدوى فى أخلاق الأمة .... ولوسلمنا أن العقل يغنى عن الدين فأين

---

(١) الهداية ، عدد ١٤٩٩ ، ١٥ جمادى الثانى ١٣٢٢هـ ، ٢٧ أغسطس ١٩٠٤م .

(٢، ٣) المؤيد ، عدد ٦٣٣٢ ، ٦ ربيع الثانى ١٣٢٩ ، ٢٧ أغسطس ١٩٠٤م .

(٤) الشعب ، عدد ٣٦٦ ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، ٢١ أبريل ١٩١٣م .

كانت عقول هؤلاء القوم من مصريين وأعراب ؟ أما كانت تمنعهم عن السجود لصنم واعتقاد الألوهية فى حيوان» (١) .

وتشير «الشعب» أيضا إلى أنه بالرغم من هذه الهجمات الشرسة على الدين الإسلامى، فإنه لن يمحى كما محيت أديان أخرى ؛ لأنه «يحتوى على أمرين : دين وحكومة» (٢) .

وهكذا نستطيع أن نقول: إن الصحافة الإسلامية قد بينت أن العلمانية أوربية النشأة ، وأنها لا تنطبق على الإسلام ؛ لأنه ليس فيه سلطة دينية كما كان فى أوربا ، ولم يحجر على العلم كما فعلت الكنيسة .

كما هاجمت الصحف الإسلامية أيضا الصحف النصرانية التى كانت تروج للأفكار والممارسات العلمانية فى مصر ، وأوضحت القنوات الرئيسية التى كانت تلج منها الأفكار العلمانية ، وحاربت الموجة الإلحادية والتغريبية التى انتشرت بين الشباب ، والدعوة إلى العقلانية التى أريد بها إقصاء الدين عن الحياة العامة والقضاء عليه .

---

(١) الشعب ، عدد ٣٦٧ ، ١٥ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، ٢ أبريل ١٩١٣م .
(٢) الشعب ، عدد ٥٠٤ ، ٣ ذى القعدة ١٣٣١هـ ، ٣٠ أكتوبر ١٩١٣م .



الفصل السابع

موقف صحافة الاتجاه الإسلامى إزاء حملات التبشير بالنصرانية

كلمة التبشير تعنى ـ كما يفهم من معاجم اللغة ـ الخبر الذى يفيد السرور ، إلا أنها بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذى يحدث فى البشرة تغيرا ، وهذا يكون للحزن أيضا ، فوجب أن يكون لفظ التبشير حقيقة فى القسمين (١) .

وبعض علماء اللغة يرون أن الكلمة إذا أطلقت كانت للخير وربما حمل عليه غيره من الشر ، ويكون ذلك جنسا من التبكيت .

وقد أطلق هذا الاسم فى الكتب الحديثه على المنظمات الدينية التى تستهدف تعليم الدين المسيحى ونشره فى دولة ما (٢) .

والتبشير عند النصارى خصوصا الأوربيين منهم هو هجوم النصارى على الديانات المستوطنة فى البلاد التى يتوجه إليها المبشرون النصارى للتبشير فيها خصوصا الدين الإسلامى ، كما اعترف بذلك المبشر «غادرنر» حيث قال : «إنه وإن خاب أمل الصليبيين فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دوله مسيحية فى قلب العالم الإسلامى ، لكن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة بقدر ما كانت لتدمير الإسلام» (٣) .

ويعتبر أول من قام بوظيفة التبشير هو المبشر الإسبانى «لول» ، فبعد أن فشلت الحروب الصليبية فى الاستيلاء على العالم الإسلامى عن طريق القوة ، تعلم «لول» اللغة العربية ثم جال فـى البلاد الإسلامية ، وناقش الكثير من علمائها .

وفى القرون الوسطى بدأت إرساليات التبشير تصل إلى الهند وجاوة وجزائر السند ، واختلط المبشرون بالمسلمين منذ ذلك الحين ، وكان «بترهلينغ» مـن المبشرين الذين احتكوا بمسلمى سواحل إفريقية ، كما اهتمت هولنده بالتبشير فـى جاوة فى أوائل القرن الثامن عشر ، وقسمتها لهذا الغرض إلى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة (٤) .

---

(١) الزبيدى : تاج العروس ، جـ٣ ، ط٤٥ ، المطبعة الخيرية ، مصر ١٣٠٦هـ نقلا عن : د . على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى المعاصر ، ص ١٦٠ .

(٢) د. على عبد الحليم محمود ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

(٣) المستشار محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات على النبى ﷺ ، القاهرة : مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، ص ١ ، ٢ .

(٤) أ .ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ، مسعود اليافى ، محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ ، ص ١٧ ، ١٨ .

وقد اهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها إلى التبشير بالمسيحية فى العالم الإسلامى بالذات فى القرون الأخير وذلك لتقتلع الإسلام من نفوس المسلمين وتحل محله المسيحية ، حتى أطلق بعضهم على هذه العملية «حملات التنصير» (١) .

وقد أسس المبشرون النصارى تبشيرهم أو حملات تنصيرهم على أسس علمية منها :

أولا : على المبشر أو المبعوث النصرانى أن يعرف لغة الشعب الذى سيتوجه للتبشير بين أفراده ، وعادات هذا الشعب وتقاليده ومعتقداته ونقط الضعف فيه .

ثانيا : أن يكون المبشر على دراية بكيفية الدعوة إلى المسيحية وكيفية الهجوم على ديانة الشعب الذى سيتوجه إليه .

ثالثا : لا يفوت المبشر ـ إن لم يكن طبيبا ـ أن يكون ملما ببعض مبادئ التمريض .

رابعا: العمل الدائب على نشر الأضاليل عن الإسلام بالذات وتكرارها وترديدها فى صور مختلفة .

خامسا : استغلال معاهد العلم وكراسى التدريس فى المدارس والكليات والجامعات فى غرض التبشير (٢) .

وفى عام ١٢٩٤م اقترح المبشر «رامون» على البابا سلستين الخامس خطتين للتبشير بين المسلمين :

أولاهما : أن يتم تنصير المسلمين بالقوة إذا لم تنفع الجهود فيهم .

ثانيتهما : أن تتخذ الكنيسة العلم والمدرسة وسيلة للتبشير .

ويبدو أن خطة العلم والمدرسة لاقت قبولا من جانب الفاتيكان فعمل على تنفيذها ، وشجع غريغورس السادس عشر بابا روما منذ عام ١٨٣١م اليسوعيين على الذهاب إلى سوريا للعمل بها ، وأعطى البابا ليون الثالث عشر ـ أيضا ـ فى عام ١٨٨١م ـ اليسوعيين فى سوريا حق منح الشهادات بأنواعها (٣) .

وقد عملت فرنسا أيضا على فرض سيطرتها على مصر خلال الإرساليات التبشيرية والتعليمية . لذلك أسس الآباء الفراريون أول مدرسة فرنسية فى مصر عام ١٨٤٤م ، ثم جاء الفرير وشيد لهم مدرسة عام ١٨٤٥م .وقد استطاعوا أن ينتزعوا اعتراف الحكومة المصرية بخدماتهم التعليمية للبلاد ، ولم يمر سوى خمسة أعوام حتى أعطتهم قطعة من

---

(١) د . على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى والمجتمع الإسلامى المعاصر ، مرجع سابق ، ص١٦١ .

(٢) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ، مرجع سابق ، ص٢ ، ٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤ .

الأرض كى يشيدوا عليها مدارسهم [١] .

وقد توالت بعد ذلك مدارس التبشير ، فأنشأت راهبات المحبة مدرسة لتربية البنات عام ١٨٤٦م ، وحذا حذوهن الراهبات الفرنسيسكان فأنشأن مدرسة بالقاهرة عام ١٨٥٩م بالقرب من حى الأزبكية ، ومدرسة ثانية بحى بولاق ١٨٦٨م ، ومدرسة ثالثة بمدينة المنصورة عام ١٨٧٢م .

وقد التحق بهذه المدارس التبشيرية كثير من الطلبة والطالبات من كل جنس حتى بلغ عددهم فى عهد الخديو إسماعيل ثلاثة آلاف طالب وطالبة ، على الرغم من أن الغرض الأساسى لهذه المدارس هو نشر الدين الكاثوليكى، وخدمة أهداف الاستعمار الفرنسى[٢].

وأرادت إنجلترا أن تنشر نفوذها أيضا عن طريق الإرساليات التبشيرية والتعليمية كما فعلت فرنسا ، حتى تمهد لها هذه الإرساليات سبيل التدخل السافر فى شؤون مصر ، كما مكنت لها شركاتها التجارية غزو الهند واحتلالها ، فأرسلت أول بعثة تبشيرية إلى مصر عام ١٨٤٠م ، وجاءت البعثة الأسكتلندية البروتستانتينية ، وفتحت لها مدرسة بالأسكندرية ، وتلتها بعثة أخرى ١٨٦٠م برئاسة «مس وتلى» كريمة رئيس أساقفة دبلن ، ووهبت هذه لفتاة حياتها لمهنة التبشير التى جاءت من أجلها مصر ، وأسست مدرسة فى القاهرة لهذه الغاية برغم الصعوبات التى واجهتها ، ولكنها صبرت وثابرت طيلة عشر سنوات فى حمل الفتاة المصرية على التعليم والاستجابة لندائها .

وقد استطاعت بعد ذلك أن تحقق نجاحا وامتلأت مدرستها بالتلميذات وقام بتشجيعها الخديو إسماعيل ، وأمدها بالمال اللازم وقطعة أرض بالفجالة لتشييد هذه المدرسة حتى صارت من أرقى مدارس مصر [٣] .

ولم تكن فرنسا وإنجلترا هما الوحيدتان القائمتان بمهمة التبشير فى مصر والعالم الإسلامى كذلك ، فمنذ أن تأسست «جمعية لندن التبشيرية» فى عام ١٧٩٥م انتشرت هذه الفكرة فى أسكوتلنده ، ونيويورك ، والدانمرك ، والسويد ، وهولنده ، وسويسرا والنرويج [٤] .

وقد بلغ الشغف بهذا العمل التبشيرى أن تأسست إرساليات تبشير طبية لتلحق بالإرساليات العامة على سبيل التجربة ، وقد لاقت هذه الفكرة نجاحا ، وأخذت تنمو وتزداد ، وتألف لها أقسام نسائية وأرسل بعضها إلى الهند .

---

(١) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، جـ٢ ، مرجع سابق ،ص٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٩ ، ١٠ .   (٣) المرجع السابق ، ص١٢ .
(٤) أ . ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص١٩ .

وفى عام ١٨٥٥م أسست «جمعية الشبان المسيحيين» من الإنجليز والأمريكان ،وكانت وظيفتها إدخال ملكوت المسيح بين الشباب ، وفى عام ١٨٩٥م تأسست جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين فى العالم ، وكانت غايتها دراسة أحوال التلاميذ فى كل الأقطار وبث روح المحبة بينهم ، وقد التحق بها ١٠٠ ألف طالب وطالبة وأستاذ يمثلون أربعين دولة ، فنشأ عن وجود هذا العدد الكبير ميل إلى الانتفاع به ؛ ولذلك تأسست عام ١٩٠٢م «جمعية تبشير الشبان» ، وكان من وظائفها استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة إلى استماع صوت المبشرين ، ثم تقرر عام ١٩٠٧م أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول (١) .

ويقول الأستاذ أنور الجندى : «لقد اتسع نطاق التبشير فى مصر بعد الاحتلال البريطانى وبلغ درجة بالغة الخطورة حتى أن عبد الله النديم هاجمه فى مجلة «الأستاذ» عام ١٨٩٣م ، ونشر فصلا من كتاب مبشر يدعى «يوحنا هورى» الألمانى سماه «الإسلام وتأثيره على تابعيه» قال فيه : «حيث إن الدين الإسلامى دين غير صحيح ، وأنه لا تأثير له فى حياة تابعيه الدينية ولا فى تقدمهم فى العلوم ، حينئذ نضع الدين النصرانى محله»، ويعلق عبد الله النديم على هذا القول قائلا : «لو أن أى مسلم كتب مثل هذا التعصب لقامت عليه قيامة أوربا وقالوا : هذا دعاء للحرب الدينية وتعرض للدين المسيحى ، وسحبوا قناصلهم،ونادوا بين أتباعهم المعتمدين فى الشرق بالرحيل بدعوة فقد الأمن العام وتوحش المسلمين ، فنحن نسأل من ملؤوا أعمدة «التيمس» وغيرها من نسبة التعصب إلى المصريين خصوصا والمسلمين عموما ، هل رأوا المسلمين اجتمعوا لتغيير دين النصارى ليكونوا معهم، أو تعرضوا لمسيحى بالمجادلة والمناظرة؟» (٢) .

وأكبر شاهد على تزايد هذا النشاط التبشيرى فى مصر فى ظل الاحتلال البريطانى أن «جمعية التبشير الإنجليزية» قد أنشأت فى مصر عام ١٨٩٨م ستة معاهد للتبشير فيها كثير من النساء المبشرات ، ولها مدرسة تبشيرية ، ومدرسة داخلية ، ومدرسة للبنات فى القاهرة، ومدرسة عالية فى حلوان ، ولهذه الجمعية مكتبة كبرى فى القاهرة ، ويقوم مبشروها بنشر مجلة تسمى «الشرق والغرب» (٣) .

وقد اعتمد المبشرون على حماية الاحتلال ونفوذه ، وأخذوا يدعون إلى المسيحية بطريقة تتسم بالتحدى فى مهاجمة الإسلام والنبى ﷺ ، ووزعوا منشورات تهاجم الإسلام فى الاسكندرية ، ودعوا إلى المسيحية فى شوارع القاهرة ، ووزعوا الحلوى على المارة لاجتذابهم والوقوف لسماع عظاتهم ، كما دعوا إلى المسيحية داخل مساجد طنطا ،

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٠ ، ٢١ .

(٢) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ومعركة التغريب والتبعية الثقافية ، مرجع سابق ، ص٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٣) محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق أحقاد وحملات ، مرجع سابق ، ص٢٢٥ .

وأرسلوا بالبريد نشرة إلى العمد والمشايخ والعلماء بما فيهم شيخ الأزهر بعنوان : « أيهما على حق المسيح أم محمد ؟ » فضلا عن ذلك أصدروا مجلة شهرية بعنوان : «بشائر السلام» تضمنت هجوما شديدا على الإسلام ورسوله (١) .

هذا التصرف كان سببا فى سخط الرأى العام الإسلامى فى مصر على بريطانيا ، وكان له أثر فى التفاف الناس حول دعوة «اللواء» للخليفة العثمانى والتفاف الناس أيضا حول مصطفى كامل (٢) .

ولكن هذا السخط لم يثن من عزيمة المبشرين ، فقد عقد فى القاهرة فى ٤ أبريل ١٩٠٦م مؤتمر عام للتبشير فى بيت الزعيم أحمد عرابى بباب اللوق ، وبلغ عدد مندوبى إرساليات التبشير فيه اثنين وسبعين من رجال ونساء ، منهم ٢١ مندوبا عن إرساليات التبشير الأمريكية فى مصر وإيران وتركيا وسوريا والهند ، وعن إرساليات التبشير الإنجليزية خمسة ، والباقى عن الإرساليات الأسكتلندية والإنجليزية المنفردة والألمانية والهولندية والسويدية والدانمركية الموجودة فى بلاد العرب (٣) . وطبيعى أن يكون هذا تحت رعاية الاحتلال البريطانى ، وكان القسيس زويمر رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين أول من فكر عقد هذا المؤتمر ؛ ليجمع فيه إرساليات التبشير البروتستانتية وذلك للتفكير فى نشر الإنجيل بين المسلمين (٤) .

وكانت لفرنسا أيضا جمعية تسمى الإرساليات العلمية المغربية مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الإسلامية ، والعادات الشرقية ، واللغة العربية ، وغيرها من لغات المسلمين ، خدمة لجامعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية .

وقد أصدرت هذه الجمعية عام ١٩٠٧م مجلة كبرى مصورة باسم «العالم الإسلامى»، كان رئيس تحريرها المسيو أ . ل شاتليه أستاذ المسائل الإسلامية الاجتماعية فى إحدى جامعات فرنسا .

وكانت هذه المجلة فى بداية صدورها تظهر بأنها مجلة علمية، حتى تم لفرنسا احتلال المغرب فظهرت فى عام ١٩١١م بمظهرها الحقيقى الذى تكون فيه الدروس الدينية ذريعة لغايات سياسية (٥) .

---

(١) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م ، ص٦٢ .

(٢) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(٣) انظر : محمد عزت الطهطاوى : التبشير والاستشراق ، مرجع سابق ، ص١٥٢، ١٥٣، وأ .ل شاتليه : الغارة على العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص٢٨ ، ٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص٢٩ .

(٥) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص١٩٥ ، ١٩٦ .

وكانت مخططات التبشير على مصر والعالم الإسلامى تهدف إلى محاربة الإسلام ، ونشر الدين النصرانى ، وقد اتخذ المبشرون لذلك خططا متعددة تقوم على أساس المغالطة فى تاريخ المسلمين ودين الإسلام ونبى الإسلام ووقائع حياته والتركيز على محاولة إخضاع الإسلام لمذاهب الفكر الغربى وتاريخ الغرب، ومحاولة فصل الدين عن الدولة(١) وتشويه الثقافة الإسلامية ، والتراث العربى والإسلامى ، وإفساد الخصائص القومية فى البلاد العربية والإسلامية، وخلق تخاذل روحى وشعور بالنقص مما يؤدى إلى الخضوع للمدنية الغربية، وتوسيع شقة الخلاف بين الطوائف والمذاهب،وإثارة النزاع بين الأديان، وإخضاع الأمة العربية للاستعمار الغربى ، وإعداد شخصيات عربية لا تقاوم النفوذ الأجنبى (٢) .

ولم تكن غاية المبشرين غاية دينية فحسب ، بل كانت لهم غايات سياسية أيضا ، يقول الدكتور يوسف القرضاوى : «إن غاية هؤلاء المبشرين ليست دينية خالصة كما يظن بعض الناس ، وأنهم لا يرجون بعملهم هذا وجه الله والدار الآخرة ، فلو كان هذا هدفهم لاتجهوا أول ما يتجهون إلى الشعوب الوثنية بدل أن يتجهوا إلى أعظم أمة مؤمنة موحدة فى الأرض وهى أمة الإسلام» (٣) .

كانت هذه نبذة عن تاريخ التبشير وغايته ، فماذا عن موقف الصحافة الإسلامية تجاه حملات التبشير والمبشرين ؟

ليس من شك فى وجود علاقة بين التبشير والاستعمار ، فالمبشرون كانوا عدة الاستعمار فى إيقاظ الفتن بين المسلمين ، وهذا ما أشارت إليه «اللواء» فتقول : «إن بريطانيا أعدت لذلك العمل ـ أعنى الإيقاع بين الأمم وإيقاظ الفتنة بين المسلمين ـ عدة عظيمة أعدتها لنفسها ، وهى طائفة المبشرين الذين انتشروا فى القطر المصرى يسبون الرسل ، وينكرون رسالة محمد ﷺ ، ويؤذون المسلمين بالطعن على دينهم جهارا تحت حماية اللورد كرومر ودولته العظمى التى كانت تسمعنا من قبل أنها لا تتعرض للأديان ، وأنها تحترم الشرائع السماوية ولا تمس الإسلام بسوء» (٤) .

وعندما أثنى اللورد كرومر على أعمال المبشرين والإرساليات فى السودان فى حفل توديع مساعد جنرال الجيش المصرى فى السودان حيث قال : «وأستأذنكم فى ذكر ما وجدت من السرور والانشراح حين زرت محل المرسلين الأمريكيين على نهر السوباط ومحل المرسلين النمساويين على النيل الأبيض ، ورأيت حسن إدارة أولهما البروتستانتى

---

(١) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٨٦ .

(٣) د . يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٧٧م ، ص٢٤ .

(٤) اللواء ،عدد ٢٦١٨ ، ١٠ ربيع الثانى ١٣٢٦هـ ، ١١أبريل ١٩٠٨م .

وثانيهما الكاثوليكى ، ولست أقصد التمييز بشىء بينهما بذكر كل منهما؛ لأنهما يداران أحسن إدارة» (1) .

وقد انبرت «اللواء» للرد على اللورد كرومر ومهاجمته فى مقال بعنوان : «الإنكليز والإسلام نوايا الاحتلال» بينت أن خطة الإنجليز فى مصر والسودان هى خطة العداء للإسلام والمسلمين ، وأشارت إلى أن الإنجليز فى مصر أثبتوا للمصريين بأدمغ حجة أنهم يريدون زعزعة أركان الديانة الإسلامية بسلوكهم الذى سلكوه فى مسألة الحج ، وجناب اللورد كرومر يعلن أن مصير السودان هو أن يساق بالعصا التى سيقت بها مصر ؛ إذ إن كلا القطرين بلاد إسلامية يجب - فى عرف الإنجليز - أن تضطهد فى عقيدتها ، وتعارض فى دياناتها ، بينما يسمح فى ذلك الحين للمبشرين المسيحيين بمناهضة أفراد هذه الملة مع المساعدة والتنشيط من جناب اللورد كرومر وأعوانه» (2) .

وقد أشارت «المؤيد» إلى ما تحدث به اللورد كرومر من تقريره عام ١٩٠٣م عن أعمال المرسلين فى مصر والسودان ، فإنه قسم هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام : القطر المصرى ، شمال السودان ، جنوب السودان ، وبينت ما يقوم به اللورد كرومر من تسهيل لأعمال المبشرين والمرسلين فى هذه الجهات ، ففى القطر المصرى يقول : «يجب أن تطلق الحرية للمبشرين ليدعوا المسلمين إلى دينهم» ، أما فى القسم الشمالى من السودان فيقول : «إن الزمان الذى يسمح فيه للمبشرين هناك ويكون تبشيرهم مأمون العاقبة لايزال بعيدا» ويشيد بأهمية المدارس التى أنشأها المرسلون هناك؛ لأنها السبيل إلى التبشير فى هذه المنطقة حيث يقول : «إن الحاجة شديدة إلى تعليم أولاد المسلمين وأولاد المسيحيين ، ولا تستطيع الحكومة أن تلبى كل ما يطلبه الأهالى ؛ فلهذه الأسباب كلها أتيح للمرسلين أن ينشئوا مدارس فى الخرطوم ، ولهم أن يدخلوا فى مدارسهم ما شاؤوا من التعاليم الدينية» ، ثم يذكر أن أعمال المبشرين فى جنوب السودان سائرة سيرا مستمرا ، وأعمال المبشرين والكاثوليك يقصد بها تمدين الأهالى وتهذيبهم أكثر مما يقصد بها إدخال الديانة النصرانية بين القبائل الوثنية» (3) .

ولكن الحقيقة التى لم يقلها كرومر: إن هذه ذريعة لتبرير أعمال المبشرين فى هذه المنطقة، ولا يخفى أن الغرض الأساسى هو إدخال هذه القبائل فى الديانة النصرانية .

وتصدت الصحف الإسلامية للأنشطة التى يقوم بها المبشرون فى مصر ، وحذرت من المبشرين الذين يسبحون فى البلاد ويجتمعون بالناس ويوزعون عليهم الكتب التبشيرية التى

---

(1) اللواء ، عدد ١٠١٤ ، ٤ ذى القعدة ١٣٢٠هـ ، أول فبراير ١٩٠٣م .

(2) العدد السابق نفسه .

(3) المؤيد ، عدد ٤٥٥٢ ، ٢٥ صفر ١٣٢٣هـ ، ٣٠ أبريل ١٩٠٥م .

تدعو إلى النصرانية ، مثل الرسالة التى طبعها المبشرون وقاموا بتوزيعها بعنوان : «أيهما على حق المسيح أم محمد؟» ، وتحت عنوان : «لكم دينكم ولى دين» كتب حسن يسرى فى « اللواء » يقول : «لقد توالت زمر المبشرين ، وانتشرت فى سائر أنحاء هذا البلد الأمين انتشار الجراد الآكال . . . فما من يوم إلا وتراهم يهرعون إلى هذا القطر أفواجا ، وبعد أن كانوا يعقدون جمعياتهم فى الكنائس والأديرة صرنا نبصرهم اليوم يهيمون على وجوههم فى الشوارع وعلى كل قارعة طريق» (١) .

وتحمل «اللواء» ـ أيضا ـ على الحكومة لمساندتها قوافل التبشير ، وتحذر الناس من الانصياع لهؤلاء المبشرين قائلة : «وإنا نعجب لحكومتنا الإسلامية كيف تمد يد المعونة لهؤلاء المبشرين بنفر من البوليس لحمايتهم مع علمهم بمقاصدهم التى تؤدى إلى الهياج؟ ألا تدرى أنهم يعملون فى الحقيقة على تمزيق الدين وانتهاك حرمته ؟ . . . فإياكم معشر التلامذة أن تلجؤوا إلى جمعيات هؤلاء المبشرين ، أولئك الذين لا هم لهم إلا التهكم بدينكم ، إيقادا للصدور وإثارة للبغضاء» (٢) .

وتجلى الصحف بعضا من الأساليب التبشيرية المتبعة فى مصر وبعض البلاد الإسلامية، حيث يلجأ المبشرون إلى استدراج البسطاء ويدعونهم إلى النصرانية عن طريق التغرير بعقولهم (٣) .

وقد نددت «المؤيد» بما فعلته إحدى المبشرات التى احتالت على فتاة سورية وأحضرتها إلى محافظة بورسعيد كى تتمكن من تغيير دينها بلا مبالاة ولا خوف من الحكومة الإسلامية . ثم توجه «المؤيد» نداء إلى كل الحكومات الإسلامية قائلة : «ياحضرات رؤساء الحكومات الإسلامية ، أنتم من المسلمين ، كيف تغضون النظر عن هذه الإهانات الحاطة لقدركم؟! ، وهل يمكنكم الإقدام على مثل هذا العمل مع مسيحية؟» (٤) .

ويؤكد رشيد رضا فى «المنار» أنه بلغ الأمر ببعض المبشرين أن يقوم بتنصير المسلمين بالقوة ، فضلا عن المساعدات المالية التى يعطونها للمرتدين من المسلمين ، فيقول : «حضر إلينا بعض المعتبرين من المسلمين وأفادنا بأنه بينما كان مارا بشارع محمد على شاهد بعض المرسلين البروتستانت واقفين أمام المدرسة الإنجليزية الكائنة فى تلك الجهة يحثون المسلمين على اعتناق الدين المسيحى على شكل خارج عن الأدب ؛ إذ إنهم كانوا يطعنون على الدين الإسلامى ، ويغررون الناس بإعطاء الأموال إذا ارتدوا إلى الدين المسيحى ،

---

(١) اللواء ٨ من ذى الحجة ١٣٢٢هـ ، ٢٦ يناير ١٩٠٤م .

(٢) العدد السابق نفسه .

(٣) اللواء عدد ١٣٨٢ ، ٢٧ محرم ١٣٢٢هـ ، ١٣ أبريل ١٩٠٤م .

(٤) المؤيد ، ٢٠ رمضان ١٣٢٦هـ ، ١٩ أكتوبر ١٩٠٨م .

وياليتهم يقفون عند هذا الحد ، بل إنهم يجذبون الناس إلى داخل المدرسة كى يقتنعون بصحة دعواهم» [1] .

بالإضافة إلى أنهم كانوا ينشئون دور العلم والمدارس المجانية فى القرى والمدن الإسلامية لا لتعليم العلم فحسب، وإنما للتبشير بالنصرانية بين المسلمين، وكذلك كان الغرض من إنشائهم للملاجئ المجانية التى كانت تستجلب قلوب الضعفاء من المسلمين[2] .

وقد ذكرت «اللواء» ما تقوم به الكلية السورية الإنجيلية من عملية تنصير بين الطلبة المسلمين وما يقوم به القس «نكل» ناظر مدرسة طرابلس الأمريكية الذى اعتاد أن يلقى دروسا تبشيرية مساء كل ليلة على الطلبة المسلمين ، ويرغبهم على حضور الصلاة فى الكنائس وقبول التبشير .

وعندما احتج الطلاب قال عمدة المدرسة فى نشرة قدمها : «إن المدرسة الكلية هى مدرسة مسيحية ، أسسها رجال من المسيحيين ، فابتاعوا أراضيها وأقاموا بناءها ومتاحفها ومستشفياتها وأدواتها وكل ما فيها بمال «المسيحيين ومساعداتهم المتواصلة . . . رغبة فى إذاعة تعاليم الدين المسيحى وتمكين فضائله السامية فى القلوب والنفوس» [3] .

وهذا يؤكد القول : إن غاية المدارس التى ينشئها المبشرون النصارى هو نشر النصرانية بين المسلمين،وما هذه المدارس إلا ستار أو ذريعة يخفون وراءها هذا الهدف الحقيقى لهم.

وتشير «الشعب» إلى أن أعمال المبشرين فى مصر لم تقتصر على العاصمة بل تعدتها إلى الأقاليم ، وتتحدث عن أساليب المبشرين فى مدينة طنطا حيث يستولون على الأطفال الصغار ثم يقومون بتنصيرهم ، فضلا عما يقومون به من أنشطة أخرى مثل عقد الندوات وعمل دعوات للمسلمين للحضور ، ثم يتحدث المبشر فى هذه الندوات عن موضوع عام، ثم يتطرق فى حديثه إلى سب الدين الإسلامى ، واتهامه بأنه دين خرافات ليقلل من شأنه أمام أتباعه [4] .

وتقدم «الشعب» أيضا ما يقوم به المبشرون من أنشطة فى مدينة بورسعيد لتنصير المسلمين هناك ، ومن هذه الأنشطة :

١ ـ فتح المكتبات التى توزع الكتب النصرانية المليئة بالحشو والطعن فى الدين الإسلامى بأبخس الأثمان .

---

(١) المنار ، عدد ٩ ، السنة الثانية ، ٣ محرم ١٣١٧هـ ، ١٣ مايو ١٨٩٩م .

(٢) المؤيد ، عدد ٤٦٤٥ ، ١٩ جمادى الثانية ١٣٢٣هـ ، ٢٠ أغسطس ١٩٠٥م .

(٣) اللواء ، عدد ٢٨٦١، ٢محرم ١٣٢٧هـ ، ٢٤ يناير ١٩٠٩م .

(٤) الشعب ، عدد ٥٥٢ ، ٣ محرم ١٣٣٢هـ ، ٢ ديسمبر ١٩١٣م .

٢ ـ عمل لقاءات مع الجماهير لتشكيكهم فى دينهم (١) .

وقد تعددت أساليب التبشير ، وتباينت، واستخدم المبشرون كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة فى تنصير المسلمين ، والاستحواذ على عقولهم وقلوبهم ، وكانت لهم حيل غريبة فى جذب الناس إلى الاستماع لهم ، فهم يذيعون على لسان سماسرتهم أن خطيبا مصقعا سيلقى خطابا شائقا فى الأدب ، أو الدكتور الفلانى الشهير سيلقى محاضرة عن مضار الخمر مثلا ، فيذهب الناس سراعا إلى الاستماع لخطاب ذلك الأديب أو الطبيب، ولكنهم لا يرونه إلا مبشرا قد تقمص فى ثوب غير ثوبه الحقيقى ، فينتقل من الموضوع الأصلى ليتكلم عن الإنجيل ، وفى خلال حديثه يسب الأديان الأخرى وخاصة الدين الإسلامى (٢) .

وكان بعض المبشرين يدعى أنه من طلاب الأزهر الشريف والدارسين فيه ، ثم يرتدى ملابسهم ، ثم يعلن أمام جموع الناس أنه ارتد عن دينه لاقتناعه بالدين النصرانى (٣) .

فضلا عن ذلك ، كان من دأب المبشرين بث الشكوك والشبهات فى حق رسول الله ﷺ وأصحابه وحق القرآن والإسلام بجملته وتفصيله (٤) ،تشير إلى ذلك أيضا «الشعب» قائلة : «أخذت جماعة المبشرين تطعن فى الإسلام على مرأى ومسمع من المسلمين ، فتارة تختلق على الدين ، وتحاول أن تدخل فيه ما ليس منه ، وتارة تتأول آيات القرآن الكريم وتخرجها على غير الوجه المراد منها ، وحينا تقدح فى نبوة أشرف الرسل ، وحينا تتناول أئمة الإسلام بكل بذيئة من العبارات ومخجلة من الأكاذيب والضلالات» (٥) .

وقد تصدت الصحف الإسلامية لهؤلاء المبشرين وحملاتهم ، ومواجهة أساليبهم وتعريف الجماهير المسلمة بها ، وتحصينهم ضد دعاياتهم المغرضة ، فهذه صحيفة «الشعب» تحذر المسلمين من حضور هذه المؤتمرات التى تنظمها جماعات التبشير ؛ لأن هجر هذه المؤتمرات وعدم حضورها من أنجح الوسائل فى محاربتها . وتشير إلى ذلك في مقال لها بعنوان : «أعداء الإسلام فى مصر حاربوهم بالبعد والإغضاء » قائلة : « إن ما تفعلون فى الذهاب إلى جمعيات المبشرين وحضور مؤتمراتهم لمن أكبر المحرمات شرعا التى يعاقب عليها الله ـ عز وجل ـ بالعذاب الأليم يوم القيامة قبل الزنا وشرب الخمر ، بل ذلك من أفظع المنكرات فى نظر العقل والحكمة والسياسة ؛ لأنهم لا يخطبون لأنفسهم ، وإنما

---

(١) الشعب ، عدد ٦٠٠ ، ١ ربيع ١٣٣٢هـ ، ٢٧ يناير ١٩١٤م .

(٢) الشعب ، عدد ٤٣٢ ، ٤ من شعبان ١٣٣١ هـ ، ٨ يوليه ١٩١٣ .

(٣) الشعب ، عدد ٤٤٩ ، ٢٤ من شعبان ١٣٣١هـ ، ٢٨ يوليه ١٩١٣م .

(٤) الحياة ، م٣ ، ربيع الأول ١٣٢٤هـ ، مايو ١٩٠٠م .

(٥) الشعب ، عدد ٦٢٦ ، غرة ربيع الثانى ١٣٣٢هـ ، ٢٦ فبراير ١٩١٤م .

يخطبون للمسلمين، فالذهاب إلى حفلات المبشرين إنما هو إحياء لجمعياتهم ورفع لشأنهم»[1].

وقد شارك علماء الأزهر على صفحات «الشعب» فى بيان ما يلقيه المبشرون على الناس من افتراءات على القرآن وعلى رسول الإسلام ، من هؤلاء الشيخ يوسف الدبوى المدرس بالأزهر ، الذى تصدى لافتراء المبشرين على الرسول ﷺ واتهامه بالجنون ، والقرآن الكريم بأنه سخافات قائلا : «أى تاريخ من تواريخ الفلاسفة العظام ، والأنبياء الكرام وهم كثيرون ، يشبه النبى ﷺ ؟ أى أثر يماثل أثره ؟ أى انقلاب حصل فى العالم من بدء نشأته إلى الآن يشبه ذلك الانقلاب الذى أحدثته البعثة المحمدية ؟ أى استيلاء على النفوس وتملك للقلوب يشبه استيلاء الإسلام على نفوس أربابه الذين كان يعذب الواحد منهم بكل أنواع التعذيب فيأبى إلا أن تخرج نفسه من بين جنبيه ، ولا يخرج دينه من سويداء قلبه ؟ فهل من آيات الجنون قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾؟ [النحل : ٩٠]، أم قوله : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾؟ [الأعراف: ١٩٩] ، أم قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾؟ [النساء : ٥٨] ، أم قوله : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [النساء : ١٢٣] »[2] .

ثم عرض لما قاله فلاسفة أوربا ومنصفوها فى مدح الرسول والقرآن مثل توماس كارليل وكاين تيلر ، الكونت هنرى دى كاسترى ، ولوزان الفرنسى ،وهربرت سبنسر .

ولقد رأيت أن أسجل هنا بعضا مما قاله هؤلاء فى الإسلام ونبيه ؛ لأن حملات التبشير مازالت تتعرض لدول العالم الإسلامى وتردد نفس النغمات السابقة من تشويه الرسول ﷺ والقرآن الكريم ، فلعل هذه الأقوال تكون شاهد صدق على كذبهم ، خاصة أنها من أقوال كبار علمائهم وفلاسفتهم .

قال الفيلسوف الكبير «توماس كارليل» فى كتاب «الأبطال» : «لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع مزور، آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة، فإن الرسالة التى أذاعها الرسول مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس ،أكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاش ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا . . هل رأيتم معشر الإخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا وينشره بين عباد الله ؟ إن

(١) الشعب ، عدد ٦٢٦ ، غرة ربيع الثانى ١٣٣٢هـ ، ٢٧ فبراير ١٩١٤م .

(٢) الشعب ، عدد ٦٠٨ ، ١٠ ربيع الأول ١٣٣٢هـ ، ٥ فبراير ١٩١٤م .

الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذى يبنيه بيت وإنما هو تل من الأنقاض ، كذب والله ما يذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه . . . وقد رأينا محمدا ﷺ طول حياته رجلا راسخ المبدأ ، صادق العزم ، كريما بارا ، رؤوفا نقيا ، فاضلا حرا ، أيزعم الأفاكون الجهلة أنه مشعوذ ومحتال ؟ كلا ثم كلا» (١) .

وقال «كاين تيلر» فى خطبته التى ألقاها بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٨٨٧م : «إن الإسلام قد سبق النصرانية بمراحل شاسعة من أكثر جهات العالم همهمة ودمدمة . إن النصرانية فى بعض الجهات أخذت فى التقهقر إلى الوراء أمام الدين الإسلامى فى حين أن الوسائل التى تستغلها لتنصير المسلمين يفشل أمرها . . الإسلام أفاد التمدن أكثر من النصرانية ، ونشر راية المساواة والأخوة بين البشر » .

وذكر القس «لوزان» الفرنسى فى خطبة له : «لقد جل نور حكمة القرآن الذى أنزله الله على صدر محمد المبعوث لا محالة لإرشاد البشر ، وأنه نبى عظيم جليل القدر والشأن ، أمكنه بإرادة الله تكوين الأمة الإسلامية وإخراجها من العدم إلى الوجود» .

وأوضح بوسورت سميث فى كتابه : «حياة محمد» المطبوع باللغة الإنجليزية أن الرسول ﷺ أسس فى وقت واحد ثلاثة أشياء من عظائم الأمور وجليل الأعمال، فإنه مؤسس لأمة وإمبراطورية وديانة مع أنه أمى ، وما كان يقدر أن يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك أتى بكتاب هو آية فى البلاغة ودستور للشرائع وللصلاة والدين فى آن واحد ، وهذا الكتاب مقدس إلى اليوم عند سدس جميع العالم (٢) .

وتوضح «المؤيد» خطورة ما يكتبه المبشرون عن الإسلام فى مجلاتهم وصحفهم ، فأشارت إلى ما قاله القس «أوتارانيان» الذى صار مديرا للمدرسة الألمانية فى بوتسدام ، والتى ينشأ فيها المبشرون النصارى ويرسلون إلى البلاد الإسلامية ، فقد لفت هذا القس نظر الرؤساء الإنجيليين أن انتشار الإسلام ـ فى زعمه ـ خطر محدق بالإنسانية ، وأشارت أيضا إلى ما تنشره مجلة «المبشرون» عن الإسلام فى اليابان وعن محمد ﷺ «أنه رجل حرب وقتال ، يمسك السيف بيمينه والقرآن بشماله ، ويهدد أمم الأرض ، وأن المسلمين يكرهون الأوربى فقط لأنه عدو الرق وتعدد الزوجات والهمجية» (٣) .

---

(١) الشعب ، عدد ٦١٥ ، ١٨ ربيع الأول ١٣٣٢هـ ، ١٣ فبراير ١٩١٣م .

(٢) العدد السابق نفسه .

(٣) المؤيد ، عدد ٦٢٣٠ ، ٢٧ ذى القعدة ١٣٢٨هـ ، ٢٩ نوفمبر ١٩١٠م .

ومن أجل ذلك كانت «اللواء» تدعو إلى مواجهة هؤلاء المبشرين ، وتنبه المسلمين إلى الدعوة إلى دينهم ، ومفارقة الأهل والديار لإعلاء كلمة الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، كما كان يفعل عظماء المسلمين فى الماضى ، وتلفت أنظار المسلمين أيضا إلى ما يقوم به المبشر بالإنجيل الذى يخاطر بنفسه بين القبائل المتوحشة فى صحارى إفريقيا ، ويعرض حياته للاغتيال من أيدى البوكسرى فى بلاد الصين ، ولا غرض له إلا نشر الديانة النصرانية ، وخدمة السياسة الدولية (١) .

وقد اهتمت الصحافة الإسلامية أيضا بنشر أخبار البعثات الدينية النصرانية فى السودان ومصر ، التى تقوم بنشر مبادئ الدين النصرانى بين الأهالى وترغبهم فى اعتناقه وترك دين الإسلام دين آبائهم وأجدادهم ، وأفسحت المجال لنشر المقالات التى تنبه المسلمين إلى ذلك وتقترح الحلول لمجابهة هذه البعثات النصرانية وخاصة من علماء الأزهر .

يقترح محمد رشيد تقى الدين من علماء الأزهر على صفحات «اللواء» أن تقوم عصابة قوية تؤلف الجمعيات لجمع الأموال ، وإيجاد الرجال الصالحين للقيام بأعباء الوعظ والإرشاد فى السودان التى انتشرت فيها البعثات التنصيرية ، ويرى أن ذلك من أقدس الواجبات وأجل الأعمال التى سوف يراها الله ورسوله ، وأنه واجب دينى فى عنق الأمة المصرية والإسلامية (٢) .

وتؤكد «مكارم الأخلاق الإسلامية» و«المؤيد» أن عملية التبشير عملية مدبرة اشترك فيها الأمراء والعظماء والأغنياء ، فضلا عن القسس والرهبان (٣) .

وتهيب هذه الصحف بالمسلمين أن يكون لديهم غيرة على الدين الإسلامى ، مثلما أن لهؤلاء غيرة على نصرانيتهم ، وأن يؤسس أغنياؤهم وكبراؤهم الجمعيات الكبرى التى تقوم بخدمة الدعوة الإسلامية ويشيدوا معاهد العلم والتعليم المؤسسة على المبادئ الإسلامية والشريعة (٤) .

وتطالب «المنار» بتشكيل جمعية من كرام المسلمين لمجاهدة المبشرين تسمى «جمعية الإرشاد الدينى الإسلامى» يجمع لها الأموال من ذوى الخير ثم تنفق على العلماء الذين يطوفون فى البلاد للإرشاد إلى الدين الإسلامى كما يفعل الأجانب (٥) .

وتنعى على العلماء تقاعسهم عن أداء هذه المهمة ؛ لأن هذا التقاعس قد أفاد المبشرين؛لأنه ليس أمامهم من ذوى الإرشاد فى الدين الإسلامى فى مصر والجهات الأخرى من يناظر هؤلاء الذين يسبون الدين ويغيرون عقائد المسلمين (٦) .

---

(١) اللواء ، عدد ١٤٦١ ، ٣٠ ربيع الثانى ١٣٢٢هـ ، ١٤ يوليه ١٩٠٤م .

(٢) اللواء ، عدد ٨٨٤ ، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٢٠هـ ، ٣١ أغسطس ١٩٠١م .

(٣) المؤيد ، عدد ٤٦٤٥ ، ١٩ جمادى الثانية ١٣٢٣هـ ، ٢٠ أغسطس ١٩٠٥م .

(٤) العدد السابق نفسه . نقلت «المؤيد» هذا الرأى من «مكارم الأخلاق الإسلامية» .

(٥ ، ٦) المنار ، عدد ٩ ، ٣ محرم ١٣١٧هـ ، ١٣ مايو ١٨٩٩م .

وتحاول «المؤيد» أن تنبه القارئ المسلم على ما لدى النصارى من أدوات التبشير بدينهم، فتنقل ذلك من مادة المرسلين فى دائرة المعارف كما فى البيان الآتى :

جمعيات المرسلين	كنائسهم	الدخل بالجنيه	عدد المرسلين
إنجلترا	٢٣	٩٣٢,١٥٦	٢,٦٥٨
أمريكا	٣٠	٧٨١,٣٩٣	٢,١٧٢
ألمانيا وسويسرا	١٧	١٤٢,٤٢٣	٥٥٩
فى سائر أوربا	٨	٢٣,٤٢٨	٩٦

فيكون مجموع عدد الجمعيات ٧٨ جمعية ، عدد عمالها ٥٤٤٠ مرسلا ، ومجموع دخلها السنوى ١,٧٧٩,٣٩٩ جنيها ، ثم تنبه المسلمين جمعيا إلى خطورة السكوت عن مواجهة حملات التبشير ، ودعوة الأمم كلها إلى الدين الإسلامى ، وكشف الغطاء عن حقائق أصوله الطاهرة بصورة تنبه الأذهان وتؤثر فى الشعور ، وأن يتسلح الداعية بأصول الدين والخلق الكريم والصبر الجميل (١) .

وتحذر «مكارم الأخلاق الإسلامية» من انتشار المدارس الأجنبية التى ظاهرها العلم وباطنها ميدان تبشير ، وخطب دينية فى الدعوة إلى النصرانية ، وتغير عقائد النشء المسلم عن طريق الصور والتماثيل وغير ذلك ، هذه المدارس التى انتشرت فى مصر منذ عهد سعيد باشا الذى وهب هؤلاء المبشرين الأموال والأراضى الشاسعة لإقامة هذه المدارس، ثم تبعه الخديو إسماعيل ظنا منه أنهم حملة نهضة علمية وأدبية ، ومادرى أن الغرض الحقيقى لهم هو الدعوة إلى النصرانية (٢) .

وفى حديث صحفى كشف أحد محررى «المؤيد» عن حقائق ما تفعله منظمات التبشير والمدارس الأجنبية فى مصر لتنصير المسلمين ، وخلط التعليم بالتبشير للنصرانية ، وقد نشر هذا الحديث بعنوان : «خلط التعليم بالتبشير فى مصر» حديث بين أحد محررى «المؤيد» وناظرة مدرسة الأمريكان (٣) .

سأل المحرر ناظرة المدرسة عن الدروس التى تتلقاها التلميذات المسلمات ، فأجابت : «نظام التعليم عندنا عام ، فلا نعلم المسلمات إلا ما نعلمه المسيحيات» .وعندما سألها عن

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٤٦٩ ، ١٨ ربيع الثانى ١٣٢٦ هـ ، ١٩ مايو ١٩٠٨م .

(٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد ١٠ ، م٢ ، يناير ١٩٠٣م .

(٣) هذه المدرسة أنشأها المبشرون بحى الأزبكية .

هذه الدروس العامة قالت : «الكتاب المقدس واللاهوت ، واللغة العربية ، والإنجليزية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والرسم ، وبعض الأشغال اليدوية» ، ثم أضافت : «إننا لم ننشئ هذه المدرسة وأمثالها إلا لنشر تعاليمنا الدينية ودعوة الصبيان والبنات إلى الإخلاص لتعاليم اليسوع» .

وقد سألها المحرر : لو علم المصريون بذلك لامتنعوا ، فأجابت :« نحن ياسيدى قد مضى علينا ستون عاما ، وقد حان للمصريين وكل الناس أن يكونوا عارفين بغرضنا من مدارسنا » .

ثم أشارت ناظرة المدرسة إلى أنهم قد استطاعوا أن ينصروا شابا ، وقد ذهب إلى إنجلترا ثم إلى أمريكا ، وعمل بعد ذلك بمهنة التبشير فى بلاد الصين (١) .

إلى هذا الحد الخطير كشفت «المؤيد» عن خطورة المدارس التبشيرية ووسائلها فى تنصير المسلمين .

وقد نشط علماء الأزهر فى مواجهة التبشير ، وكونوا جماعة باسم «إرشاد الخلق إلى الحق »، تألفت هذه الجماعة بالإسكندرية ، وبدأت تعقد الاجتماعات ، وتلقى الخطب للتحذير من مؤامرات المبشرين على المسلمين ، وتنتقد ما يذيعونه بين الناس ، موضحة الخطر من مدارس التبشير على عقيدة النشء المسلم (٢) .

وقد أفسحت «الشعب» صدر صفحاتها لمشايخ الأزهر وعلمائه ولجماعة «إرشاد الخلق إلى الحق» .

وكان من الذين حذروا المسلمين من حملات التبشير على صفحات الشعب الشيخ عبد المجيد اللبان (٣) ، والشيخ عبد الباقى سرور (٤) ، والشيخ يوسف الدجوى (٥) .

وقد كان لفرنسا ـ كما أشرنا سابقا ـ جمعية تسمى «الإرسالية العلمية المغربية» مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الإسلامية والعادات الشرقية واللغة العربية، وغيرها من لغات المسلمين خدمة لجامعات فرنسا السياسية والدينية والاقتصادية .

وفى عام ١٩٠٧م أصدرت الجمعية مجلة كبرى مصورة تصدر باسم «العالم الإسلامى» وكان رئيس تحريرها هو المسيو شاتليه أستاذ المسائل الإسلامية الاجتماعية بإحدى جامعات فرنسا .

وكانت هذه المجلة أول أمرها تبدو فى المظهر العلمى إلى أن تم لفرنسا احتلال المغرب،

---

(١) المؤيد ، عدد ٧١٥٧ ، ١٧ محرم ١٣٣٢ هـ، ديسمبر ١٩١٤م .

(٢) الشعب ، عدد ٦٤٤ ، ٢٢ ربيع الثانى ١٣٣٢هـ ، ١٩ مارس ١٩١٤م .

(٣) الشعب ، عدد ٦٣٠ .   (٤ ، ٥) الشعب ، عدد ٦٣٧ .

فظهرت فى عام ١٩١١م بمظهرها الحقيقى وهى خدمة أغراض المبشرين .

وقد أصدرت هذه المجلة عددا خاصا عن تاريخ التبشير وأحوال المبشرين البروتستانت[١] ، وما ينبغى لفرنسا وإنجلترا عمله حيال مهمة التبشير وبيان آثاره .

وقام السيد محب الدين الخطيب ، والسيد مسعود اليافى بترجمة هذا العدد السابق الذكر ، وبدأت «المؤيد» تنشره فى شكل حلقات متتابعة ، وقد أشارت إلى أن مجلة «العالم الإسلامى» الفرنسية نقلت هذا الفصل عن كتاب مشروع التبشير الذى ألفه «أدوين بلس» البروتستانتى ، وذكرت أن تاريخ التبشير يرجع إلى صدر النصرانية ، وأن «ريمول يول» الإسبانى هو أول من تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية كما عرضت لتنظيم إرساليات التبشير فى القرون الوسطى فى الهند وجاوة وجزائر السند ولاهور ، وكيف اختلط المبشرون بالمسلمين فى هذه المناطق .

وقد سردت تاريخ تنظيم الإرساليات البروتستانتية كما جاءت فى كتاب «أدوين بلس» من دانمركية وإنجليزية وألمانية وهولندية ، وأخبار اتصال بعضها ببعض ، وأسماء الملوك والأمراء الذين كانوا عضدا لها ومؤيدين لأعمالها فى القرن السابع عشر وما بعده فى كل أقطار العالم [٢] .

ثم تعرضت «المؤيد» أيضا لتاريخ التبشير فى آسيا ، فذكرت أنه كان للمبشر «هنرى مارتيه» اليد الطولى فى إرسال المبشرين إلى بلاد آسيا الغربية فى الهند وفارس والبلاد العثمانية .

فضلا عن ذلك ، فهو الذى قام بترجمة التوراة إلى الهندية والفارسية والآرمينية ، وبعد ذلك أخذت إرساليات التبشير تشد الرحال إلى الأناضول وفلسطين ، واتخذت لها مراكز فى أزمير والقسطنطينية وبيت المقدس ، وكان فى مقدمة هذه المراكز لجنة التبشير الأمريكية والإنجليزية التى قد سبقتها إلى بعض البلاد العثمانية مثل أزمير والأستانة وسلانيك ، وافتتحت بها المدارس الدينية والمعابد [٣] .

ومنذ سنة ١٩٤٩م أخذت تتوافد إرساليات التبشير إلى بلاد العالم الإسلامى ، وأصابت لجنة التبشير الأمريكية المنطقة العربية فى الشام وسوريا ولبنان وخاصة بعد حوادث ١٨٦٠م فى سوريا .

وكان لتأسيس الكنيسة البروتستانتية فى الأستانة ١٨٤٦م أثر فى معاونة المبشرين ،

---

(١) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، مرجع سابق ، ص١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) المؤيد ، عدد ٦٦٥٦ ، ١ من جمادى الأولى ١٣٣٠ هـ ، ١٨ أبريل ١٩١٢م .

(٣) العدد السابق نفسه .

حيث صارت بعد ذلك الأستانة مركزا عاما آمنا لأعمال المبشرين [١] .

كما عرضت «المؤيد» لتاريخ التبشير فى إفريقيا فذكرت أن المبشرين الكاثوليك دخلوا ربوع إفريقيا منذ القرن الخامس عشر فى أثناء الكشوف البرتغالية ، وبعد ذلك أخذت إرساليات التبشير البروتستانتية ـ من إنجليزية وألمانية وفرنسية ـ تتوافد إليها .

ولم تهتم الكنيسة البروتستانتية بالتبشير فى إفريقيا الغربية إلا منذ عام ١٨٠٤م ، حيث دخلت إرساليتها بلاد الكنغو بقيادة الأسقف «صموئيل كرونز» الذى قاوم الإسلام فى النيجر وإفريقيا الغربية [٢] .

وكان لأقباط مصر دور فى مساعدة المبشرين على أداء مهمتهم ، ففى سنة ١٩١٩م اتفقت الجمعية البروتستانتية مع الأقباط فى مصر وألفت إرسالية عهدت إليها نشر الإنجيل فى إفريقيا الشرقية ، وقررت إرسال مبشرين إلى الحبشة ، ولكنها فشلت نتيجة للمنافسة بين اليسوعيين والبروتستانت [٣] .

وقد توافد المبشرون على إفريقيا الوسطى عقب بعثة «لفنستون» و «ستانلى» عام ١٨٧٨م ، فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألمانى ، وأسكتلندى ، وإنجليزى ، وهؤلاء انتشرت إرسالياتهم بدون انقطاع من شرقى إفريقيا إلى أوسطها حتى الخرطوم والحبشة .

وكان لبلاد المغرب مبشرون خاصون ترسلهم جمعية شمال إفريقيا ، وهم منتشرون فى مراكش والجزائر وتونس وسائر بلاد المغرب ، ومنهم المبشرون والأطباء التابعون لهم [٤].

وقد تابعت «المؤيد» نشر ما حدث فى المؤتمر التبشيرى الذى عقد فى القاهرة ٤ فبراير ١٩٠٦م ، وتحدثت عن إرساليات التبشير الطبية وعن الأعمال النسائية فى التبشير ، وكيف يقترب المبشرون من المسلمين وكيفية عرض العقيدة النصرانية ، والمناظرة والوسائل التى يجدر التذرع بها لنشر مبادئها ، والتمكن لها فى نفوس المسلمين ، والصفات التى ينبغى أن يتصف بها مبشرو المسلمين بالنصرانية والإنجيل [٥] .

وأشارت «المؤيد» إلى أن القسيس «زويمر» ـ رئيس إرساليات التبشير فى البحرين ـ كان أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام لجميع إرساليات التبشير البروتستانتية للتفكير فى مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين [٦] .

ونشرت «المؤيد» ما قدم فى هذا المؤتمر من بحوث ، كان أهمها ملخص إحصائى عن

(١ ـ ٤) العدد السابق نفسه .

(٥) المؤيد ، عدد ٦٦٦٠ ، ٦ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ ، ٢٣ أبريل ١٩١٤م .

(٦) المؤيد ، عدد ٦٦٥٨ ، ٤ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ ، ٢١ أبريل ١٩١٢م .

عدد المسلمين فى العالم الإسلامى فى السلطنة العثمانية ، والإسلام فى الهند ، والإسلام فى الصين ، والإسلام فى فارس ، والإسلام فى الملايو ، والنشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين العوام ، والتنصير، والارتداد ، ووسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين ، وشؤون نسائية إسلامية ، وموضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم، وكيفية التعليم فى الإسلام (١) .

وقد جمعت هذه الموضوعات فى كتاب سمى بوسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين ، جمع هذا الكتاب ونشره القسيس «فليمنج» الأمريكى ، وكتب عليه : يوجه لفئة خاصة من رجال التبشير لا ليطلع عليه كل الناس .

وقد ضمنه المباحثات التى دارت فى مؤتمر القاهرة واختتمه بنداءين ، استنهض بأحدهما رجال النصرانية ؛ ليجمعوا قواهم ويتضافروا ؛ ليستولوا بأعمال مشتركة وعمومية على أهم الأماكن الإسلامية ، والنداء الثانى خاص بأعمال نسائية (٢) .

والجدير بالذكر أن من أهم أغراض مؤتمر القاهرة التبشيرى هو القضاء على الأزهر واللغة العربية ، فقد قدم اقتراح بهذا الغرض تقدم به أحد الأعضاء ، وهو إنشاء مدرسة جامعية نصرانية (الجامعة الأمريكية - الآن بميدان التحرير) تقوم الكنيسة بتمويلها وتكون مشتركة بين الكنائس النصرانية كلها على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة الإنجليزية (٣) .

وأشارت «المؤيد» إلى أهم الوسائل التى ذكرت فى تنصير المسلمين ، وهى :

١ - العزف بالموسيقى التى يميل إليها الشرقيون .

٢ - تأسيس الإرساليات الطبية .

٣ - أن يتعلم المبشرون اللهجة العامية .

٤ - أن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه .

٥ - أن يخاطبوا العوام من المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم .

٦ - أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة .

٧ - أن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين .

٨ - ألا يتخلل خطابه كلمات أجنبية عنهم .

٩ - أن يبذل جهده فى اختيار الموضوعات .

(١ - ٣) العدد السابق نفسه .

١٠ ـ أن يكون واقفا على آيات القرآن الكريم والإنجيل ، عارفا بمحل المناقشة ، وأن يستعين قبل كل شيء بالروح القدس والحكمة الإلهية .

١١ ـ أن يكون خبيرا بالنفس الشرقية ، وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية التى لا يعرفها الشرقيون (١) .

هذه بعض الوسائل التى أشاروا إليها فى مؤتمر القاهرة التبشيرى ، والتى ما زالت تستخدم حتى الآن فى تبشير العالم الإسلامى ، والباحث يضع ذلك أمام المسؤولين عن الدعوة الإسلامية وشؤونها فى خارج البلاد وداخلها ، حتى يقفوا على وسائل المبشرين ، ويحصنوا المسلمين ضدها .

---

(١) العدد السابق نفسه .

الفصل الثامن
موقف صحافة الاتجاه الإسلامى إزاء الدعوة إلى السفور

كانت الدعوة إلى السفور ونبذ الحجاب متأثرة بالحضارة الغربية ، والدعوة إلى الحرية الشخصية التى تتصل بفكرة العلمانية ، فهى تعتمد على أن الحرية الشخصية قد أصبحت فى العصر الحديث حقا لكل إنسان ذكرا كان أو أنثى ، ومن ثم يجب التخلص من سلطة الدين على النفوس (١) .

وقد ظهرت فى مصر فى الفترة من عام ١٨٩٢ ـ ١٩١٣م عدة صحف نسائية تبنت الدعوة إلى السفور ، ومن هذه الصحف :

مجلة «الفتاة» الشهرية ، التى أصدرتها هند نوفل فى عام ١٨٩٢م .

ومجلة « مرآة الحسناء » نصف الشهرية ، التى أصدرتها بالقاهرة مريم مرهم فى عام ١٨٩٦م .

ومجلة «السيدات والبنات» الشهرية ، التى أصدرتها روزا أنطون بالإسكندرية عام ١٩٠٢م .

ومجلة «فتاة الشرق» الشهرية ، التى أصدرتها لبيبة هاشم فى عام ١٩٠٦م .

ومجلة «الريحانة» الشهرية ، التى أصدرتها بالقاهرة جميلة حافظ عام ١٩٠٧م .

ومجلة « ترقية المرأة » الشهرية ، التى أصدرتها فاطمة راشد عام ١٩٠٨م .

ومجلة «الجنس اللطيف» الشهرية ، التى أصدرتها بالقاهرة ملكة سعد .

ومجلة «فتاة النيل» الشهرية ، التى صدرت فى القاهرة عام ١٩١٣م (٢) .

ولكن أهم ما ظهر فى هذا الموضوع كتابان لقاسم أمين ـ الذى أطلق عليه فيما بعد : محرر المرأة (٣) ـ وهما « تحرير المرأة » و «المرأة الحديثة» ، وقد وضع الكتاب الأول عام ١٨٩٩م وطبع الثانى عام ١٩٠١م ، وقد أثار ظهور هذين الكتابين عاصفة شديدة فى

---

(١) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص٢٧٣ .

(٢) فاروق أبو زيد: الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ص٥٣٥ .

(٣) الحقيقة أن اللقب الذى أسند إلى قاسم أمين بأنه محرر المرأة فيه مجافاة للصواب ؛ لأن الذى حرر المرأة فى الواقع هو الإسلام ومحمد ﷺ .

الصحف الإسلامية آنذاك والفكر الإسلامى بوجه عام [1] .

وقبل أن نناقش دعوة قاسم أمين إلى السفور وموقف الصحافة منها ، هناك ملاحظة تجدر الإشارة إليها ، وهى أن قاسم أمين كان من أنصار الحجاب بمعنى أن تضع المرأة النقاب على وجهها ، ويكون لها مجتمع قائم بذاته منفصل عن مجتمع الرجال ، ويتضح ذلك فى ردوده على كتاب «الدوق داركور» الذى امتلأ بالطعن على الإسلام والمسلمين ، وهاجم المرأة المسلمة وأرجع تأخر المسلمين فى زعمه إلى تعاليم الإسلام التى تحكم بعزلة المرأة وسلبيتها [2] .

وقد نشر قاسم أمين هذه الردود عام ١٨٩٤م فى كتاب ألفه بالفرنسية سماه «المصريون»، دافع فيه عن النقاب الذى تغطى به المرأة وجهها ، وعده دليلا على كمال المرأة وعفتها ، وحبذ أن يكون للرجال مجتمعهم وللنساء مجتمعهن ، وهاجم الاختلاط السائد فى المجتمعات الغربية ، وندد بالداعيات إلى السفور من النساء وقد رأت فيه الأميرة نازلى [3] تعريضا بها [4] .

وقد هاجمته جريدة «المقطم» وفندت دفاعه عن الحجاب واستنكاره اختلاط الجنسين ، وأوقفت هذه الجريدة هذا الهجوم بعد أن اتفق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تعديل رأيه [5] .

ومن أجل ذلك بدأ قاسم أمين بعد ذلك يكتب كتابه «تحرير المرأة» عام ١٨٩٩م وقد خالف فيه كل ما كتبه فى كتابه «المصريون» الذى ألفه عام ١٨٩٤م .وقد حاول قاسم أمين فى «تحرير المرأة» أن يؤكد أن حجاب المرأة بوضعه السائد ـ بمعنى أن تكون المرأة مغلقة من رأسها إلى قدميها ـ ليس من الإسلام ،وأن الدعوة إلى السفور ليس فيها خروج عن الدين فهو القائل فى ذلك:«ربما يتوهم ناظر أنى أرى الآن رفع الحجاب لكن الحقيقة غير ذلك فإننى لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلا من أصول الأدب التى يلزم التمسك بها،

---

(١) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ،جـ١ ص٢٧٣ .

(٢) سامى الكومى : الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، ص٢٨٩.

(٣) الأميرة نازلى فاضل كانت من أنصار الإنجليز وعشاقهم ، وكانت تجاهر بذلك ، وقد تربت تربية أوربية ، ثم تزوجت بخليل شريف باشا أخى على باشا شريف سفير الدولة العلية بباريس ، وعاشت معه عيشة أوربية بحتة ، ولما توفى عادت إلى مصر فبقيت مدة بلا زواج ، صاحبت فى أثنائها من الإفرنج والمصريين ، وكان لها شغف خاص بضباط الإنجليز ، وكانت تقابل الرجال على العادة الأوربية ، وتحيى ليالى موسيقية فى دارها وتكثر من شرب الخمر .

انظر:مذكرات محمد فريد ، المنشورة فى كتاب محمد صبيح: شعب مصر، مرجع سابق ، ص٣٩٦ .

(٤) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص١٢١ ، ١٢٢

(٥) المرجع السابق ، ص١٢٢.

غير أنى أطلب أن يكون منطبقاً على ما جاء فى الشريعة الإسلامية ، وهو على ما فى تلك الشريعة يخالف ما تعارفه الناس عندنا لما عرض عليهم من حب المغالاة فى الاحتياط ، والمبالغة فيما يظنونه عملا بالأحكام،حتى تجاوزوا حدود الشريعة،وأضروا بمنافع الأمة»(١). «إننا نطلب تخفيف الحجاب ورده إلى أحكام الشريعة الإسلامية؛ لأننا لا نميل إلى تقليد الأمم الغربية فى جميع أطوارها وعوائدها لمجرد التقليد أو التعلق بالجديد لأنه جديد، فإننا نتمسك بعوائدنا الإسلامية ونحترمها» (٢) .

والحقيقة أن الذى قصده قاسم أمين بتخفيف الحجاب هو إزالة النقاب الذى كانت تغطى به المرأة وجهها .

وقد تعرض لتربية المرأة وتعليمها ، ونادى بأن «تتعلم كل ما ينبغى أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائى على الأقل ، حتى يكون لها إلمام بمبادئ العلوم وعلى من يتولى تربية المرأة أن يبادر من صباها بتعويدها على حب الفضائل التى تكمل بها النفس الإنسانية فى ذاتها » (٣) .

ونادى قاسم أمين بوجوب عمل المرأة ، واستدل بما وصلت إليه المرأة فى الدول الأوربية من تقدم ملموس فى أعمالها ، وعلق تقدم البلاد على تقدم المرأة ، وأنها قوة لا يستهان بها الآن . . . لأن هذه القوة التى تصرفها النساء فى التجارة ، والصناعة والفنون إن كانت كل واحدة منها على حدتها لا يظهر أثرها للناظر فى أحوال الأمة فإن لجميعها مجموعا واحدا يظهر أثره فى أحوالها تمام الظهور ، وهى رأس مال عظيم نحن مقصرون فى العناية والانتفاع به (٤) .

ويستدل على عمل المرأة فى الإسلام قائلا : «فقد وجد فى مبدأ الإسلام عدد غير قليل من النساء ، كان لهن أثر فى مصالح المسلمين العامة ، فجميع المسلمين يعلمون أن طائفة عظيمة من الأحاديث النبوية على اختلاف مواضعها قد رويت عن عائشة وأم سلمة، وغيرها من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة ، وأن عددا غير قليل من النساء اشتهرن بخدمة العلم وجودة الشعر» ، ويستدل على عمل المرأة المسلمة بالسياسة بتدخل أم المؤمنين فى الخلاف فى مسألة الخلافة ، ويأتى بخطبة لها تحرض الناس على الدخول فى الحزب الذى انضمت إليه» (٥) .

وهو لاشك يسخر النصوص لخدمة الفكرة التى يدعو إليها لذلك «جاء كتابه مليئا

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ،ط٦/ ١٨٩٩م / ١٣١٦هـ ، ص٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٩.

(٤) المرجع السابق ، ط٢ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠م ،ص١٣٤ .

(٥) المرجع السابق ، ص١٣٦ .

بالمغالطات ، سواء كان ذلك فى تفسير بعض الآيات القرآنية أو فى النصوص التاريخية والفقهية أو الأدلة العقلية ، وهذا الاتجاه يفسر النصوص تفسيرا جديدا مخالفا لكل ما هو ثابت متواتر فى تفسيرها ، وهو جزء من اتجاه عام تزعمه الشيخ محمد عبده للدعوة إلى فتح باب الاجتهاد الذى زعم أن الفقهاء قد أغلقوا بابه ، وهو يدعو إلى الملاءمة بين الإسلام ، والحضارة الغربية» (١) .

لذلك يهاجم قاسم أمين تعدد الزوجات ،ويرى أن تعدد الزوجات احتقار شديد للمرأة،وأنه لا ينبغى للرجل أن يتزوج أكثر من امرأة إلا فى حالة الضرورة المطلقة ، هذه الضرورة فى زعمه « إن كانت المرأة عاقرا لاتلد» ،وذلك لأن تعدد الزوجات كما يراه قاسم أمين «ما هو، إلا حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية ، وهو علامة تدل على فساد الأخلاق واختلال الحواس ،وشره فى طلب اللذائذ » (٢) .

ويتضح من هذا القول أنه معارض لنص الآية الكريمة: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء : ٣] ، وما كان عليه الصحابة فى صدر الإسلام ، فإن معظمهم قد عددوا فى حياة الرسول ﷺ وبعده ، ولم يستنكر عليهم ذلك ، ولم يستنكره خلفاؤه الراشدون ، فهل فهم قاسم أمين الإسلام أفضل من هؤلاء ؟!

ويقترح قاسم أمين أن يكون الطلاق أمام القاضى أو المأذون وأمام شهود ، وأن يبين له القاضى أو المأذون ما فى الطلاق من ضرر فإن أصر يختار حكمين لمحاولة الإصلاح ، فإن أخفقا يتم التطليق بحضور شهود (٣) .

وقد أثار كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة»موجة من المعارضة من الرأى العام المصرى المسلم ومن علماء الدين بوجه خاص ،الذين تصدوا للرد على أفكار قاسم أمين . ومن أبرز هذه المقالات تلك نشرها «المؤيد» للشيخ محمد حسنين البولاقى من علماء الأزهر الشريف، تحت عنوان: «أنيس الجليس فى التحذير عما فى تحرير المرأة من التلبيس»(٤).

انتقد الشيخ البولاقى ما جاء فى مقالات قاسم أمين ضد تعدد الزوجات قائلا : «إن من عرف غرض الشارع الإسلامى من جواز تعدد الزوجات إنما هو تكثير النسل وعمار البلاد بالموحدين وأهل العبادة ، عرف أنه لا عيب فى تعدد الزوجات ، ولاطعن فى ذلك على الدين ، فمن كان قادرا على النفقات ، ووثق من نفسه بالعدل بين الزوجات فلا

---

(١) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، مرجع سابق ، جـ١ ص٢٨١ .

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ، مرجع سابق ، ص١٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٤) فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص٥١٨ .

حرج فى ذلك ولا إثم ولا لوم عليه» (١) .

كما يفند الشيخ البولاقى دعوة قاسم أمين إلى السفور وإزالة الحجاب ،مستشهدا على فساد رأى قاسم أمين بعدد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التى تؤكد ضرورة وجود الحجاب ،فهذه الآيات دلت دلالة صريحة لا ينكرها إلا مكابر على أنه يجب على المرأة أن تحتجب عن غير محارمها،ولا يجوز لها أن تكشف شيئا من بدنها أمام أجنبى (٢).

ولم يلبث مؤلف «تحرير المرأة» حين واجه هذه المعارضة وأحرجته أن كشف عن أهدافه الحقيقية فى كتاب ظهر فى عام ١٩٠١م وهو كتاب «المرأة الجديدة» الذى بدا فيه أثر الحضارة الغربية واضحا ، فالتزم فيه مناهج البحث الأوربية الحديثة التى ترفض كل المسلمات السابقة سواء منها ما جاء من طريق الدين ، وما جاء من غير طريقه ، ولا تقبل إلا ما يقوم عليه دليل من التجربة والواقع ، على حسب ما يفعله باحثو الاجتماع الأوربيون وهو ما يسمونه بالأسلوب العلمى (٣) .

وقد اتسم كتاب «المرأة الجديدة» ـ فضلاً عن اتباعه المنهج الغربى فى التفكير واصطناع أساليب الغربيين فى الدراسات النفسية والاجتماعية والتجريبية بمهاجمة علماء الدين الذين هاجموه من قبل ، واتهموه بالتفرنج ، وإفساد تقاليد الإسلام عندما نشر كتابه الأول «تحرير المرأة» (٤) .

ونستطيع القول :إن دعوة قاسم أمين فى كتابيه « تحريرالمرأة » و« المرأة الجديدة » تلخصت فى أمرين :

أولا : ضرورة تعليم المرأة .

ثانيا : الدعوة إلى السفور وضرورة تشبه المرأة المصرية بالأوربية ، ومساواتها الرجل فى الاشتغال بالمسائل العامة .

وقد عارضت الصحافة الإسلامية الدعوة إلى السفور ، فى حين وافقت على دعوة قاسم أمين على ضرورة تعليم المرأة ، ولم يجد الباحث من خلال قراءته للصحف الإسلامية فى هذه الفترة ما يعارض الدعوة إلى تعليم المرأة ، بل على العكس ، فقد جندت كل الصحف تعليم المرأة وتربيتها تربية إسلامية حسنة حتى تصبح عاملا قويا فى المجتمع تعرف ما لها وما عليها .

---

(١) المؤيد ، ١٨ أكتوبر ١٨٩٩م ،نقلا عن : المرجع السابق ، ص٥٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ٥٢٠ .

(٣) د .محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط٣ ، مرجع سابق ، جـ١ ص٢٨٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

وقد انفردت المنار بالتنويه بكتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين ، يقول رشيد رضا : «نوهنا فى أجزاء من «المنار» بكتاب «تحرير المرأة» وكتاب «سر تقدم الإنجليز السكسونيين» الذى ترجمه أحمد فتحى زغلول ، ويخص كتاب «تحرير المرأة» بالثناء أكثر قائلا : «وقد استوفى أحد الكتابين المنوه بهما أهم مباحث تربية النساء ، وهو كتاب «تحرير المرأة» ، وإنى وددت لو ينشر فى «المنار» إلا قليلا ، حكمة رائعة فى عبارة بارعة ، ومعنى دقيق فى لفظ رقيق ، وما رأيت مكتوبا فى الأنام جعل الحكمة على طرف التمام مثل الذي رأيته فى هذا الكتاب ، ومن خصائصه أنه أحدث أثرا فى الأمة التى كدنا نحسبها ميتة » (١) .

وقد حملت «المنار» على الذين ينادون بالحجاب «النقاب» بمعنى أن تحجب المرأة كل جسدها ، وتذكر مضار هذا النقاب ، مستدلة على ذلك بأدلة عقلية ونقلية ، أما الأدلة العقلية فيمكن أن نلخصها فيما يلى :

١ ـ أن النقاب يحول دون انتخاب الرجال لأزواجهن .

٢ ـ أنه يفسد صحة النساء ويمنعهن من الرياضة البدنية .

٣ ـ أنه يكثر من حوادث التزوير فى سائر العقود .

٤ ـ أنه أكبر مانع لإتمام التربية والتعليم والتهذيب .

٥ ـ أنه يمنع الفقيرات من الحصول على أقواتهن إلا بشق الأنفس .

وتبرز الأدلة الشرعية على عدم صحة النقاب فتقول : «أجمع علماء المسلمين وأئمتهم على أن الوجه والكفين ليسا بعورة فى الصلاة ، وأن كشفهما غير مبطل لها ، وعلى ذلك جرى عملهم من عهد الرسول ﷺ إلى اليوم ، وقال ابن جرير فى تفسيره : «للمرأة أن تبدى من بدنها ما لم يكن عورة كما أن ذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره » وحكى القاضى عياض عن العلماء أنه لا يجب على المرأة ستر وجهها وكفيها فى طريقها ، وعلى الرجال غض البصر عنها ، وقال: إن ذلك إجماع المسلمين وروى عن عائشة ﵂ أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها،وقال : « يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذا» ، وأشار إلى وجهه وكفيه (٢) .

يتضح مما سبق أن الإسلام لم يوجب على المرأة ستر جميع جسدها «النقاب» ، وأنه قد أباح لها أن تظهر وجهها وكفيها فى الصلاة وغير الصلاة ، وهذا الرأى يركن إليه أكثر

---

(١) المنار ، عدد ١٨ ، م ٢ ربيع الأول ١٣١٧هـ ، ١٥ يوليه ١٨٩٩م .

(٢) المنار عدد ٩ ، م ١٣ ، رمضان ١٣٢٧هـ ، أكتوبر ١٩١٠م .

العلماء ، ولكن منهم من يميل إلى أن تستر المرأة جميع جسدها .

أما عن موقف «المنار» من تعدد الزوجات والطلاق ، فإنها لم تهاجم هذا المبدأ الإسلامى كما فعل قاسم أمين فى كتبه «تحرير المرأة» ، بل دافعت عنه وأظهرت أن الإسلام هو الذى وضع له الضوابط والحدود لأنه لم يكن محددا قبل الإسلام ، وتشير إلى أن فوائد إباحة التعدد كثيرة منها :

١ ـ أن الإنسان إذا أصاب امرأته مرض مزمن جعله ينفر منها ، فإما أن يبقيها أو يطلقها ، أما طلاقها والحالة هذه فهو خلاف المروءة الإنسانية ؛ إذ لا يمكنها أن تتزوج بغيره ، وربما لا يكون لها عائل سواه ، وإن أبقاها ولم يتزوج عليها تعطل نسله هو أيضا ، وممكن أن يتعرض للأمراض التى تنشأ من عدم القيام بهذه الوظيفة أو اضطرته الشهوة إلى الزنا .

٢ ـ عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، فلو لم يبح التعدد لوجد عدد منهن لا حيلة لهن سوى الاتجار فى أعراضهن ، كما هو مشاهد فى أكثر بلاد أوربا [١] .

ثم تدافع عن مشروعية الطلاق فى الإسلام ، وتبين أنه من ضرورات الاجتماع ، وتستدل على ذلك بأن الأوربيين أنفسهم رأوا فى ذلك المصلحة فشرعوه ، وإن لم يشرعه لهم «الإنجيل» إلا لعلة الزنا كما بدأ الأوربيون يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة إلى التعدد أيضا ، كما عرفوا وجه ذلك فى مسألة الطلاق ، وقامت غير واحدة من نساء الإنجليز وعلمائهم ، يطالبون فى الجرائد بإباحة تعدد الزوجات رحمة بالعاملات الفقيرات والبغايا المضطرات [٢] .

وقد كان موقف مصطفى كامل ـ فى «اللواء» ـ من الدعوة إلى السفور واضحا فقد عارضها ؛ لأنها لا تتفق وتقاليد المجتمع المصرى أو الدين الإسلامى فى المقام الأول [٣] وفضلا عن ذلك كان رفض مصطفى لهذه الدعوة يرجع إلى سببين :

أما السبب الأول : فنستطيع أن نجده فى رأى الدكتور عبد اللطيف حمزة فى موقف مصطفى كامل من الدعوة إلى السفور فيقول : «لقد شهد هذا الشاب الذى يمتلئ بالغيرة كيف شقى المجتمع الأوربى بسبب سفور المرأة ، وكيف حرمت البيوت الأوربية أنس الأسرة ، وكيف نشأ الأطفال الأوربيون فى غير حجور أمهاتهم وآبائهم ، وراح يلح فى أن تصان المرأة فى البيت كريمة معززة ، ولكن بعد أن تأخذ حقها كاملاً من التربية والتعليم

---

(١) المنار ، عدد ١٨ ، ١٦ رمضان ١٣٢٣هـ ، ١٣ نوفمبر ١٩٠٥م .

(٢) المنار ، عدد ٨ ، ٣٠ شعبان ١٣٢٧هـ ، ١٤ سبتمبر ١٩٠٩م .

(٣) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .

فى المدرسة لأنه يعلم أن العلم الأسمى للأم فى كل بلد هو أن تصنع الرجل للأمة ، وتلك وجهة نظر لها احترامها إلى اليوم» (١) .

أما السبب الثانى ـ الذى عارض مصطفى كامل دعوة السفور من أجله هو : رفضه المطلق أخذ الحضارة من بريطانيا ،وكان هذا هو سر حملة «اللواء» على قاسم أمين ومحمد عبده وغيرهما من الذين كانت لهم صلة بكرومر وصالون «نازلى فاضل» والذى كان على صلة وثيقة بالوكالة البريطانية (٢) .

وكانت من أشهر المقالات التى نشرتها «اللواء» فى الدعوة إلى الحجاب مقالة بعنوان : «الحجاب الحجاب» تدعو فيها إلى الحجاب ، وتندد بالداعين إلى السفور (٣) .

وقد أنشأ محمود أفندى سلامة أحد محررى «اللواء» صحيفة أطلق عليها اسم : «الواعظ» ، أفسحت صدر صفحاتها لمعارضة الدعوة إلى السفور ، ونشرت بعض القصائد الشعرية التى تندد بهذه الدعوة من هذه القصائد قصيدة بعنوان : «حديث الحجاب» لمحمد أفندى حمدى النشار الدمياطى ، قال فى مطلعها :

بنو مصر وما أدراك من هـم ... إذا انتسبوا إلى الفضل انتسابـا

أرادوا بالأوانـس والغــوادى ... ذوات الخدر أن تـدع الحجابـا

وأن تـرد المحافـل مسفـــرات ... وتسعى لا إزار ولا نـقـابـا (٤)

وكان للمؤيد موقف متميز تجاه الدعوة إلى السفور عن الصحف الإسلامية الأخرى فى فترة البحث؛ حيث إنها لم تعارض هذه الدعوة كمبدأ ثابت فى سياستها التحريرية ولم تؤيدها كذلك ، بل كانت تشبه جريدة الأهرام فى الوقت الحاضر فى موقفها تجاه القضايا الاختلافية التى تظهر فى المجتمع ، حيث تعرض لآراء المؤيدين والمعارضين على السواء ، عملا بحرية النشر ، ثم تترك الفرصة للقارئ أن يقتنع بوجهة النظر التى يراها .

فالمؤيد قد نشرت كتاب قاسم أمين : «تحرير المرأة» قبل أن يصدر فى شكل كتاب (٥) ، وفى الوقت ذاته نشرت الردود الانتقادية عليه كرد الشيخ البولاقى عليه (٦) .

وعندما أصدر قاسم أمين كتابه «المرأة الجديدة» أفسحت المؤيد صفحاتها لبعض المقالات

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٢٩ ، ود . على عجوة : فن الدعاية والإعلام عند مصطفى كامل ، رسالة ماجستير، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص ٧٨ .

(٢) د. زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .

(٣) اللواء ، ١٥ مارس ١٩٠٠م . (٤) الواعظ ، عدد ٢ ، ٢٢ يناير ١٩٠٤م .

(٥) فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٥٢٠ .

المتفرقة ، منها ما كان ينتقده ، ومنها ما كان يؤيده [1] .

ويؤيد ما ذهبنا إليه أيضا المعركة الصحفية التى دارت بين الدكتور توفيق صدقى ، الذى كان يرى أن الإسلام أباح للمرأة كشف وجهها وكفيها [2] ، وبين الشيخ حمدى النشار - من علماء الأزهر - الذى أنكر ذلك عليه، ورأى أن الإسلام لا يجيز للمرأة أن تكشف وجهها، وقد ذكر كل منهما ما يدعم رأيه من أدلة شرعية وعقلية[3].

وكان من الذين أيدوا الدعوة إلى السفور فى «المؤيد» عبد القادر المغربى ،فقد أنكر أن يكون الإسلام : «ألزم المرأة بالحجاب ، والجلوس فى المنزل، وعدم الخروج منه إلا لزيارة والديها ، ثم لزيارة القبر وعدم مخالطة أحد والحديث مع أحد» [4] .

وكان يرى أيضا أن ذلك يحول بين المرأة وتحصيلها العلم اللازم لها ، ويسلبها كل حقوقها فى الاستقلال وحرية التصرف [5] .

ثم تثنى «المؤيد» على قاسم أمين وتشيد بكتابه «تحريرالمرأة» ،ومما قالته فى هذا الشأن: «إن قاسم أمين يعد عالما اجتماعيا كبيرا ومشرعا عظيما وما كتابه المعجب فى تحرير المرأة المسلمة إلا من أجل الكتب من حيث الاجتماع ودليل على مذهبه الشريف ، وبرهان على مقامه فى الإنشاء والخطابة» [6] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن موقف «المؤيد» من السفور قد تغير بعد موت قاسم أمين ونزوع النساء تجاه السفور ، والاختلاط بالرجال .

فقد هاجمت «المؤيد» السفور ، وأنكرت على المرأة التبرج واختلاطها بالرجال وتشبهها بالنساء الإفرنجيات ، ونددت بالحالة التى صارت إليها المرأة المسلمة والتى تستدعى عناية حملة الأقلام للنظر فيها ؛ ولذلك نراها تحض على الحجاب وتعده أكبر عامل على صيانة المرأة وحفظ شرفها ، وله الفضل فى عدم تمادى الفساد ،فيلزم التمسك بأهدابه [7] .

كما هاجمت حماة السفور ودعاته نتيجة لما وصلت إليه أحوال المرأة من فساد ،ففى مقال لها بعنوان : «كيف تفلح المرأة المصرية ؟ » قالت : «إن أنصار التبرج وحماة السفور لم يكفهم تعدد هذه الحوادث الشائنة بالآداب العامة المحرجة ضد هذا المجتمع المصرى

---

(1) المرجع السابق ، ص ٥٢٤ . (2) المنار ، عدد ٩ ، ١٣ ، رمضان ١٣٢٧هـ ، أكتوبر ١٩١٠م .

(3) المؤيد ، عدد ٦٢٠٢ ، ٢٣ شوال ١٣٢٨هـ ، ٢٦ أكتوبر ١٩١٠م ، والعدد ٦٢١٣، ٩ نوفمبر ١٩١٠م ، ٧ ذى القعدة ١٣٢٨هـ .

(٤، ٥) المؤيد ، عدد ٦٠٠٢ ، ٢٣ صفر ١٣٢٨هـ ، ٥ مارس ١٩١٠م .

(6) المؤيد ، عدد ٢٤٥١ ، ٢٥ ربيع الأول ١٣٢٦هـ ، ٢٦ أبريل ١٩٠٨م .

(7) المؤيد ، عدد ٦٧٢٢ ، ١٩ رجب ١٣٣٠هـ ، ٤ يوليه ١٩١٢م .

الأسيف الذى ضاق ذرعا بهذه الحال ، بما جرت من الأعمال الفاضحة المعاقب عليها القانون فى الطرقات والمنتزهات العمومية ، حتى تشوش ذهن الرأى العام الذى يرجو للبلاد فى باب التربية الشرعية حالة هادئة تطمئن لها قلوب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر» (١) .

وتؤكد «المؤيد» أن السفور لا يناسب بلدا كمصر ، ولا يوافقها مطلقا أن تخرج نساؤها سافرات الوجوه ، وأن يختلطن بالرجال فى الأعمال لأن لبلادنا عادات ولنا أخلاقيات ينافيها هذا التطور الذى لا معنى له (٢) .

وتقول الكاتبة «ملك حفنى ناصف» ـ التى لقبت بباحثة البادية ـ فى خطبة لها نشرتها «المؤيد» : «إن من دلائل تأخرنا أن أكثر النساء أخذن يقلدن المرأة الغربية فى عاداتها التى لا تتفق مع الشرع الإسلامى والآداب الشرقية» (٣) .

وهذا يدفعنا أن نقول : إنه إذا كان رأى باحثة البادية له ضرورته لمصر فى بداية القرن العشرين ، فما أحوجها إليه وهى تشرف على نهاية هذا القرن بعد أن أصبحت معظم النساء المصريات غربيات فى كل تصرفاتهن .

وقد أنكرت «المؤيد» الدعوة إلى مساواة الرجل بالمرأة التى روج لها فى ذلك الوقت أنصار التفرنج ، وقالت : «إن للمرأة حقوقا محترمة يجب أن نسلم لها بها ، كما أن عليها واجبات ولها حدود يتعين عليها أداؤها والوقوف عندها ، وليس لها كل شىء فى المساواة بالرجل وفى القيام بوظائفه ، كما يقول البعض ، وكما يحاول الكثير من النساء أن يكون لهن هذا ؛ لأن ذلك خرق لسياج النظام الطبيعى ، وتحديد للفائدة التى من أجلها وجدت المرأة .... فوظيفة المرأة عظيمة فى الأمة ، وهى بأعمالها المنزلية وتربية أولادها على مبادئ الصحة والاستقامة ، إنما تؤدى للجميع أكبر خدمة» (٤) .

وهكذا حاربت «المؤيد» الدعوة إلى السفور ودعوى مساواة الرجل بالمرأة ، وحددت للمرأة وظيفتها فى الأعمال المنزلية وتربية الأولاد ، واعتبرت ذلك أكبر فائدة يمكن أن تقدمها المرأة فى المجتمع .

ويرجع تغير موقف «المؤيد» هذا فى رأى الباحث إلى أن دعوة قاسم أمين قد وجدت صدى لدى النساء وخرجت المرأة عارية الوجه وكثر الاختلاط بينها وبين الرجل فى المنتزهات والطرق العامة ، الأمر الذى أدى إلى زيادة الفوضى والعبث بالأخلاق ... كما

---

(١) المؤيد ، عدد ٦٩٥٤ ، ٣٠ ربيع الثانى ١٣٣١هـ ، ٧ أبريل ١٩١٣م .
(٢) المؤيد ، عدد ٦٩٦٦ ، ١٤ جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، ٢١ أبريل ١٩١٣م .
(٣) المؤيد ، عدد ٦٠٣٩ ، ٢٩ ربيع الأول ١٣٢٨هـ ١١ ، أبريل ١٩١٠م .
(٤) المؤيد ، عدد ٥٧٤٢ ، ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٧هـ ، ١٨ أبريل ١٩٠٩م .

أشارت الصحف إلى ذلك .

وقد هاجمت أيضا «الهداية» لعبد العزيز جاويش الدعوة إلى السفور ، وعارضت تقليد المرأة المسلمة للمرأة الأوربية ، حيث إن «هناك تخالفا بين حالتى المرأة الأوربية والمسلمة ، فإن الأولى قد أخرجتها قوانين بلادها وعدم حكمة رجالها من دورها فى سبيل الحصول على قوتها ، ثم اقتادتها ضرورة المخالطة إلى الوجود آونة حيث لا ينبغى أن تكون ، وأما المرأة المسلمة فهى المرأة الطبيعية الفطرية التى ضمنت لها أحكام دينها الشريف نفقاتها وأسباب حياتها» (١) .

فهى ترى ما رأته «المؤيد» فى أن وظيفة المرأة تنحصر فى النقاط الآتية : تدبير نفسها، تدبير منزلها ، تدبير ولدها ؛ لذلك ينبغى أن تتعلم العلوم المتصلة بذلك «فيجب عليها أن تتعلم القواعد الصحية والمبادئ البسيطة لوظائف الأعضاء والقوانين المتعلقة بإطعام الطفل وتعليله وحسن تنشئته ، أو تهذيب نفسه وتجمل آدابه ، كما يجب على المرأة أن تتعلم طرق إسعاف بعض الأمراض والعلل الكثيرة الوقوع ، ثم تتعلم من تدبير المنزل دروس الطباخة ، والخياطة والنسج والكى والطى ونحوها » (٢) .

وكتب فريد وجدى مقالة فى «الهداية» بعنوان : «مسألة المرأة المصرية» دافع فيها عن الحجاب ، وفند كل ما يثيره أنصار التبرج من حجج وأغراضهم فى الدعوة إلى السفور فيقول : «إنى أعرف أن أكثر الذين يلجون هذا الباب من الشباب الذين ليس لهم زوجات، وأنه ليس المقصود بهذه الحركة الشؤمى (٣) خلع النساء للحجاب فقط ، بل المقصود منها أمر وراء ذلك ، وهو تسهيل سبيل مخالطة النساء للرجال» (٤) .

«يقولون : إن الحجاب يصد المرأة عن التعليم ، وهو ادعاء يكذبه العيان ، فإن المرأة لا تنتقب إلا فى الطرقات ، وليست الطرقات بمجامع ولكنها مضطرب الفساق ومزدحم الغوغاء . . . ثم يقولون : إن الحجاب يفسد الأخلاق وهو ادعاء أدخل فى الخطأ مما سبق، فإن الحجاب إن لم يمنع الفساد بتاتا فهو من أكبر موانعه لمن ينظر الأمور بعقل وإنصاف»(٥) .

وهكذا نرى أن حجة أنصار السفور أوهى من نسيج العنكبوت ، وما هو إلا التقليد الأعمى للغرب ، الذى بهرهم وأعمى أعينهم عن رؤية الحقيقة على أن يكون الحجاب

(١ ، ٢) الهداية ، م١ ، عدد ١محرم ١٣٢٨هـ ، يناير ١٩١٠م .

(٣) المقصود بهذه الحركة هى حركة تحرير المرأة على مذهب قاسم أمين التى كان يقودها الدكتور عبده البرقوقى ، وجماعة من الشباب المقلدين للغرب .

(٤ ، ٥) الهداية ، عدد ٩ ، ١٠ رمضان وشوال ١٣٢٨هـ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩١٠م .

منطبقا على ما جاء فى الشريعة الإسلامية .

وتؤكد هذا القول السيدة للا قاسم الشماخية فى مقال لها فى «الهداية» بعنوان: «معركة الحجاب» قائلة : «إن هؤلاء الكتاب قد استهوتهم المدنية الغربية بزخارفها حتى فصلتهم من الغيرة الإسلامية ، يريدون بتمويهاتهم أن يسقطونا فى هوية بحسن نية أو خبث طوية ، ألم يعلموا أن الله تعالى قد ضرب علينا الحجاب حفظا لأنسابنا ، وصونا لكرامتنا من الابتذال ؟! » (١) .

ورغم ذلك فقد نشرت «الهداية» مقالة لطه حسين دعا فيها إلى السفور قائلا : «لم يأخذ الإسلام المرأة بحجاب ولا نقاب ، ولئن سألت الذين ينتحلون ذلك على الإسلام: من أى آية فى كتاب الله أو أى حديث فى سنة نبيكم أخذتم حكم الحجاب والنقاب؟ لنالهم الإعياء والقصور» (٢) .

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أن «الهداية» ، قد عقبت على هذه المقالة ، وأنكرت عليه هذه الدعوى قائلة : «إن المرأة إذا ما أتيح لها التسكع فى الطرقات وغشيان المجالس سهل عليها أن تتذرع بذلك إلى الخلوة بالأجنبى ، التى قد تفضى إلى اضمحلال إرادتها واحتكام هواها» (٣) .

وهكذا يتضح أن «الهداية» قد حددت لها موقفا ثابتا تجاه دعوة السفور وأنصارها ، وهو رفض هذه الدعوة ، ومهاجمة دعاتها.

ثم تقترح «الهداية» لإصلاح شأن المرأة عدة اقتراحات ، من أهمها :

١ ـ أن تؤسس لها مدارس فى عواصم الحواضر المصرية كالقاهرة والإسكندرية وغيرها لا تخرج مواد دراستها عما حددناه سابقا .

٢ ـ أن يتعاهد الرجال على عدم ترك منازلهم إلا فى أوقات أشغالهم ، فإذا أرادوا التنزه فعليهم بمصاحبة أزواجهم ومحارمهم محتشمات منتقبات .

٣ ـ أن تخطب المرأة لدينها وكمال آدابها قبل كل شىء ، فإن انضم إلى الدين والفقه شىء من الجمال والحسب فذلك أجمل .

٤ ـ أن يقضى الرجل مصالح المرأة فلا يدعها تذهب إلى الحوانيت ، إلا إذا كان هو معها .

٥ ـ أن يكلف رجال الشرطة بتنفيذ القوانين التى يجب عليهم تنفيذها فى كل ما له

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢ ، ٣) الهداية ، عدد محرم ١٣٢٦هـ ، يناير ١٩١٠م .

علاقة بالآداب العمومية .

٦ ـ أن يعجل الشباب بالزواج ، فإنه أعف لنفوسهم ، وليحذروا المتبرجات .

٧ ـ لابد أن يصطلح على أزياء مخصوصة وأشكال تمتاز بها الحرائر عن العاهرات (١).

وكان فريد وجدى من الذين هاجموا الدعوة إلى السفور ، وكان له دور بارز فى معارضة هذه الدعوة ومهاجمة دعاتها على صفحات الصحف ، وقد ألف كتابا أطلق عليه: «المرأة المسلمة» ، دحض فيه أقوال قاسم أمين فى كتابيه : «تحرير المرأة» و «المرأة الجديدة» ، وكتب سلسلة مقالات فى صحيفة الشعب ندد فيها بهذه الدعوى ، خاصة بعد أن تألفت جماعة من الشباب الدارسين فى أوربا تدعو إلى تحرير المرأة ـ فى زعمهم ـ على مذهب قاسم أمين (٢) .

وقد أشار فريد وجدى إلى ما وصلت إليه البيئة من الفساد الخلقى قائلا : «إن مجرد الفكر فى حمل المرأة على نزع الحجاب فى مثل هذه البيئة الوبيئة يعتبر ـ فى نظرنا ونظر المنصفين ـ من الجرائم الأدبية ، فكيف يبدل الوضع وتؤلف الجماعات لتعميم هذا الأصل الموصل إلى الإباحة ؟» ، ثم يفند مزاعم هذه الجماعة قائلا : «يأخذنا العجب حين يقع ناظرنا على كلمة تحرير المرأة ، فمتى كانت المرأة مستعبدة عند المسلمين ؟ ومتى كان الحجاب أثراً سيئا فى نظر المستبصرين ؟! » ثم يجيب على هذه التساؤلات : «ليست المرأة مستعبدة لدى أى طبقة من الطبقات عند المسلمين ؛ لأن الشريعة الإسلامية لم تحظر على المرأة أن تشكو الرجل إن أصابها من ضرر ، أو أن تتصرف فى أموالها كيف تشاء ، أو أن تتعلم أى علم من العلوم ، أو أن تضع التآليف ، أو أن تفتى فى الدين ، فما هو إذن أثر الاستعباد على المرأة ؟ إن أى منصف لا يشك أن الإسلام هو الذى حرر المرأة ، وأعطاها كل حقوقها ، فالمرأة الأوربية لم تحصل للآن على مثل هذه الحقوق السابقة ، فهى لا تملك التصرف فى مالها الخاص إلا برضاء زوجها ، وليس عليها حق الفتوى أو أن تقضى بين الناس كما أباح الإسلام لها ، فماذا يطلب المطالبون بتحريرها ؟ » (٣) .

وقد تصدى فريد وجدى أيضا للدكتور عبده البرقوقى ـ زعيم الحركة الجديدة لتحرير المرأة ومن الداعين إلى السفور ـ الذى كان يحرر مجلة «البيان» ، وزعم «أن للحجاب أثرا سيئا فى تربيتنا ، وقوة لا يستهان بها فى هدم أخلاقنا ، وحشرة مؤذية لصحة أبنائنا» ، ويعلل ذلك بأن الحجاب «يقضى على النساء بالبقاء سجينات ، فقل أن يخرجن لتنفس الهواء الطلق فتختل صحتهن ، وترى الكثيرات من نسائنا فقيرات الدم ضخام الأجسام ،

(١ ، ٢) الشعب عدد ٥٠٦ ، ١٨ ذى القعدة ، ١٧ أكتوبر ١٩١٣ .

(٣) الشعب ، عدد ٥٨٧ ، ١٥ صفر ١٣٣٢هـ ،١٢ يناير ١٩١٤م .

يتعبن بسرعة ، ويلهثن من أقل حركة، يصحب هذا الضعف الجثماني ضعف في الإرادة، وكساد في العقل ، فأمزجتهن في الغالب عصبية ، يضربن أولادهن لأقل هفوة» (١) .

وقد فند فريد وجدى كلامه قائلا : «يخيل لمن يقرأ هذا الكلام أن حجاب المرأة ليس هو ذلك الغشاء الرقيق الذى يوضع على طرف الأنف يتخلله الضوء والهواء من كل جهاته، ولكنه ملاءة من صفيق القماش تحيط بمتنفس المرأة فلا تدع نسيم الحياة يصل إلى رئتيها ، ولا تمكنها من أى عمل من الأعمال ، هذا ضرب من الغلو ، وأشد منه على النفس أن يعزى إليه فساد صحة الأطفال وآدابهم ، وكساد الصنائع الوطنية ، وضعف الفيضانات النيلية» .

ويضيف : «إن هذا الغلو لا يفيد خصوم الحجاب فى تأييد مذهبهم ، بل يضعفه ويظهره بمظهر يستوجب السخرية والاستهزاء . . . إن حضرة البرقوقى أفندى قرر أن ذلك الحجاب الخيالى سبب ضعف الجسم وامتلائه . ثم عاد فاستنتج من هذا الضعف الوهمى نتائج من ضعف الإرادة وكساد العقل ،ووصف تلك النسوة بأنهن عصبيات يضربن أولادهن لأقل سبب ، وبنى على ذلك فساد التربية من أساسها .وكل ذلك من غرائب الاستنتاجات »، ويعلل ذلك أن « المرأة المصرية ليست بأضعف من أية امرأة فى العالم ، وأن فساد تربية الأطفال ليس الحجاب ولكنه الجهل ،ودواؤه التعليم لا رفع الحجاب» (٢).

وعندما ذكر الدكتور البرقوقى أنه ليس فى القرآن ولا فى السنة نص يمنع خروج المرأة سافرة ، وتخالط الرجال ، انبرى فريد وجدى للرد عليه ـ فى «الشعب» أيضا ـ بأدلة قرآنية وأحاديث نبوية ، كما عرض لآراء الشريعة الإسلامية ، ويحسن أن نتناول هنا ما عرضه من أدلة فى هذا الشأن .

فقد استدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ﴾ [الاحزاب : ٥٩] ثم بين آراء العلماء فى تفسير هذه الآية ، فقال : اختلف العلماء فى صفة الإدناء الذى أمرهم الله به فروى عن ابن عباس أن معناه : أن يغطين وجوههن ورؤوسهن فلا يبدين منهن إلا عينا واحدة، وروى الطبرى عن عبيدة أنه لما سئل عن ذلك تقنع بردائه فغطى أنفه وعينه اليسرى وأفرج عن اليمنى ، وأدنى ردائه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبيه . وذهبت طائفة أخرى أن معنى الإدناء : أن يشددن جلابيبهن على جباههن ، وبهذا أخذ الفقهاء وأباحوا للمرأة أن تظهر وجهها وكفيها على شرط ألا يكون

(١، ٢) الشعب ، عدد ٥٨٧ ، ١٥ صفر ١٣٣٢هـ ، ١٢ يناير ١٩١٤م .

فى هذا السفور فتنة والا وجب عليها حجب وجهها» (١) .

هذا ما ذكره فريد وجدى فى الرد على البرقوقى بالنسبة للحجاب ، أما عن مخالطة المرأة للرجال فقال : «إن الإسلام لم يبح للمرأة كشف وجهها لتخالط الرجال وتجالسهم كما ظن حضرة الدكتور البرقوقى ، بل إنه حرم عليها ذلك الاختلاط ولم يبحه لها حتى فى المساجد وهى بيوت الله ، فأسقط عنها حضور الجماعات والجمعات والعيدين إلا إذا كانت بحيث لا يراها الرجال» (٢) .

ويبدو أن الدكتور البرقوقى سار فى مجلة «البيان» على النهج نفسه الذى انتهجه قاسم أمين فى «تحرير المرأة» ، فقد هاجم تعدد الزوجات فى مقال له كتبه فى صحيفته : «البيان» فى العدد الصادر بتاريخ ١٠ ربيع الثانى ١٣٣٢هـ .

وقد تصدت للرد عليه «المؤيد» وفندت أقواله بأسانيد وأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأثبتت أن القرآن أباح التعدد ، وأن معظم صحابة رسول الله ﷺ قد عددوا ، ثم حذرت من هذه الدعوة التغريبية ومن أنصار التغريب لأنهم «يريدون بحملتهم هذه هدم ما يمكنهم من بناء الإسلام ليقال عنهم : إنهم راقون متعلمون مصريون . . . غير جامدين، إلى غير ذلك من الألقاب الخداعة البراقة» (٣) .

وتؤكد أن فساد هؤلاء للإسلام أكبر من فساد المبشرين ؛ لأن المبشر يعلن أنه غير مسلم، فلا يقع فى شراكه إلا النادر ، ولكن هؤلاء المتفلسفين الذين يظهرون لنا الإسلام فينخدع بهم العامة والجاهل بدينه ، ويظنهم يعملون لإصلاح أحوال المسلمين فيزيغ عن الحق من حيث لا يشعر (٤) .

وتجدر الإشارة فى هذا المجال إلى أن علماء الأزهر قد شاركوا فى مهاجمة الدعوة إلى السفور التى حمل لواءها أنصار التفرنج .

وكان فى مقدمة علماء الأزهر الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ مشيخة الإسكندرية ـ فقد كتب فى الشعب مقالا بعنوان : «حول تحرير المرأة» حمل فيه على الدعوة إلى السفور وفند أقوالهم من وجهة نظر الدين ، كما حمل فيه على القائمين بهذه الدعوة الذين ليس غرض « سوى حب التقليد والشهرة وإيثار الشهوة ، ولو أفسد المصلحة وخالف الحكمة»(٥) .

---

(١) الشعب ، عدد ٥٦٠ ، ١٢ محرم ١٣٣٢هـ ، ١١ ديسمبر ١٩١٣م .
(٢) العدد السابق نفسه . (٣) المؤيد ، عدد ٧٢٢٨ ، ١٣ ربيع الثانى ١٣٣٢هـ، ١٠ مارس ١٩١٤م .
(٤) العدد السابق نفسه .
(٥) الشعب ، عدد ٥٢٤ ، ٢٧ ذى القعدة ١٣٣١هـ ، ٢٧ أكتوبر ١٩١٣م .

وهكذا يتضح أن معركة السفور والحجاب ظلت قائمة ـ طوال فترة البحث ـ بين أنصار السفور وأنصار الاتجاه الإسلامى فى الصحافة المصرية ، فقد وجدت دعوة قاسم أمين صدى لدى الشباب ، الذين لم يتشبعوا بالثقافة الإسلامية ، وخاصة الذين تربوا تربية أوربية فى مدارس الغرب ، أو المدارس الغربية التى أنشئت فى مصر ، وفى الجانب الآخر وجدت تيارا إسلاميا محافظا يدعو إلى الحجاب وعدم تبذل المرأة ، وتقليدها للمرأة الغربية فى طبعها وسلوكها وعاداتها .

وكانت دعوة هذا التيار تستمد مفاهيمها من الشريعة الإسلامية ومبادئها ، وهو لا شك تيار ثرى بفكره وصحفه التى تمثلت فى «المؤيد» و «اللواء» و «الشعب» و «الحياة» و«مكارم الأخلاق الإسلامية» ، فقد حاربت هذه الصحف الدعوات التغريبية التى انبهر أصحابها بتقليد الغرب بدون تفكير أو روية ، وهاجموا مبادئ الشريعة الإسلامية ، وما نشأ عليه السلف الصالح فى عصور الإسلام الأولى .

الفصل التاسع

صحافة الاتجاه الإسلامى ومعركة الحفاظ على اللغة العربية

حاول الاستعمار البريطانى بكل إمكاناته أن يمحو معالم الحضارة الإسلامية والعربية فى مصر ، وأعد لذلك الخطط الكثيرة ليصل إلى هذا الغرض ، فحاول أن يجعل التعليم باللغة الإنجليزية ليقضى على اللغة العربية ، لغة الحضارة والفكر الإسلامى ولغة القرآن الكريم .

وكان يهدف من ذلك أيضا أن يفصل مصر عن ماضيها الإسلامى والعربى (١) ؛ لأنه أدرك أن اللغة العربية هى الرباط الذى يوحد بين أقطار العروبة والإسلام ، ويربطها بالقرآن مع سائر أوطان الإسلام فى آن واحد ، فالحرب إذن على العربية الفصحى كانت من أجل القضاء على كل أمل فى الوحدة العربية الإسلامية (٢) .

وفى سبيل ذلك أيضا أحيا النزعة القومية لينقل مصر من تاريخها الإسلامى والعربى إلى تاريخها الفرعونى ، وسيطر أيضا على التعليم فيها ، وأعد له المناهج والخطط الكفيلة بتحويله من تعليم عربى إلى تعليم إنجليزى (٣) .

وكان من أبرز خططه فى القضاء على اللغة العربية فى مصر ـ بعد أن جعل التعليم بالإنجليزية ـ القيام بحملة على اللغة العربية الفصحى ، محاولا إقناع المصريين بأن سبب تأخرهم فى ميدان الحياة وتخلفهم عن الأوربيين فى الابتكار العلمى والأدبى هو تمسكهم بلغة القرآن والأساليب العربية الفصحى ، وأن الأولى لهم أن ينهضوا باللغة العامية (٤) ، حتى يسايروا ركب الحضارة ، فهى لغة حية ـ فى زعمهم ـ دائمة التجديد ويفهمها جمهور

---

(١) د . عبد الرشيد سالم : مقدمات النهضة الأدبية وعواملها فى مصر،القاهرة: مكتبة وهبة ١٩٧٧م،ص١٠٢ .

(٢) د . محمد سيد محمد : المسؤولية الإعلامية فى الإسلام ، القاهرة : الخانجى ١٩٨٣م ، ص١٦٢ .

(٣) د . عبد الرشيد سالم : مقدمات النهضة الأدبية وعواملها فى مصر ، مرجع سابق ، ص١٠٢ .

(٤) لم تظهر الدعوة إلى العامية فى مصر قبل ظهور الدعوة الأجنبية التى نادت باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبى ، وكان فى مصر من دعا إلى ضبط العامية ، وكان فيها من استخدم العامية فعلا فى كتابته ، ولكن لم يكن هدفهم من ضبط العامية أو استخدامها رفع العامية إلى الاستعمال الكتابى حتى تتمكن من القضاء على الفصحى واحتلال مكانها ، كما كان يهدف دعاة العامية من الأجانب ، وإنما كان هدفهم من ذلك هو استخدام العامية فى مواضع مخصوصة للترفيه عن العامة حينا أو لتثقيفهم وتهذيبهم حينا آخر ، على أن تظل للفصحى مكانتها كلغة للأدب الرفيع والثقافة الإسلامية عامة . انظر د . نفوسه زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامية فى مصر وآثارها ، ط١ ، الإسكندرية : ١٩٦٤م .

الشعب ، ولن تنهض مصر إلا إذا نهض جمهور الشعب فيها ، وفهم ما يكتبه العلماء والأدباء ، ولا يتحقق هذا إلا إذا كانت الكتابة باللغة العامية [١] .

وكان من الذين أخذوا على عاتقهم الدعوة إلى العامية في مصر إبان الاحتلال البريطاني جماعة من الأوربيين أبرزهم الدكتور «ولهلم سبتيا» «الألماني الجنسية» الذى كان يعمل مديرا لدار الكتب المصرية ، ومنهم الدكتور «كارل فولورس» الألماني أيضا وأحد كتاب دائرة المعارف الإسلامية ، و «سلدن ولمور» الإنجليزى الجنسية ، وكان قاضيا بالمحاكم الأهلية بالقاهرة، و«وليم ويلكوكس» الإنجليزى الجنسية وكان مهندسا للرى فى القاهرة [٢] .

ويعتبر الدكتور «سبتيا» الرائد الأول لكل من كتب فى العامية المصرية من الأجانب ، وفى عام ١٨٨٠م وضع كتابا فى الألمانية عن قواعد العربية فى مصر ، ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية المصرية لغة أدبية ، ومنه أيضا انبثقت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى ، فضلا عن أنه أول من اقترح اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية ، تلك الحروف التى نودى باستخدامها فيما بعد للكتابة العربية الفصحى [٣] .

وقد وضع الدكتور «فولورس» الألماني ١٨٩٠م كتابا بالألمانية عن اللهجة العربية فى مصر ، وترجمه إلى الإنجليزية ١٨٩٥م ، وقد نهج فولورس فى كتابه نهج «سبتيا» فاستنبط حروفا لاتينية لكتابة العامية ، ودرس قواعدها وأورد كثيرا من نصوصها [٤] .

وفى تلك الأثناء كان «وليم ويلكوكس» ـ مهندس الرى الإنجليزى جاء إلى مصر فى عام ١٨٨٣م ـ يحارب الفصحى بالدعوة إلى إبعادها عن ميدان الكتابة والأدب ، وإحلال العامية مكانها ، وقد ألقى خطبة فى نادى الأزبكية عام ١٨٩٣م جعل عنوانها : «لِمَ كم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟ » ، وقد ذكر أن العامل الأكبر فى فقد قوة الاختراع لديهم هو استخدام اللغة العربية الفصحى فى القراءة والكتابة ونصحهم باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبى .

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على التجنى الواضح والحرب السافرة على اللغة العربية الفصحى ، وإلا فما هى العلاقة بين قوة الاختراع واللغة ؟

وقد نشر «ويلكوكس» هذه المحاضرة السابقة الذكر فى مجلة «الأزهر» [٥] فى عهدها

---

(١) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، ط٧ ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٧٠م ، جـ٢ ،ص٤٠ .

(٢) د . نفوسه زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها ، ط١ ، مرجع سابق ، ص ٩ ، ١٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ . (٤) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤ .

(٥) مجلة «الأزهر» علمية أدبية ، ليست هى مجلة الأزهر المشهورة الآن ، أنشأها إبراهيم مصطفى وحسن رفقى عام ١٨٨٧م باسم «الصحة» للاهتمام بالأخبار الطبية والأنباء والمقالات الأدبية والعلمية ، ثم أطلقا عليها اسم «الأزهر» ، وبعد أن استمرا فى إصدارها خمس سنوات إلى نهاية عام ١٨٩٢م نيطت بهما أعمال أوسع من أعمالهما الأولى ، فتخليا عن المجلة من بداية سنتها السادسة يناير ١٨٩٣م إلى المهندس الإنجليزى «وليم ويلكوكس» والأستاذ أحمد الأزهرى . وقد خصصت للعلوم الرياضية ثم انصرفت بعد ذلك إلى الدعوة إلى العامية .

انظر : د.سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص٢٩١ .

الجديد ، بعد أن انتقل إليه امتياز هذه المجلة ، وظهرت كحلقة من حلقات نشر الدعوة لاستخدام العامية وإحلالها محل الفصحى فى التعليم والأدب ، رغم أنه قد أعلن فى بداية توليه لها فى عام ١٨٩٢م أنها ستخصص لنشر العلوم الرياضية ، وتكون موضع أبحاث المهندسين (١) .

وهذه الفكرة تعلن لأول وهلة عن خبث صاحبها ؛ إذ أن اسم «مجلة الأزهر» يعطى القارئ انطباعا أنها سوف تتحدث عن الأزهر أو عن الإسلام أو اللغة العربية ، ولكن «ويلكوكس» جعلها متخصصة فى الحرب على اللغة العربية والدعوة إلى العامية!! .

وفى عام ١٩٠١م وضع «سلدون ولمور» - القاضى الإنجليزى - كتابا فى الإنجليزية عن العامية المصرية بعنوان : «العربية المحكية فى مصر» ، نهج فيه منهج سابقه «سبتيا» فى دراسة العامية المصرية ، سواء فى دارسة قواعدها وجمع نصوصها ، أم فى الدعوة إلى كتابتها بحروف لاتينية واتخاذها لغة أدبية .

وكانت له وسائله الخاصة فى تدعيم تلك الدعوة التى صادفت هوى فى نفسه ، فاستغلها ليحقق هدفا من أهداف الاستعمار البريطانى ، وهو فصل المسلمين والعرب عن ماضيهم ، وتفتيت وحدتهم اللغوية بالقضاء على الفصحى (٢) .

واستكمالا لهذا المخطط الذى يهدف إلى القضاء على الفصحى ، شجع المستشرقون فى الجامعات الأوربية الدارسين المسلمين والعرب على دراسة لهجاتهم المحلية بهدف تمزيق اللغة العربية - التى توحدت بالقرآن - إلى لهجات محلية ، ثم إلى لغات تبعد شيئا فشيئا عن اللغة العربية الأم ، وبذلك يبعد المسلمون عن مصدر تشريعهم وعقيدتهم وهو القرآن الكريم ، وبالتالى يبعدون - أيضا - عن التراث الفكرى العربى والإسلامى الذى خلفه المسلمون (٣) ، وحتى يصبح لكل قطر عربى لغة خاصة به أو لغات متعددة ، ومن ثم يصبح العرب وحدات لغوية فكرية غير متعارفة ، ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل إخضاعها بجهد أيسر من الجهد الذى تحتاج إليه هذه الغاية إذا كانت اللغة واحدة (٤) .

ولم يقتصر الإنجليز فى محاربة اللغة العربية على الدعوة إلى العامية من خلال إصدار بعض الكتيبات التى تنادى بذلك أو إلقاء المحاضرات أو كتابة المقالات فى الصحف ، «بل إنهم فرضوا على تلامذة المدارس أن يتعلموا اللغة الإنجليزية ، وجعلوا إتقان هذه اللغة

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٩١ .

(٢) د . نفوسه زكريا : : تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها فى مصر ، مرجع سابق ، ص٢٥ ، ٢٦ .

(٣) د . مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص١٤٤ .

(٤) د. مصطفى خالدى وعمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، بيروت : المكتبة العلمية ١٩٥٣م ،ص٢٢٠ ،٢٢١ .

شرطا للتوظف فى الحكومة ، وأرغموا على باشا مبارك على أن يصدر قرارا ينص فيه على أن تكون لغة التعليم فى المدارس المصرية هى اللغة الإنجليزية» [1] .

وقد أثارت هذه الحرب السافرة من الاستعمار ضد اللغة العربية الفصحى سخط الأدباء والكتاب فى ذلك العصر ، فانبروا يدافعون عنها ، وألفت الجمعيات الأدبية لنشر الفصحى، والذود عنها ، ومقاومة اللغة العامية وطغيانها .

وكان للشعراء دور فى هذه المعركة ، فقال حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة عن اللغة العربية عام ١٩٠٣م ، مرددا فيها شتى الحجج التى يدافع بها أنصار الفصحى ، ومشيرا إلى حملات الإنجليز عليها ، قال على لسان العربية الفصحى :

رجعت إلى نفسى فاتهمت حصاتى ... وناديت قومـى فاحتسبت حياتـى

رمـونى بعـقم فى الشبـاب وليتـنى ... عقمت فلم أجزع لقول عداتى [2]

ولقد خاضت الصحافة الإسلامية حربا ضد الاستعمار الذى حاول بكل الطرق أن يئد اللغة العربية ، وينشر لغته فى مصر وشتى أنحاء الوطن العربى ، فقد حارب العربية كلغة، بل وحارب الحرف العربى أيضا [3] .

ويحذر مصطفى كامل فى «اللواء» من الدعوة التى يدعو إليها الغربيون إلى ترك اللغة العربية الفصحى ، وإحلال العامية مكانها ، ويبين الأهداف الكامنة وراء هذه الدعوة قائلا: «حذار معشر المسلمين ، حذار ، فلو استطاع الغرب لمحا دينكم وقرآنكم واللغة العربية التى نزل بها ؛ لتزول آثار عظمتكم المنبهة لكم ، الموقظة لهمتكم ، الداعية لاجتماعكم واتحادكم ونهوضكم بعد طول رقادكم» .

«ومن السذاجة أنه إذا سمعنا آنا بعد آن كاتبا من الإنجليز أو مهندسا منهم ينصحنا بتبديل لغتنا، أو مبشرا من المبعوثين يعظنا بترك ديننا، أو مؤدبا يهتك الأعراض وسط الناموس بغير حياء ، فإنما الغربيون مهاجمون ونحن لمدافعون لهم ، وعلينا أن نجاهد لصيانة الدين واللغة والوطن ، هذه القوى التى لا حياة لشعب بدونها ولا أمل فى ارتقائه بغيرها» [4].

وإذا حللنا ما قاله مصطفى كامل ، نجده ينبه المسلمين ويوقظهم تجاه ثلاثة أشياء من أخطر ما تعرضت لها مصر فى بداية القرن العشرين :

أولا : عدم الانصياع لدعوات المبشرين «المنصرين» الذين يهاجمون الدين الإسلامى ، ويدعون إلى النصرانية فى بلاد المسلمين .

---

(١) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، مرجع سابق ، ص٣٨ . (٢) المرجع السابق ،ص٤٥ .

(٣) د . محمد سيد محمد : المسئولية الإعلامية فى الإسلام ، مرجع سابق ، ص٣٨ .

(٤) اللواء ، ١٥ رمضان ١٣٢٠ ، ٢ فبراير ١٩٠٢م .

ثانيا : رفض الدعوة إلى العامية التى قام بها « سلدون ولمور» القاضى الإنجليزى ومهندس الرى الإنجليزى «ويلكوكس» .

ثالثا : رفض دعوة قاسم أمين فى السفور ، ودعوة المسلمين إلى الزود عن حياض اللغة والدين والوطن .

ويدعو رشيد رضا الأمة العربية إلى الاعتزاز بلغتها العربية الفصحى ؛ لأنها أحوج إليها من غيرها فى دلك الوقت لسببين :

أولا : أنها انقسمت إلى دول وأقطار وشعوب ، فى كل صقع من أصقاعها نشأت لهجة عامية لا يفهمها إلا أهل هذا الصقع ، والقدر المشترك بين هذه الأصقاع هو الفصحى لغة القرآن ولغة الأدب المشترك .

والسبب الآخر هو : ارتباط هذه اللغة بالدين الذى تدين أكثرية العرب ، فلو ضاعت الفصحى من بينهم لأوصدت أمامهم الأبواب اللازمة لفقه قرآنهم وحديثهم وتاريخهم [١].

وكان رشيد رضا من الذين حاربوا الدعوة إلى العامية على صفحات «المنار» ، فما كادت هذه المجلة تعرف طريقها إلى القراء حتى وجد رشيد رضا من أعداء لغة القرآن والإسلام من يكيد لها بمحاولة إخراجها إلى اللغة العامية ، ثم كتابة هذه اللغة العامية بحروف لاتينية ، وبذلك يتم القضاء على الفصحى .

لم يسكت رشيد رضا ، بل نجده يكتب مقالا بعنوان : «صدمة جديدة على العربية» وفيه يتحدث عن مكانة اللغة العربية ، ووجوب العناية بها ومضاعفة الرعاية لها ،ثم أشار إلى أن هناك من يعملون على وأد اللغة العربية ، وعلى إحياء اللغة العامية المصرية وجعلها لغة كتابة ، وتكتب بحروف إفرنجية فيقول ـ متفجعًا على اللغة العربية ومهاجما دعاة العامية : «لهفى على اللغة العربية المقدسة ، ألم يكفها تحقيرا وامتهانا أن المصريين ينشئون الجرائد باللغة العامية ؟ كان فى الأمل أن كثرة الجرائد باللغة الصحيحة تكون من أنجح وسائل إحيائها ، فقامت جريدة «الحمارة واللجام» و «الغزالة» و«الشيطان» و «تعارض الإسلام» و «المقتطف» و «الهلال» ، و«المؤيد» و «الأهرام» ، بل سقطت مجلة «البيان» الفصيحة ونهضت الحمارة باللجام واخجلتاه !! ألم يكفها هذا حتى قام جماعة يسعون بتعميم اللغة العامية وكتابتها بحروف إفرنجية ، يقربون بها المصريين إلى تناول لغاتهم من حيث يبتعدون عن لغة علومهم ودينهم التى فيها عزهم وشرفهم» [٢] .

---

(١) د . أحمد الشرباصى : رشيد رضا : الصحفى ، المفسر ، الشاعر ، اللغوى ، مرجع سابق ، ص٢١٦ .

(٢) المنار ، عدد ٦ ، م١ ، ٢٨ ذى القعدة ١٣١٥هـ ، ١٩ أبريل ١٨٩٨م .

ثم يوضح الهدف من الدعوة إلى العامية ومحاولة كتابتها بالإفرنجية فقال : «إن الساعين فى محو اللغة العربية الفصحى من الوجود قد استنبطوا لهذه الغاية حروفا لإحياء اللغة المصرية العامية ، حروفا إفرنجية تقرب من يتعلمها من اللغات الإفرنجية وتقصيه عن لغة كتابه ودينه وأسلافه ، الذين يفتخر بهم ويباهى بعلومهم وآدابهم ، وتقطع النسبة بينه وبين مشاركيه فى الدين واللغة من أهل البلاد الحجازية المقدسة وسائر البلاد العربية» (١) .

وقد هاجمت «المنار» أيضا دعوة «ولهلم سبتيا» الذى استنبط حروفا إفرنجية لكتابة العامية المصرية و«ولمور» القاضى الإنجليزى الذى دعا إلى جعل اللغة العامية المصرية لغة التعليم (٢) .

وكان لهذا الهجوم السافر من قبل أعداء الفصحى أن قامت الصحف الإسلامية تدافع عنها وتوضح ضرورتها ، حيث إنها لغة الدين الإسلامى ، ولغة خير أمة أخرجت للناس، ولو لم يكن فى المعرفة بها للمسلم سوى الوقوف على إعجاز القرآن الشريف وفهم كلام النبى الكريم ، والسير فى الدين على النهج الذى انتهجه الرسول ﷺ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لكفى فائدة (٣) .

وتعد «المؤيد» التنازل عن اللغة العربية ولو إلى اللغة العامية تنازلا عن الشخصية الإسلامية ، الأمر الذى يؤدى إلى تلاشى الأمة ومحوها من صحيفة الوجود (٤) .

ثم تهاجم العامية «هذه اللغة الممقوتة ، التى هى عبارة عن خليط من ألفاظ اللغة العربية ، وألفاظ مخترعة لا تعزى إلى لغة ولا تنتسب إلى الأصل ، حتى أنه ليسوغ للإنسان أن يجحد تسميتها باللغة العربية» (٥) .

وعندما عمل «دانلوب» مستشار نظارة المعارف الإنجليزى على تدريس اللغة الإنجليزية ، ابتداء من الصف الأول الابتدائى ، سعى إلى تدريس المواد المختلفة بها على التدريج ، ابتداء من الصفين الأخيرين من التعليم الابتدائى ، حتى صارت تدرس بها جميع المواد عدا التاريخ الإسلامى فى التعليم الثانوى (٦) .

ورغم ما فى هذا من ضياع للغة العربية والعلم يَدَّعى « دانلوب » أنه يعمل لصالح المصريين (٧) .

(١ ، ٢) المنار ، عدد ٧ ، ٥ ذى الحجة ١٣١٥هـ ، ٢٦ أبريل ١٨٩٨م .

(٣ ـ ٥) المؤيد ، عدد ٣٦٧٥ ، ٣٠ صفر ١٣٢٠هـ ، ٧يونيه ١٩٠٢م .

(٦) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص٤٨ ، ٤٩ .

(٧) المؤيد ، عدد ٥٧٩٥ ، ٢جمادى الثانى ١٣٢٧هـ ، ٢٠ يوليه ١٩٠٩م .

وقد نفت «اللواء» هذا الادعاء ، مؤكدة أنه لا يعمل لإصلاح البلاد بل لمصلحة بلاده، فهذه مدارس الحكومة التى يدير دفتها على آخر رمق من النزع ، وصارت ملأى بالرطن ، مفعمة بكل ما يميت الشعور الوطنى ، ويزيل الشعور الملِّى (١) .

وقد اشتدت الشكوى من طغيان اللغة الإنجليزية فى التعليم فى المدارس ، وقام النواب فى الجمعية العمومية بمناقشة ذلك ، فالتمست الجمعية العمومية من نظارة المعارف أن تدرس المواد العصرية باللغة العربية ، فلم توافق على اقتراحات النواب .

لذلك انبرت «اللواء» تندد بنظارة المعارف على رفضها إنصاف اللغة العربية ، وأكدت أن الإنسان لا يكون حر الفكر ، حر الضمير، طلق اللسان، قوى البيان ، طويل البحث، كثير التأمل فى مصالحه ومصالح وطنه ، إلا بإتقان لغته ، ودرس كافة العلوم بلسان آبائه ودينه ونبيه (٢) .

فإذا سادت اللغة الأجنبية كل المدارس فأى خير يرجى للبلاد من هذا التعليم ، الذى يحرص فيه المستعمر على أن يتقن التلاميذ لغته وترك لغة دينهم وبلدهم ؟ (٣) .

وكان فى مقدمة الذين تصدوا لمناقشة قضية اللغة العربية الشيخ على يوسف ، يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : إن أروع المواقف التى لصاحب « المؤيد » فى حقيقة الأمر موقفه من اللغة العربية ودفاعه عنها ، ومطالبته فى الجمعية العمومية بأن تكون لغة التعليم فى جميع مراحله (٤) .

وعندما أبدى ناظر المعارف تحفظه على ذلك بحجة أنه لا يوجد مدرسون أكفاء لتعليم اللغة العربية ، أجابه الشيخ على يوسف على صفحات «المؤيد» : « إن هذه الصعوبة التى يراها ناظر المعارف ، والتى بنى عليها استحالة التعليم باللغة العربية تذلل إذا استقدمت النظارة مدرسى اللغة العربية المصريين المبعوثين إلى أوربا لسد هذا العجز . ثانيا : إن هناك من المعلمين الوطنيين الأكفاء من تستطيع النظارة الاستفادة بهم» (٥) .

وقد عنيت «اللواء» بموضوع اللغة العربية باعتبارها اللغة القومية للأمة المصرية ومن أجل ذلك دافعت عنها أصدق دفاع ، واعتبر مصطفى كامل اللغة العربية هى والدين سواء «فمن يقترح على الناطقين بالضاد هجر اللغة العربية الفصحى ، واستعمال العامية فى الكتابة والخطابة ، كمن يقول لنا معشر المسلمين : اتركوا دينكم ولا تحفلوا بنبيكم ،

---

(١) اللواء ، عدد ١٠٢٦ ، ١٨ ذى القعدة ١٣٢٠هـ ، ١٥ فبراير ١٩٠٣م .

(٢، ٣) اللواء ، عدد ٩٩٤ ، ٩ شوال ١٣٢٠هـ ، ٨ يناير ١٩٠٣م .

(٤) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية . جـ٤ ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٥) المؤيد ، عدد ١٥١٧ ، ٥صفر ١٣٢٥هـ ، ١٩ مارس ١٩٠٧م .

أو كمن يقول للمصريين : إن مصر ليست وطنكم بل وطن العالم أجمع ، ومثل هذا المقترح لا يصح مقابلته بغير السخرية والاستهزاء ، ومن التساهل الكبير أن يناقش الإنسان فى رأيه ويبحث عما فيه من خطأ أو صواب ، إذ إن كله خطأ وهذيان فى هذيان» (١) .

ولم تقتصر دعوة الصحف الإسلامية على الاهتمام فقط باللغة العربية فى المدارس والتعليم ، بل طالبت بتغيير الأسماء المكتوبة باللغة الإنجليزية - فى الانتكخانة والمتاحف المصرية وعلى أشجار المتنزهات والحدائق فى الأزبكية والجزيرة والقناطر الخيرية - إلى اللغة العربية ، وذلك حتى يمحى أى أثر للغة الإنجليزية فى الحياة المصرية ، وتبقى العربية لغة الحياة فى كل ميادينها (٢) .

كما طالبت الصحف أيضا بإصلاح هذه اللغة ، ووضع أسماء للمخترعات الحديثة ، واقترحت «الهداية» أن يكون لهذه اللغة مؤتمر يتولى تقوية جوانب الضعف فيها ؛ لأن العاملين لها متفرقون وقوى متجزئة .

وقد حددت مهام هذا المؤتمر : «أن يبعث هذه اللغة الجميلة من مرقدها ، ويعيد إليها بلَّتها ، وأول ما يمكن أن يصنعه هذا المؤتمر أن يحصر ما استحدث من المسميات العديدة فى كل فن وباب ، فيضع لكل مسمى ما لا يصلح له غيره من الأسماء ، ولكل معنى أصح ما يتأدى به من الأوضاع ، راجعا بكل ذلك عراضا على مراجع اللغة العربية وطرائق الوضع ، على نحو ما بينه العرب ، وينشر آدابهم المطوية فى بطون الأسفار» (٣) .

وقد نتج عن إسهام الصحافة الإسلامية فى الدعوة إلى الحفاظ على اللغة العربية أو محاربة اللغة الإنجليزية التى فرضها المستعمر على البلاد ، أن أخذ التدريس باللغة العربية يحل تدريجيا محل التدريس باللغة الإنجليزية والفرنسية ، وأصبحت هاتان اللغتان بعد عام ١٩١١م تدرسان كلغتين أجنبيتين (٤) . وهذا لا شك يبرز الدور الكبير الذى أدته صحافة الاتجاه الإسلامى فى الدفاع عن لغة القرآن الكريم .

---

(١) اللواء ، ٢ فبراير ١٩٠٢م ، نقلا عن د . عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية ، جـ٥ ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) المؤيد ، عدد ٥٩٨١ ، ٢٥ محرم ١٣٢٨هـ ، ٦ فبراير ١٩١٠م .

(٣) الهداية ، عدد ١ ، م١ ، محرم ١٣١٦هـ ، يناير ١٩١١م .

(٤) د . رشدى لبيب وآخرون : تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية ، ط٣ ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص١١٩ ، ١٢٠ .

الباب الرابع

صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الوطنية المعَاصرة لهَا

ويتناول الفصول التالية :

الفصل العاشر : صحافة الاتجاه الإسلامى والحركَة الوطنية فى مصر .

الفصل الحادى عشر: صحافة الاتجاه الإسلامى وفكرة الجامعة الإسلامية والحرب الطرابلسية .

الفصل العاشر

صحافة الاتجاه الإسلامى والحركة الوطنية المصرية

فى بداية هذا الفصل نبادر بهذه الملاحظة ، وهى أننا سوف نسجل ردود فعل صحافة الاتجاه الإسلامى حيال الأحداث الوطنية ، التى نشبت فى فترة البحث والتأريخ للحركة الوطنية من خلال الصحافة .

فبعد أن فشلت الثورة العرابية واستطاع الإنجليز سجن زعمائها وتشريدهم وتم لهم الاستيلاء على البلاد ، استولى اليأس على قلوب المصريين ، وفشت فيهم روح الاستسلام والخضوع ، وارتمى الخديو توفيق فى أحضان الاحتلال الذى دان له بتثبيت أقدامه فى الحكم ودعم كيانه (١) .

وفى غمرة هذا اليأس الذى أصاب النفوس وضعف شخصية الخديو واستسلامه استطاع الاحتلال الإنجليزى أن يتسلل إلى جميع إدارات الدولة ، ويخضعها لإشرافه ونفوذه ، وأصبح اللورد كرومر هو صاحب الأمر والنهى فى شؤون البلاد ، وأصبح هو وموظفوه الإنجليز ـ الذين وضعهم على رأس كل مصلحة مهمة ـ يديرون أمر الدولة حسب التخطيط الذى يريده الاحتلال (٢) .

فقد سيطر الاحتلال على البوليس بوضع رجل إنجليزى على رأسه ، وتعيين وكيل إنجليزى لوزارة الداخلية (٣) ، وامتدت سيطرته أيضا إلى الحياة الاقتصادية فألغى المراقبة الثنائية (الفرنسية الإنجليزية) ، وعين مستشارا إنجليزيا للمالية ، وأرهق مصر بالديون ، وألغى الحياة النيابية (٤) ، وأسند وزارة الأشغال لوكيل وزارة بريطانى ، والحقانية لمستشار قضائى إنجليزى ، ووزارة المعارف للمستشار الإنجليزى دانلوب (٥) .

« وتوالت الوزارات المستسلمة للإنجليز ، المرتمية فى أحضانهم ـ نوبار باشا ، ثم رياض باشا ، ثم مصطفى فهمى ـ وأخمدت أنفاس الصحافة لأدنى شبهة يتوهم فيها

---

(١) د . محمد محمد حسين :الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١، ط ٣ ، مرجع سابق ، ص ١٤٢.

(٢) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الأدب العربى المعاصر « عبد العزيز جاويش » ، بنى غازى ١٩٦٨ م ، ص ١٤ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، القاهرة : دار النهضة ، ١٩٤٨ م ، ص ١٥٩ .

(٤) د . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص١٤٢ ، ١٤٣ .

(٥) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٥ .

التعريض بالاحتلال أو الخديو ، ومنعت العروة الوثقى ـ التى كان يصدرها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى باريس ـ من دخول مصر ، وألغيت صحيفة «الوطن» ، وصحيفة « مرآة الشرق » وصحيفة « الزمان » ، وعطلت «الأهرام» شهرا ، كل ذلك والناس أشباه أموات ، لا يرتفع لهم صوت بمعارضة أو شكوى أو تذمر » [1] .

الأمر الذى دفع عميد الاحتلال كرومر إلى الزعم بأن المصريين أخذوا يقدرون الفوائد التى جنوها من الاحتلال ، وأن علاقة المصريين بالاحتلال أصبحت لا تقوم على القوة ، وإنما تقوم على عاطفة ارتباط حقيقية بين المصريين والبريطانيين [2] .

فى هذا الوقت كانت « الأهرام » الجريدة الوطنية التى يقرؤها الرأى العام النابه فى مصر [3] ، وتنقد الاحتلال ولكن من وجهة نظر فرنسية ؛ لذلك فقد رأى كرومر أن يحارب الصحافة بالصحافة فأوعز إلى أصحاب « المقتطف » أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية تنافس « الأهرام » وتعارضها ، وتحمى المصالح البريطانية ، كما كانت « الأهرام » تؤيد المصالح الفرنسية ، فصدرت « المقطم » فى ٢٩ أبريل عام ١٨٨٨ م صحيفة إنجليزية صرفة [4] .

وقد ظل الشعور الوطنى فى مصر مكبوتا منذ أن سيطر الاحتلال الإنجليزى على البلاد فى عام ١٨٨٢ م ، ولكنه ما لبث أن تجدد وأفصح عن نفسه فى صورة حركة وطنية عنيفة ، تطالب بالجلاء ، وتندد بالمحتلين ، معبرة عن أمانيها فى خطب بليغة ومقالات بالغة العنف على صفحات الجرائد المصرية [5] .

وهناك حقيقة هامة ينبغى أن نسجلها هنا ، وهى أن الحركة الوطنية المصرية لم يظهر لها صوت إلا على يد صحافة الاتجاه الإسلامى ، فقد كان أول صوت ارتفع باسم الوطن والوطنية بعد الاحتلال هو صوت صحيفة « المؤيد » التى صدرت فى أول ديسمبر ١٨٨٩م، لصاحبها الشيخ على يوسف [6] « من أئمة الصحفيين فى ذلك العصر ، وصاحب مجلة « الآداب » ومن تلامذة الأفغانى المؤمنين بمبادئه واتجاهاته » [7] .

فقد جاء فى فاتحة صحيفته « المؤيد » : « وما لنا ألا نقوم بشعائر تطالبنا بها الإحساسات الطبيعية والحاجات الوطنية ودواعى الحياة الدينية والأدبية ، وكمال التحقق

---

(١) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .
(٢) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٥ .
(٣) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، ط ٤ ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٢ م ، ص ١٤٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٠ .
(٥ ، ٦) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ .
(٧) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ .

بحقيقة الوحدة الجامعة الجنسية ، فنسألك اللهم أن ترشدنا إلى خير ما أردنا وأحسن ما نريد . . . إن خدمة الأوطان من أوجب الواجبات ، وألزم الفرائض ، من أضاعها قضت عليه شريعة الطبيعة بالحرمان الأبدى والشقاء الدائم ، فقصدنا من نشر « المؤيد » هو تأدية ذلك الغرض عن طهارة طوية وإخلاص نية » (١) .

يقول الدكتور إبراهيم عبده : « أصبحت « المؤيد » مجالا للأقلام الوطنية الناشئة فى البيئة المصرية ، فكان مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين ، وإن لم يكن من أعضاء تحريرها ، وقد ذاع أمرها واشتد ساعدها ، وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية فى مقالات طويلة قد تبلغ الصفحة الأولى جميعا ، كما نشرت بحوثا عن الاستعمار النمساوى فى السودان ، وقد كانت « المؤيد » فريدة بين زميلاتها فيما نشرته من مقالات ضد الاستعمار أيا كان لونه أو مداه ، وهى تدأب فى الحملة على الأجانب كلما اتصلت ظروفهم بالمسلمين فى أى مكان من الأرض اتصال الظالم بالمظلومين » (٢) .

وارتفع صوت « المؤيد » للمرة الأولى منذ الاحتلال بإثارة مسألة الجلاء ، وراحت تنشد المصريين الاتحاد فيما بينهم ، وتنبههم إلى خطر الاستعمار الاقتصادى ، كما راحت تذكر المصريين أيضا بمجدهم القديم ، وتستثير حميتهم ، وتستنهض هممهم ، وتحذر من كل ما يمس كيان الوطن أو يضعف من شعور المصريين بقوميتهم ، وتلفت الأنظار إلى خطر المدارس الأجنبية التى انتشرت فى كل أرجاء القطر المصرى (٣) .

وقد اشتد ساعد الحركة الوطنية عقب تولية الخديو عباس حلمى الثانى وإصداره عفوا عاما عمن حكم عليهم فى أحداث الثورة العرابية ، وتزعم النضال « عبد الله النديم » من زعماء الثورة العرابية ، وكان من الذين صدر عليهم العفو بشرط ألا يعمل بالسياسة ، فأصدر صحيفة « الأستاذ » (٤) فى ٢٣ أغسطس ١٨٩٢ م باسم شقيقه عبد الفتاح ، واستأنف فيها جهاده ضد الاحتلال ، وحمل عليه وعلى أعوانه فى عنف لا هوادة فيها ، برغم ما ذاق فى سنى اختفائه العشر من آلام .

ولقد أثرت صحيفة « الأستاذ » فى أفكار الأمة على اختلاف نحلها ، وأعادت إلى أذهانها صورا من صور نضال الحركة الوطنية فى الثورة العرابية ، فبرم المستعمر من تلك اليقظة الوطنية التى أحدثتها « الأستاذ » ، وأمر بإغلاق الصحيفة ، وأجبر النديم على مغادرة البلاد (٥) .

---

(١) المؤيد ، عدد ١ ، أول ديسمبر ١٨٨٩ م .

(٢) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٤) كانت « الأستاذ » مجلة أسبوعية تصدر فى يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، وقد صدر العدد الأخير فى ١٣ يونيه ١٨٩٣ م .

(٥) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية فى مصر ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ م ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ص ٤ .

وعبر الخديو عباس فى مذكراته عن فكرة الوطن والوطنية لدى المصريين كما وجدها عند توليه الحكم ، فقال : « كانت فكرة الوطن موجودة بالطبع فى مصر ولكنها كانت لا تزال غامضة يلفها الضباب ، ذلك أن قرونا طويلة من الاضطهاد قد عاقت البلاد عن تكوين فكرة واضحة عن شخصيتها ومستقبلها ، كما أن أحداث ١٨٨٢ م قد أصابت الوعى الشعبى ببلية شديدة ، ولم تكن مصر قد استردت أنفاسها بعد » (١) .

وقد اقترن اسم الخديو عباس حلمى بالحركة الوطنية التى ظهرت بعد الثورة العرابية، حينما جلس على عرش مصر فى ٨ يناير ١٨٩٢ م بعد وفاة أبيه الخديو توفيق ، الذى كان سببا فى نكبة مصر بالاحتلال الإنجليزى ، وكان من طراز غير طراز أبيه ، الذى كان بمثابة دمية فى يد الإنجليز ، الأمر الذى دفع كرومر أن يكتب إلى اللورد سالسبورى - وزير الخارجية الإنجليزية - يخبره أن الخديو الشاب سيكون مصريا بحتا ، فهو شاب واسع الآمال ينفخ فى مصر روحا جديدة من الشجاعة والوطنية ، جرأت المصريين على مناهضة الاحتلال أو المطالبة بالاستقلال (٢) .

وبذلك وجد الاحتلال فى الخديو الشاب خصما عنيفا ، يسعى بكل الوسائل لخلع سيطرته على البلاد ، ويتخذ كل الوسائل للوصول إلى هدفه ، فيتقرب إلى الشعب ويتجه إلى الجيش ، ويحاول السيطرة عليه .

ولاحظ رجال الاحتلال ذلك ، فدبروا له مكيدة الحدود (٣) التى انتهت باعتذار الخديو ، والإذعان لمطالب الاحتلال ، وأدرك أخيرا أنه لا فائدة من مقاومة السياسة البريطانية فى مصر علانية (٤) .

ورغم ذلك فلم يستطع الاحتلال أن يقتل روح المقاومة فى الشعب المصرى ؛ إذ استطاع شاب من الشباب الذى تعلم على أيدى النديم ، وتلقى منه الدروس الأولى فى الوطنية والسياسة أن يحمل لواء الكفاح ، ويتلقف الراية من النديم .

---

(١) مذكرات الخديو عباس ، جريدة المصرى ، عدد ٤٨٢٨ ، ٧ مايو ١٩٥١ م ، وسالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٢) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ ، ود . عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

(٣) حادثة الحدود : ذلك أن الخديو سافر فى رحلة إلى الحدود ، فلما بلغ وادى حلفا واستعرض الجيش المصرى فى ١٨ يناير ١٨٩٤ م أبدى للسردار الإنجليزى كتشنر بعض الملاحظات التي تدل على عدم رضائه عن تدريب بعض الفرق ، فاعتبر السردار أن فى توجيه هذه الملاحظات إهانة له وغضا من قدره فقدم استقالته ، ولم يدع كرومر الفرصة تفلت من يده فهو يقول : إن الفرصة التى كنت أرقبها قد جاءت ، وإن من الصعب اختيار ميدان للواقعة أنسب من هذا الميدان ، فانتهز هذه الفرصة لإذلال الخديو عباس . انظر د . محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، ط ٣ ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٤) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٦ ، ١٧ .

فى وسط هذا الجو الملبد بالغيوم ظهر مصطفى كامل ، ووعى حقيقة القضية الوطنية ودرس أبعادها ، وتأكد من دسائس الإنجليز ، وتردد الترك ، وضعف الخديو .

وكانت الدروس التى لقنه إياها عبد الله النديم كفيلة لأن يعرف أسرار الثورة العرابية وسبب هزيمتها ، ومواطن الضعف فيها ، مما كان له أثر أكبر فى تكوين أسلوب كفاحه ومنهاجه الوطنى فيما بعد (١) .

وخلاصة القول : فقد نجح عباس « فى الانتقال بالحركة الوطنية من دورها السلبى إلى الدور الإيجابى ، وسواء كان الدافع لعباس من وراء نشاطه هذا هو الرغبة فى الاستئثار بالحكم ، أو الغيرة الوطنية الصادقة ، فإن وقوفه إلى جانب الحركة الوطنية فى بداية عهده كان له أثر فى التمهيد لها أن تعلن عن وجودها » (٢) .

وقد استطاع مصطفى كامل أن يخطو بالحركة الوطنية خطوة إلى الأمام ، حين جاهر بالمطالبة بالجلاء فى أول حديث له نشرته صحيفة « الأهرام » فى ٢٨ يناير ١٨٩٥ م ، وتابع بعد ذلك نشر المقالات الوطنية فى صحيفتى « الأهرام » و « المؤيد » ثم فى الصحف الأوربية منذ بدء رحلته السنوية إلى أوربا فى مايو ١٨٩٥ م (٣) .

وكانت مقالات مصطفى كامل وخطبه فى أوربا عن القضية المصرية والحقوق الوطنية للمصريين تنقلها وكالات الأنباء إلى كل أنحاء الأرض ،فضلا عن « المؤيد » و « الأهرام » فى مصر (٤) .

وإلى جانب ما كان يقوم به مصطفى كامل من الدعاية للقضية المصرية فى مصر والخارج وإيقاظ الروح الوطنية ، كانت « المؤيد » منبرا عاما للوطنيين ، والمجال الفسيح لأقلامهم ، كانت تهاجم « المقطم » لسان حال الاحتلال الإنجليزى ، وتقاوم السياسة الإنجليزية فى مصر ، وتكشف خباياها (٥) .

وقد ارتبط الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » بالخديو ، وسار معه عندما كان يؤيد الحركة الوطنية ، وعندما تخلى عنها وارتمى فى أحضان الاحتلال ، وشهد العرض العسكرى فى ميدان عابدين بالملابس العسكرية فى الاحتفال بعيد ميلاد ملك الإنجليز ، سار الشيخ على يوسف فى هذا الاتجاه المنافى للحركة الوطنية (٦) .

---

(١) عباس العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، بيروت : ١٩٧٥ م ، ص ٨٧ ، و عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(٢) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٣) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

(٤) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٥) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

وتأذن شمس القرن التاسع عشر بالمغيب ولم يكن للوطنيين سوى صحيفة « المؤيد » ـ كما سبق ذكره ـ ولكنها بدت عليها علامات الفتور « من حيث ترحيبها بمقالات مصطفى كامل أو العناية بالمسائل العليا التى تتصل بحياة مصر ، فقد حدثت اتفاقية السودان المعروفة فى سنة ١٨٩٩م ولم تنشر « المؤيد » شيئا عنها إلا بعد اعتمادها من الطرفين المصرى والإنجليزى » (١) .

لذلك فلم يطمئن الوطنيون لهذا الفتور الذى بدا على « المؤيد » تجاه معارضة السياسة الإنجليزية ، وعدم تأييدها للوطنيين ، وترحيبها بمقالاتهم ، فأعد مصطفى العدة لإنشاء « اللواء » فى نهاية عام ١٨٩٩ م ، وصدر العدد الأول منه فى ٢ يناير ١٩٠٠ م غرة رمضان ١٣١٧ هـ . ويتحدث مصطفى كامل عن السبب فى تسمية « اللواء » ، حيث يخفق عند ذكر هذا الاسم كل قلب ، وتجتمع حوله أصدق الآمال (٢) .

وفضلا عن ذلك ، فإن إصدار مصطفى كامل « اللواء » لم يكن بسبب امتناع الشيخ على يوسف عن نشر مقالاته وخطبه فى « المؤيد » فقط ، بل ليستعين بها على خدمة أفكاره وتحقيق رغباته ، آملا أن يصير « اللواء » أول جريدة فى الشرق ، وأن يكون فى وقت واحد عاملا للوطنية المصرية ، وواسطة بين العالم الأوربى والعالم المصرى ، كما عبر عن ذلك فى رسائله لمدام جوليت آدم قبيل إصداره « اللواء » (٣) .

وقد حدد مصطفى كامل فى العدد الأول من « اللواء » الخطة التى يسير عليها «اللواء» قائلا : « أما خطة الجريدة فهى خدمة الوطن والإسلام بأشرف السبل وأنفعها ، خطة الحكمة والاعتدال والحكم على الأشياء حكما صادقا ، والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة ، وبين كافة المسلمين من جهة أخرى ، والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية ، وترقية التجارة والصناعة وإجلال كل من يعمل عملا مفيدا للوطن والأمة والدولة واجتناب الشخصيات اجتنابا تاما » (٤) .

والجدير بالذكر أن « اللواء » قد سارت على السياسة التى حددها لها صاحبها ، فلم تلن فى مهاجمة الاستعمار الإنجليزى أو التنديد بعملائه فى مصر ، كما دعت « اللواء » إلى الوطنية والإيمان بالأمة المصرية كجزء من كل أكبر وهو العالم الإسلامى ، واهتمت بالتعليم ، وفضحت المخطط الاحتلالى لقتل اللغة العربية باعتبارها اللغة القومية للبلاد ولغة دينهم ، وإحلال الإنجليزية محلها (٥) .

(١ ، ٢) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .
(٣) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) اللواء ، عدد ١ ، غرة رمضان ١٣١٧ هـ ، ٢ يناير ١٩٠٠ م .
(٥) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٧

وقد فندت « اللواء » حجج القائلين بأن الخير يأتى على أيدى الاستعمار قائلة: « من المستحيل أن يجىء الخير على أيدى رجال ليسوا من ديننا ولا من وطننا ، والتاريخ يرشدنا بشواهده الجمة أن الوطن لا يحيا إلا بأبنائه ، والبلاد لا تسمو إلا بأهلها » ، ثم تنادى بجمع شمل أفراد الأمة على كراهية المحتل كى تتخلص من نيره الثقيل (١) .

وقد دأبت « اللواء » على إظهار مفاسد الاحتلال فى مصر فى كل ميدان من ميادين الحياة ، ففى مجال التعليم ندDت بسياسة « دانلوب » الذى يعمل على إضعاف اللغة العربية ، واستئثار الأجانب بالوظائف فى الدواوين ، ثم تظهر ما يدور فى نظارة الحقانية من إهمال للقانون « بهدم مواده ، وتزعزع أركانه ، وتراكم القضايا ، وقلة القضاة » ، ثم تتحدث عن إهمال « نظارة الداخلية » فى واجباتها ، حيث إن رجال البوليس « الذين هم حراس الآداب يغضون الطرف عن كثير من الفظائع والمنكرات التى تقع على مرأى ومسمع منهم » (٢) .

وتشير « اللواء » إلى أن الإنجليز كانوا سببا في ازدياد الجرائم فى مصر ، التى هلعت لها القلوب المطمئنة ، بعد أن كانت مصر أقل البلاد مهبطا لوقوع الجرائم ، ونفوس أهلها أطيب النفوس ، وتبرهن على ذلك بأن ازدياد الجرائم فى كل أمة راجع إلى ثلاثة أمور أصلية هى فى أيدى الاحتلال :

١ ـ التربية والتعليم ، فلو صلحت لصلح حال المجتمع .

٢ ـ تفريط القائمين بأمر الأمن فى البلاد .

٣ ـ نقص المحاكم وكثرة القضايا وقلة القضاة (٣) .

وقد حاربت « اللواء » الامتيازات الأجنبية التى خصصتها الحكومة الإنجليزية للنازلين إلى مصر « فى المعاملات على اختلاف أنواعها ،وجعلت لأصغرهم أمة وأضعفهم جاها ، وأدناهم ذكرا ، سيادة على الوطنيين ، لم تكن للمالك على مملوكه فى عهد الرق والاستعباد (٤) .

كما دأبت « اللواء » أيضا على تفنيد ما يزعمه ممثل الاحتلال « كرومر » فى تقريراته من أن مصر تقدمت على أيدى الاحتلال ، فعندما أطنب كرومر فى الثناء على الاحتلال وعلى حكومته فى مدة عشرين عاما ، معتذرا لقومه الإنجليز ، إنما يكتب للمصريين ليعرفوا حقائق بلادهم ، ويعترفوا بفضل الاحتلال والمحتلين . رد عليه مصطفى كامل

---

(١) اللواء ، عدد ٤١ ، ١٦ شوال ١٣١٧ هـ ، ١٦ فبراير ١٩٠٠ م .

(٢) اللواء ، عدد ١٠٢٦ ، ١٨ ذى القعدة ١٣٢٠ هـ ، ١٥ فبراير ١٩٠٣ م .

(٣ ، ٤) اللواء ، عدد ٨٤٢ ، ٧ ربيع الثانى ١٣٢٠ هـ ، ١٣ يوليه ١٩٠٢ م .

بمقال يحمل عنوان : « بعد عشرين عاما » ، قال فيه : « ماذا يريد المصرى أن يعرف من تاريخ خمس قرون مضى ؟ يريد أن يعلم فى أى حال كانت بلاده ، ولأى غاية دخلت إنجلترا الديار المصرية ، وماذا فعلت فيها ؟ فهل أجاب اللورد كرومر فى تقريره على هذه الأسئلة التى يسألها المصرى آنا بعد آن ، وترددها الجرائد ؟ كلا ، إنما طاف حول موضوعات راق له أن يمثلها فى أبهى الألوان ، ويزينها بأجمل الأقوال » . ثم يبين مصطفى كامل مطالب المصريين قائلا : « إنما يبتغى المصريون أن يعرفوا مستقبل النفوذ المصرى فى الحكومة ، ومصير التربية فى مدارسها ، وحقوقهم أمام الحكام ، والنظام الذى ستسير عليه البلاد لتوطيد أركان الأمن والعدالة فى أنحائها » (١) .

وهكذا واجهت « اللواء » اللورد كرومر فى عنف وصراحة بمطالب المصريين الحقيقية، وفندت ما قاله عن تقدم المصريين على أيدى الاحتلال ، وحاربت الامتيازات الأجنبية ومفاسد الاحتلال فى مصر فى كل ميدان من ميادين الحياة .

فى هذه المرحلة من مراحل الحركة الوطنية كانت هناك صحف إسلامية عاصرت « المؤيد » و « اللواء » مثل « الحياة » ١٨٩٩ م محمد فريد وجدى ، « مكارم الأخلاق الإسلامية » ١٩٠٠ م ، و « المنار » محمد رشيد رضا ١٨٩٨ م ، غير أن هذه الصحف لم تجر فى التيار الوطنى الذى سارت عليه « اللواء » فى مهاجمة الاحتلال والنيل منه ، فهذا الاتجاه قد آمن بمبدأ الإصلاح ومهادنة الاحتلال (٢) .

لذلك كان من الطبيعى أن يصطدم « اللواء » بهذا الاتجاه الذى آمن بمبدأ الإصلاح ومهادنته على الاحتلال ، وكان على رأس هذا الاتجاه مجلة « المنار » ومن ورائها الشيخ محمد عبده ، الأمر الذى جعل العلاقة بين مصطفى كامل ومحمد عبده لم تسر سيرة طبيعية ، حيث إن اختلاف المبدأ عند الرجلين أوجد سوء الظن والنفرة بينهما ، بالرغم من أن مصطفى كامل كان يود الاتفاق مع الأستاذ الإمام والعمل معه ، ولكن الأستاذ الإمام ورجاله لم يكونوا يقيمون له وزنا لأثرته وإعجابه وكونه مسخرا للخديو بالمال ، وكان سعد باشا زغلول يقول : إنه مجنون ، وأما الأستاذ الإمام فقال فى وصف مقالاته : إنها مجموعة نوبات عصبية بعضها شديد وبعضها خفيف (٣) .

والحقيقة أن هذا الوصف فيه مبالغة وتَجَنٍّ ،وإن كان صدر من الشيخ محمد عبده ، ولكن الرأى الذى يرتاح إليه الباحث هو أن اختلاف وجهة نظر كل منهما فى العمل السياسى والكفاح الوطنى ، وعدم المشاكلة بينهما هو الذى أوجد هذا الشقاق .

---

(١) اللواء ، عدد ١٠٨١ ، ٢٥ محرم ١٣٢١ هـ ، ٢٣ أبريل ١٩٠٣ م .

(٢) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

(٣) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ، جـ ١ ، القاهرة : مطبعة المنار ١٩٣١ م ، ص ٥٥٣ .

وعلى هذا الأساس أيضا جاء العداء بين مصطفى كامل وصاحب « المنار » ، لذلك فلم يترك « المنار » فرصة للتنديد بمصطفى كامل إلا انتهزها ، فصاحب « اللواء » فى نظره ثورى فارغ ، وما كان « اللواء » إلا إعلانا عن وطنية صاحبه ، وشاعرا يطربه فى كل عدد [1] .

على أننا أيضا لا نذهب هذا المذهب ولا نؤمن بهذا الرأى ، فـ « اللواء » كان مفترقا للطرق فى صحافة مصر الوطنية آنذاك ، فقد حمل عَلَم الجهاد وحده تقريبا فى إيمان الواثق بحقه المؤمن بعقيدته [2] .

وقد مزج مصطفى كامل الوطنية بالدين ، فهو قد اتجه لتركيا باعتبارها أقوى الأقطار الإسلامية الجديرة بزعامة العالم الإسلامى ، والعقيدة التى تجمع المصريين بالأتراك توثق صلة مصر بتركيا ، فضلا عن أن كيان مصر السياسى يتوقف على هذه الصلة ، وانفصال مصر عن تركيا معناه تسليمها للإنجليز [3] .

ويقول الدكتور عبد العظيم رمضان : « قامت سياسة مصطفى كامل الخارجية على نفس المبادئ التى قامت عليها سياسة العروة الوثقى ، وترسمت نفس الخطى ، التى ترسمتها ، وتتلخص هذه السياسة فى ثلاثة أمور :

أولا : أن المسألة المصرية مسألة دولية ، فيجب الاستعانة بأوربا لإكراه إنجلترا على الجلاء عن مصر .

ثانيا : أن الدولة صاحبة السيادة الشرعية على مصر هى الدولة العثمانية ، فيجب التشبث بهذه العلاقة لإظهار بطلان الاحتلال ، وإكراهه فى النهاية على الجلاء .

ثالثا : الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، ولكن على أساس التفاف الشعوب الإسلامية حول الدولة العثمانية [4] .

وقد أخذ صوت مصطفى يلقى استجابة لدى الطبقة الشعبية العريضة فى مصر ، خاصة بعد صدور « اللواء » وانتشاره ، وعند ذلك شعر الخديو بأن وصايته على الحركة الوطنية لن تستمر ، أو تسير وفق ما كان يتمناه منها ، الأمر الذى دفع الخديو إلى أن يقرب منه الشيخ على يوسف وجريدته « المؤيد » كبديل عن مصطفى كامل

---

(١) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٢) د . إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

(٣) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

(٤) د . عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ، القاهرة : المؤسسة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٣م ، ص ٣٢ .

وصحيفته « اللواء » (١) .

مضت اللواء تحمل علم الوطنية فى ثوب إسلامى ، فهى تعمل على إحياء فكرة الخلافة الإسلامية ، وتدعو إلى الارتباط بالدولة العثمانية ، وتهدف من وراء ذلك الاحتفاظ بوضع البلاد الشرعى فى ظل الخلافة العثمانية ، الأمر الذى يؤكد عدم شرعية الاحتلال البريطانى (٢) .

وهى تذكر أن الخلافة عند المسلمين أساس الإسلام بصفته سلطة سياسية ، تسند إلى صاحبها السلطة الدنيوية معا ؛ لأن مبدأ الإسلام يقضى بالجمع بين السلطتين (٣) ، والوطنية عند مصطفى كامل لا تكون صادقة شديدة إلا إذا كانت ثمرة من ثمار التمسك بالدين (٤) .

ويؤكد الدكتور عبد اللطيف حمزة أن مصطفى كامل كان يهدف من وراء الحركة الوطنية ـ التى تزعمها ، وأصبحت « اللواء » لسانها ـ تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ استقلال مصر وجلاء القوات البريطانية عنها .

٢ ـ العمل على إنهاض مصر من كبوتها والأخذ بيدها فى ميدان الإصلاح السياسى والثقافى ، والإصلاح الاجتماعى والاقتصادى .

٣ ـ السعى إلى تقوية الدولة العثمانية باعتبار أنها زعيمة العالم الإسلامى كله ، وأنها متى قويت قوى معها العالم الإسلامى (٥) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن وطنية مصطفى كامل كانت تختلف عن المفهوم الضيق للوطنية بمعنى الإقليمية ، ولكنه كان يسير فى ازدواجية ، فهو يدعو إلى إثارة النفرة الوطنية ، وفى الوقت ذاته يدعو إلى الانضمام تحت راية الخلافة العثمانية (٦) ، ولا شك أن هذا المفهوم للوطنية قد عاق تقدم الفكرة القومية التى رفع لواءها فى ذلك الحين حزب الأمة ، وروجت لها « الجريدة » لسان حال ذلك الحزب (٧) .

وكان على رأس هذا الحزب لطفى السيد ، الذى كان يدعو إلى الجامعة المصرية

---

(١) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ م ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٢٦

(٢) د . زكريا سليمان بيومى : مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ص ٣٢ ، و د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى من الاحتلال حتى المعاهدة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦ م ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٣٥ .

(٣) اللواء ، عدد ٤ ، ٥ رمضان ١٣١٧ هـ ، ٦ يناير ١٩٠٠ م .

(٤) اللواء ، عدد ٢٦ ، ٣٠ رمضان ١٣١٧ هـ ، ٣١ يناير ١٩٠٠ م .

(٥) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، جـ ٥ ، ط ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٦) د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٧) د . عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

الضيقة بمعناها الإقليمى ، وهى أن تكون مصر للمصريين ، وحارب فكرة الجامعة الإسلامية ، وأنكر الرابطة العثمانية ، واعتبرها لونا من ألوان الاستعمار (١) .

وهذا الاتجاه الأخير كان يتفق مع الاتجاه الموالى للاحتلال البريطانى الذى كانت تمثله صحيفة « المقطم » والتى كانت تعمل لحساب الإنجليز ، وتدعو إلى أن يحصر المصريون اهتمامهم على أنفسهم فقط ، وتحارب فكرة الجامعة الإسلامية ، وتصور الوطنية على أنها المصلحة المشتركة التى تجمع بين المواطنين (٢) .

الاتفاق الودى وصحافة الاتجاه الإسلامى :

منذ عام ١٩٠٢م وإنجلترا تحاول التقرب من فرنسا ، وقد أدت هذه المحاولة إلى عقد اتفاق ودى بينهما فى ١٨ أبريل عام ١٩٠٤ م ، هذا الاتفاق الذى يقضى بأن تطلق إنجلترا يدها فى مصر ، فى مقابل أن تطلق فرنسا يدها فى مراكش الغرب (٣) .

وقد أدى هذا الاتفاق إلى تغير خطة الخديو عباس تجاه الحركة الوطنية ، وارتمى فى أحضان الإنجليز يطلب ودهم ، وظهرت عليه أمارات الضعف والاستسلام ، وأصبح لا يهتم الا بمصالحه الخاصة ، وحينذاك خاصمه مصطفى كامل ، وفقد الأمل فيه كنصير للحركة الوطنية (٤) .

أما الشيخ على يوسف فقد صار فى ركاب الخديو يؤيده فى اتجاهه الجديد (٥) ، وقد صاحب هذا التغير الجديد فى علاقة إنجلترا وفرنسا ، وتخلى الخديو عن تشجيع الحركة الوطنية ، تغيرا أيضا فى اتجاهات الصحافة الوطنية والإسلامية فى مصر .

فـ « الأهرام » قد أعلنت حيادها و« المؤيد » لانت سياستها ، واستطاع الاحتلال أن يلين من قناة الشيخ على يوسف ، واحتفى به الإنجليز يوم زار بلادهم ، وقال فى عاصمتهم كلمته المشهورة : « إن لوندرة كعبة المصريين السياسية » وبذلك فقد الشيخ جانبا من عطف المصريين والأتراك معا ، وبدأ يقل إقبال القراء على صحيفته ، فى حين بدأ « اللواء » يتقدم عليها فى التوزيع (٦) .

غير أن الدكتور عبد اللطيف حمزة وهو يؤرخ للشيخ على يوسف يقول : « كانت حياة السيد على يوسف حربا باردة بينه وبين الاحتلال البريطانى فى مصر ، لا تفوته

(١) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ ١ ، مرجع سابق ص ٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٣ .
(٣) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٤ ، ط ٣ ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٥٢م، ص ٣٠ ، ٣١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .
(٥) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

فرصة من فرص الجهاد من أجل مصر والإسلام إلا اقتنصها ، ولا تمر به مناسبة من مناسبات الخير العام إلا انتهزها ، وكانت صحيفة « المؤيد » معرضا لكل ذلك كله (١) .

أما الدكتور إبراهيم عبده فيقول : « إن الشيخ على يوسف أقام خطته فى أول الأمر على الدفاع عن الشرق والإسلام ، ومخاصمة الإنجليز ، أما عن الأولى فقد أيد تاريخه فيها صدق عاطفته الشرقية وحرارة إيمانه بإسلامه ، وأما الثانية فقد ارتد عنها مؤمنا بصداقة الإنجليز » (٢) .

ولكن الرأى الذى لقى قبولا لدى معظم المؤرخين لهذه الفترة هو أن سياسة الشيخ على يوسف تجاه الاحتلال كانت تخضع لعلاقة الخديو بالاحتلال ، فهو يؤيد الاحتلال إذا كان فى وفاق مع الخديو ، وينتقده إذا كان على خلاف معه ، على أن هذا لم يمنعه من الدفاع عن مصالح الشعب المصرى والدين الإسلامى ضد الاحتلال الإنجليزى (٣) .

وتجاه هذه الصدمة للحركة الوطنية لم تمض صحيفة من الصحف فى سياستها غير « اللواء » ، فجعلت تبعث فى المصريين روح الوطنية ، وأبت إلا أن تبلغ بهذه الأزمة القاسية ذروتها من حيث الجهاد الرائع ،واستكمال عناصر الوطنية فى نفوس المصريين (٤).

ونستطيع أن نقسم اتجاهات الصحافة تجاه الحركة الوطنية فى فترة خضوع الخديو للاحتلال إلى ثلاثة اتجاهات :

أولا : اتجاه صحيفة « المؤيد » وكانت لسان الفريق المعتدل بزعامة الشيخ على يوسف وهدفه تحقيق الجلاء ، وإقامة حكم نيابى مقيد بحقوق الخديو وسلطاته . وسياسته تأييد الخديو والتعايش مع الاحتلال .

ثانيا : اتجاه صحيفة « اللواء » وكانت لسان الفريق المتشدد بزعامة مصطفى كامل ، ويرى أنه لا مجال لأى مهادنة مع الاحتلال ، وسياسته التعاون مع جميع الأطراف المعادية للاحتلال .

ثالثا : اتجاه مجلة « المنار » وتمثل الفريق المهادن للاحتلال ،وهم أنصار الشيخ محمد عبده ،ورغم ذلك لم تكف « المنار » عن نقد سياسة الاحتلال بشأن السودان وسياسته التعليمية ، كما انتقدت تدفق رأس المال الأجنبى على مصر (٥) .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٤ ، ط ٣ ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .
(٢) د . إبراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، ط ١ ، القاهرة : مطبعة الآداب ١٩٤٤ ، ص ١٥٥ .
(٣) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٤ ، ط ٣ ، مرجع سابق ، ص ٥٥ ، و د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، القاهرة : ١٩٧٣ م ، ص ٤٦ .
(٤) د . إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق، ص ١٦٧، و الشعب، عدد ٦٣٧، ١٤ربيع الثانى ١٣٣١ هـ ، ١١ مارس ١٩١٤ م .
(٥) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

وهكذا لم يكن مصطفى كامل و« اللواء » وحدهما المناوئان لسياسة الاحتلال فى هذه الفترة .

أما الصحف الأخرى مثل « الحياة » و « مكارم الأخلاق الإسلامية » و« الإسلام » فلم يكن لها اتجاه سياسى ، واقتصرت على الجوانب الإصلاحية الأخرى .

كان الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا ضربة قاصمة لظهر الحركة الوطنية التى كان يقودها مصطفى كامل من خلال صحيفته « اللواء » ، حيث قضى هذا الاتفاق على كل أمل لمصطفى كامل فى تأييد الأوربيين ، وخاصة فرنسا التى كانت ظهيرا للحركة الوطنية فى ذلك الوقت (١) .

ولذلك فقد اعتبر ذلك منها طعنة لمصر ، وهو ما أعلنه مصطفى كامل على صفحات « اللواء » ، وعندما طلبت فرنسا ترك الحرية لمدارسها فى مصر نراه يقول : « وعجيب أن تطعن فرنسا أبناء هذه الديار برمح قتال بموافقتها على الاحتلال ، وتعهدها بعدم المطالبة بالجلاء ، ثم تهتم بترك الحرية للمدارس الفرنساوية فى هذه الديار ، فمن تريد أن تربى فيها ؟ وبين من تبغى نشر نفوذها ؟ أليس بين المصريين ؟ وكيف ذلك ؟ وقد أساءت إليهم إساءة لا تنسى أبد الدهر » (٢) . ويعبر عن هذا المعنى فى خطبة له على مسرح زيزينيا بالإسكندرية قائلا : « إنى تألمت أشد الألم كسائر المصريين من هذا الاتفاق المشؤوم ، ورأيت فيه ضربة جديدة لوطننا العزيز ، ولم أكن أنتظر من فرنسا مجاراة إنجلترا فى نسيان العهود والوعود ،ولكنى أعتقد أن وزراءنا هم الذين دعوا إليه وحرصوا عليه ؛ لأنه لا يوجد فى العالم إنسان يحترم من لا يحترم نفسه ،ويدافع عن حق من تنازل عن حقه»(٣).

ولكن هذا لا يعنى أن مصطفى كامل لم يكن يعى سوء نية هذه الدول ومطامعها . وخلاصة القول أنه بدأ يتجه إلى الاعتماد على الذات ، والنفور من كل من لا يعمل على استقلال البلاد (٤) . وفى رأيه أن هذا الاتفاق لا يدعو إلى ترك الأمل فى المطالبة بحقوق الأمة وسعادتها واستقلالها ، فإن تنازل الغير ـ فرنسا ـ عن المطالبة بذلك فلا ينبغى أن نقتدىَ به (٥) .

ورغم هـذا فإن « اللواء » لم تغير من سياستها ، بل راحت تبعث الأمـل فى

---

(١) د .زكريا سليمان بيومى:الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية، مرجع سابق، ص٣٤، ود .عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٥ ، ط ١ ، القاهرة : ١٩٥٢ م ، ص ١٥٨ .

(٢) اللواء ، عدد ١٣٨٢ ، ٢٧ محرم ١٣٢٢ هـ ، ١٣ أبريل ١٩٠٤ م .

(٣) اللواء ، عدد ١٤٣٠ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٢٢ هـ ، ٨ يونية ١٩٠٤ م .

(٤) اللواء ، عدد ١٣٨٥ ، صفر ١٣٢٢ هـ ، ١٧ أبريل ١٩٠٤ م ، وعدد ١٤٣٠ ، ٢٣ ربيع الأول ١٣٢٢ هـ ، ٨ يونيه ١٩٠٤ م .

(٥) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٥ ، ط ١ ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

النفوس ، وتبعد اليأس عن القلوب ، وتشن حملاتها على الحكومة والاحتلال ، فقد حملت على رياض باشا عندما مدح الاحتلال فى الاحتفال الذى أقيم بمناسبة وضع حجر الأساس لمدرسة محمد على الصناعية ، وأطلقت عليه « الوزير المنتحر » (١) .

وتعدد مساوئ الاحتلال فى مصر ، وتعلن :

أولا : إن الإنجليز قد أنكروا كل عهودهم السابقة ، فى أن احتلالهم لمصر موقوت ، وهم قد أعلنوا البقاء فى وادى النيل ، وأقاموا حكمهم على الاستبداد كل الاستبداد (٢) .

ثانيا : ادعى الإنجليز ترقية المصريين وتربيتهم ، حتى يصيروا قادرين على إدارة شؤون بلادهم بأنفسهم ، وهم يحتكرون أسمى الوظائف للأجنبى ، وقد جعلوا قاعدة الحكم فى مصر سيادة الإنجليزى على المصرى ، ولو كان هذا الأخير فوق الأول منزلة ومقاما ، وفى موضع آخر تجلى محاربة الإنجليز للغة العربية قائلة : « إنهم قد رأوا تعليم الأبناء العلوم بلغة بلادهم مما يرقى عقولهم فحاربوها ، وأحلوا لغتهم محلها » (٣) .

وظل الأمر على هذه الحال طوال سنتين متتاليتين إلى أن وقعت حادثة دنشواى المشهورة فى التاريخ المصرى الحديث فى الثالث عشر من يونيو ١٩٠٦ م .

دنشواى وصحافة الاتجاه الإسلامى :

لا شك أن حادثة دنشواى كان لها أثر فى اشتداد الحركة الوطنية فى مصر ، حيث تقول « اللواء » : « إنه لولا دنشواى لطال الزمن على ستائر التمويه قبل أن تمزقها الحركة الوطنية ، وتفضح نوايا المستبدين .. ولبقى صوت مصر مختفيا فى جوفها لا يسمعه أحد .. ولصارت الوطنية المصرية نكرة بين كل الوطنيات المعروفة » (٤) .

لذلك تعد دنشواى نقطة تحول فى تاريخ الحركة الوطنية ؛ إذ أنعشتها بعد ركود ، وأوجدت من الصلات بينها وبين القاعدة الشعبية العريضة من الفلاحين ، مما مهد الطريق إلى انضمامهم إليها فى ثورة ١٩١٩ م (٥) .

فضلا عن ذلك ، فقد ساعدت على عودة العلاقات بين زعماء الحركة الوطنية والخديو الذى كان قد ابتعد عنهم لوجود خلافات بينهما ، مما كان له أثر فى تقوية عضد

---

(١) اللواء ، عدد ١٣٥٥ ، ١٠ ربيع الأول ، ٢٦ مايو ١٩٠٤ م .
(٢ ، ٣) اللواء ، عدد ١٤٣٨ ، ٤ ربيع الثانى ١٣٢٢ هـ ، ١ يونيه ١٩٠٤ م .
(٤) اللواء ، عدد ٢٣٧٨ ، ٢١ جمادى الأولى ١٣٢٥ هـ ، ١ يوليه ١٩٠٧ م .
(٥) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

الحركة الوطنية إلى حين [١] .

وقد رأى كرومر أمام اشتداد الحركة الوطنية أن يسلك سبيلا إرهابيا ليقمع به الحركة الوطنية [٢] ، وقد حدث أن اعتدى جماعة من فلاحى قرية دنشواى بمحافظة المنوفية على بعض ضباط الإنجليز الذين تركوا معسكرهم ، وذهبوا ليصطادوا الحمام فى الأملاك الخصوصية للأهالى بالبنادق ، فأحرقوا جرنا ، وجرحوا امرأة ،فاجتمع الفلاحون من كل مكان ، ووقعت مشاجرة بينهم وبين الإنجليز ، نتج عن ذلك جرح ثلاثة من المصريين ، وثلاثة من الضباط الإنجليز الذين هرب أحدهم فمات بضربة شمس [٣] .

استغل كرومر هذه الحادثة ورأى أن الوقت قد حان لينفذ ما عزم عليه من شنق الفلاحين الأبرياء ، وسجن عدد آخر [٤] .

وقد اتخذت الصحف العامة ذات الاتجاه الإسلامى « المؤيد » و « اللواء » فى بداية هذه الحادثة موقفا معتدلا من أهالى دنشواى ،فجريدة « المؤيد » على سبيل المثال « ساوت بينهم وبين الضباط واعتبرتهم معتدلين ، واعتبرت المسؤولية عن الحادث موزعة بين الفريقين ، ونادت بأنه ينبغى أن تحصر الحادث فى دائرتها أى بين المشتركين فى المعركة فقط » [٥] .

ولكن هذه الصحف أحست بالخطر بعد أن انتهى التحقيق فى هذه الحادثة ، وانتشرت الأخبار عن إعداد مشنقة لمحاكمة الفلاحين ، وبعد أن أنذرت صحف الاحتلال ، ومراسلو الصحف الأجنبية فى مصر بالشدة التى سيعامل بها المتهمون ، حينئذ غيرت هذه الصحف موقفها ، وأخذت تهاجم إحالة القضية إلى المحكمة المخصوصة على أساس أنها غير مختصة ، وقد نشرت « المؤيد » و« اللواء » بعض المقالات التى توضح أن الضباط تجاوزوا حدود التعليمات والقوانين ، واعتدوا على الأهالى وكانوا سببا لوقوعه [٦] .

ورغم ذلك فقد صدر الحكم فى ٢٨ يونيه ١٩٠٦م على أربعة من الفلاحين بالإعدام، وعلى أربعة آخرين بالأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات ، وعلى ثلاثة بالأشغال الشاقة لمدة سنة مع الجلد ، وعلى خمسة بالجلد خمسين جلدة . كما عزلت عمدة دنشواى ،ونفذت سائر أحكام الإعدام علنا فى القرية بعد أسبوعين من الحادث [٧] .

---

(١) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٧
(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .
(٣) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٥ ، ط ١ ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .
(٤) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .
(٥ ، ٦) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .
(٧) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية فى مصر ١٩٠٧ - ١٩١٤ م ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

اشتدت حملات الجرائد الوطنية وخاصة « المؤيد » و« اللواء » حين صدرت الأحكام، ونفذت بهذه الطريقة الوحشية السالفة الذكر ، ونشرت « المؤيد » سلسلة مقالات تحت عنوان : « فظائع العدل الإنجليزى فى مصر » ، وهو عنوان كتاب للمستر بلنت تناولت فظائع الإنجليز فى قتل الأهالى ، وحاولت أن تثبت بأكثر من أدلة أن اللورد كرومر عاقب القرويين عقابا صارما ليكون عبرة للمعتبرين [1] ، ونددت بما ألصقوه للأهالى من تهمة التعصب ضد الإنجليز ، تمهيدا للعقوبات الوحشية التى عوقبوا بها [2] .

وقد روت تفاصيل الشنق والتعذيب اللذين لاقهما الأهالى على يد الإنجليز ، وما أصاب الناس من هلع وولع ، وصراخ وعويل [3] .

واستقبلت اللورد كرومر بقصيدة لحافظ إبراهيم لدى عودته من مصيفه بعد حادث دنشواى ، جاء فيها :

قصر الدوبـارة هـل أتاك حديثا	فالشرق ربع له وضج المغــــرب
فـى دنشواى وأنت عنا غائــب	لعب القضاء بنا وعز المهـــــرب
حسبوا النفوس من الحمام بديلة	فتسابقوا فى صيدهن وصوبــــوا
نكبوا وأقفرت المنازل بعدهـــم	لـو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا
خليتهم والقاسطون بمرصـــــد	وسياطهم وحبالهم تتأهـــب [4]

وقد نشر « اللواء » فى ذكرى دنشواى إحدى عشرة مقالة بعنوان : « نتائج دنشواى» ، حملت فيها على اللورد كرومر وعلى الاحتلال الإنجليزى ، بدأت فى العدد ٢٣٧٤ ، ١٧ جمادى الأولى ١٣٢٥هـ ، ٢٨ يوليه ١٩٠٧م تقول فى المقالة الرابعة منها: « إن هذا الحادث الرائع الفاجع جعل قوة الحياة تدب فى المصريين .. فكأنما القضاء والقدر سخر الذين ارتكبوا هذه الحادثة ليساعدوا العاملين على ترقية الأمة المصرية رغم إرادتهم » [5] .

وتذكر أن هذه الحادثة بقدر بشاعتها كانت خيرا للمصريين ، وأن المطالبة بالدستور كانت من نتائج دنشواى [6] . وتنشر اللواء أيضا العديد من القصائد الشعرية التى تثير الرأى العام ضد الإنجليز بمناسبة ذكرى دنشواى، وتنوه برواية الكاتب الإنجليزى برنارد شو

---

(١) المؤيد ، عدد ٤٩٧٥ ، ٢٠ شعبان ١٣٢٤ هـ ، ١٩ أكتوبر ١٩٠٦ م .
(٢) المؤيد ، عدد ٤٩٨٦ ، ٢١ شعبان ١٣٢٤ هـ ، ٢٠ أكتوبر ١٩٠٦ م .
(٣) المؤيد ، عدد ٤٩٨٧ ، ٢٢ شعبان ١٣٢٤ هـ ، ٢١ أكتوبر ١٩٠٦ م .
(٤ ـ ٦) المؤيد ، عدد ٤٩٩٥ ، ٢٩ شعبان ١٣٢٤ هـ ، ٢٧ أكتوبر ١٩٠٦ م

التى كتبها بعنوان : « فظائع دنشواى » [1] .

وتشير « اللواء» إلى ما حققته دنشواى بالنسبة للقضية المصرية والحركة الوطنية ، فتذكر أن دنشواى هى التى جعلت أكبر صحف الأرض مقاما وأوسعها انتشارا وأعلاها صوتا ، تخصص كل يوم الصفحات الأولى للبحث فى مسألة مصر وأهل مصر . . . وهى التى أراحت مصر من فرعون قصر الدوبارة ، الذى طالما سام أهلها سوء العذاب . . . وكانت سببا فى تأليف شركة ليتندار اجبسيان ودى اجبسيان ستاندرد التى أعضاؤها من كبار الوطنيين فى مصر ، وأفاضل السراة ، فبهمتهم العالية صار لمصر جريدتان يوميتان : إحداهما فرنسية ، وأخرى إنجليزية ، يكتب فيهما أكبر الكُتَّاب ، وأبلغ الأدباء ، وكبار الساسة والوزراء [2] .

وقد شاركت إلى جانب « اللواء » و « المؤيد » ـ فى الحملة على الاحتلال ـ صحف أخرى مثل « المنبر » و « الظاهر » و « خيال الظل » و « مجلة المجلات » [3] . غير أن صحف الاتجاه الإسلامى المتخصصة مثل « مكارم الأخلاق الإسلامية » و « الحياة » و« المنار » و « الإسلام » لم تشارك فى هذه الحملة ، ولم نجد فى هذه الصحف ما يشير إلى هذه الحادثة سوى خبر صغير فى « المنار » عن الحكم فى قضية أهالى دنشواى ذكرت فيه « أن هذا الحكم سياسى وغير قضائى » [4] .

ولم تقتصر حملات « المؤيد » و « اللواء » والصحف الأخرى ـ التى أسهمت فى هذه الحملات ـ على موضوع دنشواى ، بل أصبحت هجوما عاما على سياسة الاحتلال فى مصر .

وكان أشدها على الاحتلال مقالات الشيخ على يوسف ، التى استقبل بها اللورد كرومر لدى قدومه من أجازته بعد دنشواى فى أكتوبر ١٩٠٦ م وكانت بعنوان : « فى قصر الدوبارة يوم الأربعاء » وهى ست مقالات نشر أولاها يوم الأربعاء ١٤ أكتوبر١٩٠٦م وآخرها يوم الثلاثاء ٢٠ أكتوبر ١٩٠٦ م .

وقد نشرت هذه المقالات تحت هذه العناوين :

١ ـ الطوب والقلوب .

٢ ـ حرية مراقبة وتقييد .

٣ ـ حكومة نيابية .

---

(١) اللواء ، عدد ٢٣٧٨ ـ ٢٣٨٠ .

(٢) اللواء ، عدد ٢٣٧٨ ، ٢٢ جمادى الأولى ١٣٢٥ هـ ، ٤ يوليه ١٩٠٧ م .

(٣) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

(٤) المنار ، عدد ٦ ، م ٩ ، ١٩٠٦ م .

٤ - تعديل الديكريتو .

٥ - أحوال المستشارين .

٦ - التعليم ونظارة المعارف .

وكانت هذه المقالات شديدة الهجوم على الاحتلال البريطانى وسياسة كرومر فى مصر، وقد استمرت تلك الحملة الصحفية حتى استقال كرومر وغادر مصر فى مايو ١٩٠٧ (١) .

وقد استقبلت « اللواء » استقالة اللورد كرومر بمقال عنيف ، حملت فيه على سياسته فى البلاد ، ونوهت أن استقالته كانت إثر حادثة دنشواى « التى دوى دويها فى العالم كله ، وقامت لها قيامة الأحرار فى إنجلترا ، وعرف المتمدنون فى أنحاء الأرض مقدار بشاعتها وفظاعتها ، وشدة انفعال المصريين من الحكم والتنفيذ فيها » (٢) .

ثم تعدد مساوئه قائلة : « إنه الذى سلب الحكومة المصرية والوزارة الأهلية كل وجود ونفوذ وحياة » وإنه الذى فتح السودان برجالنا وأموالنا ، ثم جردنا من كل حق وسلطة ، وإنه « الذى حرم الفقراء من التعليم فى مدارس الحكومة ، وحارب اللغة العربية » ، وإنه « الطاعن على الدين الإسلامى فى تقريره الأخير ، ذلك الطعن الذى هاجت له عواطف المسيحيين مثل المسلمين ، وأنه الذى عمل بما وسعه لمقاومة المطالب الوطنية ، وإنكار كفاءة الأمة واستعدادها لنيل الحقوق النيابية » (٣) .

وقد واصلت « اللواء » حملاتها على الاستعمار البريطانى ، وعلى اللورد كرومر ، الأمر الذى جعل الحكومة البريطانية تضحى بشخص اللورد أفضل من أن تضحى بمصالحها ومركزها فى مصر . وقد وقع اختيارها على السير الدون غورست الذى قضى معظم حياته فى خدمة الإدارة المصرية (٤) .

وقد رأى السير الدون غورست عند وصوله إلى مصر أن الحركة الوطنية قد أكسبتها حادثة دنشواى قوة ، كما أكسبها خروج كرومر شهرة بين الأوساط الشعبية وأوربا ، كما وجد أن الخديو قد قربته هذه الأحداث إلى الحركة الوطنية ، فبدأ ينتهج سياسة جديدة غير التى كان ينتهجها كرومر بإيحاء من حكومة بلاده (٥) .

حاول غورست جذب العناصر الوطنية المعتدلة ليقاوم بها العناصر المتشددة بقيادة

---

(١) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .

(٢ ، ٣) اللواء ، ١٢ أبريل ١٩٠٧ م .

(٤) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٥) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

مصطفى كامل ،وربما كان ذلك من العوامل التى أدت إلى تكوين الأحزاب المصرية السياسية ، فضلا عن ذلك بـدأ غورست يجرد الحركة الوطنية من أهم سند لها وهو الخديو ، وقد عرفت هذه السياسة بسياسة الوفاق (١) .

والجدير بالذكر أن هذه السياسة التى ألفت بين السلطة الشرعية المتمثلة فى الخديو ، والسلطـة الفعليـة المتمثلة فى الاحتلال ، قد أدت إلى فتور حدة « المؤيد » التى تميزت بها ـ إثر حادثة دنشواى ـ فى هجومها على الاحتلال، كما زادت حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ـ الذى كونه الشيخ على يوسف بإيعاز من الخديو ـ اعتدالا على اعتدال (٢) .

وإزاء هذه السياسة أخذت الحركة الوطنية تنظم صفوفها ، وأعلن عن تكوين الحزب الوطنى فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧م فى خطبة ألقاها مصطفى كامل فى مسرح زيزينيا بالإسكندرية ، وفيها أعلن أنه قطع الأمل من العون الأجنبى ، وقطع الأمل فى الكبار والذوات ، وانقطع ما بينه وبين الخديو ، ولم يبق إلا الشعب (٣) .

واجتمع أعضاء الحزب الوطنى لأول مرة فى ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ م ، وخطب مصطفى كامل فى هذا الاجتماع خطبة أخرى أعلن فيها عن مبادئ الحزب الوطنى ، وكان من أهمها :

١ ـ الاستقلال التام لمصر مع سودانها وملحقاتها ، غير مشوب بأى احتلال أو حماية، أو شبه سيادة أجنبية ، أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال .

٢ ـ إيجاد حكومة دستورية فى البلاد ، بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسؤولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوربا .

٣ ـ احترام المعاهدات والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون .

٤ ـ انتقاد الأعمال الضارة بكل صراحة ، والاعتراف بالأعمال النافعة والتشجيع عليها ، وإرشاد الحكومة إلى خير الأمة ورغائبها والإصلاحات اللازمة لها .

٥ ـ العمل على نشر التعليم فى أنحاء الديار على أساس وطنى صحيح ، ونشر المبادئ الدينية السليمة الداعية إلى الرقى .

٦ ـ ترقية الزراعة والصناعة والتجارة ، وكل فروع الحياة ، والعمل والجد وراء نيل الأمة استقلالها العلمى والاقتصادى .

---

(١) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، جـ ٤ ، ط ١ ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٣) شهدى عطية شافعى : تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ م ، القاهرة : مطبعة أطلس ، ١٩٥٧م ، ص ٢٠ .

٧ ـ إرشاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة إلى حقائق الأحوال وبث الشعور الوطنى فيهم .

٨ ـ مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجاح والاجتهاد فى تحسين الأحوال الصحية .

٩ ـ تقوية روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والأجانب ، وإزالة سوء التفاهم بينهم إذا وجد .

١٠ ـ إنماء علائق المحبة والثقة بين مصر ودول أوربا ، ونفى كل تهمة عن مصر ، والعمل لإيجاد أنصار لها فى كل العالم (١) .

ولم يمض على تكوين الحزب الوطنى ما يقرب من شهر ونصف حتى وافت مصطفى كامل المنية ، فى الثامن من المحرم ١٣٢٦ هـ العاشر من فبراير ١٩٠٨ م (٢) .

وقد أعد مصطفى كامل فى قيادة الحركة الوطنية محمد فريد ، وفى عهده لم تلن الحركة الوطنية ، بل واصلت جهادها فى كل ناحية من نواحى الحياة المصرية ، يدعمها فريق من الوطنيين المصريين ، ممثلة فى الحزب الوطنى الذى ضم عنصرى الأمة وقضى على الخلافات المذهبية ، التى كانت من الأسباب المؤدية لتدخل الدول فى شؤون مصر قبيل الاحتلال ، والتمكن له بعد وقوعه . كما قوى هذه الحركة نجاح الحركة الدستورية فى تركيا فى يوليه ١٩٠٨ م ، والتى أدت بدورها إلى تدعيم فكرة الحكومة الدستورية فى مصر (٣) .

وقد تولى رئاسة تحرير « اللواء » ـ لسان هذه الحركة الوطنية ـ الشيخ عبد العزيز جاويش فى أول مايو ١٩٠٨ م ، وقد أشار إلى المنهج الذى سيسلكه فى « اللواء » وهو : محاربة الإنجليز ما بقوا فى البلاد المصرية ، والاستماتة فى هذا الدفاع ، والولاء للخديو طالما يعمل لمصلحة الوطن ، والدعوة إلى الاتحاد والتضامن بين عناصر الأمة ، ليكونوا يدا واحدة على أعدائها (٤) .

وامتاز عهد محمد فريد والشيخ جاويش فى قيادة الحركة الوطنية بالكتابة الحماسية التى تثير الهمم وتلهب المشاعر ، فى وقت أخذ فيه الاحتلال يتحصن ضد الحركة الوطنية ويعمل لها حسابا . وكان من أهم المسائل التى انشغل بها الحزب الوطنى عقب وفاة

---

(١) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ٥٨ ، و د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ٦٨ ـ ٧٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ .

(٣) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

(٤) اللواء ، عدد ٢٦٣٦ ، ٣ مايو ١٩٠٨ م .

مصطفى كامل : الدعوة إلى المطالبة بالدستور ، وإنشاء حياة نيابية فى البلاد (١) .

الدعوة إلى الدستور وصحافة الاتجاه الإسلامى :

تجدر الإشارة هنا إلى أن مصر قد نالت قبل الاحتلال البريطانى دستورا يحقق سلطة الأمة ، فقد أنشئ بها مجلس كامل السلطة وجعل الوزارة مسؤولة أمامه ، فألغى الاحتلال هذا الدستور ، واستبدل به نظاما نيابيا يجعل سلطة الأمة معدومة حكما وفعلا، وصدر المرسوم الخديو بهذا النظام فى أول مايو ١٨٨٣م وهو المعروف بقانون النظامى ، كما أنشئ مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وهما هيئتان محرومتان من كل سلطة. وظل هذا النظام مضروبا على مصر من سنة ١٨٨٣م إلى ١٩١٣م ، وهما أيضا من وضع الاحتلال ، ومن النظم التى كان مقصودا بها إهدار سلطة الأمة ، وتعطيل نهضتها القومية ، وإخضاع الحكومة لسياسة الاحتلال وأوامره (٢) .

لذلك فقد طالب المصريون بالدستور وكان هذا المطلب من المسائل السياسية الهامة التى شغلت الصحافة المصرية منذ ذلك الوقت ، وحتى قيام الدستور بعد الحرب العالمية الأولى (٣) .

وكان مصطفى كامل من الرواد الأوائل الذين طالبوا بالدستور فى مصر بعد الاحتلال البريطانى ، فقد روج لهذه الفكرة وهو بَعْدُ طالب فى مدرسة الحقوق ، حين أخذ يشرح فى مجلة « المدرسة » التى كان يصدرها آنذاك أنظمة الحكم ، من ملكية مطلقة ، وملكية مقيدة ، وجمهورية ، وقد دفعه ذلك إلى الحديث عن الحكومة الدستورية ، وكيف أن الحكم فيها موزع بين سلطات ثلاث :سلطة تشريعية ، وسلطة قضائية ، وسلطة تنفيذية ، وأن كلا منها توازى الأخرى ولا تطغى عليها (٤) .

ومنذ أن أسس مصطفى كامل « اللواء » فى يناير ١٩٠٠ م ، ولم تخل خطبة من خطبه من المطالبة بالدستور ، وكان يعتقد أن تأسيس مجلس نيابى فى مصر يعتبر خطوة هامة ، تبرهن بها إنجلترا على صدق وعودها فى الجلاء عن مصر ، كما أن البلاد تخطو بالوصول إليه أكبر خطوة فى طريق الاستقلال (٥) .

وفى مايو عام ١٩٠٢م هاجم مصطفى كامل الحكومة على صفحات « اللواء » ،

---

(١) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، ط ٢ ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ م ، ص ٨ .

(٣) د . عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر ، جـ ١ ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦١م ، ص ١٦٣ .

(٤) فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

(٥) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

حيث ذكر أن الحكومة « تعمل لكى تحرم الأمة من الحصول على الدستور ، وهى تهزأ بفكرة الدستور ، وتدوس بقدميها على القانون » ، ويرى أن الواجب على كل كاتب مصرى أن يستلفت نظر الأمة كلها إلى المطالبة بالدستور ، وينوه أن هذا المطلب ليس مطلب شخص معين ، أو فئة معينة ، وإنما هو مطلب الأمة المصرية كلها ، وإذا كان هذا هو مطلب الأمة كلها ، فإن متابعة الطلب لابد وأن تأتى بالثمرة المقصودة (١) . وهو بالطبع الحصول على الدستور والظفر بالاستقلال . ونلاحظ أن مصطفى كامل قد ربط بين المطالبة بالدستور والحصول على الاستقلال ، وذلك قبل أن يتقدم الشيخ على يوسف باقتراحه إلى الجمعية العمومية بطلب المجلس النيابى عام ١٩٠٤ م (٢) .

وجملة القول : إن عام ١٩٠٤ م كان بداية المرحلة التى صار فيها الدستور مطلبا رئيسيا من مطالب الحركة الوطنية ، وقضية من أبرز القضايا التى تتداولها الصحافة المصرية (٣) .

وقد استطاع الشيخ على يوسف ـ بالتعاون مع مصطفى كامل ، والخديو عباس حلمى الثانى ـ أن يحصل على قرار من الجمعية العمومية بطلب المجلس النيابى لمنع مزيد من التدخل الأجنبى فى الشؤون المصرية (٤) .

ولذلك نرى مصطفى كامل يؤيد الشيخ على يوسف فى مطلبه ، ويدافع عن وجهة نظره تجاه « المقطم » ، التى عارضت هذا المطلب ، فكتب فى « اللواء » قائلا : « لعل قراء « اللواء » وغيرهم من أفراد الأمة المصرية يذكرون ما قلناه من فوق المنابر وكتبناه فى هذه الجريدة وغيرها ، على وجوب إنشاء مجلس نيابى منذ عشر سنوات كاملات . . لأنه الأنشودة التى يجب أن يترنم بها كل المصريين بعد طلب الاستقلال (٥) .

ويؤكد أن المجلس النيابى هو الضمانة الوحيدة لسلامة القوانين فى البلاد والحرية الخاصة والعامة . ثم يرد على « المقطم » التى عارضت دعوة الشيخ على يوسف فى مطالبة الجمعية العمومية بإنشاء مجلس نيابى ، وادعت أنه خالف الجمعية والقانون النظامى فى طلبه هذا قائلا : « إنه سواء كان لأعضاء الجمعية العمومية الحق فى طلب إنشاء مجلس نيابى ، أو لم يكن لهم ذلك ، فإن المجادلة على هذا الموضوع تعد اشتغالا بالعرض دون الجوهر » (٦) .

---

(١) اللواء ، ٢٣ مايو ،١٩٠٢ م .
(٢) فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٤٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .
(٤) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .
(٥ ، ٦) اللواء ، عدد ١٣٥٣ ، ٢٢ ذى الحجة ١٣٢١ هـ ، ٩ مارس ١٩٠٤ م .

ويبرهن مصطفى كامل على استعداد الأمة المصرية للمجلس النيابى بما يترنم به الاحتلال وأنصاره من أن مصر تقدمت وبلغت قدرا كبيرا من الرقى فى عهده ، وأن مصر ليست أقل من العرب والبلغار حتى يتمتعوا بالحقوق النيابية ونحرم منها ، ويذكر الاحتلال بما وعد به اللورد دفرين بتحويل مجلس الشورى إلى مجلس نيابى [1] .

وقد تكررت دعوة « المؤيد » و « اللواء » ، بالمطالبة إلى الدستور وإنشاء مجلس نيابى ، ولكن كرومر معتمد الاحتلال لم يعط لهذه المطالبة أدنى اهتمام ، وكان من رأيه أن الأحوال فى مصر لا تسمح بقيام أنظمة برلمانية لانتشار الجهل ، وخضوع المصريين للحكم المطلق فترات طويلة من تاريخهم [2] .

وعلى الرغم من ذلك فلم تغتر « المؤيد » و « اللواء » فى الدعوة إلى طلب الدستور فتذكر « المؤيد » أن أقل البلاد نالت الدستور دون تعب ولا نصب ، ففى مقال لها بعنوان: « فى سبيل الدستور » تقول : « ما أسعد البلاد التى تنال الدستور بيد أولياء أمرها بدون شغب ولا تعب ، فمن البلاد التى أوشكت أن تناله أو نالته دوقية مكمبورغ فى شمال ألمانيا » [3] .

وعندما أنكر السير جراى حقوق المصريين فى مجلس نيابى طالعتنا « المؤيد » بمقال جرىء بعنوان : « من كان يظن » موجهة كلامها إلى سلطات الاحتلال والخديو والحكومة قائلة : « الأمة تريد لنفسها مستقبلا حسنا مثل كل أمة حية ، وهى تطلب بلسان جرائدها وجمعيتها العمومية مجلسا نيابيا ، وتتخذ لإدراك غايتها كل واسطة شريفة معقولة ، تطلب هذه الغاية من خديوها المعظم ، ومن حكومتها ، ومن كل ذوى شأن [4] .

ثم دعت المصريين إلى عدم اليأس من تنكر السير جراى لمطالبها الدستورية فتقول : « يرى المصرى أن آمال البوير قد تحققت ،وأن الإيرلندى يعلل النفس بتحقيق آماله ، فخليق بالمصرى بعد هذا ألا يتولاه اليأس من جواب السير جراى ، وأن يعلم أن حياة الإنسان لا تصلح إلا بالأمل والعدل ، وأن إحراز الاستقلال الإدارى لا يكون فجأة ، وأنه لابد من جهاد وتعب » [5] .

وعندما حصلت الهند على بعض الإصلاحات الدستورية نشرت « المؤيد » مقالا بعنوان كبير ، نشر على عمودين ، ذكرت فيه الإنجليز « أن الهنود ليسوا بأفضل من المصريين ولا أكثر كفاءة . . . وقد طالب المصريون بأن يكون لهم حق اشتراك مع المحتلين

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٣) المؤيد ، عدد ٥١٢٩ ، ١٠ صفر ١٣٢٥ هـ ، ٢٤ مارس ١٩٠٧ م .

(٤ ، ٥) المؤيد ، عدد ٥١٢٣ ، ١٢ صفر ١٣٢٥ هـ ، ٢٦ مارس ١٩٠٧ م .

فى إدارة شؤون البلاد ؛ لأنهم أدرى بمطالبهم وحاجاتهم » (١) .

وقد اشتدت المطالبة بالدستور بعد ظهور الأحزاب السياسية فى مصر عام ١٩٠٧ ؛ لأنها قد وفرت المناخ الملائم لتطبيقه مثل هذا الدستور إذا صدر ـ على حد تعبير الشيخ على يوسف ـ فى اجتماع الجمعية العمومية لحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية (٢) .

وكانت فكرة المطالبة بالدستور بندا أساسيا فى برنامج كل حزب من الأحزاب ، ففى « حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية » الذى تمثله « المؤيد » احتلت المطالبة بالدستور فى برنامج الحزب المكانة الثالثة بعد قضيتى تدعيم السلطة الخديوية ، ومطالبة إنجلترا بتحقيق وعودها فى الاستقلال (٣) .

وقد هاجمت « المؤيد » الحكم المطلق ، وأكدت على طلب الدستور فتقول : « لقد علم الخاص والعام أن من أقدس مطالبنا : طلب الدستور النيابى للأمة المصرية ، لعلمنا أن الحكم النيابى أصبح القاعدة الطبيعية لنجاح الممالك ، وأنه قد دلت على أن الحكم المطلق مضر أكثر ما هو نافع ؛ ولذلك صار ظل الاستبداد يتقلص من الوجود كلما ترقى العالم ، وتنفى تلك التهمة التى تزعم أن الخديو معارض لإقامة حكومة دستورية » ، وتؤكد أن الإنجليز هم المعطلون للدستور قائلة : « إن الخديو ميال بفطرته وتربيته العالية لإعطاء أمته الدستور النيابى ، وأنه قد ثبت أن للإنجليز يدا فعالة فى منع هذا الإعطاء ، وفى الحيلولة دون بلوغنا تلك النعمة » (٤) .

أما الحزب الوطنى فكانت الدعوة إلى الدستور من المبادئ الهامة التى قام من أجلها بعد طلب الاستقلال ، فقد كان يهدف إلى إقامة حكومة دستورية فى البلاد ذات سيادة تتبع الأمة ، وأن تكون الوزارة مسؤولة أمام مجلس نيابى ممثل مزود بسلطة كاملة (٥) .

ويتولى محمد فريد رئاسة الحزب الوطنى بعد موت مصطفى كامل فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ م ، وعقب توليته وجه اهتمامه الأول لإقناع الخديو بإعادة دستور ١٨٨١ م الذى كان قد ألغى بعد هزيمة عرابى ، بالرغم من أن فريد كان يعلم أن هذا الدستور تنقصه السلطة التشريعية إلا أنه كان يريد أن يكون أساسا انتقاليا لقيام نظام نيابى (٦) .

وفى هذا الوقت زادت حدة « اللواء » فى المطالبة بالدستور ، وإقامة حياة نيابية فى البلاد ، وكان من أقوى المقالات التى كتبتها « اللواء » فى المطالبة بالدستور ، ما كتبه

(١) المؤيد ، عدد ٥٢١١ ، ٢٩ رجب ١٣٢٥ هـ ، ٧ سبتمبر ١٩٠٧ م .

(٢ ، ٣) د . يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

(٤) المؤيد ، عدد ٥٥٨٠ ، ١ رمضان ١٣٢٦ هـ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ م .

(٥) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

محمد صادق عنبر بعنوان: « الدستور النيابى حق مصر أمس وأمنيتها اليوم » ، فَنَّد فيه ما يدعيه الإنجليز كلما طلب المصريون الدستور ، بأن الطفرة ممتنعة فى الارتقاء الاجتماعى ، ويزعمون أن مصر بذلك غير مؤهلة لإعطاء الدستور ، وأن الدستور ضار بالأمة المصرية؛ لأنها لم تقم على المبادئ الدستورية ، وليس فيها أكفاء فى المسائل الإدارية والشؤون السياسية ، الذين يصلحون لأن تتكون منهم الحكومة النيابية .

وترد « اللواء » على هذا الزعم قائلة : « إن الحكومة ليست حلما تنزع الأمة المصرية إلى تفسيره أو أمنية تميل إلى تحقيقها تشبها بغيرها من الأمم فقط ، بل هى حق لها ، انتزع من يدها انتزاعا بفضل السياسة الإنجليزية » (١) .

وتشير إلى أن الأمة الإسلامية قد طبقت النظام الدستورى قبل أن تعرفه أوربا بمئات السنين وهو المتمثل فى نظام الشورى ، حيث إن « الشورى مبدأ قديم من المبادئ التى ارتكزت فى طبيعة المسلمين ؛ لأنها حكم من أحكام الشريعة الإسلامية فى إدارة شؤون الأمة ، فهم عرفوها وخبروها قبل أن تسمع بها إنجلترا بزمان طويل ، والتاريخ أعدل شاهد على ذلك » (٢) .

« أما قولهم : إن البلاد ليس فيها الأكفاء فى المسائل الإدارية والشؤون السياسية الذين يصلحون لأن تتكون الحكومة النيابية منهم ، فهذا افتيات على سمعة الأمة وكرامتها. . . فإن فى مصر من الرجال الوطنيين أولى الكفاءة التامة والمقدرة الفائقة فى كل شأن من الشؤون ، إذا أحصوا لبلغ عددهم أضعاف عدد أمثالهم فى الأمم التى حصلت على الحكومات النيابية فى العصر الحديث » (٣) .

ولم تتوقف دعوة الحزب الوطنى إلى الدستور عند حد تدبيج المقالات ونشرها على صفحات « اللواء » فحسب ، بل تجاوزها إلى إعداد عشرات الآلاف من العرائض الموقعة من أبناء الأمة لطلب الدستور ، وقد أقبل الشعب فى العاصمة والأقاليم على توقيع هذه العرائض ، وقام محمد فريد بتقديمها إلى الخديو ، الذى كان قد أبدى فيما سبق ارتياحا لهذا ، ولكنه ما لبث أن رفضه عندما أدرك أن الاحتلال لا ينظر إليه بارتياح (٤) .

وقد تغير موقف « المؤيد » تجاه المطالبة بالدستور ، متبعا فى ذلك الخديو ، فبينما كانت « اللواء » والصحف فى مصر والحزب الوطنى فى هذا الوقت يدعون إلى قيام حكومة نيابية ، أخذ الشيخ على يوسف يدعو فى « المؤيد » إلى اشتراك مصر فى مجلس المبعوثان العثمانى (٥) .

(١ ـ ٣) اللواء ، عدد ٢٦٣٢ ، ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٦ هـ ، ٢٨ أبريل ١٩٠٨ م .

(٤) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

(٥) محمد سعد إبراهيم : الرافعى صحفيا ودوره فى الحركة الوطنية ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ص ١٢٧ .

وقد انبرى للرد عليه فى « اللواء » أمين الرافعى ، حيث هاجم هذه الفكرة وبرهن على أنها تسلب مصر كل حقوقها ، فضلا عن أنها منافية لطلب الاستقلال ، والمطالبة بالدستور وطالب أن يكون لمصر دستور خاص يضمن استقلالها ويدبر مصالحها (١) .

ويدعو أيضا محمد فريد أثناء خطبة له بالأسكندرية ـ فى تياترو زيزينيا ـ الأمة المصرية إلى بذل الجهود ومضاعفتها ؛ لنيل الحياة النيابية ، تشبها بما حدث فى تركيا ، وينادى بالتمسك بمبدأ الجلاء ، ويستنكر دعوة الأحزاب الأخرى إلى الاكتفاء بطلب الإصلاح من الحكومة الإنجليزية ، مناديا بجعل الأستانة كعبة المصريين السياسية (٢) .

وكان من نتائج هذه الدعوة التى شملت جميع أنحاء القطر المصرى ، أن قامت المظاهرات من الطلبة تناشد الحكومة الدستور (٣) ، وامتدت هذه المظاهرات إلى مدينة طنطا ، حيث نظم طلبة المدارس مظاهرة فى نوفمبر ١٩١٠ م ، عندما وقف القطار الذى يحمل الخديو عباس الثانى بالمحطة ، وقد ارتفع صوت الطلبة عاليا بمطالبته بالدستور ، وألقى القبض على بعضهم ، وطرد آخرون من مدارسهم .

وقد قام أمين الرافعى بالدفاع عن هؤلاء الطلبة ، وإثبات براءتهم والاحتجاج على مسلك الحكومة حيالهم بمقالات شديدة اللهجة فى « اللواء » مما أثار الرأى العام على الحكومة (٤) .

كما انضم الأزهر للحركة الوطنية يندد مع المتظاهرين بحكم الخديو الاستبدادى وأعوانه (٥) .

وأمام ضغط الصحافة اضطر الخديو إلى إصدار ما يسمى « بالقانون النظامى » فى عام ١٩١٣ م ، وألغى مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، وجعل محلها الجمعية التشريعية ، ولم يحقق هذا النظام الجديد للشعب رغباته فى إقامة حكومة دستورية صحيحة ؛ لأن الجمعية التشريعية لم يكن من حقها محاسبة الوزراء على نحو ما يحدث بالفعل فى أوربا (٦) .

لذلك فقد هاجم أمين الرافعى فى « الشعب » هذا النظام قائلا : « إن القانون

---

(١) اللواء ، عدد ٢٦٢٥ ، ١٩ أغسطس ١٩٠٨ م ، د . عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية ، جـ ٧ ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٥٩م ، ص ٨٨ .

(٢) اللواء ، عدد ٢٧٢٨ ، ١٦ أغسطس ١٩٠٨م .

(٣) محمد صبيح : كفاح شعب مصر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٣٢ .

(٤) محمد سعد إبراهيم : الرافعى صحفيا ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

(٥) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٦) د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية جـ ٧ ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٥٩م ، ص١٠٨ .

النظامى الجديد عدل نظام الانتخابات ومنح الجمعية التشريعية حق التقنين ـ التشريع ـ فى مسائل محصورة ، وأباح لها مناقشة مشروعات القوانين ثلاث مرات ، ولكنه فيما عدا ذلك وقف بالهيئة الجديدة حيث كانت الهيئات القديمة ، بل رجع بها إلى الوراء فى بعض الشؤون بأن حرم عليها الخوض فى مسائل لم تكن محرمة عليها ، وخول الحكومة حق حل هذه الهيئة ، إذا لم توافق على القانون فى المرة الثالثة . . . ولا جرم أن الجمعية التشريعية بمقتضى هذا الحكم أصبحت أكثر خضوعا لسلطة الحكومة من مجلس الشورى والجمعية العمومية » (1) .

ولم تستمر هـذه الحملة التى حملت لـواءها « المؤيد » و « اللواء » و « الشعب » أيضا ـ عن إعلان الدستور ، وإقامة حياة نيابية سليمة فى البلاد ، ولكنها بلا شك قد أحيت هذه الفكرة فى الأذهان إلى أن تتهيأ الفرصة لحصول البلاد على الدستور .

ويـلاحظ أن الصحافة الإسلامية المتخصصة لم تشارك فى الدعوة إلى إقامـة حياة نيابية ، فلم نعثر خلال رجوعنا إلى هذه الصحف على ما يشير إلى ذلك .

وزارة بطرس غالى وصحافة الاتجاه الإسلامى :

عهد الخديو عباس فى ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ م إلى بطرس باشا غالى بتأليف وزارة جديدة خلفا لوزارة مصطفى فهمى التى تولت الحكم فى البلاد منذ سنة ١٨٩٥ م (2) .

ولم تأخذ الصحف الإسلامية موقفا معاديا لهذه الوزارة فى بادئ الأمر ، فمحمد فريد رئيس الحزب الوطنى يعلن رأيه فى الوزارة الجديدة على صفحات « اللواء » قائلا : « اختار سمو الأمير سعادة بطرس باشا غالى لرئاسة الهيئة الحكومية الجديدة ، ووافقه المعتمد البريطانى بعد استشارة نظارة خارجية إنجلترا على ما يقال ، ولم يختره سموه إلا لثقته به وخبرته له السنين الطوال ؛ إذ كان يعتمد على سعادته فى حل كثير من المشكلات التى كانت تقع بين سموه ، وبين اللورد كرومر . ونحن لا نبدى رأيا فى سعادة الرئيس الجديد ، بل نجتهد فى نسيان ماضيه ، ونأمل أن يمحو بخدماته الجديدة ما نقش فى الأذهان من تأثير أعماله الماضية ، ونحكم على أعماله فى المركز الجديد » (3) .

ولكن « اللواء » أحست بخطر هذه الوزارة ، وأدركت أن هذه مؤامرة لضرب الحركة الوطنية ، فبدأت تهاجم رئيس الوزراء ، فكتب على فهمى مقالا بعنوان : « هل تنسى دنشواى » ، هاجم فيه بطرس غالى ، وذكره بموقفه المخجل فى هذا الحادث ، حيث كان رئيسا للمحكمة المخصوصة التى حاكمت أهل دنشواى ، وكان وقتها ناظرا للحقانية (4) .

---

(١) الشعب ، عدد ٥٧٩ ، ٢ يناير ١٩١٤ م

(٢) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

(٣) اللواء ، عدد ٢٨٠٢ ، ١٤ نوفمبر ١٩٠٨ م .

(٤) اللواء ، عدد ٢٨٠٣ ، ١٥ نوفمبر ١٩٠٨ م .

وكتب الشيخ عبد العزيز جاويش فى « اللواء » أيضا يعدد مخاطر تأليف مثل هذه الوزارة ، فذكر :

أولا : إن هذه الوزارة لا تختلف عن سابقتها فى شيء .

ثانيا : إن هذه الوزارة تعد إساءة لمشاعر المسلمين .

ثالثا : إن هذا الاستياء ربما يستمر فى المستقبل .

رابعا : مضى على بطرس غالى ١٦ عاما وهو فى الوزارة ، فلم يظهر ما يدل على انتظار الخير منه ، فهل يتوقع أن يبدأ الإصلاح ، وقد بلغ من الكبر عتيا .

خامسا : سيرجع الوزراء إلى عادة المراوغة ، حتى تأتيهم الأوامر من لندن (١) .

ويهاجم إسماعيل شيمى الخديو والوزارة الجديدة فى « اللواء » قائلا : « لقد أصدر الاحتلال حكمه علينا وأمن الخديو على ما فعل ،ووزارة الوفاق قد تألفت ، فلا مناص من ذلك التنفيذ ، فلنجتمع صفا واحدا ولنشيع الحرية فى نعشها (٢) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مهاجمة « اللواء » لبطرس غالى لا ترجع إلى كونه نصرانيا ، فقد كان تعيينه فى هذا المنصب ضربا لمشاعر المصريين جميعا من ميل إلى موالاة الاحتلال والتعاون معه ، فهو الذى وقّع على اتفاقية السودان ١٨٩٩م عندما كان ناظرا للخارجية فى وزارة مصطفى فهمى ، تلك الاتفاقية التى قررت الحكم الثنائى فى السودان ، وجعلت للإنجليز اليد العليا فى إدارة السودان (٣) .

فضلا عن ذلك ، فإنه الذى ترأس المحكمة المخصوصة التى حاكمت أهل دنشواى .

وكان نتيجة لهذه الحملة التى شنتها « اللواء » - بالإضافة إلى صحف الحزب الوطنى ضد وزارة بطرس غالى ، وسياسة الخديو الرامية إلى الاتفاق مع الإنجليز ضد مصالح الأمة - أن فكر الإنجليز باتفاق مع الخديو فى إرجاع قانون المطبوعات الصادر فى عام ١٨٨١م . وقد كلف بطرس غالى فى تنفيذ هذه الفكرة لتحاسب الصحف بمقتضاه (٤) .

وقد أثارت فكرة الرجوع للعمل بقانون المطبوعات ثائرة الصحافة كلها ، وكان فى مقدمة هذه الصحف « اللواء » ، حيث قاد الشيخ جاويش حملة على هذا القانون ، وحذر الحكومة من سوء عاقبة تطبيقه قائلا : « ما الذى ذكرك أيتها الحكومة بقانون ١٨٨١م المقيد لحرية الصحافة شر تقييد ؟ أتخافين أن يثور الناس عليك لسوء تصرفك

---

(١) اللواء ، عدد ٢٨٠٤ ، ١٦ نوفمبر ١٩٠٨ م .

(٢) اللواء ، عدد ٢٨٠٥ ، ١٧ نوفمبر ١٩٠٨ م .

(٣) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية من ١٩٠٧ - ١٩١٤ م ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(٤) د .خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة في مصر ١٨٩٨ - ١٩٢٤م ، القاهرة :الوعى العربى ، ١٩٧٢م، ص ١٥٤ .

واستهزائك بهم فى كثير من المواقف ؟ لو كان هذا هو الذى ذكرك بذلك القانون لكان أول ما يجب عليك أن تتناسيه ، وألا تخرجيه لنا اليوم فى مجموعات قوانينك ولوائحك الدورية حتى ساورت قلوبنا الظنون ، وقلنا : إنما هى فتنة وخبط فى السياسة أو هو انتحار » (١) .

ثم تشتد « اللواء » فى حملتها عندما أذيع عن تنفيذ هذا القانون بالفعل ، فيكتب الشيخ جاويش مناجيا قلمه : « أيها القلم ، لو كنت سيفا لأغمدتك فى صدور من يحاربونك ، أو سهما لأنفذتك إلى أعماق قلوبهم ، ولو كنت جوادا لوجدت لك فى ميادين النزال مجالا للكر والفر ، ولكنك ذلك العود الذى أيسر ما ينال من عدوه أن يعالجه بالمبراة فيشققه ، أو بالأصابع فيكسره ويحطمه » (٢) .

ويكتب إسماعيل شيمى مقالا بعنوان : « تقييد حرية الصحافة » شغل صفحة كاملة فى « اللواء » ، هاجم فيه الاحتلال والحكومة لسياستها الجديدة فى تقييد حرية الصحافة (٣) .

أما جريدة « المؤيد » فقد تظاهرت بالحزن على اعتبار أنها كانت أكثر الجرائد تعرضا لعسف القانون خلال الفترة السابقة من تطبيقه عام ١٨٩٤ م (٤) ، ولكنها سرعان ما تكشف عن رأيها الحقيقى ، وهو تأييدها لهذا القانون ، حيث نشرت رسالة بعنوان : « محب الحرية » يقول فيها صاحبها ، موجها خطابه إلى الشيخ على يوسف مدير تحرير « المؤيد » : « رأيتك تبكى على حرية الصحافة بكاء مرا ، وأنت تعلم أن مثل هذه الحرية لا تستحق أن تنزل لأجلها قطرة واحدة من الدموع ، ولا أن يؤسف على فراقها هذا الأسف العظيم ، فما كانت تلك الحرية إلا سيفا فى يد نحو عشرة من أفراد الصحفيين ، يضربون به رقاب عشرة ملايين ، نحن لا نقول كما يقول أولئك القائلون : إن هلاك الثلثين جائز فى سبيل حياة الثلث الباقى ، ولكن نقول : لا بأس من هلاك واحد لنجاة مليون » (٥) .

وقد نشرت « المؤيد » نص قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ م ، والذى صدر إعادته عن مجلس النظار فى ٢٥ مارس ١٩٠٩ م (٦) .

---

(١) اللواء ، عدد ٢٩١٣ ، ٢٣ مارس ١٩٠٩ م .
(٢) اللواء ، عدد ٢٩١٤ ، ٢٤ مارس ١٩٠٩ م .
(٣) اللواء ، عدد ٢٩١٥ ، ٢٥ مارس ١٩٠٩ م .
(٤) د . خليل صابات وآخرون : حرية الصحافة فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .
(٥) المؤيد ، عدد ٥٧٢٥ ، ٥ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ، ٢٧ مارس ١٩٠٩ م .
(٦) قانون المطبوعات أصدره رشاد باشا فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ م ، عندما كانت الثورة العرابية فى مهدها ، مع جملة من القوانين الاستثنائية فى ظل الأحكام العرفية ، وقد أراد به إخماد الثورة العرابية والقضاء عليها فى مهدها ، وكان هذا القانون يخول وزارة الداخلية حق إنذار الصحف وتعطيلها مؤقتا أو نهائيا دون محاكمة .

وذكرت حيثيات القرار فقالت : وحيث إن الحكومة لم تنفذ منذ عام ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١م ،وحيث إن الجمعية العمومية طلبت من الحكومة فى ٢٦ مارس ١٩٠٢م ردع الجرائد عن تجاوز الحدود ، وعن الفوضى التى وصلت إليها ،أرسل إليها مجلس شورى القوانين طلب مثل هذا فى ٣٠ يونيه ١٩٠٤م ، وحيث إن عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد إلا تماديا فى التصرف والخروج عن الحد ، حتى أدى ذلك إلى شكوى الناس بلسان الجمعية العمومية ، ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التى أضرت بمصالح البلاد ضررا عظيما ، فقد قرر مجلس النظار العمل بقانون المطبوعات الصادر فى ١٩ ديسمبر ١٨٨١م (١) .

وعلى أثر صدور هذا القرار انهالت برقيات الاحتجاج على جريدة « اللواء » تندد بتصرفات الحكومة ، وتحتج على ما أقدمت عليه ، وقد نشرت « اللواء » العديد من التلغرافات الغاضبة ، ونشرت سلسلة من المقالات الشديدة اللهجة بقلم عبد العزيز جاويش، وعبد القادر حمزة ، ومحمد كامل السيوفى (٢) ، كما نشرت العديد من القصائد الشعرية التى تنعى حرية الصحافة فى مصر مثل : قصيدة «إنه محزون» لمحمود رمزى ، وقصيدة «حول حرية الصحافة» . لأحمد محرم ، ونشرت أيضا الهتافات والشعارات التى رددتها المظاهرات العمالية ضد تقييد حرية الصحافة لتحيا الحرية . . . ليحيا العدل . . . ليسقط قانون الصحافة . . . ليسقط الاستبداد (٣) ، وقد عقد المسلمون والنصارى اجتماعا بدار التمثيل العربى لشجب إعادة قانون المطبوعات ، وخطب فى هذا الاجتماع مرقص فهمى مطالبا الأمة بأن يتحدوا ويرفضوا هذا القانون (٤) .

وتتكرر الاجتماعات ويتكرر معها مظاهرات الشعب ، ويصف عبد الرحمن الرافعى إحدى هذه المظاهرات فيقول : « وفى يوم الخميس أول أبريل ١٩٠٩م اجتمع المتظاهرون أيضا بحديقة الجزيرة ، وكانوا أكثر عددا من الاجتماعين السابقين ، إذ بلغوا نحو عشرة آلاف شخص من مختلف الطبقات ، وبعد أن تعاقب الخطباء محتجين على قانون المطبوعات، تحركوا نحو الساعة الخامسة فى شكل موكب هائل اخترق كوبرى قصر النيل، وسار إلى ميدان الأوبرا ، وهناك نشبت معركة حقيقية بين المتظاهرين وقوات البوليس التى كانت بقيادة هارفى باشا حكمدار العاصمة ، فانهال رجال البوليس على المتظاهرين يضربونهم بالعصى الغليظة ، ويدوسونهم بسنابك الخيل ، فأصيب كثيرون منهم ولكنهم ثبتوا للقوات المحيطة بهم ، وجاءت رجال البوليس نجدة من فرسان الجيش منتظرين أوامر الحكمدار ، وأقبلت فرقة المطافئ ، وأخذت تجابه المتظاهرين بمياه مضخاتها ، وساد الهرج

(١) المؤيد ، عدد ٥٧٢٦ ، ٦ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ، ٢٨ مارس ١٩٠٩م .
(٢) اللواء ، عدد ٢٩١٩ ، ٧ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ، ٢٩ مارس ١٩٠٩م .
(٣) اللواء ، عدد ٢٩٢٣ ، ١٠ ربيع الأول ١٣٢٧ هـ ، ١ أبريل ١٩٠٩م .
(٤) اللواء ، عدد ٢٩٢٦ ، ١٥ ربيع الأول ، ١٣٢٧ هـ ، ٦ أبريل ١٩٠٩م .

والمرج فى الميدان ،وأقفلت قهوة النيوبار ، وسائر المحلات التجارية الكائنة بميدان الأوبرا، ثم انتهت المعركة بتفريق المتظاهرين ، بعد أن دامت أربعين دقيقة ، وكانت هذه أول مظاهرة من نوعها اشتبك فيها المتظاهرون ورجال البوليس (١) .

ويرى أحمد شفيق باشا فى مذكراته : أن صدور قانون المطبوعات ، جاء بسبب حدة الصحافة المنتمية للحزب الوطنى ، حيث وصلت إلى « حد رمى الخديو بالخيانة لوطنه ، والاتفاق مع الإنجليز ضد مصالح الأمة ، فضاق سموه ذرعا بهذه الحملات وسلم بالنظرية الإنجليزية فى سن قانون ، بل أضحى هو صاحب الرغبة والسعى فى ذلك فكلف بطرس غالى بالتعجيل فى تنفيذ هذه الفكرة واستقر الرأى على بعث قانون ١٨٨١م لتحاسب الصحافة بمقتضاه » (٢) .

وعلى أثر ذلك القانون تعلن « اللواء » قطيعتها التامة للخديو عباس ، وتنشر قصيدة للشيخ على الغاياتى موجهة إلى الخديو ووزارة بطرس غالى ، يقول فيها :

أعباس هـذا آخـر العهد بيننــــــا	فلا تخشى منـا بعد ذلك عتـابـا
أيرضيـك فينـا أن نكـون أذلــــة	ننال إذا رمنـا الحيـاة عقابـــا
ألا أمطر الله الـوزارة نقمــــة	ولا بلغت مما تـروم مرامــــا
تحـاول أن تقضى علينـا بإثمهـا	ولكن ستلقى دون ذلك أثامـا
جنى ما جنى فى دنشواى وغيرها	ولم يكفه حتى استحل حراما (٣)

وقد بدأت الحكومة تتعقب جريدة « اللواء » حتى تردد أن الحكومة تفكر فى إغلاق « اللواء » ، فتعلق « لابورص اجبسيان » الفرنسية على هذا الخبر محذرة الحكومة من أن تتخذ مثل هذه الخطوة فتقول : « إن إقفال « اللواء » فيه خطر عظيم ، فإذا أقفلت أكبر جريدة إسلامية بفعل هذه الوزارة ـ وزارة بطرس غالى ـ فإن ذلك لا يلبث أن يستعمله أعداء الحكومة ، ورئيس الوزراء فى أغراضهم هدفا ، وإن منزلة « اللواء » فى قلوب الأهالى والناشئة والموظفين أنفسهم هى أكبر مما يتوهمه أعداؤه » (٤) .

ولكى يتجنب الحزب الوطنى تعقبات الحكومة لجريدته « اللواء » ، حاول أن يحصل الشيخ جاويش على الجنسية الفرنسية ، ولكنه فشل فى ذلك ، فأوعز إلى الدكتور منصور

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الإخلاص والوطنية ، ط ٢ ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ١٩٤٨ م ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٢) أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧٤ .
(٣) اللواء ، عدد ٢٩٨٧ ، ٢٧ مارس ، ١٩٠٩م .
(٤) اللواء ، عدد ٢٩٨٣ ، ١٣ يونيه ١٩٠٩م ، نقلا عن : سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ١٥٧

رفعت أن يحصل على الجنسية الأمريكية ، وأصبح رئيسا لتحرير « اللواء » ومدير سياسته المسؤول ، بدلا من الشيخ جاويش ، وذلك اعتبارا من ٩ مارس ١٩٠٩م ، ولكن هذا لم يُعْفِ « اللواء » من تعقبات الحكومة ، وكانت مقالة الشيخ جاويش عن ذكرى دنشواى هي القشة التى قسمت ظهر الجمل ، والفرصة التى انتهزتها الحكومة لتقديم الشيخ جاويش إلى النيابة ، بتهمة إهانة كل من بطرس غالى ، وفتحى زغلول ، والقذف فى محمد يوسف المحامى (١) .

وتم الحكم عليه بحبسه ثلاثة شهور فى ٢٥ أغسطس ١٩٠٩م بمقتضى قانون المطبوعات ، وبناء على هذا القانون أيضا أنذرت « اللواء » فى العام نفسه ، وحبس محمد فريد ستة أشهر لكتابته مقدمة « ديوان وطنيتى » الذى نظمه الشيخ على الغاياتى ، كما صودر الديوان ، وحبس الشيخ جاويش ثلاثة أشهر ؛ لأنه كتب مقدمة أخرى لهذا الديوان ، وعطلت « اللواء » نهائيا فى أغسطس ١٩١٢م (٢) .

وظل هذا القانون سيفا تستغله الحكومة للفتك بالصحافة الحرة والآراء الجريئة حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، وإعلان الحماية على مصر ، وفرض الرقابة على الصحف فى ظل الأحكام العرفية .

مد امتياز قناة السويس :

بعد أن أصدرت وزارة بطرس غالى ـ بإيعاز من الاحتلال البريطانى ـ قانون المطبوعات ، شهدت مصر أخطر مشروع استعمارى ، وهو مشروع مد امتياز قناة السويس ، وكان هذا الامتياز قد منح فى ١٨٥٦م للشركة التى كونها « فردينان دليسبس » الفرنسى لكن المستشار المالى البريطانى للحكومة المصرية ـ بإيعاز من حكومته ـ اقترح مده لمدة أربعين سنة أخرى ، تبدأ من عام ١٩٦٨م وتنتهى فى عام ٢٠٠٨م ، وذلك فى مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ، تسدد على أربعة أقساط سنوية (٣) .

وكانت « اللواء » فى مقدمة الصحف التى نبهت إلى خطورة هذا المشروع ، ولفتت الأنظار إلى أنه سوف يضع أرواح المصريين بين يدى الاحتلال البريطانى ، فكتب عبد العزيز جاويش مقالة فى « اللواء » تحت عنوان : « روح المصريين بين مخالب الإنجليز مستقبل قناة السويس » استعرض فيها تاريخ قناة السويس فقال : « أول ما أنشئت قناة السويس كانت لمصر نصف أسهمها والنصف الآخر لفرنسا ، ولكن أبى تصرف ولاة

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ .

(٢) د . عمر الدسوقى : فى الأدب الحديث ، جـ ٢ ، ط ٧ ، مرجع سابق ، ص ٧٣ ، وعبد الرحمن الرافعى: محمد فريد رمز الإخلاص والوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) د . أحمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ، و د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

الأمور فى مصر ، إلا أن يفرطوا فى ذلك الكنز الذى لا يفنى ، والعين التى لا يغيض ماؤها ، بدنانير صرفوها فى سبيل مقاصدهم وبذخهم الوبيل ، نسى أولئك الولاة أن تلك القناة سخر فى حفرها الآلاف المؤلفة من أهل هذا البلد ، لا مأجورين ولا مرحومين ، ولكن مذللين معبدين ، نسى أولئك أن أول قرض استدانته مصر فى أوربا كان لسبب تلك القناة ، وأنهم بذلك وضعوا الحجر الأول للذلة والمسكنة ، وتقوية الأمم الأجنبية فى هذه البلاد » (١) .

وتبين « المؤيد » أهمية قناة السويس الاستراتيجية والمالية لمصر ، وتنوه أن الأسهم التى اشترتها إنجلترا من الخديو إسماعيل بأربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات أصبحت تجنى منها أكثر من مليون من الجنيهات فى كل عام ، عدا المزايا السياسية التى لا تقدر ، وقد أصبحت هذه الأسهم تقدر بمبلغ ٢٩ مليون جنيه (٢) .

وقد كانت حكومة بطرس غالى ومن ورائها المستشار المالى الإنجليزى والعميد الإنجليزى ، قد وافقت على فكرة مد الامتياز ، ولكنها أبقتها فى طى الخفاء حتى يتسنى تنفيذها دون التعرض لاحتجاجات الصحف الوطنية (٣) .

وقد أتيح لمحمد فريد أن يحصل على الوثائق التى تثبت هذه المؤامرة التى دبرها الاحتلال ، فبدأ حملته فى « اللواء » ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩م تحت عنوان : « مسألة قناة السويس ـ اعتبارات سياسية » هاجم هذا المشروع مبينا مضاره من الناحية الاقتصادية والسياسية قائلا : « أربعون سنة جديدة بعد انتهاء الاستعمار ١٩٦٨م فى مقابل أربعة ملايين من الجنيهات تدفعها الشركة للحكومة ، كيف يجوز لهذه الحكومة أن تتساهل فى أمر إطالة أمد الشركة ، مع علمها أن هذه القناة سبب فى ضياع مستقبل مصر ، وكل مصرى يتوقد لأنه يراها ملكا لمصر ، ولا يبقى لأوربا وجه التدخل فى أمورنا ، خصوصا وأن لإنجلترا ما كان لمصر فيها من الأسهم وهى تبلغ ثلث المجموع . إن فائدة هذه الإطالة المادية والسياسية تعود على إنجلترا ؛ إذ تصبح صاحبة القول فى القناة لمدة مائة سنة ، تبتدئ من الآن وتنتفع بفائدة سهومها طول هذه المدة » (٤) .

فضلا عن ذلك فقد طالب الجرائد الوطنية جميعها عن أن تتحد فى الدفاع عن مصلحة البلاد وخاصة هذه المسألة ؛ لأنها من المسائل الحيوية ، والأمة تنتظر من الوزارة ألا تتساهل فيها (٥) .

---

(١) اللواء ، عدد ٢٩٩٤ ، ٢٦ يونيه ١٩٠٩م .
(٢) المؤيد ، عدد ٤٥٤٢ ، ١٣ صفر ١٣٢٣ هـ ، ١٨ أبريل ١٩٠٥م .
(٣) سالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .
(٤ ، ٥) اللواء ، عدد ٣١١٥ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩ م .

وتشترك « المؤيد » فى الحملة على الحكومة ، وتذكرها أن هذا المشروع فيه غبن على البلاد ، وتذكرها أيضا بتلك الحكومة الماضية التى فتح هذا القنال فى عهدها ، وما حدث لها من الغبن والخسارة ، والذكرى غير الحسنة ، مطالبة الحكومة برفض ما يعرض عليها من الشروط ، فإنه لم يأت الوقت المناسب لهذا التجديد « وإذا لم يكن للجمعية العمومية ولا لمجلس شورى القوانين حق المناقشة فى المسألة لضيق نطاق اختصاصها . فهذا لا يمنع الأمة ، وهى صاحبة الحق بالمطالبة . . . وقد أجمعت صحف القطر ، واتحدت أحزاب مصر ، مطالبة بإيقاف تجديد أمد الامتياز على هذه الصورة ؛ لإجحافه بحقوق البلاد » (١) .

وفى مقال آخر نشرت « المؤيد » مذكرة مستشار المالية على مشروع قناة السويس ، ثم نشرت أيضا سلسلة مقالات بعنوان : « امتياز أو احتكار أو هما معا » ، ناقشت فيها هذه القضية من الوجهة السياسية والمالية والاقتصادية ، وما لهذا المشروع من ضرر على البلاد ومصلحتها المستقبلية (٢) .

وقد استمرت « المؤيد » و « اللواء » تنشر المقالات اللاذعة التى تندد بهذا المشروع ، وتنقد الحكومة ، وتبين ماله من أضرار جسيمة تعود على البلاد فى حاضرها ومستقبلها ، فلم تجد الحكومة إزاء هذه الحملات بدا إلا أن تعرض المشروع على الجمعية العمومية ، فانبرت « المؤيد » بمقال بعنوان : « كلمة إلى رجال الجمعية العمومية على صفحتها الأولى تحملهم المسؤولية فى بحث هذا الموضوع الخطير فقالت : « نعم كل هذه المسؤولية واقعة على عاتق رجال الجمعية العمومية ، وليس فقط فى هذه المسألة الخطيرة التى نعتبرها حياة الأمة المستقبلية ، بل وفوق كل ما يتعلق بحياتها الحالية التى هى الضمانة الوحيدة للمحافظة على كيان البلاد فى جميع أدوار حياتها » (٣) .

وتذكر « اللواء » أن الأمل معقود فى هذه المسألة على الجمعية العمومية ، فتقول : « لقد فطنت الأمة ـ بحمد الله تعالى ـ إلى ما وراء الأستار ، وعلموا أن الحكومة البطرسية لا تفضل الحكومة الفهمية فى شىء ، وأنه لا ملجأ للأمة إلا الله ونوابها ؛ لهذا قصروا وجهاتهم إلى أعضاء الجمعية العمومية ، وألقوا بآمالهم إليهم ؛ فأعضاء الجمعية الآن هم معقد الآمال ، ومطمح الأنظار ، ولقد بشرتنا بوادر الجدال فى الجمعية وطلائع المناقشة بين الحكومة والنواب ، بأن النصر سيكون فى جانب الأمة ، فى جانب المصلحة، فى جانب الحق » (٤) .

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٩٠٥ ، ١٧ شوال ١٣٢٧ هـ ، ٣١ أكتوبر ١٩٠٩ م .
(٢) المؤيد ، عدد ٥٩٠١ ـ ٥٩٠٥ ، ١٧ شوال ١٣٢٧ هـ ، ٣١ أكتوبر ١٩٠٩ م .
(٣) المؤيد ، عدد ٥٩١٠ ، ٢٢ شوال ١٣٢٧ هـ ، ٥ نوفمبر ١٩٠٩ م .
(٤) اللواء ، عدد ٣١٩٥ ، ١١ فبراير ١٩١٠ م .

وليس من شك فى أن صوت الصحافة هو الذى حدا باللجنة المتفرعة عن الجمعية العمومية إلى وجوب رفض هذا المشروع بإجماع الآراء (١) .

وقد حدد جلسة مناقشة المشروع ٤ فبراير ١٩١٠ م، فتولى سعد زغلول وزير الحقانية آنذاك الدفاع ، واستمر النقاش حتى يوم ٧ أبريل ، حيث قررت الجمعية رفض المشروع بإجماع الأعضاء ، ما عدا مرقص سميكة والنظار (٢) .

وقد أثارت موافقة سعد زغلول على القيام بهذا الدور عجب الكثيرين (٣) ، ويعلل العقاد موقف سعد زغلول بأنه اشترط على الحكومة شرطا قبل موافقته على القيام بهذا الدور ، وهو أن تخول الجمعية الرأى القاطع فى الموضوع دون مخالفة فى قرارها واعتبر ذلك مكسبا دستوريا كبيرا (٤) .

وبعد أن رفض الموضوع من قبل الجمعية العمومية قامت « المؤيد » بتهنئة الجمعية على موقفها من المشروع ، الذى جاء نتيجة لبحث شامل لكل أطرافه (٥) .

وهكذا كان للصحافة الإسلامية الفضل فى إيقاف تنفيذ مشروع مد أمد امتياز قناة السويس .

الفتنة الطائفية وصحافة الاتجاه الإسلامى :

وحينما اشتد ساعد الصحافة الإسلامية وعلا صوتها فى المطالبة بالدستور والاستقلال، واستطاعت الحركة الوطنية من خلال الصحافة أن تحرز نصرا فى قضية مد امتياز قناة السويس ، أدرك الإنجليز مبلغ الخطر الذى يمكن أن يتعرضوا له من جراء تلك الحركة وأرادوا أن يقتلوها فى مهدها ، فلم يجدوا أمامهم سوى أن يفرقوا بين أبناء الوطن الواحد ، وينفثوا سمومهم فى جسم هذه الأمة ، ويوهموا الأقلية بأن لا حياة لها إلا فى ظل الاحتلال البريطانى ، فهو الذى يحميها من خطر الأكثرية ، ويضمن لها حقوقها ، فإذا انقسمت الأمة إلى فريقين انشغل كل فريق بمحاربة الآخر ، وانصرفوا جميعا عن المطالبة بالاستقلال والجلاء ، وعلى هذا الأساس يضمن الإنجليز البقاء لهم فى مصر (٦) .

وقد وجد الإنجليز فى بعض النصارى من يعينهم على تنفيذ مخططهم ، الرامى إلى إحلال الشقاق والتفرقة بين عنصرى الأمة محل السلام والوئام ، واتخذوا وسيلتهم إلى

(١ ، ٢) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .
(٣) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .
(٤) عباس محمود العقاد : سعد زغلول سيرة وتحية ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .
(٥) المؤيد ، عدد ٦٠٣٣ ، ٩ يناير ١٩١٠ م .
(٦) نصر الدين عبد الحميد نصر : مصر وحركة الجامعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٥ ، و أنور الجندى: الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

هذا الغرض صحيفتين نصرانيتين هما : صحيفة « الوطن » التى قد عطلت ، ثم أعيد إصدارها عام ١٩٠٠ م على يد رجل نصرانى يسمى جندى إبراهيم ، وصحيفة « مصر » التى صدرت عام ١٨٩٥ م لصاحبها تادرس بك شنودة المنقبادى (١) .

وتؤرخ صحيفة « الشعب » لهاتين الصحيفتين فتقول عن صحيفة الوطن : « إنها جريدة احتلالية أكثر من « المقطم » ، حتى كانت تدعو الإنجليز لضم مصر إلى المستعمرات الإنجليزية ، ورفع الراية عليها ، مستعملة فى ذلك سماجة لم تصل إليها جريدة من قبل، ولا يخلو عدد من أعدادها من طعن فى المسلمين ، أو إيلام لعواطفهم ، وهى أول من أحدث الشقاق بين المسلمين والأقباط (٢) ، أما جريدة « مصر » فهى قبطية بمعنى الكلمة واحتلالية بأوسع من ذلك ، ومن مناقبها أنها وضعت عريضة وقدمتها للوكالة البريطانية تثبت فيها باسم الطائفة القبطية أن الدستور ضار بمصر وغير مفيد ، وقد أنشأت هى و « الوطن » القيرياقصية فى إنجلترا بمساعدة القسس البروتستانت وبأموال الأقباط لمقاومة المسلمين وهى لا تنظر لأى مشروع إلا من الوجهة القبطية المحضة ، حتى أنها جندت قانون المطبوعات عند صدوره لما علمت أن المقصود به الجرائد الإسلامية» (٣) .

وقد بدأت هاتان الصحيفتان « الوطن » و « مصر » منذ عام ١٩٠٨ م تقودان حملة صحفية هاجمتا فيها الإسلام ، وأثارتا العداوة والبغضاء فى المطالبة بحقوق أساسها التعصب الدينى (٤) .

وقد شجع الإنجليز رجلا قبطيا يسمى أخنوخ فانوس على أن ينشئ هيئة سماها : « مجتمع الإصلاح القبطى » وجعل وظيفتها إشعال روح الفرقة والخصومة بين العنصرين فى جميع جهات القطر ، وضرب الحركة الوطنية فى مصر . وقد رد عليه أحد النصارى ويدعى ويصا واصف بكلمة نشرت فى « اللواء » حذر فيها النصارى من الانضمام إلى هذا الحزب العميل فقال : « تشكلت جمعية سميت بمجتمع الإصلاح القبطى فانتخب لها رئيس الطائفة الإنجيلية أخنوخ فانوس ، ثم دعا إلى الانتظام فى سلكها ، فسألناها ما غرضك وإلى شئ ترمين ؟ إن كنت حزبا سياسيا فنحن لك أعداء؛ لأن السياسة يجب أن تكون بعيدة عن الدين ، وقد وصلنا ـ والحمد لله ـ إلى أن جميع الأحزاب السياسية

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة ، قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٤ ، ود . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، مرجع سابق ، جـ١، ص ١١٠ ، وسالم قنبير: الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

(٢) كلمة « قبطى » فى الأصل تطلق على كل مصرى ، سواء أسلم أو ظل على نصرانيته فإطلاقها على النصارى خطأ شائع مقصود !

(٣) « الشعب » ، عدد ١١٩ ، ٨ مايو ١٩١٢ م .

(٤) د . عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٤ ، وأنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

المصرية جعلت قاعدتها الأساسية التميز بين الدين والسياسة ، فلا معنى لوجود حزب سياسى قبطى ، فأجابت بأنى بعيدة عن السياسة ، والغرض من تشكيلها إصلاح الشؤون الطائفية ، بدليل أن كثيرين من أعضائى موظفون عموميون ، فاعترضنا عليها اعتراضا وجيها ؛ إذ قلنا لها: إن للأقباط المصريين ثلاث طوائف : إحداها : أرثوذكسية ، والثانية: بروتستانتية ، والثالثة : كاثوليكية ، فإصلاح أى طائفة تقصدين وأنت تقولين: إن بين أعضائك الأرثوذكسى ورئيسك بروتستانتى ؟! فلم تجبنا على هذا الاعتراض . إن مجتمع الإصلاح هذا اسم على غير مسمى؛ لأنى لا أحسب حسابا لبعض خدمة السكة الحديد ، الذين لم يدخلوا فيه إلا لعلمهم طبعا بأن المسائل السياسية محرمة على المجتمع، يعنى مجتمع الإصلاح » [1] .

ثم يشير إلى عمالة هذا الحزب للإنجليز فيقول : « إننا نعلم وعقلاء الأقباط يعلمون أن أعضاء مجتمع الإصلاح يقومون اليوم بنفس المناورة السياسية التى قام بها وحيد وحزبه ، « حزب الإصلاح الحر » الموهوم من قبل ، تنفيذا لإرادة كرومر ، وقد تبرأ الأقباط من هذا الحزب ، الذى لا يعمل إلا لمصلحة الإنجليز» [2] .

وقد وجهت « الوطن » رسالة إلى الخديو والحكومة ورجال الاحتلال تطالبهم برفع التميز الكائن بين المسلمين والأقباط [3] ، فيرد عليها ويصا واصف برسالة موجهة إلى الأمة القبطية نشرت فى « اللواء » يقول فيها : « أخاطب الأمة القبطية وأقول لها : مجتمع الإصلاح القبطى يرأسه أخنوخ فانوس ، وماضيه ينفر منه جميع المسلمين ، فهو أول من اخترع لفظ التعصب الدينى ، فأوجد البغضاء بين عنصرى الأمة » [4] .

وبالطبع كان لابد من توقع رد الفعل ضد ويصا واصف ، فنشرت « الوطن » العديد من المقالات تتهمه فيها بالخيانة ، وأنه الذى أقامته أمة النصارى لينوب عنها ، ويدافع عن حقوقها ، ويدفع عنها الذئاب المفترسة ، فينقلب عليها ، ويكون عونا لخصومها ومساعدا لمقاومتها [5] .

كما انهالت برقيات النصارى فى « الوطن » يهاجمون فيها ويصا واصف ويحتجون على ما يكتبه فى « اللواء » ويؤيدون فيها « مجتمع الإصلاح » الذى أسسه أخنوخ فانوس[6] ، ولكن بعض النصارى ردوا على ذلك بنشر التلغرافات فى « اللواء » يعتذرون

(١) اللواء ، عدد ٢٦٦٥ ، ٥ جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ ، ٤ يونيه ١٩٠٨ م .
(٢) العدد السابق نفسه .
(٣) الوطن ، عدد ٤٠٧٣ ، ٦ يونيه ١٩٠٨ م .
(٤) اللواء ، عدد ٢٦٦٧ ، ٨ جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ ، ٧ يونيه ١٩٠٨ م .
(٥) الوطن ، عدد ٤٠٧١ ، ٤ يونيه ١٩٠٨ م .
(٦) العدد السابق نفسه .

فيها عن هذا التصرف الهمجى من بعض صغار النفوس ، ويأملون فى إصلاح القلوب [1] .

وقد بدأت « اللواء » ترد على « الوطن » وعلى أخنوخ فانوس ، فنشرت مقالة بعنوان : « صعاليك الأقباط » تقول فيها : « إن جريدة « الوطن » بلغ من عدائها لنا وحقدها علينا أنها اختارت الاحتلال على الاستقلال ، والموت على الحياة ، والذل على العزة ؛ لكى لا يتمتع المصريون يوما بنعمة الاستقلال . . . إننا نعتقد أن أخنوخ فانوس دسيسة مدسوسة علينا من الاحتلال ، ولن ننسى أنه أول من نادى على صفحات «المقطم» بأن المسلمين متعصبون تعصبا دينيا ، وأنه اتبعنا بحقده وانتقامه إلى حد صيحته الأخيرة التى يرمى بها نزع الوظائف من المسلمين ، وتقليدها للإنجليز » [2] .

وتهاجم جريدة « الوطن » زعيم الحزب الوطنى وأعضاءه ، وتقلل من قدره فى نظر الرأى العام قائلة : « إن الواجب علينا أن نحذر الناس ، ونفهمهم أن هذا الحزب الوطنى الذى يرأسه البيك المذكور (محمد فريد) لم يكوَّن إلا من أعضاء قلائل ، وأن المصريين العقلاء المشتغلين بالسياسة يأسفون أشد الأسف على الحركة التى يدير دفتها أولئك الأعضاء المهيجون » [3] .

ولا تتورع عن أن تصف زعماء الحركة الوطنية فى مصر ـ منذ الحركة العرابية حتى الوقت الحاضر (١٩٠٨م) ـ بأبشع الألفاظ فتكتب تحت عنوان : « الحركة العرابية » فتقول : « إن الذين جاؤوا بعد الحركة العرابية ، وأهمهم مصطفى كامل باشا تلقوا دروسهم على أساتذة الفتنة ، فقد كان مصطفى رفيقا لعبد الله النديم ، وملازما له ملازمة التلميذ لأستاذه ، حين كان النديم يطبع مجلة « الأستاذ » ومصطفى يطبع «المدرسة » فى مطبعة المحروسة فالحركة إذن واحدة ، ومصدرها واحد فى الحالتين ، ولكن الحركة السابقة نمت وتجسدت لأن زعماءها انتهزوا فرصة ما كان فى الجيش من ضعف [4] . وهذا يؤكد ما ذكرته جريدة « الشعب » من أن هذه الصحيفة احتلالية أكثر من « المقطم » .

ولم تكن زعامة الحزب الوطنى فى ذلك الوقت تريد أن تدخل فى خلافات فرعية ، تصرفها عن المهمة الأساسية فى جهاد الاحتلال ، فقد فطنت أن مثل هذه الخلافات لا تعدو أن تكون فخا ينصبه لها الاحتلال ، فلزمت « اللواء » الصمت أمام حملات جريدتى

---

(١) اللواء ، عدد ٢٦٧٠ ، ١١ جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ ، ١٠ يونيه ١٩٠٨ م .
(٢) اللواء ، عدد ٢٦٧١ ، ١٢ جمادى الأولى ، ١١ يونيه ١٩٠٨ م .
(٣) الوطن ، عدد ٤٠٧٠ ، ٣ يونيه ١٩٠٨ م .
(٤) الوطن ، عدد ٤٠٧٧ ، ١١ يونيه ١٩٠٨ م .

« الوطن » و « مصر » النصرانيتين [1] .

وحينما تولى الشيخ جاويش رئاسة تحرير « اللواء » استقبلته الصحف النصرانية استقبالا سيئا ، فنشرت الوطن مقالا تحت عنوان : « العسكرى والجاويش » ، زعمت فيه أن هناك خلافا بين الشيخ جاويش وعلى فهمى كامل وكيل الحزب الوطنى [2] .

ولم تقف صحف النصارى عند حد الهجوم على الحزب الوطنى وزعمائه ، بل تعدت ذلك إلى الهجوم على العقيدة الإسلامية ، وتطرفت فى الطعن على مقدسات المسلمين [3] ، فيكتب فريد كامل - أحد النصارى - فى صحيفة « الوطن » تحت عنوان : « الإنسانية تتعذب » جاء فيه : « إذا رجعت إلى تاريخ الإسلام فى عهد زهوه وعزه وعظمته ومجده وأردت أن تستخرج من الدفائن المكنونة سر ذلك العز الخابى وسبب تلك العظمة البالية ، وكشف مواطن الرجال الذين قاموا بالفتوحات ، واطلعت على دخائل وخفايا القلوب والسرائر فى تلك الأيام الماضيات ، لعرفت أن الأثرة هى التى أراقت الدماء ، وأن الأنانية هى التى أزهقت الأرواح ، وطوحت بالمهج الغالية فى هوة البوار ، ولأدركت أن الاعتزاز بالقوة ، والاستهتار بالضعف هما الحجران اللذان بنى عليهما ما يسمونه مجد الإسلام » [4] .

وكان لواقع هذا المقال أثر بالغ السوء على نفوس المسلمين ، فانبرى الشيخ جاويش للرد على هذا بمقال أشد منه قسوة بعنوان : « الإسلام غريب فى بلاده » يقول فيه: « أتت جريدة « الوطن » أول أمس بجريرة عظيمة ضاعفت بها سخط الناس عليها ، فلقد لوثت فى ذلك اليوم صفحاتها بما اعتادت أن تلوث به وجهها كل يوم من قاذورات المطاعن ، وأدران المثالب، جاءت بتلك المقالة لذلك الكويتب الذى شهر بنفسه كل التشهير، بما سجل عليها من الجهل بالتاريخ، والكفران بنعمة الإسلام عليه وعلى أسلافه، إذ لو كان الإسلام على ما جاء فى تلك المقالة ما سمح لفريد كامل وصاحب « الوطن» أن ينتقلا من أصلاب إلى أرحام، حتى تظهر فى هذا الزمن بأرواح شيطانية تتقمصها أجسام بشرية» [5] .

ويلاحظ أنه فى هذا المقالة لم يحمل الكاتب على المسيحية كدين ، إنما حمل على النصارى كأفراد ، وهذا انطلاقا من فهمه للإسلام الذى يحترم الأديان .

ثم يذكر النصارى بفضل الإسلام ، وأنه الذى انتشلهم من أيدى الرومان بعد أن استعبدوهم سنين طويلة ، وهم كالأنعام تتداولهم الأيدى بالاستخدام ، والألسن

---

(١) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .
(٢) الوطن ، عدد ٤٠٧٧ ، ١١ يونيه ١٩٠٨ م .
(٣) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والاجتماعية والفكرية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .
(٤) الوطن ، عدد ٤٠٨٠ ، ١٥ يونيه ١٩٠٨ م .
(٥) اللواء ، عدد ٢٦٧٦ ، ١٧ يونيه ١٩٠٨ م .

بالسب ، والأرجل بالضرب ، فيقول : « رميتم بأنفسكم فى أحضان الإسلام فحقن دماءكم ، وذاد عن حياضكم ، ولو كان الإسلام كما ذكرتم لسحقكم سحقا ، ومحقكم محقا ، ولذر بقايا رفاتكم فى الهواء ، وطهر الأرض المصرية من طلعتكم السوداء ، ولاستأصل ألسنتكم ، فلا تنطقون ، وفرى أصابعكم فلا تكتبون ، ولكن قبلتم عهده فآواكم وأخذكم بذمته وأيدكم بنصره ، وألحقكم بأهله ؛ إذ جعل لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، ثم أباح لكم أن تتولوا تدبير أحكامكم والقضاء فيما بينكم ، إلا إذا تراضيتم أن ترفعوا بعض شأنكم إلينا مختارين أحكامنا ، راضين قضاءنا ، فكيف إذن تتعذب الإنسانية - كما تقولون أيها الأغبياء - بين أناس ذلك دينهم الذى يدينون به ، وشرعهم الذى يعملون بـه ؟ أقمتم فى أحضان الإسلام زهاء ثلاثة عشر قرنا ، يعلمكم وينميكم حتى ازداد عددكم ، وامتلأت بالمال خزائنكم ، ولو كنتم عشتم ربع هذا مع الإنجليز لألحقوكم بالجنس الأحمر فى أمريكا ، أو الصنف الأسمر فى أستراليا ، فكنتم اليوم كالحيوانات العجم فى الفيافى والقفار ، ترعون الكلأ وتأوون الكهوف . . . لعلكم رأيتم المحتلين على دينكم فأردتم أن تبيعوا بلادكم وذممكم ، وتلقوا بأيديكم إليهم ليقطعوا تلك الأوصال التى ارتبطنا بها القرون العديدة ، كذلك فليفعل الخونة المارقون » [1] .

أثارت مقالة الشيخ جاويش عاصفة من احتجاجات الصحف النصرانية كان الاحتلال يؤجج نارها ، وحاول الشيخ جاويش أن يقنع بعض النصارى أنه لم يهاجم عقيدتهم ولكن دون جدوى ، وطفقت تنشر المقالات المليئة بالطعن والسباب لزعماء الحزب الوطنى وعلى رأسهم الشيخ جاويش ، وكذلك المسلمين بأساليب فاقت مقالة الشيخ جاويش فى العنف والإثارة [2] .

وحسما لهذه الفتنة التى أطلت برأسها وربما لا يحمد عواقبها ، سعى عقلاء الأمة من الفريقين لوضع حد لهذه الخصومة التى لا تعود على أحد بالفائدة ، فانعقدت اللجنة الإدارية للحزب الوطنى فى ٢٠ يونيه ١٩٠٨ م ، وأصدرت قرارا جاء فيه : « حيث إن عقلاء العنصرين أظهروا استعدادهم للاتفاق وأنهم لا يجدون محلا للمناقشات الداخلية بين عنصرى الأمة ، الأمر الذى يمقتونه من أعماق قلوبهم ، فبناء على ذلك يعلن الحزب الوطنى الأمة المصرية على اختلاف أديانها أنه لا يوجد شقاق بين عنصريها ، وأن كل جريدة وشخص مهما كان دينه يثير الخواطر بنشر الطعن على الأديان ، أو على أى عنصر من عناصر الأمة هو وحده المسؤول عن عمله ، فهو لا يعبر إلا عن فكره الخاص ، والحزب الوطنى كما هـى مبادئه يمد يده لجميع المصريين من أقباط ومسلمين وإسرائيليين ،

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ ، وسالم قنيبر : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

ويدعوهم إلى الانضمام للمطالبة بحقوق الأمة من مغتصبيها ويرجو الجميع أن يغلق هذا الباب » [(١)] .

وبذلك استطاع الحزب الوطنى أن يرأب الصدع ، وبوقف هذه الفتنة بمجهود العقلاء من الطرفين والحريصين على وحدة الأمة وعدم انقسامها ، ولكن هذا لا يخدم مصالح الإنجليز ، فعملوا على خلق المنازعات بين الطرفين مرة أخرى ، فقاموا بتعيين بطرس غالى رئيسا للوزراء فى ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ م [(٢)] .

وكان هذا تصعيدا جديدا لسياسة التفرقة بين المسلمين والنصارى وزيادة شكوك المسلمين تجاه النصارى؛ حيث إن بطرس غالى لم يكن محبوبا من المصريين مسلمين ونصارى ، فقد كانوا يعتبرونه خائنا ؛ لأنه الذى أمضى ذلك الاتفاق الذى أقطع به إنجلترا نصف حقوق مصر فى السودان ، كما أنه ترأس فيما مضى قضية دنشواى ، وباشر إجراءاتها [(٣)] ، فضلا عن ذلك فهو الذى وافق على المشروع الخاص بمد امتياز قناة السويس ، فعادت الفتنة إلى ما كانت عليه [(٤)] .

يقول الدكتور إبراهيم عبده : « وتتحمل « الوطن » و « مصر » وزر العودة إلى الموضوع ، كما تتحمله أيضا الصحافة الإسلامية والوطنية ، فقد كان اتجاهها إسلاميا محضا ، حتى الصحف التى صدرت معارضة للحركة الوطنية وموالية أشد الولاء للاحتلال ، جعلت أسس حياتها الأولى الناحية الإسلامية » [(٥)] .

ومع ذلك فقد توقف « اللواء » منذ أواخر شهر يوليو ١٩٠٨ م عن مجاراة صحف النصارى ، وصبت كل جهودها فى القضية الوطنية ، وصاحب ذلك انشغال النصارى فى حل خلافاتهم الداخلية ، وفتر معه هجوم الجرائد النصرانية على المسلمين والحركة الوطنية ، غير أنه ببروز مشروع مد امتياز قناة السويس عادت « الوطن » و « مصر » تزعمان باضطهاد النصارى ، وأنهم مغبونون فى الوظائف الإدارية ، فاشتد الخوف بالناس من جراء هذه الحركة ، ولكن بطرس غالى كان يطمئنهم بأنه مالك لزمام الموقف ، وقد أنذر صحيفة « الوطن » إذا لم تكف عن هذا التهييج [(٦)] .

---

(١) نصر الدين عبد الحميد نصر : مصر وحركة الجامعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٣) مصطفى النحاس جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ ـ ١٩١٤م ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م ، ص ١٠٧، وأنور الجندى: الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

(٤) د . عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٥) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٦) مصطفى جبر : سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ ، ود. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، مرجع سابق ، جـ١، ص ١١٣ ، وسالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

وقد حدثت فترة من الهدوء فى هذا الحين لم تستمر طويلا ، إذ أقدم أحد الشباب المنتمين إلى الحزب الوطنى ويسمى إبراهيم الوردانى على قتل بطرس غالى رئيس الحكومة أثناء عرض مشروع مد امتياز قناة السويس على الجمعية العمومية فى فبراير ١٩١٠ م ، وقد كان لهذا الحادث أثره فى تطور العلاقة بين المسلمين والنصارى وبرزت الفتنة سافرة مرة أخرى (١) .

وقد ثارت الصحف النصرانية وانضمت إليها الصحف البريطانية بفضل الدعاية التى قام بها هناك شاب نصرانى يدعى قيرياقص ميخائيل ، ولكن كما أثار هذا الحادث اهتمام الصحف النصرانية ، فقد أثار أيضا اهتمام الصحف الإسلامية ، واشتركت « المؤيد » و«اللواء » و « العلم » و « الأهالى » من الناحية الإسلامية ، و « الوطن » و « مصر » من الناحية النصرانية (٢) .

وقد رددت الصحف النصرانية أن الدافع لقتل بطرس غالى هو دافع التعصب الدينى، وأنه لم يقتل إلا لأنه نصرانى ، واتهموا الحزب الوطنى وصحفه بأنه الذى هيج الرأى العام عليه ، بكتابته واحتجاجاته على معاهدة ١٨٩٩ م ودنشواى وقانون المطبوعات (٣) .

ويشير إلى ذلك رشيد رضا فى مقال له نشر فى « المؤيد » بعنوان : « المسلمون والقبط » قائلا : « إنه بعد مقتل بطرس غالى ثارت ثائرة أقباط مصر فطفقوا يكتبون ويستكتبون بعض المتعصبين من المشاركين لهم فى الدين باتهام المسلمين بالتعصب الدينى ، وجعل الجناية اعتداء من الدين الإسلامى على الدين المسيحى وأهله ؛ لاعتقادهم أن هذا هو محل الضعف من المسلمين ، وموضع التأثير فى تهييج الإنجليز وسائر الأوربيين » ، ثم يدحض اتهامات النصارى فى أن الدافع لهذه الحادثة التعصب الدينى ، ويبين أسباب القتل وهو ما صرح به القاتل من أن المقتول جان على وطنه بوفاق السودان ، ومحكمة دنشواى المخصوصة من قبل ، وأنه يريد أن يجنى عليه الآن بمشروع قناة السويس ، ثم عرض لمساوئ بطرس غالى ، وأن المسلمين يحفظون عليه أمورا كثيرة فى الاهتمام بطائفته وتقديسها ، ومع ذلك كان آمنا فى سربه ، عزيزا فى قومه ، محترما من المسلمين ، يزوره حتى كبار علمائهم ، ورجال الدين فيهم . . . ولم يقصر المسلمون فى مشاركتهم فى كل شىء ، من تشييع الجنازة ، وتأبين الفقيد ورثائه ، بما لم يرثوا ولم يؤبنوا بمثله وزيرا مسلما من قبله (٤) .

وترد « اللواء » على تلك الصحف التى أكثرت من اتهام المسلمين بالتعصب الدينى

---

(١) د . زكريا سليمان بيومى : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧ .
(٢) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .
(٣) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ١، ص ١١٥ .
(٤) المؤيد ، عدد ٦٣١١ ، ١٠ ربيع الأول ١٣٢٩ هـ ، ١١ مارس ١٩١١ م .

قائلة : « لو أردنا أن نثبت فى هذه الجريدة ما وردنا من الرسائل التى تعد بالآلاف ردا على أعداء مصر الحقيقيين ، لاستنفدنا صحف شهر قبل أن تنفد ، غير أننا نقول لهؤلاء الذين يدعون الغيرة على مصالح مصر ، وأنهم أبناؤها الصميميون : إن التعصب الدينى لا يوجد إلا فى رؤوسهم ، وإن المسلمين المصريين لمن أكرم الهيئة البشرية نفوسا ، وأقربهم إلى الصلة والدعة والتسامح ، يشهد بذلك التاريخ وهو خير الشاهدين » (١) .

وتؤكد أن الدافع لارتكاب الوردانى قتل بطرس غالى دافع سياسى ، وليس له علاقة بما أشاعته صحف النصارى من أن الدافع لذلك التعصب الدينى (٢) .

وعندما طالبت الصحف النصرانية « مصر » و « الوطن » بعدم منح المصريين الدستور ،والالتجاء إلى الدول الأوربية للنظر فيما آلت إليه أحوالهم (٣) ، بحجة أن الدستور ضار بهم ، وخطر على وجودهم الذاتى ، تنشر « المؤيد » سلسلة من المقالات ترد بها على افتراءات « مصر » و « الوطن » بعنوان : « الدستور فى نظر الأقباط » تقول: « كنا نظن أن هذا الرأى تنفرد به جريدة « مصر » فإذا بجريدة « الوطن » تعضدها فى ذلك ، ولولا العلم بأن رأى أكثرية عقلاء هذه الطائفة يخالف رأى هاتين الجريدتين ، لقلنا : إن الطائفة القبطية تشق نفسها على المسلمين فى مصر ، إن جريدتى « الوطن » و«مصر» تخطئان خطأ عظيما بإسنادهما للطائفة القبطية مقاومة المسلمين فى طلب الدستور ، بعلة أن هذا الدستور يكون نقمة على الأقباط ، بقدر ما يكون نعمة على المسلمين» ، ثم تبين أهمية الدستور ، وكيف أنه طريق إلى جلاء الإنجليز عن مصر ، فتقول : « إن الدستور فى كل الأمم لا يخص فريقا ، ولا طائفة ولا دينا ولا مذهبا ، ولكنه سبيل رقى الأمم وسياج سعادتها ، ووسيلة توحيد كلمتها الكبرى» (٤) ، « إن الإنجليز لا يجلون عن مصر بغير اختيارهم إلا مرغمين ، وهذا الإرغام لا يكون إلا بقوة قاهرة ، وهذه القوة غير متوافرة لدينا الآن ، إنما توجد إذا ملكنا إدارة شؤون البلاد بأيدينا ، وكان لنا دستور ضامن لهذه الملكية ،وعرفنا كيف ننتهز فرص المستقبل » (٥) .

وتتهم « المؤيد » « مصر » و « الوطن » بتأجيج نار الفتنة بعد مقتل بطرس غالى بين المسلمين والنصارى ، وأنهما « ولوعتين بذكر أخبار السوء بين المسلمين والأقباط ، وفى كل ما تنشران تلقيان التهم السيئة والمسؤولية على المسلمين ، كأنه لا يوجد قبطى يخطئ ،

(١ ، ٢) اللواء ، عدد ٣٢٠٩ ، ١ مارس ١٩١٠ م .

(٣) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١١٦ .

(٤) المؤيد ، ١٠ رجب ١٣٢٧ ، ٢٧ يوليه ١٩٠٩ م .

(٥) المؤيد ، عدد ٥٨٥٩ ، ١٩ شعبان ١٣٢٧ هـ ، ٥ سبتمبر ١٩٠٩ م .

ومسلم يصيب ، توجه كلتاهما التهم الشائنة على المسلمين كل يوم فى شرق البلاد وغربها ، كأنهما لا تريدان إلا أن تحملا الأقباط على السخيمة والحقد على المسلمين » .

وعندما تطلب هاتان الجريدتان مؤازرة الأوربيين ، والانتصار للأقلية النصرانية تناقشهما « المؤيد » قائلة : برغم « أن مصالح الطرفين مشتركة لكن لا تنسى الجريدتان أن المسلمين هم المكونون للأكثرية العظمى فى البلاد ، وليس من قوة فى الأرض تستطيع أن تدوس حقوق هذه الأكثرية ، كى تعلو عليها الأقلية» ، ثم تحذرهما من العواقب الوخيمة التى من الممكن أن تنتج من جراء هذه المهاترات ،« فالأوربيون لا يقدرون بحال من الأحوال أن يهضموا حقوق المسلمين لمحض الانتصار للنصارى ، ولكن بذور الشر التى تبذر بين العنصرين تأتى بالنتائج السيئة لهما ، وتحيق فى النهاية بمن يأتى من قبله الشر أكثر ؛ لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه» [1] .

وترد « المؤيد » على افتراءات صحافة النصارى وطعناتهم فى العرب والإسلام ، وتفند ما تعزوه إلى المسلمين من إراقة الدماء فى الفتح الإسلامى ، فنشرت مقالة شديدة اللهجة تحت عنوان : « المذبحة الكبرى » ١٠٠٠٠٠ قبطى ذبيح ، بينت فيها فضل الإسلام عليهم ، وأنه الذى خلصهم من المظالم والاضطهادات الواقعة عليهم ، ومنع عنهم تلك المذابح والفظائع الهائلة ، التى لو استمرت قليلا لقضت عليهم ، فالإسلام جعلهم يتمتعون بمزايا الحرية الدينية والشخصية ، مقارنة بين حال النصارى فى الإسلام وحالهم قبله فتذكر: « أنه لاختلاف المذاهب بين القس أونيكل ، الذى يقول : إنه ليس فى المسيحية إلا طبيعة واحدة ، ومادة واحدة ، وإرادة واحدة ، مع مذهب نسطوريوس ، الذى اعتنقه ريوسور بطريق الإسكندرية ، عزله مجمع كالدوان ، راجيا بذلك القضاء على مذهبه ، فثارت من أجل ذلك الخواطر ، ورأى المجمع أن يتدخل فلم يدع أباطرة الرومان وجها من وجوه الضغط إلا استعملوه ؛ لحفظ وحدة الكنيسة وصدر أمرهم بتقرير أصول المجمع الكلدوانى بالقوة ، وأرسلوا من القسطنطينية إلى القاهرة بطارقة ومطارنة وقضاة ومحافظين ، وطردوا الأقباط من جميع الوظائف المكتبية والعسكرية ، وذبح منهم ١٠٠٠٠٠ قبطى ، لمجرد رفضهم الاعتراف بمجمع كالدوان ، فلم ير الأقباط بدا من النجاة ، فهرب بعضهم إلى الوجه القبلى ، وهاجر بعضهم من أوطانهم إلى بلاد المغرب طلبا للتسامح الدينى الذى لم يجدوه عند أهل ملتهم » [2] .

وعلى هذا النحو راحت الصحافة النصرانية تكيل التهم للصحافة الإسلامية ، وتقدح فى الإسلام والمسلمين ، وراحت الصحف الإسلامية ، ترد على افتراءاتهم ومزاعمهم ، حتى نشط فريق من النصارى فى الدعوة إلى عقد مؤتمر الأقباط فى أسيوط ، وذلك بعد

(١) المؤيد ، عدد ٥٨٥٩ ، ١٩ شعبان ١٣٢٧ هـ ، ٥ سبتمبر ١٩٠٩ م .
(٢) المؤيد ، عدد ٦٢٥٤ ، الأحد ٣٠ من ذى الحجة ١٣٢٨ هـ ، ١ يناير ١٩١١ م .

أن فشلت المساعى الحميدة التى قام بها بعض العقلاء من النصارى والمسلمين ، مثل: إسماعيل أباظة وواصف غالى ، فى التوفيق بين الطرفين . وقد رفضت الحكومة الموافقة على مثل هذا المؤتمر لما فيه من إثارة الخواطر ، ولكنها وافقت فى النهاية أمام إلحاح النصارى فى داخل البلاد وخارجها ، وتم انعقاد المؤتمر فى يوم الأحد ٥ مارس ١٩١٠م، بدعوة من مطران أسيوط وبرئاسة بشرى حنا بك ، واستمرت جلساته إلى يوم الأربعاء ٨ مارس ١٩١٠ م [١] ، وتلخصت مطالب النصارى فيما يأتى :

١ ـ جعل يوم الأحد عطلة بجانب الجمعة .

٢ ـ تكون قاعدة التوظيف هى الكفاءة وحدها .

٣ ـ وضع نظام لمجالس المديريات يكفل للنصارى تمتعهم بالتعليم ، حتى لا يقتصر التعليم على الدين الإسلامى وحده فى المدارس الأولية .

٤ ـ وضع نظام يكفل تمثيل كل عنصر مصرى فى المجالس النيابية .

٥ ـ جعل الخزينة العمومية مصدرًا للإنفاق على جميع المرافق المصرية [٢] .

وقد اعترضت « المؤيد » على مطالب النصارى فى مؤتمرهم ، واعتبرت هذا إهانة للمسلمين وتمزيقا للوحدة الوطنية ، فقالت : « جم الأقباط المكيال من دعاويهم ، وأطفحوا الكأس بشكاويهم ، ورموا المسلمين فى مؤتمرهم الأسيوطى رميا لم يكن بالمرضىّ بهؤلاء ولا المنصف لأولئك ، وإنما هى المناحس تحل بهذا الوطن الأسيف فتفرق بين أهله وتجعلهم شيعا » [٣] .

وأنكرت ما يطالب به النصارى من تعليم دينهم فى مدارس الحكومة ، حيث قالت : « أما الذى لا يوزن بميزان العقل ، ولا يقاس بمقياس المصلحة ، ولم ينص به مشروع ولا قانون ولم يقل به فيلسوف ولا مجنون ، ولم تفعله حكومة من حكومات الأرض ، فهو ما يطالب به مؤتمر القبط الحكومة المصرية ،حكومة شكلها إسلامى ،حاكمها العام مسلم، تعترف الدول كلها أنها تحت سيادة خليفة المسلمين ، رعيتها أكثر من تسعة أعشارهم من المسلمين ، والباقون لهم عدة أديان ومذاهب ، تطالب هذه الحكومة بأن يدرس فى مدارسها دين غير دين الحاكم والسواد الأعظم من هذه البلاد »، ثم تستدل على ذلك بما هو قائم فى روسيا، فرغم « أنه فيها أكثر من عشرين مليون مسلم، وفيها كثير من اليهود، ولا يلقن فى مدارسها سوى المذهب الأرثوذكسى ؛ لأنه دين الحاكم والأغلبية » [٤] .

(١ ، ٢) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية فى مصر ، مرجع سابق ،ص ١٤٦ ، و د . محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١١٧ .

(٣) المؤيد ، عدد ٣٦١٢ ، ١١ ربيع الأول ١٣٢٩هـ ، ١٢ مارس ١٩١١ م .

(٤) المؤيد ، عدد ٦٣٢١ ، ٢٢ ربيع الأول ١٣٣٩ هـ ، ٢٣ مارس ١٩٢٠ م .

وظلت « المؤيد » تندد بالنصارى فى سلسلة مقالات ، من ذلك : « يظلمون ويظلمون » [١] ، « مطالب المسلمين الحقة » [٢] ، ولا شك أن المؤتمر القبطى قد قوى فكرة الجامعة الإسلامية فى النفوس ، فعلى أثر انعقاد هذا المؤتمر طالعتنا « المؤيد » بمقال تنادى فيه بالاعتصام بالجامعة الإسلامية فقالت : « لا يفلح المسلمون إلا إذا اعتصموا بجامعتهم الإسلامية ، وعملوا بما علموا من جلائل الحكم الدينية ، وكان كل واحد منهم لأخيه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، إن لم يكن طاعة لما فى الحديث فليكن تقليدا للأمم الغربية فى تناصرها ، أو تشبها بالقبط الذين أرونا فى مؤتمرهم فى أسيوط أبهر مظهر من مظاهر استمساكهم برابطة الوحدة القومية ، وانعطاف بعضهم على بعض بعاطفة الأخوة الدينية » [٣] .

وتفند دعوى النصارى فيما زعموا من الانفراد بالكفاءة فى الوظائف من المسلمين ، وبذلك يكونون أحق بالوظائف من المسلمين ، فقالت: « إنها قصة خيالية ساقوها بين أيدى الناس ، وأحاطوها بما شاؤوا من كلمات مزخرفة ، ليحجبوا عن البصائر نور الحقيقة ، فيقع فى نفوسهم أنهم طلاب حق » ، ثم تذكر أن للمسلمين ماضيا مجيدا خلدته التواريخ فى بطونها ، يشهد بكفاءة المسلمين فى مختلف المجالات ، وأن ما يدعيه النصارى من كفاءة هى دعوى بغير دليل ، ثم بينت ما للمسلمين من فضل فى مجال العلوم والفضائل ، وتتعجب كيف يحدث هذا من النصارى ؟ وأن يذهلوا عن فضل المسلمين ، وهم ينطقون بلغتهم ، ويأخذون من آدابهم ما يعلمون به كيف يقرؤون ويكتبون [٤] .

وقاومت « المؤيد » أيضا دعوة التعصب التى رمى بها النصارى المسلمين ، وذكرت أن هذا التعصب الذى رمى به المسلمون ليت الله يحققه ، ليت الله يعصب المسلمين ويجمعهم على كلمة واحدة [٥] .

ثم تبرهن على أن النصارى هم المتعصبون وليس المسلمون ، وإلا فمن الذى أسمع الصحافة الإنجليزية من وراء البحار شكاويهم ومظالمهم ؟ لتستنقذ الإنجليز النصارى لنصرة إخوانهم النصارى المصريين ، ومن الذى حرك الكنائس الإنجليزية حتى نطقت ألسنتهم بالعطف والحنان على النصارى ؟ ومن الذى حرك لسان النائب النصرانى فى مجلس العموم سائلا وزير الخارجية عن صحة النصارى وسلامتهم فى مصر؟ إن التعصب هو الذى عمل كل هذه الأعمال الشنيعة . إن ما فعله النصارى من الفظائع الإنسانية فى

---

(١) المؤيد ، عدد ٦٣٢٣ ، ٢٤ ربيع الأول ١٣٢٩هـ ، ٢٥ مارس ١٩١١ م .
(٢) المؤيد ، عدد ٦٣٢٥ ، ٢٦ ربيع الأول ١٣٢٩هـ ، ٢٧ مارس ١٩١١ م .
(٣) المؤيد ، عدد ٦٣٢٩ ، ٢ ربيع الأول ١٣٢٩ هـ ، ١١ أبريل ١٩١١ م .
(٤، ٥) المؤيد ، عدد ٦٣٤٠ ، ١٦ ربيع الثانى ١٣٢٩ هـ ، ١٥ أبريل ١٩١١ م .

مسلمى الأندلس ، وما فعلوه أيضا فى الحروب الصليبية ، إنما هو من آثار التعصب النصرانى على المسلمين (١) .

كما عارضت مطلب النصارى فى جعل يوم الأحد عطلة النصارى ، وقالت : « إن الدافع إلى ذلك هو الطمع فى انتهاز فرصة الاحتلال المسيحى لإبطال التقاليد الإسلامية ، والاستهانة بالأكثرية المسلمين » ، ثم ترد مزاعمهم بأن هذا إلغاء لدينهم قائلة : « إن الإنجليز والفرنسيين والطليان الموظفين فى الحكومة يشتغلون يوم الأحد ويبطلون يوم الجمعة ، ولم نسمع إلى اليوم أنهم تركوا دينهم ولم يطلبوا من الحكومة أن تعفيهم من العمل يوم الأحد » (٢) .

كما نددت « الهداية » أيضا بهذه الحركة النصرانية التى أسسها أخنوخ فانوس أكبر دعاة الفتنة ؛ فكتب الشيخ جاويش مقالة تحت عنوان : « علام هذه الضجة؟ » هاجم فيها المؤتمر القبطى ، وندد بتلك المطالب التى نادى بها النصارى (٣) .

واستنكرت الصحافة الإسلامية ـ على اختلاف مشاربها ـ هذه الحركة النصرانية ، الأمر الذى كان له رد فعل من الصحافة النصرانية ،فتطالعنا صحيفة « الوطن » بمقال تحت عنوان : « أيها القارئ المحترم » هاجمت فيه الصحافة الإسلامية بأقذع الألفاظ ، فقالت: « اقرأ « الأهالى » أسبوعا برمته ، ولو ثقل عليك الأمر ، وكان ذلك الأسبوع أطول عليك من العصر الحجرى ، واقرأ جريدة « العلم » أسبوعا آخر متصبرا متجلدا ، ولو أن قراءة « العلم » تهيج الأعصاب ، وتذهب بصبر الصادقين ،واقرأ « المؤيد » الدنس النجس يومين فقط ، فإننا لا نستحل أن نكلفك قراءته أكثر من يومين ، خوفا على صحتك وآدابك ، اقرأ هذه الجرائد كما قدمنا ، وإذا كنت أيوبا جديدا ، ولك صبر البطارقة الأولين فطالع أعداد « اللواء » السقيم و « مصر الفتاة » الغليظة ، والجريدة الجامدة ، وإذا كنت مخاطرا براحة بالك وبسعة صدرك إلى حد الجنون فى المخاطرة ، فاقرأ مجلة « المنار » واكتف بمقالة واحدة منها ، فإنك لا تقدر على حمل الجبال كلها فوق كتفيك ، وربما أصابتك أعراض الكوليرا من إسهال ، قبل أن تعمل برجائنا ، فإن قراءة هذه السماجات والسخافات ليست من الهنات الهينات » (٤) .

وليس من شك فى أن الخلاف الصحفى بين الصحافة الإسلامية والنصرانية كان عاملا من العوامل التى أدت إلى عقد المؤتمر القبطى الذى عقد فى أسيوط (٥) ، وكذلك

(١ ، ٢) المؤيد ، عدد ٦٣٤٣ ، ١٩ ربيع الثانى ١٣٢٩ هـ ، ١٨ أبريل ١٩١١ م .

(٣) الهداية ، عدد ٣ ، م ٢ ، مارس ١٩١١ م

(٤) الوطن ، ٢٧ يونيه ١٩١١ م .

(٥) د . إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ . .

نشط الدعوة لعقد مؤتمر عام للرد على هذا المؤتمر النصرانى وبحث ما يشكو منه النصارى ودراسته ، وبيان ما فيه من أوجه الخروج عن المعقول (١) .

وقد عقد المؤتمر المصرى فى مصر الجديدة فى ٢٩ أبريل ١٩١١ م ، وظل منعقدا حتى ٤ مايو ١٩١١ م (٢) ، واعترض أحد الكتاب على تسميته، وقال : كان من الأجدر أن يسمى بالمؤتمر الإسلامى ، وقد ردت « المؤيد » على هذا القول بأن مصر بلد إسلامى ومعظم سكانها مسلمون ، والأمة المصرية هى أمة إسلامية (٣) .

وقد حرصت الحكومة على ألا يأخذ هذا المؤتمر الطابع السياسى ؛ ولذلك فقد كانت هناك اتصالات سرية بين رياض باشا ـ الذى رأس هذا المؤتمر ـ ووزير الداخلية لمنع مناقشة أى مشاكل سياسية ، وأيضا كانت هناك مراجعة للكلمات التى ألقيت فى المؤتمر من رياض باشا نفسه (٤) .

ورغم أن هذا المؤتمر قد وضع حدا للخصومة القائمة بين المسلمين والنصارى وكان تنفيسا عن الكره الدفين بين الطرفين (٥) ،إلا أنه يلاحظ أن قرارات المؤتمر القبطى والمؤتمر المصرى الإسلامى قد خلت من الإشارة إلى موضوع الاحتلال أو الدستور ، وجاء هذا دليلا على نجاح غورست عميد الاحتلال فى مصر فى التفرقة بين عنصرى الأمة: المسلمين والنصارى ، وعلى نجاح الاحتلال فى السيطرة التامة على الحركة الوطنية حتى أضعفها وكاد يقضى عليها (٦) .

وتعود جريدة « الوطن » النصرانية فتكتب سلسلة مقالات بعنوان : « مصر للمسيح » ، و انبرت « المؤيد » للرد عليها بكتابة سلسلة مقالات بعنوان : « مصر لمحمد ﷺ » ، دافعت فيها عن الإسلام ضد هذه الجريدة التى تدعو أن تكون مصر للمسيح ، وأعلنت أن الجرائد الدينية النصرانية غرضها وغرض الجمعيات التى تنفق عليها هو جعل مصر نصرانية أو إعادتها إلى المسيح ، وغرضهم من ذلك هو استدرار عطف أولئك المتعصبين لدينهم فى أوربا . . . نحن نقول : « إن مصر لمحمد عليه الصلاة والسلام دينا وسياسة ، وأن صاحب « الوطن » وأعضاء المؤتمر القبطى يتوهمون إذا أقرت أعينهم بضم مصر إلى مستعمرات بريطانيا ، أو جعلتها تحت حمايتها ، ونحن نوقن يقينا لا ظن فيه ولا وهم أن مصر لا تكون للمسيح ، وإن أقر أعينهم بذلك » ، ثم تشير إلى أن فرنسا لم

---

(١) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .
(٢) سالم قنبير : الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .
(٣) المؤيد ، عدد ٦٣١٤ ، ١٣ ربيع الأول ١٣٢٩هـ ، ١٤ مارس ١٩١١ م .
(٤) محمد صابر عرب : الحركة الوطنية فى مصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٨ .
(٥) د . محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣، مرجع سابق، جـ١، ص ١١٩ .
(٦) د . عبد اللطيف حمزة : قصة الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

تستطيع أن تنصر أهل الجزائر ، فإنجلترا أيضا لن تستطيع أن تنصر مصر لأن إسلام أهل مصر مستقر فى قلوبهم ، وليسوا أقل إسلاما من أهل هذه البلاد » [١] .

وفى مقال آخر بعنوان: « مصر لمحمد ﷺ » اتهمت « المؤيد » صاحب « الوطن » بالجنون أن يطمع بأن مصر مسيحية ؛ لأنها أرسخ بلد فى الإسلام وأحفظ للغته وعلومه ، فضلا عن أن مصر بها اثنا عشر مليونا من المسلمين ، ونحو نصف مليون من النصارى، والمسلمون فى نماء مستمر ، وأن النصارى يدخلون فى الإسلام باستمرار» [٢] .

وقد ظل سوء الظن قائما بين الطرفين برغم جهود الكثير من العقلاء من الجانبين للتوفيق ، ولكن هذه الجهود لم يكتب لها النجاح فى ذلك الوقت ولم تلتئم الوحدة الوطنية إلا فى ثورة ١٩١٩م [٣] .

ويقرر الدكتور محمد حسين أن هذه الوحدة لم تكن إلا ثمرة لجهود المخلصين من النصارى والمسلمين على السواء التى بذلت كل جهد فى رأب الصدع ، وتوثيق الصلات بين الفريقين ، وإزالة الأوهام ، وتصحيح فهم التدين الذى لم يزل الجهل يأخذ بزمامه ، والعصبية العمياء تسيطر على النفوس [٤] .

---

(١) المؤيد ، عدد ٦٥٠٢ ، ٢٣ أكتوبر ١٩١١ م .

(٢) المؤيد ، عدد ٦٥٠٦ ، ٥ من ذى القعدة ١٣٢٩هـ ، ٢٦ أكتوبر ١٩١١ م .

(٣) نصر الدين عبد الحميد نصر : مصر وحركة الجامعة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

(٤) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣، مرجع سابق ، جـ١،ص ١٣٣ .



الفصل الحادى عشر
صحافة الاتجاه الإسلامى والجامعة الإسلامية
والحرب الإيطالية الطرابلسية

أولاً : صحافة الاتجاه الإسلامى والجامعة الإسلامية :

ما كاد القرن التاسع عشر ينتصف حتى زادت سيطرة الغرب النصرانى على العالم الإسلامى ، فاستولى الفرنسيون على الجزائر ، وروسيا على القوقاز ، وبسطت إنجلترا نفوذها على الهند ، الأمر الذى جعل قادة المسلمين يدركون أن الإسلام يحيق به الخطر من جراء انتشار سيطرة الغرب عليه ، وفى غضون ذلك أخذت فكرة الجامعة الإسلامية تنبثق فى الأذهان ، وكان الهدف منها مقاومة الغرب وصده وإيقاف أطماعه (١) .

وقد قامت هذه الفكرة على مبدأين هما : الطرق الدينية الحديثية النظام كالطريقة السنوسية، والدعوة التى قام بها السيد جمال الدين الأفغانى فى مصر قبل الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م (٢) .

وقد نفى جمال الدين الأفغانى من مصر عام ١٨٧٩م بإيعاز من الحكومة الإنجليزية واستقر به المقام فى باريس ، وهناك لحق به تلميذه الشيخ محمد عبده ، بعد أن حكم عليه بالنفى ثلاث سنوات بعد الاحتلال الإنجليزى لمصر ، وفى باريس أخذا يعملان على تنظيم جمعية العروة الوثقى السرية ، والتى كان الغرض منها إثارة الرأى العام فى جميع الأقطار الإسلامية ، ودعوته إلى الاتحاد والتضافر ، وإنقاذ مصر والسودان من أيدى الاحتلال البريطانى ، ثم أصدرا معا صحيفة «العروة الوثقى» لتحمل هذه الأفكار إلى جميع الأقطار الإسلامية (٣) .

وكان ظهور فكرة الجامعة الإسلامية ـ أول ما ظهرت ـ فى الصحافة الإسلامية فى صحيفة « العروة الوثقى » التى أسسها جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، وكانت تصدر من باريس ، ومما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن الاحتلال البريطانى لمصر كان عاملا قويا فى ظهور فكرة الجامعة الإسلامية على صفحات « العروة الوثقى » فقد كتبت تقول فى عددها الأول: « إن الرزايا الأخيرة التى حلت بأهم قطر إسلامى قد جددت الروابط،

---

(١) د . مصطفى رمضان : العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .

(٢) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤، ٢٩٥ .

(٣) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ، مرجع سابق ، جـ١، ص٢٧٤ ـ ٢٨٣ .

وقاربت بين الأقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها ، فأيقظت أفكار العقلاء ، وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم ، مع ملاحظة العلل التى أدت بهم إلى ما هم فيه ، فتقاربوا فى النظر ، وتواصلوا فى طلب الحق ، وعمدوا إلى معالجة الضعف ، راجين أن يسترجعوا بعض ما فقدوا من القوة ، ومؤملين أن تمهد لهم الحوادث سبيلا حسنا ، يسلكونه لوقاية الشرف والدين » (١) .

ويؤكد ما ذهبنا إليه آنفا فى أن صاحب فكرة الجامعة الإسلامية هو جمال الدين الأفغانى ، ما كتبه رشيد رضا فى « المنار » تحت عنوان : « الجامعة الإسلامية وآراء الكتاب فيها » : « إن أول من كتب وخطب فى بيان أحوال المسلمين الاجتماعية ، وتمثيل أمراضهم ، ودلالتهم على علاجها ، وإرشادهم إلى الاتحاد وجمع الكلمة ، حكيم الأمة وفيلسوفها الشهير السيد جمال الدين الحسينى الأفغانى ، فإنه قد وقف نفسه على تكوين ما نسميه اليوم « الجامعة الإسلامية » وكان أكثر سعيه لها من الطريق الأقرب ، طريق تنبيه الحكومات المسلمة المستقلة إلى الاتحاد ، ثم أشرب فى قلبه مذهبه الحكيم الثانى صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية لهذا العهد ... فأنشآ جريدة « العروة الوثقى » لدعوة المسلمين إلى الوحدة الصحيحة وأن يجعلوا إمامهم الأعظم القرآن الكريم، أرشدت هذه الجريدة الملوك والأمراء ـ ولا سيما المختلفين فى المذاهب كأهل السنة والشيعة ـ إلى الاتحاد والاتفاق » (٢) .

ويلاحظ أن جمال الدين الأفغانى كان يقصد بالجامعة الإسلامية أن تكون وحدة المسلمين فى دينهم ، فلم يهدف أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة تحت إمارة خليفة واحد ، وإنما كان المقصد هو تقوية عناصر كل دولة من الدول الإسلامية مع بقاء كل ملك على ملكه ، ويؤكد ذلك جمال الدين فى « العروة الوثقى » بقوله : « لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصا واحدا ، فإنه ربما كان عسيرا ،ولكن أرجو أن يكون سلطانهم جميعا القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه ، يسعى بجهده لحفظ الآخر ، فإن حياته بحياته ، وبقاءه ببقائه » (٣) .

ويؤكد ذلك رشيد رضا فى كتابه « الأستاذ الإمام » قائلا : « أما ما اشتهر عن السيد جمال الدين الأفغانى من كونه يريد بالجامعة الإسلامية أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة ، فلم أره فى شىء من « العروة الوثقى » ولا فى غيرها ، مما كان يرويه عنه الأستاذ الإمام ، وهو أعلم الناس بمقاصده وأعماله » (٤) .

---

(١) العروة الوثقى ، عدد ١ ، جمادى الأولى ١٣٠١ هـ ، ١١ مارس ١٨٨٣ م .
(٢) المنار ، عدد ٢٢ ، م ٢ ، ٥ ربيع الثانى ١٣١٧ هـ ، ١٢ أغسطس ١٨٩٩ م .
(٣) العروة الوثقى ، عدد ٩ ، ٢٥ رجب ١٣٠١ هـ ، ٢٢ مايو ١٨٨٤ م .
(٤) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ، ط ١ ، مرجع سابق ، جـ١، ص ٣٠٧ .

فالمسلمون فى رأى جمال الدين الأفغانى ينبغى ألا يعتقدوا برابطة الشعوب وعصبيات الأجناس ، وإنما يجب أن يرتبطوا بجامعة الدين ، فالعربى لا ينفر من سلطة التركى ، والفارسى يقبل سيادة العربى ، والهندى يذعن لرئاسة الأفغانى ، ولا اشمئزاز عند أحد منهم ، ما دام صاحب الحكم حافظا لشأن الشريعة (١) .

كانت هذه دعوة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده فى « العروة الوثقى » إلى الجامعة الإسلامية والتى دعا إليها العلماء فى أقطار العالم الإسلامى أن يقوموا بها وينشروها فى مساجدهم ومدارسهم ، فهذا جمال الدين الأفغانى يقول على لسان الشيخ محمد عبده : « كان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التى شرفوا بها على لسان الشارع، أن ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية، ويتداركوا الاختلاف الذى وقع فى الملك بتمكين الاتفاق الذى يدعو إليه الدين، ويجعلوا معاقد هذا الاتفاق فى مساجدهم ومدارسهم ، حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطا لروح حياة الوحدة ، ويصير كل واحد منها كحلقة فى سلسلة واحدة ، إذا اهتز أحد أطرافها اضطرب لهزه الطرف الآخر » (٢).

على أنه قيل: إن السلطان عبد الحميد قد استغل فكرة الجامعة الإسلامية لتحقيق مآرب شخصية ، وكان يهدف جمع المسلمين تحت إمرة دولة واحدة هى دولة الخلافة العظمى ؛ لذلك فهناك فرق بين دعوة جمال الدين الأفغانى للجامعة الإسلامية ودعوة السلطان عبد الحميد ، فجمال الدين كان يؤمن بها كعمل فكرى سياسى واسع المدى ، يهدف إلى جمع كلمة العالم الإسلامى وتحريره من الحكام المستبدين ، الذين يحولون دون الالتقاء فى هذه الوحدة (٣) ، أما السلطان عبد الحميد فقد استغل دعوة « العروة الوثقى » إلى الوحدة الإسلامية للأغراض الآتية :

١ ـ إحياء الخلافة العثمانية ، وجمع كلمة المسلمين حولها .

٢ ـ تثبيت سيطرة الدولة العثمانية على الولايات العربية التابعة للدولة .

٣ ـ أن تكون بديلا يواجه به التيار الديمقراطى الدستورى الذى أخذ ينتشر فى الدولة العثمانية .

٤ ـ أن تكون وسيلة للضغط على الدول الأوربية ، عن طريق التهديد بإثارة الشعوب الإسلامية ، الواقعة تحت احتلال هذه الدولة خاصة فى المغرب العربى ، وبلاد

---

(١) العروة الوثقى ، ٢٢من جمادى الأولى ١٣٠١ هـ ، ٢ مارس ١٨٨٤ م .

(٢) العروة الوثقى ، ٢٤ من جمادى الثانية ١٣٠١ هـ ، ١٠ أبريل ١٨٨٤ م .

(٣) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

التتار فى روسيا القيصرية ،وفى الهند وفى مصر أيضا [1].

وتجدر الإشارة هنا أيضا أنه قد التقت وجهة السلطان عبد الحميد وجمال الدين الأفغانى على مقاومة الاستعمار بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، واستثارة شعوب العالم الإسلامى ، فقد كان جمال الدين يرى أن العالم الغربى ـ على اختلاف أممه وشعوبه عرقا وجنسية ـ هو عدو مقاوم للشرق على العموم والإسلام على الخصوص ، فجميع الدول الغربية متحدة معا على الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا [2] .

وعندما أصدر الشيخ على يوسف « المؤيد » سار فى نفس الاتجاه الموالى للجامعة العثمانية ، فكان يدعو إلى توثيق الروابط بين مصر والدولة العثمانية ، وأنه لا حياة للبلاد بدون بقاء الارتباط بالجامعة العثمانية [3].

وقد هاجم الشيخ على يوسف فارسَ نمر الذى هاجم فكرة الجامعة الإسلامية فى «المقطم » [4] ، وحضت « المؤيد » الدول الإسلامية على الاتحاد فى وجه العدوان الأوربى ، الذى بدأ يتغلغل داخل البلاد الإسلامية ، وصارت الدول الأوربية تقسم البلاد الإسلامية فيما بينها قائلة : « فمَنْ للمسلمين بواحد يجمع شتاتهم ، ويوحد كلمتهم ، ويجعلهم كما كانوا أمة واحدة ، ينطبق عليها الحديث الشريف : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص » ؟ بل من لنا اليوم بواحد يصيح بالمسلمين : حى على الاتحاد ، حى على الفلاح؟ » [5].

ثم تنادى باتحاد المسلمين مع الدولة العلية تحت راية السلطان عبد الحميد فتقول : «وصفوة القول : إن الرجاء الوحيد الذى لنا فى ملوكنا وأمرائنا المسلمين أن يتكاتفوا ويتحدوا مع الدولة العلية العثمانية ، مقر الخلافة ودعامة الإسلام ، وهذا ما يدعو إليه الشرع والعقل ، أما الشرع فلأن جلالة سلطان العثمانيين هو خليفة رسول رب العالمين؛ ولذلك وجب الانقياد له ، والطاعة لأمره ، وأما العقل فإن السلطة السنية هى أكبر دولة فى الإسلام ، وأقدرها على حفظ مجده وتعزيز شوكته » [6].

---

(١) د . عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ،مرجع سابق ، ص ٣١ ، د . فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ ، و د . السيد الدقن : دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ، مراجع سابق ، ص ٩٤ .

(٣) « المؤيد » ، ٦ فبراير ١٨٩٢ م .

(٤) د . فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

(٥ ، ٦) المؤيد عدد ٤٤٠٢ ، ٢١ شعبان ١٣٢٢هـ ، ٣٠ أكتوبر ١٩٠٤ م .

ثم تهيب بالمسلمين أن يتحدوا خاصة « أن الدول الأوربية النصرانية تحاول أن تضعف الإسلام بكل الوسائل ، وحكمها حينما تنضم بعضها إلى بعض حكم المقص لا تلتقى شفاه الا على التمزيق »، وتشير أيضا إلى أن إنجلترا وفرنسا تضعان الخطط لنزع الخلافة العثمانية ، ومن ثم « فالمؤيد » تدعو المسلمين إلى الاستيقاظ لحفظ البقية الباقية من أرض المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها (١) .

ولكن يلاحظ أن الشيخ على يوسف قد تغير موقفه بعد ذلك تجاه الجامعة العثمانية ، فلم يعد ذلك الكاتب المتحمس لهذه الفكرة وللدولة العلية أيضا ، وقد اتفق ذلك الموقف الجديد مع بداية عصر الوفاق بين الخديو عباس وسلطات الاحتلال الإنجليزى ، بعد عزل كرومر وتعيين غورست فى بداية ١٩٠٧م (٢) .

ويتضح ذلك فيما ينشر على صفحات « المؤيد » ، فقد نشرت مقالا بعنوان : « رأى عربى فى الجامعة الإسلامية » ـ وهو المسيو شاتليه صاحب مجلة « العالم الإسلامى » الفرنسية ـ فيقول : « إن لفظة الجامعة الإسلامية ، لا تنطبق على المعنى الذى تدل عليه، ولا على شىء موجود ، وما الجامعة الإسلامية فى الواقع إلا حجة يتوكأ عليها من أخفقوا فى سياستهم من الأوربيين ، أو وسيلة لاستدرار الأموال السرية التى تنفقها الخلافة . ففكرة الجامعة الإسلامية لا نجد لها معنى حقيقيا بين المسلمين ، وأنى لهم اليوم أن تنضم كلمتهم ،وهم لم يستطيعوا ذلك منذ ألف سنة ، وغاية ما فى الأمر أن الفتن الداخلية فى البلاد الإسلامية تظهر أحيانا فى صورة مهديين ومهدوية » (٣) .

وتنقل « المؤيد » عن «الأهرام» رأى السيد البكرى فى الجامعة الإسلامية وهو يقسمها إلى قسمين : دينية وسياسية ، « فالسياسية هى التى يعنيها الإفرنج بلفظ بانسلاميزم ، أما الجامعة الدينية فهى موجودة لوجود روابطها وهى العقيدة الإسلامية أولا ، وأخوة الإسلام ثانيا ، وقبلة تتجه إليها وجوه المسلمين جميعا . . أما الجامعة السياسية فهى غير موجودة ، ولم توجد ولن توجد لعدم الروابط فى كل أمر سياسى ، وتلك الرابطة هى المصلحة» (٤) .

ويرد على بعض المفكرين الأوربيين الذين نظروا إلى الجامعة الإسلامية على أنها دعوة إلى التعصب قائلا : « التعصب نوعان ـ أيضاً : تعصب دينى بمعنى الغيرة على الإسلام، فهذا موجود بين المسلمين ، وفى كثير من المسيحيين ، أما التعصب بمعنى كراهية

---

(١) المؤيد ، عدد ٤٥٣٠ ، ٢٩ محرم ١٣٢٣هـ ، ١٤ أبريل ١٩٠٥ م.

(٢) د . فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

(٣) المؤيد ، عدد ٥١٠٨ ، ٢٤ محرم ١٣٢٥ هـ ، ٩ مارس ١٩٠٧ م .

(٤) المؤيد ، عدد ٥٣٢٥ ، ١٨ شوال ١٣٢٥هـ ، ٢٤ نوفمبر ١٩٠٧م .

المسيحيين فإن الشرع الإسلامى منع ذلك بأدلة الكتاب والسنة » (١) .

وقد روج لفكرة الجامعة الإسلامية فى مصر نفور المصريين من الاحتلال البريطانى الجاثم على صدورهم ، وموقف أوربا بوجه عام وإنجلترا بوجه خاص بمساندة الشعوب النصرانية ، التى قامت بحركات ترمى إلى التحرر من الحكم العثمانى ، من ذلك الأرمن وأهالى جزيرة كريت ، وإجبار السلطان على الاستجابة لمطالبهم ، وذلك فى الفترة من ١٨٩٥ ـ ١٨٩٩م ، فضلا عن ذلك فقد راجت فكرة تقسيم الإمبراطورية العثمانية بين تلك الدول الأوربية ، ووقوف هذه الدول أيضا ضد تركيا فى حربها مع اليونان ، وإرغامها على الانسحاب من الأراضى التى احتلتها فى اليونان دون قيد أو شرط ، بعد أن حققت عليها انتصارا مبينا (٢) .

وقد آمن مصطفى كامل بفكرة الجامعة الإسلامية تحت راية الدولة العلية ، فهو يرى أن بقاء الدولة العلية ضرورى للنوع البشرى ، وأن بقاء سلطانها فيه سلامة لأمم الغرب وأمم الشرق ، وأن واجب المسلمين أن يلتفوا حول راية الخلافة الإسلامية (٣) .

ولذلك فقد دأبت « اللواء » على نشر المقالات التى تبين اعتداء الدول الأوربية على الأراضى الإسلامية فى كل مكان فى العالم والمؤامرات التى يحيكونها ضد الدولة العلية ؛ لأنها تمثل الإسلام ، فتذكر ما قامت به هذه الدول من الأعمال الفظيعة ضد الدولة العلية فى حربها مع اليونان فتقول : « قام أولئك المتعصبون فى وجهها وحرموها ثمرة فوزها المبين على أمة اليونان ، والسبب فى ذلك كله أن الدولة المنتصرة إسلامية فقط بهذا المعنى صرح الوزير الأول للدولة الإنجليزية قائلا :« ما يؤخذ من الهلال لا يرد ، وما يأخذه الهلال من الصليب يرد » (٤) .

وتشير أيضا إلى عداء تلك الدول للدولة العثمانية فى احتلالهم لجزر الأرخبيل العثمانية ؛ ليعضدوا الأرمن وثوار مقدونيا ضد بلاد الدولة العلية (٥) .

وقد حثت « اللواء » المسلمين على الاتحاد والتعلق براية الخلافة العثمانية ، واستدلت على ذلك بأن دول أوربا كلها حاربت المسلمين ، وضيقت العيش عليهم فى كل مكان وأذلتهم إذلالا (٦) .

---

(١) العدد السابق نفسه .
(٢) د . محمد جمال الدين المسدى : دنشواى ، مرجع سابق ، ص ٦١ ، ٦٢ .
(٣) أنور الجندى : الفكر العربى المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .
(٤ ، ٥) اللواء ، عدد ٢٠٣٩ ، ٣٠ رجب ١٣٢٧هـ ، ١٦ أغسطس ١٩٠٩ م .
(٦) اللواء ، عدد ٥٨ ، ٤ من ذى القعدة ١٣١٨ هـ ، ٥ مارس ١٩٠٠ م .

ويرى مصطفى كامل أن الأساس الذى يبنى عليه مجد المسلمين هو التعلق الصادق براية الخلافة الإسلامية العثمانية ، ويؤكد تعلق المصريين بهذه الفكرة قائلا : « وقد رأينا من المصريين تعلقا حقيقيا بهذه الراية السامية ، وإخلاص لا ريب فيه لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين » [1] .

وعندما حاول البعض أن يوقع بين مصطفى كامل والسلطان عبد الحميد ، كتب مصطفى كامل فى اللواء يعلن إخلاصه الصادق قائلا : « اللهم إنى أول من يقدس مقام جلالة الإمام الأعظم ، ويشهد أمام الله ، وأمام الناس أنه سيد الحكماء ، وقدوة الساسة وقادة الأمم ،وأعتقد أنه أشد حنانا على مصر من أحب أبنائها إليها وأصدقهم ميلا نحوها، وأن أسمى رغائبه أن يرى المسلمين فى رفعة وسؤدد ، مجتمعين حول راية الخلافة العثمانية الشريفة » [2].

وكان مصطفى كامل يرى أن حماية الإسلام من هجوم أعدائه عليه لا يتحقق إلا بشرطين هما : أن يقوم من بنى الإسلام رجال يضعون حياتهم لخدمة الإسلام وإعلاء شأنه ، فيكونون فينا كأولئك الفرير والجزويت الذى يقضى الواحد منهم عمره كله فى خدمة دينه ، ونشر مبادئه . ثانيا : التعلق الصادق براية الخلافة العثمانية [3] .

والخلافة فى رأى مصطفى كامل ـ كما تعبر عنها مقالاته ـ هى أساس الإسلام بصفته سلطة سياسية ، وتسند إلى صاحبها السلطة الدنيوية معا ؛ لأن مبدأ الإسلام يقضى بالجمع بين السلطتين [4].

وقد وصل تمسك مصطفى كامل بمبدأ الخلافة العثمانية أن أرسل إليه أحد نصارى مصر رسالة إلى « اللواء » يلوم فيها مصطفى كامل على ندائه إلى الجامعة الإسلامية ، وتحريض المسلمين على الاتحاد والاتفاق ،ويتهمه بإهمال النصارى . وقد رد عليه مصطفى كامل فى « اللواء » قائلا : « ليسمح لنا حضرة الكاتب الفاضل أن نسأله سؤالين إذا أجاب عنهما عرف من نفسه جوابنا على كتابه : هل الأقباط فى صحفهم يحثون بعضهم البعض على محبة المسلمين ، وجمع كلمة المصريين بقدر ما نحن نسعى لذلك ؟ وهل لا يعتقد أن للمرء واجبين عظيمين : واجبا نحو الوطن ، وواجبا نحو دينه ؟ . . أما ملام حضرته على اهتمامنا بشؤون الإسلام والمسلمين ، فليس له حق فيه أبدا ، فإننا بصفتنا مسلمون أصحاب عقيدة قوية ، يجب علينا وجوبا لازما أن نهتم بأمور ديننا اهتماما فائقا،

(١ ، ٢) العدد السابق نفسه .

(٣) اللواء ، عدد ٥٨ ، ٤ من ذى القعدة ، ٥ مارس ١٩٠٠م .

(٤) اللواء ، عدد ٤ ، ٥ من رمضان ١٣١٧هـ ، ٦ يناير ١٩٠٠ م.

وأن نجتهد فى إصلاح شؤوننا . . فضلا عن أننا نجد تعصب أوربا ضد الإسلام والمسلمين قويا على أرضنا وسائر بلاد المسلمين . . وأن جريمتنا الكبرى عند سواس أوربا أننا مسلمون » [1] .

وليس من شك فى أن الذى ساعد على تعلق الناس بفكرة الجامعة الإسلامية مهاجمة كرومر - عميد الاحتلال - الدائمة للمسلمين فى تقاريره ، وفيما أصدره من كتب بعد خروجه من مصر قبل كتابيه « مصر الحديثة » و« عباس الثانى » ، فقد اتهم المسلمين بالهمج المتخلفين ، وصور الإسلام بأنه دين رجعى لا يصلح أن يكون نظاما للحياة [2] .

وقد راحت أوربا تتهم دعاة الجامعة الإسلامية بالتعصب الدينى والتآمر ضد النصارى، وقد ظنوا ظنا خاطئا بأن هذا التعصب إنما منشؤه الإسلام نفسه [3] .

وتبين اللواء خطأ هذا التفكير الأوربى فى فهم الجامعة الإسلامية على أنه اتجاه المسلمين فى كافة أنحاء الأرض ، وتآمرهم على الإيقاع بالنصارى واستئصال شأفتهم والقضاء على دولتهم ، فتقول :« إن الجامعة الإسلامية أشرف وأغلى من ذلك بكثير ، هى تلك الرابطة أو تلك الألفة الـتى تجمع قلوب المسلمين علـى اخـتلاف أجناسهم ولغاتهم،وتبعث فيهم التعاضد والتعاون على النهوض بدولهم إلى مستوى الأمم الحية الرشيدة ،فهى مبدأ شريف لا يصح أن يقابل من الذين يغارون على تقدم الإنسانية وتحريرها إلا بالبشر والارتياح » ، وتفند ما يزعمه بعض الأوربيين من أن الجامعة الإسلامية مستحيل تحقيقها ؛ لأن المسلمين مشتتون فى بقاع مختلفة بين أمم متباينة ، فى الطباع والمذاهب واللغات ، فتقول : « إن مبدأ الجامعة الإسلامية لا ينافى اشتراك المسلمين فى الحياة ، فها هى الدولة العثمانية بالرغم من تعدد العناصر فيها ، ومن لا يدينون بدينهم فى الجنسية ، فهى دولة الخلافة ورئيسها أمير المؤمنين » [4] .

وينبغى أن نشير هنا إلى أن ثورة تركيا الفتاة قد أحدثت ضعفا فى التفاف المسلمين حول فكرة الجامعة الإسلامية ؛حيث إنها ساعدت على قيام الثورات فى العالم الإسلامى، وعملت على إحياء روح الجنسية والقومية ، فقد تلت الثورة التركية ١٩٠٨ م ثورة إيران، ثم أخذت شرارة هذه الثورة تنتقل فى كثير من الأقطار الشرقية [5] .

---

(١) اللواء ، عدد ٧ ، ٨ من رمضان ١٣١٧هـ ، ٩ يناير ١٩٠٠م .

(٢) د . محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ، مرجع سابق ، جـ١، ص٤٤ ، ٤٥ .

(٣) محمد سعد الدين الجيزاوى : أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، جـ١ ، ط١ ، مرجع سابق ، ص١٨٥ .

(٤) اللواء ، عدد ٢٩٠٥ ، ٢٢ صفر ١٣٢٧ هـ ، ١٤ مارس ١٩٠٩ م .

(٥) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، جـ١، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

وكان الإنجليز يشجعون على إحياء هذه النعرات القومية ، وإضعاف العصبية الدينية ؛ لأن ذلك يفيدهم فى استمرار سيطرتهم على بلاد المسلمين ، فالمصريون أحفاد الفراعنة ، واللبنانيون أحفاد الفنيقيين ، والعراقيون أحفاد البابليين والآشوريين، والحجازيون أحفاد العرب الأمجاد ، وكانوا يقصدون بذلك تقطيع أوصال المسلمين فى مستعمراتهم ، وزرع الشقاق بين هذه الأقطار (١) .

ولكن الحقيقة التى ينبغى أن تسجل هنا أن موقف « اللواء » من الجامعة الإسلامية لم يتغير ، بل ظلت تدعو المسلمين إلى أن يولوا وجوههم شطر القسطنطينية ، ففى مقالة لها بعنوان : « وجهة المسلمين فى مصر » تناشد فيها المصريين أن يولوا وجوههم شطر القسطنطينية مطالبا أن تكون وحدها قبلتهم السياسية المباركة ؛ لأنها الوجهة المختارة والطريق الموصل إلى النصر (٢) .

وقد عادت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية تأخذ مجراها وتستأنف سيرها ، وكان الباعث على ذلك هو اشتداد اعتداء الدول الغربية على بعض البلاد الإسلامية . ففى سنة ١٩١١م أغارت إيطاليا على طرابلس الغرب الإفريقية ، التابعة آنذاك للدولة العثمانية ، وفى عام ١٩١٢م تمردت دول البلقان النصرانية على الدولة العلية ، التى خسرت فيها جميع أملاكها (٣) .

وانبرت الصحافة الإسلامية تنادى بالجامعة الإسلامية ،وتشد من أزر الدولة العلية، فتحث « الشعب » المسلمين على الانضمام تحت لواء الخلافة الإسلامية ، مشيرة إلى أن دولة الخلافة هى عدة المسلمين وعتادهم ، وتبرهن على ضرورة الجامعة الإسلامية من الأحداث التاريخية التى ألمت بالمسلمين قائلة :« قد علّمت حوادث التاريخ المسلمين أن التفرقة نذير الضعف ، والتخاذل أخصر طريق إلى الشتات ، والانقسام مؤد إلى الذلة والممات ، وأفهمتهم الحروب الصليبية الأولى وغزوة التتار أنهم إذا لم يتعاونوا وينصر قويهم ضعيفهم ... طمع فيهم الطامعون » ، وتبين أن الحاجة ملحة لوجود جامعة إسلامية تضم المسلمين جميعهم ضد التعصب الأوربى ، الذى خطه بطرس الناسك ، وأقره أوربانس الثانى ، وقام ملوك البلقان الأربعة ينفذون ذلك المخطط فى أراضى الدولة العلية (٤).

وتؤكد أن الدول الأوربية تحارب دولة الخلافة الإسلامية حتى لا تنهض بجانبها دولة

---

(١) د . محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ط ٣ ،مرجع سابق ، جـ١، ص ٩٤.

(٢) اللواء ، عدد ٢٨٧٣ ، ١٦ محرم ١٣٢٧ هـ ، ٧ فبراير ١٩٠٩ م.

(٣) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، جـ١، ص ٣١١ .

(٤) الشعب ، عدد ٢٣٧ ، ١٢ من ذى الحجة ١٣٣٠ هـ ، ٢٢ نوفمبر ١٩١٢م.

مسلمة يلتف حولها المسلمون ، فطفقت تشن عليها الغارة بعد الغارة ، بغية إضعافها ، وحتى لا تقوم للهلال قائمة بعد ذلك (١) .

ومن ثم فهى تدعو إلى عدم الاعتماد على دولة أوربية ، بل يجب اعتماد المسلمين على أنفسهم ؛ حيث إن الدول الأوربية متفقة على دولة الخلافة الإسلامية (٢) .

وعندما أشاعت بعض الصحف الموالية للاحتلال أن دعوة المسلمين إلى الجامعة الإسلامية هى دعوة إلى التعصب والشر ، ردت « الشعب » هذا الزعم قائلة : « إننا لا نريد بما ندعوا إلى الجامعة الإسلامية ضرا بأحد ،ولا نبغى سوءا لغيرنا ، ولكنا نريد ألا نبقى شملا غير مجموع » (٣) .

وكانت دعوة الصحافة الإسلامية إلى الجامعة الإسلامية ـ فى ذلك الوقت ـ تهدف إلى :

أولا : أن يبقى العالم الإسلامى موفور الكرامة .

ثانيا : أن يكون المسلمون أمة واحدة ، وقوة يعتد بها ،فلا يطمع فيها الطامعون .

فلو كان للمسلمين جامعة عملية لما جرؤت إيطاليا على الغارة على طرابلس ،ولما أغارت الممالك البلقانية على الدولة العثمانية (٤) .

وقد هاجمت « الشعب » فكرة نقل الخلافة من القسطنطينية إلى إحدى الدول العربية. ففى مقال لها بعنوان: « الخلافة الإسلامية ـ العرب والترك » تقول : « إن العرب وعامة المسلمين قد أجمعوا على أن تكون السلطنة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية إلى اليوم ، وأن آل عثمان هم أصحابها ،ولا ينبغى أن تنقل إلى غيرهم » (٥) .

وهكذا يتضح أن دعوة الصحافة الإسلامية كانت تعنى فى تلك الفترة انضمام المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تحت راية الخلافة العثمانية فى القسطنطينية ، وقد ساعد على تعلق الصحافة الإسلامية بفكرة الجامعة الإسلامية مهاجمة كرومر للمسلمين ، واعتداء بعض الدول الغربية على بعض البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الخلافة العثمانية كطرابلس الغرب ،وتمرد دول البلقان النصرانية على الدولة العلية .

---

(١) الشعب ، عدد ٢٤١ ، ١٦ من ذى الحجة ١٣٣٠ هـ ، ٢٦ نوفمبر ١٩١٢م.

(٢) الشعب ، عدد ٢٦٢ ، ١١ محرم ١٣٣١ هـ ، ٢٠ ديسمبر ١٩١٢ م .

(٣، ٤) الشعب ، عدد ٣٧٥ ، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٣١ هـ ، ٢ مايو ١٩١٣ م .

(٥) الشعب ، ٢٧ جمادى الأولى ١٣٣١ هـ ، ٤ مايو ١٩١٣ م.

ثانيا : الصحافة الإسلامية والحرب الإيطالية الطرابلسية :

وكجزء من تأييد الصحافة الإسلامية للدولة العلية ، استنكرت العدوان الإيطالى على طرابلس الغرب ، هذا القطر الإسلامى ، فتدعو « المؤيد » إلى بذل الأموال لمساعدة الدولة العلية ،وتحض المصريين على التبرع . ففى مقال لها بعنوان :« الدعوة إلى الواجب المقدس » تقول : « إننا نريد أعمالا لا أقوالا ، وجدا لا هزلا .. نطلب من كل غيور على دولته وأمته ودينه وقومه أن يقدم برهانا محسوسا على مجد أسلافه » (١) .

كما توجه هذه الدعوة إلى السوريين واليمنيين ،وكل أتباع الدولة وأبنائها ،أن يبرهنوا على صدق حميتهم تجاه الدولة العثمانية ، ويثبتوا للعالم كله أنهم رجال أعمال لا أقوال وتهيب بهم ألا يلتفتوا إلى دعوات المثبطين ، وأن يضربوا بوشاياتهم عرض الحائط (٢) .

ويوجه رشيد رضا بيانا عاما فى « المؤيد » إلى الأمة الإسلامية يقول فيه : « إذا أرادت أوربا بسبب مقاومتنا لإيطاليا أن تلتهم بقية بلادنا ، فخير لنا أن نعرض جيشنا وجميع أفراد أمتنا للقتل فى الدفاع عن إخواننا فى طرابلس ، وأن نعرض جميع بلادنا للخراب والدمار خير لنا من أن ندعها غنيمة باردة لأوربا الباغية الطاغية » ، ويحذر القسطنطينية بعدم التفريط فى طرابلس ، وإلا انفرط عقدها ، فقال : « أيتها القسطنطينية العظمى ، اعلمى أنه يجب أن نحيا ،وأنك أنت التى تحكمين اليوم بوجوب حياتنا ، إذا أبيت أن تبيعى طرابلس ولو بملء، الأرض ذهبا ،وجعلت الدم مع العزة والشرف » (٣) .

وفى سبيل تحريض المصريين والمسلمين على قتال الإيطاليين والتبرع بالأموال والمؤن لأهل طرابلس نشرت « المؤيد » عدة قصائد شعرية فى هذا المعنى ،من هذه القصائد قصيدة بعنوان :« الحرب الوحشية » على لسان حال أهل طرابلس الغرب للشاعر عبد الحليم المصرى ، وقصيدة ثانية بعنوان :« فإن تخطبوها تخطبوا حتفكم بها » لعبد اللطيف المصرى، وقصيدة أخرى بعنوان : « لسان حال الطرابلسيين » لعبد الحميد إسماعيل(٤) .
كما أصدرت ملحقا خاصا نشرت فيه قصيدة شعرية لفؤاد الخطيب بعنوان :« دمعة على طرابلس الغرب . . . نداء عربى » جاء فى مطلعها :

يا آل عثمان من ترك ومن عرب	هبوا فقد صرخت تحت الثرى الرمم
يا للخلافة قد ضاعت محارمها	يا للمروءة والمظلـــوم متهـــــم (٥)

(١ـ ٣) المؤيد ، عدد ٦٤٨٧ ، ١٥ شوال ١٣٢٥ هـ ، ٨ أكتوبر ١٩١١م .
(٤) المؤيد ، عدد ٦٤٨٨ ، ١٦ شوال ١٣٢٥ هـ ، ٩ أكتوبر ١٩١١م .
(٥) المؤيد ملحق رقم ٢ ، عدد ٦٤٨٥ ، ١٣ شوال ١٣٢٥ هـ ، ٦ أكتوبر ١٩١١م .

ويدعو رشيد رضا على صفحات « المؤيد » إلى :

أولا : التطوع لقتال الإيطاليين ، وإلى إظهار الشعور بالكراهية والعداوة بالقول والكتابة ،والمظاهرة والاحتجاج ضد الجرائد الأوربية الموالية لإيطاليا التى تصدر فى مصر .

ثانيا : مقاطعة التجارة الإيطالية ،وترك معاملة الطليان بكل أنواع المعاملة .

ثالثا : مساعدة الدولة العلية بالمال وجمعه بالاكتتاب المنظم .

رابعا : اتخاذ العبرة من هذه الكارثة التى حلت بهذا القطر المسلم (١) .

وتعلن « المؤيد » أن هذه السياسة التى اختطتها إيطاليا بالعدوان على طرابلس فيها خرق للحقوق والقوانين الدولية والعدل والرحمة الإنسانية ، مطالبة الدول العظمى بالنظر فى هذا العدوان ،وتبين أيضا أن هذا العدوان ليس آخر عدوان من الدول الأوربية على دولة إسلامية ، بل هو مقدمة لإسقاط هذه الدول الإسلامية ، واكتساح بلادها بعد أن أسقطن دولة المغرب الأقصى ، واتفقن على اقتسام دولة إيران، وسمحن لروسية بإنشاب برائنها فى القسم الشمالى منها ،وترك القسم الجنوبى لدولة إنجلترا (٢) .

وقد هاجمت « المؤيد » لطفى السيد ، عندما كتب فى الجريدة يهاجم الصحافة الإسلامية التى تدعو إلى مساعدة الدولة العلية فى حربها ضد إيطاليا ،واتهمها بأنها تدعو إلى الجهاد الدينى ،أو الدعوة إلى الحرب الدينية ، مشيرة إلى أن هذا « قد أصاب جميع المسلمين وسر جميع النصارى» ، وكتبت « المؤيد » سلسلة مقالات للرد على لطفى السيد بعنوان :« التخبط فى السياسة بين المنافع والعواطف » هاجمت فيها أيضا دعوة لطفى السيد إلى المصرية أوالإقليمية والانفصال عن الدولة العثمانية (٣) .

وعلى صفحات « العلم » أيضا قام الشيخ عبد العزيز جاويش بمهاجمة لطفى السيد أيضا ، عندما هاجم الذين يدعون لمساعدة الدولة العثمانية فى الحرب الطرابلسية ، فوجه إليه خطابا مفتوحا ، وأطلق عليه اسم « عدو الإسلام » قائلا :« أى عدو الإسلام ، نقمت منا أن ندعو المسلمين لنجدة المسلمين ، ونستنفر الموحدين ، فماذا كنت تريد ؟ أأردت أن نتقدم إلى البابا بيد مبسوطة ،ورؤوس خاشعة ، وأدعية ضارعة ، أن يدفع عنا بلاء أمة تقول بصليبية ،وتدين بمذهبية ؟! إذن لقد ضل عقلك وخطل رأيك » ، ثم يلفت نظره إلى ما قام به البابا من مباركة المنشورات التى تدعو إلى استنفار النصارى فى الحملة

---

(١) العدد السابق نفسه .

(٢) المؤيد ،عدد ٦٤٨٣ ، ١١ شوال ١٣٢٩هـ ، ٤ أكتوبر ١٩١١ م .

(٣) المؤيد ، عدد ٦٥٠٤ ، ٣ من ذى القعدة ١٣٢٩ هـ ، ٢٥ أكتوبر ١٩١١ م.

على طرابلس باسم المسيح (١) .

وتشير « المؤيد » إلى أن هذه الحرب التى أعلنتها إيطاليا على طرابلس الهدف منها تقسيم تركيا أو إضعاف الإسلام الذى تحاربه أوربا حربا دينية ، فى قالب سياسى برغم إعلانها أنها تخدم معتقدات الغير ولا تتعرض للأديان (٢) .

وتبرهن على أنها حرب دينية بما يلى :

أولا : قررت أوربا فى معاهدة برلين وجوب دخول أوربا فى الشرق لحماية النصارى .

ثانيا : ساعدت أوربا الجمعيات التى عقدت للتبشير فى العالم الإسلامى .

ثالثا : أنها أعلنت رسميا أنها وزعت فى كل سنة نحواً من مائة وخمسين مليونا من الكتب فى هذا السبيل ، وطبعت الإنجيل بثلاثمائة لغة (٣) .

وتحاول « الشعب » أيضا أن تثير الرأى العام الإسلامى والعالمى ، فتندد بما يرتكبه الإيطاليون فى طرابلس من أنواع الهمجية ، حيث قتلت الأطفال والصغار والحاملات من النساء والكهول والشيوخ ، وأراقت دماءهم بلا ذنب ولا إثم .

ثم تشير إلى ما قام به الجنود الإيطاليون من تخريب للمساجد والمعابد ،الأمر الذى سيجعل العالم الإسلامى يذكرهم باللعن إلى الأبد (٤).

وفى الوقت نفسه تشد أزر الطرابلسيين والمجاهدين فى برقة ، وتذيع أنباء هذه الانتصارات فى أعدادها المتوالية ، وتطالب المسلمين بمعاونة السنوسيين ، الذين هبوا لقتال الإيطاليين ، وتهيب بهم قائلة : « أيها المسلمون ، إلى متى تقعدون عن معاونة السادة الصوفية الذين وقفوا لكم هذا الموقف ، الذى ذكركم مواقف الصحابة الكرام فى صدر الإسلام » ثم تدعو المصريين إلى التبرع بالنفس والمال ،كل على قدر استطاعته (٥) .

وتتصدى « الشعب» أيضا للصحف المثبطة والمأجورة والمغرضة ، فهى تندد بموقف «الجريدة » ،ولطفى السيد فى دعوته للمصريين بعدم إعانة الدولة العلية فى حربها مع

---

(١) العلم ، ٣١ أكتوبر ١٩١١ م ، نقلا عن : فاروق أبو زيد : الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية ، مرجع سابق ، ص٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢ ، ٣) المؤيد ، عدد ٦٤٩١ ، ١٩ شوال ١٣٢٩ هـ ، ١٣ أكتوبر ١٩١١ م .

(٤) الشعب ، عدد ١٣٥ ، ١٠ جمادى الثانية ١٣٣٠هـ ، ٢٧ مايو ١٩١٢ م.

(٥) الشعب ، عدد ٩٥٧ ، ٢٦ صفر ١٣٣٢ هـ ، ٢٣ يناير ١٩١٤ م.

الإيطاليين فى طرابلس الغرب[1] .

كما تعرض لموقف « المقطم » وأصحابه « المأجورين ،الذين أخذوا على عاتقهم أن يدعو كل شعب من الشعوب الإسلامية ـ يدهم بلاده طامع فيها ـ إلى الخضوع لذلك الأجنبى المغير والرضا بحكومته طوعا أو كرها . . ونحن لا نعجب أن تكون هذه مهمة أولئك المأجورين ، الذين وقفوا أعمارهم على تأديتها ، فقد علمنا أنهم أجراء يستعملهم المستعمرون فى مقاصدهم ،وطلاب منفعة يلتمسونها أنى وجدوها » [2] .

وتضرب أمثلة لمواقف هؤلاء ـ المخذولة ـ قائلة : « سمعناهم حين كان المراكشيون يتحركون تلك الحركة للاحتفاظ باستقلال بلادهم ، وصد غارة النفوذ الفرنسى عنها ، يدعونهم إلى الاستسلام والخضوع للفرنسيين ، وسمعناهم أمس والإيطاليون يحاولون احتلال طرابلس الغرب وإذلال أهلها ،والتحكم فى رقابهم ، يدعون إخواننا العرب إلى الإذعان ، فيقولون لهم: اخضعوا لحكم الإيطاليين » [3] .

ونشير أيضا إلى موقف جريدة « الأهرام » فتعلن أنها هاجمت الطرابلسيين ، وطلبت منهم التسليم والإذعان للإيطاليين [4] .

وتطالب مجلة « الإسلام » المسلمين بالاتحاد لمواجهة الإيطاليين ، وأن يكون هذا الاتحاد قائما على أسس إيمانية، فقوة الإيمان هى التى حققت للمسلمين الأوائل النصر على أعدائهم [5] .

وتشيع الجرائد أن إيطاليا تفكر فى عقد صلح منفرد مع الدولة العثمانية بدون العرب بخصوص الحرب الإيطالية الطرابلسية،فتنبرى « المؤيد » وتحذر إيطاليا من هذا الصلح المنفرد ؛ حيث إن الحرب قامت بالعرب ،وتأثير العسكر العثمانى فيها لا يكاد يذكر ، فإذا صالحت إيطاليا الدولة ولم تصالح العرب فلا أمل لإيطاليا بوضع أوزار الحرب أبدا [6] .

وقد استمرت هذه الحرب الإيطالية الطرابلسية سنة كاملة لم يتمكن خلالها الجنود الإيطاليون من إحراز تقدم فى تلك البلاد ، بسبب إصرار العرب والمسلمين الذين قاموا قومة رجل واحد يدافعون عن أوطانهم بقلوب ملؤها الإيمان [7] .

---

(١) الشعب ، عدد ١٣٥ ، ١٠ جمادى الثانية ١٣٣٠ هـ ، ٢٧ مايو ١٩١٢ م.
(٢، ٣) الشعب ، عدد ٣٩١ ، ١٥ جمادى الثانية ١٣٣١هـ ، ٢١ مايو ١٩١٣ م.
(٤) الشعب ، ١٧ جمادى الثانية ١٣٣١هـ ، ٢٣ مايو ١٩١٣ م.
(٥) الشعب ، عدد ١، أكتوبر ١٩١١ م.
(٦) المؤيد ، عدد ٦٨٠٣ ، ٤ من ذى القعدة ١٣٣٠ هـ ، ١٥ أكتوبر ١٩١٢ م .
(٧) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، مرجع سابق ، ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

ورغم ذلك اضطرت الدولة العثمانية إلى عقد صلح « لوزان » فى ١٨ أكتوبر ١٩١٢م مع الإيطاليين ، وقد منحت فيه الطرابلسيين استقلالهم الإدارى ، وسحبت جنودها من طرابلس وهى مرغمة ،وبذلك خسرت الدولة العثمانية بقية ما كان لها فى إفريقيا [١].

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

الباب الخامس

الجوانب التحريرية والإدارية فى صحف الاتجاه الإسلامي

ويتناول الفصول التالية :

الفصل الثانى عشر : الجوانب التحريرية فى صحف الاتجاه الإسلامى .

الفصل الثالث عشر: الجوانب الإخراجية فى صحف الاتجاه الإسلامى.

الفصل الرابع عشر: الإدارة والتوزيع والإعلان فى صحف الاتجاه الإسلامى .



الفصل الثانى عشر
الجوانب التحريرية فى صحف الاتجاه الإسلامى

أولا : المقال :

كان المقال هو الفن التحريرى الرئيسى فى صحافة الاتجاه الإسلامى بشقيها « المجلات والجرائد » ، فالصحافة المصرية فى أوائل القرن العشرين كانت صحافة مقال ، حيث كان يشغل حيزا كبيرا من مساحة الصحيفة .

وكان المقال الدينى « الإسلامى» هو الغالب فى المجلات الإسلامية المتخصصة ، فى حين أن المقال السياسى كان هو الغالب فى الجرائد العامة ذات الاتجاه الإسلامى ، وامتازت المقالات الإسلامية بقوة التراكيب ، وجزالة الألفاظ ، ودسامة الموضوعات ، والاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والمأثور من الشعر والنثر فى بعض الأحيان .

ورغم أن أسلوب الصحافة المصرية فى بداية القرن العشرين قد تخلص من الزخارف اللفظية ، كالسجع والجناس والطباق والاستعارة والكناية والمجاز ، إلا أننا قد نلمح فى مجلتى « مكارم الأخلاق الإسلامية » و « الهداية » بعض الكتابات المسجوعة .

وقد اشتهر بهذا الأسلوب من محررى الهداية الشيخ طنطاوى جوهرى ، فهو يتكلم عن قضية التطور لدارون فيقول : « إنى قرأت تلك المحاولات ، وعلمت ما فى تلك القضيات ، ولم أر شيئا يغاير الدين ، ولا فكرا يضر بعقائد المسلمين ، فالإسلام يأمر الناس باليقين ، ولا يقين إلا بالعلوم التى يسميها الناس عصرية ، وهى فى الحقيقة علوم إسلامية » [1] .

لكن معظم الكتابات التى وردت فى الهداية قد سارت على نسق الأسلوب المسترسل الخالى من الزخارف اللفظية ، وأبرز شاهد على ذلك هذه الفقرة التى اقتبسناها من مقال الشيخ عبد العزيز جاويش «فإننا لا نرى فى الجزية ما يرون ؛ إذ هى لا تؤخذ منهم إلا أجرا لحمايتنا إياهم ، ودفاعا عنهم ، إذ أن لهم إن قبلوها ما لنا ، وعليهم ما علينا ، نحفظ أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودينهم ، مما نحفظ به أموالنا وأنفسنا وأعراضنا ، فهل علينا من بأس إن أخذنا منهم على ذلك قليلاً من المال ننفقه فى مصالحهم لا مصالحنا ،

---

(١) الهداية ، عدد أكتوبر ١٩١٠م .

ونسد بـه خلاتهم لا خلاتنا ،وتقيم بـه أودهم لا أودنا ؟! » (١) .

وكان أسلوب «مكارم الأخلاق الإسلامية» فضلا عن اتسامه بالسجع ، والعبارات المنمقة ، التى تنتهى بحروف متماثلة ، فإنه كان يتسم أيضا بالأسلوب الخطابى الوعظى .

ففى العدد الأول لها يتجسد هذا فى هذه الفقرة التالية التى اقتبسناها منه :

«الحمد لله الملهم المرشاد ، والموفق للسداد ، والذى نهى وأمر ، ودعا وزجر ، وأنذر وبشر ، ورغب وحذر ، كتب للمطيع إعزاز الجانب ، وتيسير المطالب ، والحفظ من الأعداء ، والدفع للبلاء ، كتب له فى أخراه أجرا وفى دنياه نصرا ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (٢) .

ويلاحظ أن هذه المجلة قد ظلت على هذا النمط الأسلوبى فى سنتها الأولى ، ثم بدأت تتخلص تدريجيا مـن هـذا الأسلوب .

أما أسلوب الجرائد فقد أخذ الطابع السياسى ، والنمط المسترسل ، فقد شهدت الصحافة المصرية منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الأولى ثلاث مدارس صحفية ، يمثل المدرسة الأولى رفاعة الطهطاوى ، وعبد الله أبو السعود ، وعثمان جلال ، وميخائيل عبد السيد ، وسليم وبشارة تقلا ، وقد حاولت هذه المدرسة أن تنشئ المقال الصحفى ، ولكنها لم تقدر لأنها كانت متأثرة بكتابات هذا العصر ، وأساليبه الأدبية الموروثة .

وفى المدرسة الصحفية الثانية ظهر أديب إسحاق ، وسليم النقاش ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم ، وحسن الشمسى ، وإبراهيم المويلحى ، وقد اتسم أسلوبها بالأسلوب الأدبى الخالص ، وهـو أسلـوب يمتاز عـن سابقه بالجـودة ، وحسن استخدام الزخارف اللفظية .

أما المدرسة الصحفية الثالثة ، فقد ظهر فيها طبقة جديدة من الكتاب أصبح لها أسلوب جديد يصح أن يطلق عليه الأسلوب السياسى . وكان يمثل هذه المدرسة الشيخ على يوسف ، ومصطفى كامل ، ولطفى السيد ، وكتاب الأهرام والمقطم (٣) .

ونستطيع أن نقول : إن أسلوب المدرسة الصحفية الثالثة ينطبق على أسلوب الجرائد العامة ذات الاتجاه الإسلامى «المؤيد» و «اللواء» و «الشعب» ، هذا الأسلوب الذى يعتمد على المقدمات والنتائج وإبراز المقارنات والحجج والبراهين والاستشهاد بالواقع المحسوس ، وتجرده من الزخارف اللفظية ، واستعمال الألفاظ العربية السهلة والمتداولة ، وعدم الاعتماد على الاستشهاد بمأثور الكلام من الشعر والنثر .

---

(١) الهداية ، عدد مارس ١٩١١م . (٢) مكارم الأخلاق الإسلامية ، عدد رمضان ١٣١٧هـ .

(٣) محمد سعد إبراهيم : أمين الرافعى صحفيا ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ .

وقد عرفت الصحافة الإسلامية كل أنواع المقال المعروفة ، عرفت المقال العرضى الذى يعرض لفكرة من الأفكار ، والمقال النقدى الذى يعتمد فيه الكاتب على نقد فكرة أو موضوع ، أو اتجاه من الاتجاهات السياسية ، كما عرفت المقال النزالى الذى ينازل فيه الكاتب خصمه فى الرأى ، ويعارضه فى المذهب معارضة تدل على مقدرته الصحفية ، ومهارته السياسية (١) .

ويؤيد ذلك ما شهدته صفحات الصحف الإسلامية من معارك صحفية ضد الصحف المناوئة ، وما مارسته من نقد لعلاج مشاكل المجتمع ، وحاربت من خلاله الفساد الاجتماعى والخلقى والأمراض الاجتماعية الأخرى .

كما عرفت المقال الذى على شكل مذكرات أو اعترافات ، والمقالات التى على شكل خواطر وتأملات ما كان يكتبه حافظ عوض بعنوان : «على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . . خواطر تتعدد وأفكار لا تتقيد» (٢) ، وما كتبه على يوسف بعنوان : «من أسوان» يصف فيها رحلته وما شاهده فيها ، وجو المدينة ، وما لاقاه المسافرون من تعب ونصب فى وسائل المواصلات (٣) .

كما يمكن أن يضاف إلى ذلك ما كان يكتبه فى رحلاته مع الخديو إلى السودان (٤) وإلى مارسيليا (٥) .

وكان للصحف الإسلامية عناية أيضا بالمقال العلمى الذى يهدف إلى تزويد القراء بالمعلومات فى شتى أنواع المعرفة ، مثل ما كانت تنشره «الشعب» بعنوان : «الصحة الغربية وأمراضنا الجديدة» (٦) ، ومثل محاضرة علمية فى الطائرات (٧) .

كما مارست الصحافة الإسلامية المقالات التى على شكل يوميات ، مثل ما كان يكتبه مصطفى لطفى المنفلوطى فى «المؤيد» تحت عنوان : «الأسبوعيات» ، وكان يتناول فيها جميع شؤون الحياة اليومية ، مع مزجها بالأمور الدينية والاجتماعية والسياسية المعاصرة لها (٨) .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص٢٣٢ .

(٢) المؤيد ، عدد ٤٣١٢ ، ٢ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ ، ١٦ يوليه ١٩٠٤م .

(٣) المؤيد ، عدد ٣٥٢٣ ، ١٦ شعبان ١٣١٩هـ ، ٢٨ نوفمبر ١٩٠١م .

(٤) المؤيد ، عدد ٣٥٣٧ ، ٤ رمضان ١٣١٩هـ ، ١٠ ديسمبر ١٩٠١م .

(٥) المؤيد ، عدد ٣٩٩٤ ، ٤ ربيع الثانى ١٣٢١هـ ، ٢٩ يونيه ١٩٠٣م .

(٦) الشعب ، عدد ٥٧٨ ، ٤ صفر ١٣٣٢هـ ، ١ يناير ١٩٠٣م .

(٧) الشعب ، عدد ٦٢٦ ، ٢٦ فبراير ١٩١٤م .

(٨) المؤيد ، عدد ٥٦٢٤ ، ٣٠ شوال ١٣٢٦هـ ، ٢٣ نوفمبر ١٩٠٨ .

وأيضا يمكن أن نعتبر ما كان يكتبه مصطفى المنفلوطى بعنوان : «النظرات» (١) حيث كانت هذه المقالات عبارة عن حديث يومى ، يتحدث فيها إلى القارئ حديثا مسليا ، ليس مقيدا بعنوان معين ، ولا بفكرة معينة ، وإنما كان يشبه حديث السمر ، كما كـان يجيب عـلـى أسئلة القراء التى كانت توجه إليه عبر البريد .

ورغم أن المقال العمودى لم تعرفه الصحافة المصرية إلا فى المرحلة التى تقع بين عام ١٩٢٢ ـ ١٩٤٢م (٢) ، غير أننا نلاحظ أنه قد كانت هناك بوادر لهذا اللون من المقالات، فيما كـان يكتبه الشيخ عبد الوهـاب النجار فـى «المؤيد» فـى شهر رمضان بعنوان : «كلمات صائم» (٣) ، وما كان يكتبه أمين الرافعى فى «الشعب» بعنوان :«الحوادث» (٤) .

وكانت الصحافة الإسلامية فى بعض الأحيان تقتبس عناوين المقالات من كلمات القرآن الكريم ، مثال ذلك المقال الذى نشرته «المؤيد» تحت عنوان : «الحرب كقاب قوسين» (٥) ، وأحيانا من كلمات الشعر المأثور ، مثال ذلك : المقال الذى نشرته المؤيد تحت عنوان : «السيل حرب للمكان العالى» (٦) .

ويلاحظ أن المقال كان يتسم فى كل أنواعه بالطابع الأدبى ، وربما يرجع ذلك إلى أن كتاب هذه الفترة كانوا غالبًا من الأدباء ،ومن لم يكن أديبا فغالبا ما كانت له نزعة أدبية .

فضلا عن ذلك ، فكل الكتاب كانوا يجيدون الكتابة باللغة العربية الفصحى ، ولم تتخلل كتاباتهم اللهجة العامية أو الألفاظ الأعجمية .

كما عرفت الصحافة الإسلامية العناوين المثيرة للمقالات ، مثال ذلك : ما كان يكتبه عبد الرحمن الرافعى تحت عنوان : «حياتنا الاقتصادية فى خطر» (٧) ، وما كتبته «المؤيد» بعنوان : «المتطفل على موائد علم الأدب واللغة» (٨) .

ثانيا : الخبر الصحفى :

فى البداية نقرر أن صحافة الاتجاه الإسلامى لم تكن صحافة خبر ، وإنما كانت صحافة رأى ، ولكن ينبغى أن نفرق فى هذا المجال بين المجلة والجريدة ، حيث إن الخبر لم يحظ

(١) المؤيد ، عدد ٥٦٣١ ، ٧ذى القعدة ١٣٢٦هـ ، ٣٠ نوفمبر ١٩٠٨م .
(٢) د . عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ، ص٢٣٢ .
(٣) المؤيد ، عدد ٦ رمضان ١٣٣٢هـ .
(٤) الشعب ، عدد ٣٩٩ ، ٢٤ جمادى الثانية ١٣٣١هـ ، ٣٠ مايو ١٩١٣م .
(٥) المؤيد ، عدد ٤٠٠٥ ، ١٧ ربيع الثانى ١٣٢١هـ ، ١٢ يوليه ١٩٠٣م .
(٦) المؤيد ، عدد ٢٣٢١، ١٢ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ ، ٢٦ يوليه ١٩٠٤م .
(٧) المؤيد ، عدد ٢٨٥٠ ، ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٦هـ ، ١٥ يناير ١٩٠٩م .
(٨) المؤيد ، عدد ٢٣٢١ ، ١٢ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ ، ٢٦ يوليه ١٩٠٤م .

فى المجلة بنفس الاهتمام الذى حظى به فى الجريدة الإسلامية .

وبالرغم من أن الجريدة تشارك المجلة فى أنها كانت تقود الرأى العام ، وتوجهه وتحمل عبء الدعوة إلى تحرير البلاد من الاستعمار ، ومناهضة الأفكار الهدامة والدعوات المغرضة التى لقيت قبولا من الاستعمار البريطانى وصنائعه من بعض الصحفيين والمفكرين ، غير أن الجريدة اهتمت أكثر بالخبر ، وكانت تخصص له صفحات فى أعدادها ، بل إن الجرائد الإسلامية (اللواء - المؤيد - الشعب) كانت تنشر أخبارا عالمية عن وكالة رويتر وهافاس ، وكانت تعتمد فى ذلك أيضا على المراسلين الذين تعينهم للقيام بالمهام الصحفية ، وتغطية الأحداث فى مناطق وجودهم وفى المراكز التى يقومون بها .

وكانت المديريات المختلفة فى مصر موضع محل اهتمام هذه الجرائد ، وكانت تعين بها مراسلين خصوصيين تطلق عليهم لقب «المكاتبون» .

وكان هؤلاء المكاتبون لا يدعون مناسبة تمر عليهم فى مديرياتهم دون الإشارة إليها وتغطية أحداثها ، ونقل ذلك كله للقارئ من خلال الصحيفة .

وقد اهتمت الصحف الإسلامية بنشر الأخبار عن الدول العربية والإسلامية فى كل مكان حيث كانت تنشر أخبارا عن مسلمى الاتحاد السوفيتى ، ومسلمى أفغانستان والهند وغير ذلك .

ونلاحظ أن أخبار الدولة العثمانية قد حظيت باهتمام خاص لدى صحف الاتجاه الإسلامى بوجه عام ، وكان معظم الصحف لها مراسلون فى الأستانة .

ونستطيع أن نقسم الأخبار إلى أخبار خارجية، وأخبار داخلية . أما الأخبار الخارجية، فكانت أهم مصادرها ما يلى :

١ - وكالات الأنباء العالمية التى كانت تسمى آنذاك بشركان ، وأبرزها «رويتر» «وهافاس» .

٢ - المراسلون فى الخارج .

٣ - النقل عن الصحف التركية والعربية والأجنبية ، وكانت تنشر تحت عنوان : تلغرافات خارجية ، تلغرافات خاصة .

أما الأخبار الداخلية فكانت مصادرها تتلخص فيما يلى :

١ - المندوبون .

٢ - المكاتبون ، وهم المراسلون فى العواصم والأقاليم ، وكانت تنشر هذه الأخبار تحت عنوان : المراسلات ، أو مراسلات الأقاليم ، أو رسائل الأقاليم .

وقد تنوعت هذه الأخبار إلى أخبار سياسية ، وأخبار اقتصادية ، وأخبار اجتماعية ، ولكنها لم تكن تنشر تحت عناوين خاصة تشير إلى ذلك .

وامتازت الأخبار الخارجية بالقصر ، فى حين كانت الأخبار الداخلية تتسم بالطول أحيانا ، ويتخللها بعض التفصيلات التى يمكن الاستغناء عنها فى الخبر .

طريقة صياغة الخبر :

كانت الأخبار تصاغ بطريقة السرد ، أى سرد الحقائق حسب وقوعها ، ولم تعرف هذه الصحف طريقة صياغة الخبر بطريقة «الهرم المقلوب» المعروفة الآن فى طريقة صياغة الخبر الصحفى . هذه الطريقة التى يكون للخبر فيها صدر وجسم أو صلب ، وفى الصدر تكتب خلاصة الأخبار بعبارات قصيرة فيها عنصر الإثارة ، وفى الجسم أو الصلب تكتب الحقائق واحدة تلو الأخرى حتى نهايتها ، على أن يبدأ محرر الخبر بالعنصر المهم ثم الأقل أهمية وهكذا (١) .

ولم تعن هذه الصحف بوضع عنوان دال على الخبر أو مثير كما تفعل الصحف الحديثة ، واستخدمت فى تحرير الخبر الجمل الطويلة ، والفقرات الطويلة أيضا ، وعنيت باستخدام الروابط الأسلوبية بين أجزاء الخبر ، لذلك لم تتوافر فى لغة الخبر الأشياء التى ينبغى أن تتوافر فيه من إيثار الجمل القصيرة ، والفقرات القصيرة والعنوان الدال ، والتخلص من الروابط الأسلوبية كأسماء الوصول وأسماء الإشارة وأدوات التوكيد (٢) .

وكان الخبر يحرر بلغة أدبية تقرب من لغة المقال وبخاصة فى المجلات ، ولم يراع استكمال العناصر الأساسية المطلوبة فى تحرير الخبر : « من ، ماذا ، متى ، أين ، كيف، لماذا» التى اصطلح على تسميتها بالشقيقات الستة . وهذا نموذج لخبر نشر فى مجلة «المنار» بعنوان : «الحريق فى ميت غمر» :

« ميت غمر بلدة فى مديرية الدقهلية ، أصابها فى آخر الشهر الماضى حريق دمر الدور وقوض القصور ، والتهم الأثاث والرياش ، ولم يبق على الناس ، إلا من لجأ إلى الفرار قبل أن تحيط به النار فيأخذه لسانها ، أو يخيفه دخانها . ويقال : إن عدد البيوت التى احترقت بأهلها ـ إلا من أنجاه الله ـ تقارب « ٥٠٠ » ، وإن الخسائر تقدر بمئات الألوف من الجنيهات ، وقد كان الهول عظيما ، والخطب جسيما ، وقد يكون حال الذين نجوا شرا من حال الذين فقدوا ، فإن عذاب ساعة وإن كان شديدا دون العذاب المستمر» (٣) .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص٥٢ .

(٣) المنار ، عدد ٣ ، م٥ غرة صفر ١٣٢٠هـ، ٢٤ مايو ١٩٠٢م .

نماذج الأخبار فى الجرائد :

نموذج لخبر خارجى فى «المؤيد» :

«اكتسبت الحكومة ١١ كرسيا على أثر الانتخابات التى أجريت لتجديد الأعضاء كالمعتاد كل ثلاث سنوات» .

نموذج لخبر داخلى :

«شبت النار أمس شبوبا هائلا بدكان الشيخ مصطفى جاد الله تاجر الزيوت فأحرقتها، واستمرت تشتعل ساعتين تقريبا ، وبالرغم مما يوجد من المواد الملتهبة مثل الغاز والزيت ، لم تمتد لسواها من الدكاكين المجاورة ، وكان الوهم شديدا على جميع التجار والأهالى ، وقد أطفئت بهمة مأمور المركز ، ومعاون الإدارة وملاحظة وهمة حضرة العمدة جزاهم الله خيرا» (١) .

نموذج لخبر خارجى فى الشعب :

أخبار بريد أوربا .

«اشتداد البرد فى الجزائر» .

علمت جريدة مانشستر جارديان أن البرد قد اشتد فى الجزائر إلى حد لم يصل إليه من قبل ، حتى مات أربع عشرة نفسا منهم ثمانى نساء وثلاثة أطفال ، وثلاثة رجال ، وأن الثلوج قد غطت الهضاب هناك» (٢) .

رسائل الأقاليم :

«جراءة العصابات بمركز ديروط» .

«أرسلت عصابة من لصوص مركز ديروط إلى صاحب السعادة الوجيه عبد الرحمن بك سليمان ، عين أعيان العمارية ، خطابا مع أحد أفرادها تقول فيه : إن خصومه وخصوم سعادة والده ، اتفقوا مع تلك العصابة على مبلغ ثمانين جنيها أجرة على القتل ، فإن وصل المبلغ مع حامل خطابهم يكون فى مأمن على حياته ، وحياة أبيه وأخوته . حادثة مدهشة سمعنا بغيرها من نوعها ، ولكن عدم وصول خبرها للنيابة كان يضطرنا إلى إغفالها حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، أما سعادة الوجيه عبد الرحمن سليمان ، فإنه استطاع أن يضبط هذا الشخص بخطابه بعد أن اعترف له بأسماء تسعة من العصابة ، وقبضت النيابة على التسعة ، ويقال : إن التحقيق مستمر ، وقبضت النيابة على آخرين ،

---

(١) المؤيد ، عدد ٤٠٥٣ ، ١٥ جمادى الثانية ١٣٢١هـ ، ٧ سبتمبر ١٩٠٣ .

(٢) الشعب ، عدد ٦٠١ ، ٢ ربيع الأول ١٣٣٢هـ ، ٢٨ يناير ١٩١٤م .

وربما تمكنت المديرية من معرفة أسرار كانت غامضة تظهرها التحقيقات» [1] .

نموذج خبر خارجي في «اللواء» :

هافاس لوندرة في ٣١ يناير .

«مجلس النواب : ابتدأ المجلس في مناقشة اقتراح فيترموريس بخصوص خطاب الملكة، الذي يظهر فيه أسفه ، من عدم تبصر الحكومة في الحرب ، وقد انتقد جملة أخطاء على الحكومة» .

نموذج خبر داخلي :

«اعتصاب العمال في مصر» .

«علم القراء أن لفافي السجاير اعتصبوا اعتصابا عاما ، وقد بلغنا أنهم احتجوا يوم الأربعاء الماضي عند قنصل اليونان، ورضوا بالكف عن الاعتصاب مقابل زيادة أجورهم» [2].

ثالثا : التقرير الصحفي :

للتقرير الصحفي فنون أربعة هي : التحقيق الصحفي ، والحديث الصحفي ، والماجريات الصحفية ، والتقرير المصور «الريبورتاج» ، والتقرير الصحفي يحمل غالبا طابع كاتبه ، وشخصيته ، ويدل عليه دلالة قوية [3] .

فن التحقيق الصحفي :

عرفت الصحافة الفرنسية التي أصدرتها الحملة الفرنسية على مصر فن التحقيق الصحفي منذ صدورها في أكتوبر ١٧٩٨م ، وكانت صحيفة «العشرية المصرية» التي أصدرتها الحملة تحتوي على تحقيقات صحفية ، كما كانت «بريد مصر» الصادرة في أغسطس ١٨٩٨م تحتوي على وصف لساحات القتال ، وللحفلات التي حضرها نابليون ، كما كانت تعنى بنشر تفاصيل زيارة نابليون للعلماء المصريين ، كزيارته للسيد السادات في مولد السيدة زينب ، وهذا ما يسمى الآن بالتحقيق الصحفي الموسمي أو تحقيق المناسبات ... وقد كان رفاعة الطهطاوي - أول محرر للوقائع - قد عرف التحقيق الصحفي في فرنسا ، فأخذ يبذر بذوره في تلك الصحيفة الرسمية ، كما استطاع السوريون واللبنانيون القادمون من بلاد الشام أن يجلبوا معهم هذا الفن الذي تعلموه من البعثات التبشيرية ، وأساتذة الجامعة الأمريكية ، وخاصة ما يتصل بالفنون والعلوم [4] .

---

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) اللواء ، عدد ٢٨٦٦ ،٩ محرم ١٣٢٦هـ ، ٣١ يناير ١٩٠٩م

(٣) د . عبد اللطيف حمزة : المدخل في فن التحرير الصحفي ، مرجع سابق ، ص٤٠٢ .

(٤) د . إبراهيم إمام : دراسات في الفن الصحفي ،مرجع سابق ، ص١٤٤ .

أى أن هذا الفن لم تعرفه الصحافة المصرية ، بل إنه جاء إليها من الخارج ، ولكن مع تطور الصحافة المصرية فى بداية القرن العشرين قد رأينا كما يقول الدكتور إبراهيم إمام : «أن الصحافة المصرية فى الثلث الأول من القرن العشرين كانت تشير إلى التحقيق بألفاظ متعددة كالبحث ، والدراسة ، والجولة ، والرسالة ، والمشاهدات ، والنقدات ، والملاحظات ، وهى جميعا تدل على حس صحفى سليم لفهم طبيعة التحقيق الصحفى ووظيفته... وفى ٤ أغسطس ١٩٣٩م استخدمت المصور لأول مرة عبارة التحقيق الصحفى » (١).

وينبغى أن نشير هنا إلى أن المجلات الإسلامية لم تعرف هذا اللون من الفنون الصحفية، ولم تعرفه الجرائد الإسلامية بالمعنى المعروف الآن .

وأقرب ما نشرته جرائد الاتجاه الإسلامى ما كانت تنشره عن موضوع معين وتتناوله من جميع جوانبه ، مثال ذلك : ما نشرته «المؤيد» عن مدرسة الطب المصرية بالقصر العينى فى أعداد متوالية ، تناولت فيها نشأة هذه المدرسة ، والغرض منها ، ومعامل المدرسة وأبنيتها، وطلابها ونظامها ، وما عالجه الصحفى فى هذه الأعداء هو عبارة عن تحقيق صحفى عن المدرسة (٢) .

وأيضا ما نشرته «المؤيد» بعنوان : «طريقة تحسين الحروف العربية بمطبعة بولاق الأهلية» يعتبر تحقيقا صحفيا ، فقد تناولت فيه تاريخ الطباعة وتطور طباعة الحرف العربى ، والمشاريع المقترحة لإصلاح وتحسين الحروف العربية (٣) .

وقد عرفت «المؤيد» شكل التحقيق الصحفى وكانت تنشره تحت اسم المحادثات الصحفية، ونلاحظ أن الباحث سليمان صالح قد ذكر فى رسالته عن جريدة «المؤيد» فى صفحة ٤١٦ أن «المؤيد» استخدمت شكل التحقيق الصحفى مرتين فقط خلال تاريخها ، كانت الأولى عام ١٩٠٦م ردا على اتهام المصريين بالتعصب الدينى ، وكانت المرة الثانية عام ١٩٠٩م وتناول مشروع مد امتياز قناة السويس (٤) .

وهذا فيه مجافاة للصواب ويرجع ذلك إلى ما يلى :

أولا : إن الباحث قد استخدم فى دراسته التاريخية عن «المؤيد» أسلوب العينة فى جمع المعلومات ، ثم قام بتعميم الحكم على باقى الأعداد .

ثانيا : إن «المؤيد» استخدمت شكل التحقيق الصحفى فى أكثر من موضع غير الذى ذكرهما الباحث ، فعلى سبيل المثال نشرت فى العدد رقم ٤٩٠٦ الصادر فى ١٢ جمادى

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤٥ . (٢) المؤيد ، عدد ٣٨٨٨ ، ١٨ فبراير ١٩٠٣م .

(٣) المؤيد ، عدد ٣٩٠٣ ، ٩ ذى الحجة ١٣٢٠هـ ، ٨ مارس ١٩٠٣م .

(٤) سليمان صالح : جريدة المؤيد ١٨٨٩ ـ ١٩١٥ ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ١٩٨٥م .

الأولى ١٣٢٤هـ ، ٤ يوليه ١٩٠٦م تحقيقا صحفيا تحت عنوان : «محادثات مع بعض الأعيان» ؛ «حادثة دنشواى والجريدة الجديدة » عرض فيه المحرر لآراء كل من :

١ ـ حسن باشا عبد الرازق مندوب المنيا فى مجلس شورى القوانين .

٢ ـ إبراهيم باشا مندوب الغربية فى مجلس شورى القوانين .

٣ ـ أحد سراة مصر .

وكان التحقيق بشأن جريدة الجريدة المزمع إنشاؤها ، وموقف الأعيان من حادثة دنشواى.

وقد عرفت «اللواء» أيضا فن التحقيق الصحفى وإن لم تشر إلى أنه تحقيق صحفى ، وعلى سبيل المثال: نشرت موضوعا بعنوان : «آلة الطباعة» ، وتناولت فائدتها ومخترعيها، وتطور اختراع آلة الطباعة العربية (١) .

ونستطيع أن نقول : إن التحقيق الصحفى بالمعنى المعروف فى الصحافة المعاصرة لم يكن معروفا لدى صحف الاتجاه الإسلامى ، ولكنها عرفته من خلال تناولها للعديد من المشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية بالتحليل والبحث والدراسة بشكل أقرب للتحقيق الصحفى ؛ لأن التحقيق الصحفى ما هو إلا «جمع المعلومات التى تتصف بالحركة والشمول ، والمتصلة بالأحداث الجارية سياسية أو قضائية أو أدبية ، والتى تقدم الآراء والأفكار التي تدور حولها فى لغة مفهومة» (٢) .

وقد يتناول التحقيق الصحفى أحيانا موضوعات تاريخية ، ولكن من الزاوية الجديدة أو النظرة المكتشفة حديثا ، أو التقويم الجديد للحقائق التاريخية ، مما يجعل الموضوع التاريخى جديرا بالمعالجة الصحفية ، فالتحقيق الصحفى ـ كما يقول الدكتور إبراهيم إمام : «استجلاء حقيقة من العالم المحيط بنا ، ومعالجتها بأسلوب واقعى مشوق وجذاب» (٣) .

فن الحديث الصحفى :

الحديث الصحفى هو : «تقرير يكتبه محرر فى لغة واضحة وجذابة لينشر فى الوقت المناسب فى صحيفة أو مجلة ، أو توزعه وكالة أنباء عن مضمون مقابلة حديثة أجراها وحده أو مع غيره نيابة عن القراء ، أو مكالمة هاتفية طويلة ، أو بالاتصال البريدى فى أحيان قليلة مع فرد أو أفراد من المسؤولين ، وأهل الثقة أو صناع الأخبار للحصول بالتساؤل والمناقشة على المعلومات والآراء والمواقف الخاصة بهم أو المتصلة بالأحداث

---

(١) اللواء ، عدد ١٠١٢ ، ٢٩ يناير ١٩٠٣م .

(٢) د . محمود إبراهيم : التحقيق الصحفى ، ط١ القاهرة ١٩٨١م ، ص١٥ .

(٣) د . إبراهيم إمام : دراسات فى الفن الصحفى ، مرجع سابق ، ص١٣٨ ، ١٣٩ .

والقضايا والأفكار الجديدة ، التى تهم القراء والمجتمع بهدف إعلامهم وتوعيتهم وتوجيههم ، وتثقيفهم وتعليمهم ، وتنمية مجتمعهم وتسليتهم ، وتحقيق الربح المادى لوسيلة النشر »[1] ورغم أن فن «الحديث الصحفى» حديث النشأة ، إلا أننا نلاحظ أن الجرائد الإسلامية عرفت هذا الفن التحريرى ، وإن لم تنشره على نطاق واسع ،أما المجلات فلم تمارس هذا اللون من الفن الصحفى .

وكانت «اللواء» تنشر الأحاديث الصحفية المترجمة ، التى تنقلها عن الصحف الأجنبية، فقد نشرت حديثا صحفيا تحت عنوان : «أوربا والإسلام» أجراه أحد محررى جريدة «فييز كستر ابلاط» مع مصطفى كامل ، وقد تم ترجمته إلى العربية [2] .

وقد عرفت «المؤيد» أيضا الحديث الصحفى ، مثل ذلك الحديث الذى أجراه على يوسف فى فرنسا مع مسيو شارل هاليه مدير المطبوع السنوى المصور للمستعمرات الفرنسية،وأحد نواب فرنسا السابق ، وكان يشير إلى السؤال بحرف«س» وإلى الجواب بحرف « ج » [3] .

كما نشرت حديثا صحفيا بعنوان : «حديث مهم» ، أجراه أيضا الشيخ على يوسف مع المشير عبد الله باشا من دمشق ، الذى كان معينا من قبل الخليفة العثمانى ، ليرأس الوفد المشكل للاحتفال بخطة سكة حديد الحجاز [4] .

كما نشرت أيضا حديثا صحفيا بعنوان : (محادثة هندوس فى إدارة «المؤيد») [5] ، ونلاحظ أن بعض المراسلين كانوا يوافون الجرائد ببعض الأحاديث الصحفية ، فضلا عن الأخبار، مثل الحديث الذى أجراه مراسل «المؤيد» فى مديرية الغربية مع مدير المحافظة ، ونشرته «المؤيد» بعنوان : «حديث مع سعادة مدير الغربية لوكيلنا بالغربية» [6] ، دار الحديث عن أمور التعليم فى المديرية .

كما مارست «الشعب» أيضا فن الحديث الصحفى ، فقد نشرت حديثا أجراه الرافعى مع سعد زغلول بشأن ترشيحه للجمعية التشريعية [7] .

---

(١) د . محمود أدهم : المدخل فى فن الحديث الصحفى ، القاهرة ١٩٨٢، ص ٤٠ .

(٢) اللواء ، عدد ٨٥٠ ، ١٦ ربيع الثانى ١٣٢٠هـ ، ٢٢ يوليه ١٩٠٢م .

(٣) المؤيد ، عدد ٤٠٢١ ، ٥ جمادى الأولى ١٣٢١هـ ، ٣٠ يوليه ١٩٠٣م .

(٤) المؤيد ، عدد ٥٥٥٨ ، ٤ من شعبان ١٣٢٦هـ ، ١٣ أغسطس ١٩٠٨م .

(٥) المؤيد ، عدد ٥٢٦٧ ، ٦ شعبان ١٣٢٥هـ ، ١٤ سبتمبر ١٩٠٧م .

(٦) المؤيد ، عدد ٦٠١٦ ، ٢٠ مارس ١٩١٠م .

(٧) الشعب ، عدد ٥٢٧ ، ٣٠ ذى القعدة ١٣٣١هـ ، ٣٠ أكتوبر ١٩١٣م .

وهكذا نلاحظ أن الجرائد الإسلامية قد مارست فن الحديث الصحفى فى هذه الفترة من تاريخ الصحافة المصرية ، متأثرة فى ذلك بالصحافة الغربية ، حيث تقول «المؤيد» تحت عنوان :«المحادثات الصحفية ومثال منها بين ممدوح باشا وأمريكى» : «المحادثات الصحفية كما رأيت مثالها فى «المؤيد» هى تقريب لفظ إنترفيو(Interview) الإنجليزية التى لم تجد فى الصحافة الفرنسية كلمة تقوم مقامها فى لغتها فاستعارت لها الكلمة الإنجليزية ، وكان المسوغ لها تشابه الحروف رسما فى اللغتين» (١) .

وتبين «المؤيد» المراد منها قائلة : «أن يأخذ الكاتب رأى شخص خبير فى المسائل التى يهم العموم العلم بها من مصادرها ، فالقاعدة إذن أن يكون المتحدث معه أعلم بها من الجهة التى يراد العلم بها من قبله ، وبواسطة المحادثات يكون جمهور القراء أصحاب الرأى من محررى الجرائد ونصرائها . . . وهى أفضل ما يقبل الإنسان على قراءته» (٢) .

وتؤكد على أهمية الأحاديث الصحفية فتقول : «وقد حان للصحافة المصرية أن تلتفت إلى هذا النوع الهام من فروعها ، وهو اليوم فى الصحافة الراقية أساس تُبْنى عليه آمال النجاح ، فقد تَعَوَّد القراء فى مصر على طريقة واحدة للجرائد فى كل أحوالها حتى ملوها، وفى مصر الحوادث الكثيرة التى تستحق عناية الصحف بمحادثة عارفيها ، والصحفى الذى يتخذ محادثة الناس خطة له يفيد كثيرا ؛ لأنه يعطى القراء أخبارا كثيرة فى شكل جديد . . . وقد ألف الناس هذه المحادثات فى أوربا وأمريكا ، حتى صاروا يعدون اختيار الصحفى واحدا منهم لمحادثته من باب الإكرام والافتخار ؛ إذ يقولون له : لو لم يكن فى مكانه من الأهمية ما تكلف الصحفى أخذ رأيه» (٣) .

الماجريات :

الماجرى لفظ مركب من كلمتين هما : «ما» و«جرى» بمعنى ما حدث ، وهو اصطلاح صحفى لا يجرى بمعناه اللغوى على الأحداث التى تقع فى أى مكان كالطريق أو المنزل أو المدرسة أو الجامعة ونحو ذلك ، وإنما يقصد بهذا الاصطلاح كل ما يحدث فى الجلسات التى تعقدها الهيئات العامة ذات الصلة الوثيقة بمصلحة عليا من مصالح الوطن الذى تصدر فيه الصحيفة والأوطان التى تربطها به علاقة ما (٤) .

ويمكن أن نلمح وجود هذا الفن فى الجرائد الإسلامية فيما كانت تنشره «المؤيد» عن جلسات القضاء ، ومتابعة الحوادث وما تم فيها من أحكام (٥) . كما يمكن أن نلمح ذلك

(١ ـ ٣) المؤيد ، عدد ٤٩٠٥ ، ١٣ جمادى الأولى ١٢٢٤هـ ، ٥ يوليه ١٩٠٦م .

(٤) نشرت «المؤيد» متابعة لقضية آل رفاعى بمحكمة جنايات أسيوط تحت عنوان : «قضية اليوم» ، وظلت «المؤيد» تتابع أخبار القضية وتطوراتها فى أعداد متوالية ، مما يمكن أن نطلق عليه : «ماجريات قضائية» . انظر : المؤيد، العدد ٤٥٨٠ ، ربيع الثانى ١٣٢٣هـ ، ٦ يونيه ١٩٠٥م .

(٥) د . عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ، ص٤٥١ .

فيما كانت تخصصه هذه الصحف من متابعة أخبار الجمعية العمومية ، ومجلس شورى القوانين ، والأحداث السياسية والاجتماعية التى تنشب فى المجتمع وتعرض لها الصحف فى أعداد متوالية .

وقد نشرت «المؤيد» ما يقرب من هذا الفن عندما تناولت بالتفصيل حوادث جزيرة العرب فى أعداد متوالية [1] .

أما فن التقرير المصور «الريبورتاج» فنلاحظ أن الصحافة الإسلامية لم تعرف هذا الفن؛ لأنها لم تستخدم الصورة ، وأيضا فإن هذا الفن حديث النشأة .

والصورة عنصر أساسى فى التقرير ، وقد أكثرت منه الصحافة الحديثة لجذب انتباه القارئ وتسليته فى بعض الأحيان .

---

(١) المؤيد ، عدد ٣٩٠٧ ، ١٨ ذى الحجة ١٣٢٠هـ ، ١٧ مارس ١٩٠٣م .



الفصل الثالث عشر

الجوانب الإخراجية فى صحف الاتجاه الإسلامى

الطابع العام للإخراج الصحفى :

صدرت صحف الاتجاه الإسلامى فى نوعين :

١ ـ المجلات : مثل «الإسلام» و «المنار» و «الحياة» و «مكارم الأخلاق الإسلامية» و«المرأة فى الإسلام» و «الهداية» .

٢ ـ الجرائد : مثل «المؤيد» و «اللواء» و «العالم الإسلامى» و «الشعب» .

وتجدر الإشارة هنا أن طريقة الإخراج العمودية أو الطولية لم تتبع فى إخراج المجلات، حيث كانت تتبع فى إخراجها طريقة الإخراج العرضية المتبعة فى إخراج الكتب، إذ كانت توزع المادة التحريرية على عدد الصفحات بالترتيب .

ويلاحظ أن العناية بالإخراج كانت تأتى فى مرتبة تالية بعد العناية بالأفكار والآراء ، ولذلك لم نجد تغيرا ملموسا فى أساليب إخراج هذه الصحف طوال فترة الدراسة .

ولم تستخدم الصحف فى ذلك الوقت الصورة الصحفية إلا نادرا ، ولم يكن هناك تنسيق فنى للصحيفة ، فضلا عن ذلك لم يكن هناك عناية بحروف الطباعة ، من حيث اختلاف أبناطها ، وأنماطها ، ولم تكن تعنى عناية دقيقة بالعناوين الرئيسية والفرعية ، أو استخدام عوامل الإبراز المختلفة .

وقد تشابهت الجرائد الإسلامية مع الصحف المعاصرة لها فى طريقة الإخراج من حيث اتباعها لطريقة الإخراج العمودى التقليدى ، هذه الطريقة التى تعرف بالنظام الرأسى فى الإخراج الصحفى ، حيث نجد أن الصحيفة تقوم بتوزيع مادتها التحريرية داخل هذه الأعمدة على التوالى ، فإذا بقيت تكملة للمقال أو الخبر انتقلت إلى العمود الآخر ، وهكذا كانت الصحيفة تقيد نفسها فى إطار أعمدتها .

ولم تكن الصحف تقوم بتنويع طريقة الإخراج ، فتمزج بين طريقة الإخراج العمودى وطريقة الإخراج العرضى ، الذى يعتمد على توزيع المادة التحريرية بشكل عرضى على أكبر عدد من الأعمدة كما تفعل الصحف المعاصرة. أما المجلات فقد اتبعت فى إخراجها الطريقة العرضية كما ذكرنا ، هذه الطريقة المتبعة فى إخراج الكتب ، حيث كانت توزع المادة التحريرة على عدد الصفحات بالترتيب .

ولم تحاول الجرائد الإسلامية «المؤيد» و «اللواء» أن تزيد فى أعمدتها ، بل التزمت بنظام الخمسة أعمدة أو الستة أعمدة كما فى «الشعب» ، فى حين أن بعض الصحف الأخرى مثل «الأهرام» زادت فى عدد أعمدتها فأصبحت سبعة ، ثم وصلت إلى ثمانية أعمدة ، ولكنها عادت بعد ذلك إلى نظام الأعمدة السبعة (1) .

تبويب الصفحات

كانت بعض الصحف تنشر المواد التحريرية تحت عنوان ثابت غالبا ، فى حين أن بعضها الآخر لم يلتزم بهذا المبدأ ، ويحسن أن نعرض لنظام تبويب الصحف فى الجرائد والمجلات التى التزمت بذلك .

أولا : «المؤيد» :

خصصت المؤيد الصفحة الأولى للمقال الافتتاحى ، أو المقال الرئيسى فيها ، ثم عقدت «بابا» لمكاتبات الأقاليم ، ثم «الحوادث المحلية» ثم «التلغرافات العمومية» ثم «التجارة» ثم «إعلانات تجارية وقضائية» ثم «أخبار الدولة العلية» ثم الإعلانات .

ثانيا : «اللواء» :

كانت اللواء تبدأ صفحتها الأولى بمقال رئيسى للجريدة أو مقالين ، يلى ذلك باب عقدته بعنوان : «البريد العام» تنشر فيه كل ما يرد إليها من الرسائل السياسية والاقتراحات المفيدة للوطن ، ثم باب بعنوان : «أوربا والإسلام» تنشر فيه بعض ما يكتب فى جرائد أوربا عن الإسلام والمسلمين ، ثم باب بعنوان : «أخلاق وآداب» تنتقد فيه الأخلاق الفاسدة والعادات الدخيلة ، ثم باب بعنوان: «بريد العالمين» تنشر منه بعض الأخبار عن دول العالم ، ثم باب بعنوان : «آيات الوطنية» تثبت فيه كل ما يرفع روح الوطنية لدى الشعب، ثم باب بعنوان : «حوادث داخلية» تنشر فيه ما يقع من حوادث فى الأقاليم، يلى ذلك الإعلانات .

ثالثا : «الشعب» :

كانت تخصص صفحتها الأولى للمقال الرئيسى أو الافتتاحى يلى ذلك باب بعنون «أخبار بريد أوربا » يشتمل على البرقيات الخارجية ثم «الأخبار الداخلية،ورسائل الأقاليم»، ثم «الحوادث» الذى يكتبه باستمرار أمين الرافعى، ثم باب بعنوان : «تلغرافات عمومية» ، ثم «التجارة» ، ثم الإعلانات .

ويلاحظ أن هذه الصحف كانت تقدم فهرسا عاما لصفحاتها فى الصفحة الأولى .

رابعا :« المنار» :

أما «المنار» فكان يشغل المقال الرئيسى الافتتاحى ما يقرب من الخمس صفحات

---

(1) د . إبراهيم إمام : فن الإخراج الصحفى ، القاهرة : الأنجلو المصرية ١٩٥٧ ، ص٥ .

الأولى، وذلك قبل أن تخصص الصفحات الأولى لتفسير القرآن الكريم ، يلى ذلك باب بعنوان : «التربية والتعليم» ، ثم باب بعنوان : «آثار علمية وأدبية» ، يلى ذلك باب بعنوان: «الأخبار التاريخية ، يلى ذلك باب بعنوان : «متفرقات » يحتوى على تقاريظ لبعض الكتب أو منشورات أو بعض الأخبار .

ويلاحظ أن هذه الأبواب لم تكن ثابتة بل كانت تتغير بالزيادة أو النقص .

خامسا : «الحياة» :

وكانت تشتمل على مقالات تحت عناوين شبه ثابتة ، مثل : «معجزات الإسلام الخالدة» ، «وصف الحال بلسان الخيال» ، «ما وراء المادة» «الشبهات العصرية ونفيها عن الإسلام» فضلا عن بعض القصائد الشعرية وبعض المقالات الإسلامية ، وبعض الأسئلة والأجوبة التى ترد إلى المجلة من القراء ، وبعض الحكم والأخبار التى كانت تنشر تحت عنوان : «متفرقات» .

سادسا : «الإسلام» و «مكارم الأخلاق الإسلامية» :

هاتان المجلتان لم تكن لهما أبواب ثابتة ، وإنما كانت تحتوى على مختلف المقالات فى المجالات الدينية ، والعلمية، والأدبية ، والتاريخية ، والاجتماعية .

سابعا : «المرأة فى الإسلام» :

احتوت على ستة أبواب :

١ ـ المباحث العلمية فى موضوع المرأة واستعدادها وترقية شأنها ، وبيان ما تخوله الشريعة لها من الحقوق .

٢ ـ التدبير المنزلى ، ويشتمل على طرق تربية البنين والبنات وإدارة المنزل .

٣ ـ الأخلاق والعادات .

٤ ـ سيرة شهيرات النساء .

٥ ـ أخبار النساء .

٦ ـ العائلة وتكوينها ، ويتناول حقوق أفرادها من زوج وآباء وأبناء .

ثامنا : «الهداية» :

وقد احتوت على الأبواب التالية :

١ ـ أسرار القرآن .

٢ ـ اللغة والأدب ، خاص بالمباحث اللغوية والأدبية .

٣ـ شذور علمية ، ويتناول بعض الفوائد العلمية والمكتشفات والمخترعات العصرية .

٤ ـ الحوادث والأجيال ، وهو باب خاص لذكر كبار الحوادث التى أحدثت انقلابا من

حال إلى حال، وسير الأجيال التى سلفت بغير التقيد بترتيب زمنى .

٥ ـ مكاتبات ، ويظهر فيه ما يرد إلى المجلة من أخبار مكاتبيها فى بعض أقطار العالم الإسلامى .

٦ ـ التربية والتعليم ، ويبحث فى تربية الفرد وتربية الأمة على اختلاف أنواع التربية وطرائقها .

٧ ـ المنبر العام ، ويتناول أمورا متفرقة فى مواضع شتى .

٨ ـ أسئلة وأجوبة للرد على أسئلة القراء .

إخراج الصفحة الأولى :

يختلف إخراج الصفحة الأولى من المجلات الإسلامية : «الإسلام» و «الحياة» و«المنار» و «مكارم الأخلاق الإسلامية» و«الهداية» عن الجرائد الإسلامية : «اللواء» و«المؤيد» و «الشعب» .

ففى المجلات تنقسم الصفحة الأولى إلى قسمين :

١ ـ الرأس .　　　　٢ـ الجسد .

ويقصد بالرأس الجزء العلوى من الصفحة الأولى ، والذى يطلق عليه فى بعض الأحيان «الترويسة» التى تحتوى على اسم المجلة وصاحبها ورئيس تحريرها وتاريخ الصدور، وغير ذلك من البيانات كقيمة الاشتراك ، وعنوان مقر المجلة وتاريخ تأسيسها .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أسماء الصحف الإسلامية كانت تكتب دائما بالخط الثلث مع إحاطتها بالزخارف والحلى الخطية ، وهذا تقليد عربى قديم درج عليه الخطاطون فى اللافتات والأختام والزينة الخطية للمساجد ودور العلم وغيرها ؛ ولذلك فليس عجيبا أن صحف الشامين النصارى لم تتبعه [١] ، ولنفس السبب كانت الصحف الإسلامية تسبق التاريخ الهجرى فى رأس الصفحة الأولى أو عنقها ، بينما تسبق الأخرى بالتاريخ الإفرنجى .

وظل الخط الثلث سائدا فى كتابة لافتة الصحف الإسلامية حتى ثورة ١٩١٩م [٢] ، أما جسم المجلة فكانت توضع فيه المادة التحريرية بدون أى فواصل ، أعمدة طويلة أو عرضية . ولم تختلف عن هذا النمط إلا مجلة «المرأة فى الإسلام» حيث كانت الصفحة

---

(١) سامى عبد العزيز الكومى : الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ١٩٨٤م ، ص١١٣ .

(٢) د . أحمد حسين الصاوى : طباعة الصحف وإخراجها ، مرجع سابق ، ص١٣٢ ، ١٨٣ .

الأولى تحتوى على نهرين .

وفى الجرائد كانت الصفحة الأولى تنقسم أيضا إلى قسمين ؛ هما الرأس والجسد ، غير أن الجرائد كانت تختلف عن المجلات فى أن جسم الصفحة فى الجريدة كان مقسما إلى خمسة أو ستة أعمدة فواصل طولية تتوزع عليها المادة التحريرية .

وكان الموضوع الأول يبدأ فى أعلى أول عمود على اليمين ، حتى إذا بلغ نهايته ، تم اكتمال الموضوع فى أعلى العمود الثانى ، ثم الثالث وهكذا .

وعندما ينتهى الموضوع الأول يوضع عنوان الموضوع الذى يليه فى المكان الذى انتهى إليه سابقه ، وإذا تم العمود الأخير فى الصفحة الأولى يتم إكمال الموضوع فى أعلى العمود الأول من الصفحة الثانية ، وهكذا تتوالى الموضوعات حتى يتم طبع الصحيفة كلها.

ويمكن القول : إن الصحف الإسلامية كانت تتبع فى إخراج الصفحة الأولى المذهب الوظيفى أو الانتقائى فى الإخراج ، الذى يعتمد على ترتيب الموضوعات الصحفية حسب أهميتها (1) .

وإذا نظرنا إلى رأس الصفحة الأولى وجدنا اسم الصحيفة يتوسطها بما يحقق التوازن والتماثل مع الأذنين ، وكانت الأذن اليمنى مخصصة لبيانات الإعلانات والاشتراكات ، وعنوان الجريدة ، بينما كانت الأذن اليسرى مخصصة لبيانات عن رئيس التحرير أو صاحب الامتياز أو مسؤول التحرير ، ومكاتبات الصحيفة .

المانشيت :

ولما كانت الصحف الإسلامية تستخدم أسلوب الإخراج العمودى التقليدى ـ كما ذكرنا ـ أو الأسلوب العرضى قبل ذلك ، فلم تكن العناوين تتجاوز عمودين أو ثلاثة أعمدة إلا فى القليل ، بينما وزعت المادة التحريرية داخل الأعمدة بالتوالى ؛ لذلك فالمانشيت لم تستخدمه الصحف الإسلامية كلها فى فترة الدراسة سوى «اللواء» التى استخدمته لأول مرة فى ١١ فبراير ١٩٠٨م بمناسبة وفاة مصطفى كامل .

كما يلاحظ أن الصحف لم تكن تنشر أى مادة إعلانية فى الصفحة الأولى ، بل كانت الإعلانات تأتى فى مرحلة تالية للمادة التحريرية .

إخراج الصفحات الداخلية :

لم يختلف إخراج الصفحات الداخلية فى المجلات الإسلامية عن الصفحة الأولى حيث كانت توزع المادة التحريرية بالطريقة نفسها ، المتبعة فى إخراج الصفحة الأولى .

---

(1) المرجع السابق نفسه .

وكانت «الهداية» ، و «المنار» ، و «الحياة» ، و «مكارم الأخلاق الإسلامية» تسلسل أرقام صفحاتها من عدد إلى آخر بصورة متصلة على مدار السنة كلها ، على اعتبار أنها تكون فى مجموعها كتابا واحدا متصلا ، وهذا النهج سارت عليه «مجلة الأزهر» الآن .

وكانت «المنار» و «الهداية» تزودان القارئ فى نهاية العام بفهرس لموضوعات السنة كلها، يوضع فى بداية الأعداد عند وضعها فى مجلد واحد .

وكان يتم جمع متن المجلات ببنط يتراوح بين ١٢ ، ١٨ أبيض فى منتصف الصفحة ، وباتساع يبلغ خمسة وعشرين كورا (١) ، وهو اتساع الجمع نفسه فى الكتب ذات القطع العادى ١٧ × ١٥ سم . كما جمعت العناوين فى بعض الأحيان من حروف المتن وأحيانا أخرى كانت تجمع ببنط يتراوح بين ١٨ ، ٢٤ .

وقد أحاطت المجلات : «الإسلام» و «المنار» و « مكارم الأخلاق الإسلامية» و«الحياة» و «الهداية» فى بعض الأحيان المادة التحريرية بإطارات على جانبى الصفحة ، وأحيانا أعلى وأسفل الصفحة ، وكانت هذه الإطارات عيب تيبوغرافى فى إخراج الصفحة حيث يجعل القراءة صعبة ، ويبطل الإفادة من بياض الهامش الذى يعمل على إضاءة الصفحات ، ويريح عين القارئ .

وربما تأثرت هذه المجلات فى ذلك بالتقليد التيبوغرافى فى المتبع فى طباعة المصحف الشريف ، وهذا التقليد ـ وإن كان مقبولا وله ما يبرره فى إخراج المصحف إلا أنه ـ لا يتناسب مع المجلات . فالمصحف له طبيعة خاصة، حيث إن الوحدة فيه الآية الكريمة وليست الجملة ، وتتوالى آياته ويتم الفصل بينها بدائرة زخرفية فى داخلها رقم الآية فى السورة ، كما أن طريقة قراءة القرآن وحفظه ذات طبيعة خاصة تختلف عن طريقة قراءة المجلة (٢) .

وكانت هذه المجلات تستخدم الفراغات البيضاء بين نهاية مقال وبداية مقال آخر يتخلل هذا الفراغ غالبا عنوان المقال الثانى ، وغالبا ما كانت تحيطه بأقواس مزخرفة وبعض المجلات كانت تستخدم الفواصل العرضية «الخطوط القصيرة» فى بعض الأحيان .

وقد شاع فى إخراج صفحات «المجلات» بعض العيوب التيبوغرافية الأخرى مثل عدم تقسيم الكلام إلى فقرات فى بعض الأحيان وعدم استخدام علامات الترقيم مثل النقطة والفصلة ، التى تميز الكلام بعضه عن بعض، وتساعد على القراءة وعلى فهمه . فعدم وجودها يؤدى أحيانا إلى الغموض وصعوبة القراءة .

---

(١) البنط: هو وحدة قياس حجم الحرف الطباعى ويعادل $\frac{١}{٧٢}$ من البوصة ، ويقدر الحجم على أساس طول السطح الذى يرتكز عليه وجه الحرف ، وتتراوح أحجام حروف الطباعة بين ٥ أبناط ، ١١٤ بنطا . والكور $\frac{١}{٦}$ من البوصة . انظر د . أحمد الصاوى: طباعة الصحف وإخراجها ، مرجع سابق ، ص٣١، ٣٩ .

(٢) سامى الكومى : الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ، مرجع سابق ، ص١١١ .

أما إخراج الصفحات الداخلية فى الجرائد فكان يعتمد على أسلوب الإخراج الرأسى الذى يعتمد على توزيع المادة التحريرية داخل الأعمدة الطولية الثابتة فى الصفحة . وكانت بعض الصحف تنشر مقالات فى بعض الأحيان على عمودين أو أكثر داخل إطارات حتى يتوفر لها عامل الإبراز .

ولم يعتمد مخرجو هذه الصحف فى ذلك الوقت على نظريات الإخراج المعروفة الآن مثل «نظرية التماثل والتوازن ، والبؤرى والأفقى» (١) .

ولم نجد صحيفة واحدة التزمت بنظرية من هذه النظريات ، ولكن الصحف اعتمدت على ما يبتكره مخرجوها فى تحديد صفحاتها ، وتوزيع المادة التحريرية عليها ؛ لذلك فلم يكن هناك أسلوب محدد أو مصطلح عليه فى توزيع المادة التحريرية والإعلانية على الصفحات الداخلية فى الجريدة ، بحيث يعطى المادة التحريرة مساحة محدودة ، وشكلا معينا ، ويعطى المادة الإعلانية مساحة محددة ، وشكلا معينا . وهذا يرجع إلى أن الصحف كانت تخصص الصفحات الأخيرة باستمرار للإعلانات . ولم تنشر إعلانات فى الصفحات الداخلية إلا فى مساحات ضيقة ، وأسفل المادة التحريرية .

ويلاحظ أنه كان يغلب على المادة التحريرية اللون الأسود ، وذلك يرجع إلى أن الصحف على اختلافها لم تستخدم الصورة الصحفية ولا الخرائط إلا نادرا ، ولم يعرف الرسم الكاريكاتيرى فى ذلك الوقت .

فضلا عن ذلك ، فإن مخرجى هذه الصحف لم يستخدموا بعض الفراغات البيضاء بشكل جيد ، ولم يستخدموا أيضا التنويع فى أرضيات الصحيفة ، مثل الكتابة بلون أبيض فوق أرضية سوداء أو رمادية ، وربما كان ذلك لأن فن الإخراج الصحفى آنذاك كان فى طور البداية ، ولم تعرف وسائل التصوير والتحميض المتقدمة التى تمكن المخرج من إخراج صفحة جيدة .

وجدير بالذكر أيضا ، أن هذه الصحف لم تستخدم أساليب تخطيط الصفحات الداخلية مثل أسلوب نصف الهرم الذى يترك للإعلانات مساحة على شكل نصف هرم فى الركن السفلى الأيسر من الصفحة ، أو أسلوب الهرم المقلوب الذى تكون فيه المادة التحريرية فى مساحة على شكل مثلث مقلوب ، وتكون الإعلانات على الجانبين ، أو أسلوب الجزر الذى تحيط فيه الإعلانات بالمادة التحريرية (٢) .

ولم تخل الجرائد من العيوب التيبوغرافية التى ذكرناها فى المجلات ، من حيث عدم

---

(١) سمير صبحى : صحيفة تحت الطبع ، القاهرة : دار المعارف ١٩٨٠م ص١٥٤.

(٢) د . أحمد حسين الصاوى: طباعة الصحف وإخراجها ، مرجع سابق ، ص٢٨٣ ـ ٢٩٠ .

استخدام علامات الترقيم ، وعدم الدقة فى تقسيم الكلام فى فقرات تناسب المعنى .

وكانت الصحف تولى الشعر عناية فائقة فى الإخراج ، حيث كانت تحيطه بإطارات أو براويز مزخرفة،وكان يجمع ببنط أكبر من المتن،إذ كان يصل حجم الحرف إلى بنط ١٨ .

الصور والرسوم والخرائط :

الصورة الصحفية عنصر ضرورى لشكل الصحيفة ، فهى بالإضافة إلى كونها أحد العناصر البصرية التى تنقل للقارئ مضمونا متكاملا بشكل سريع محدد ، نجدهــا أداة تيبوغرافية هامة فى يد المخرج الصحفى ، يستخدمها فى خدمة التكوين الشكلى للصحيفة، ونفس الأمر ينطبق على الرسوم والخرائط ، سواء كانت رسوما إيضاحية أو تعبيرية أو جمالية .

وكانت الجريدة التى أصدرها لطفى السيد عام ١٩٠٧م أول صحيفة تستخدم صورا فوتغرافية للأشخاص والأماكن مع الأخبار والحوادث الهامة .

وقد بدأ ذلك يوم ٢٨ من يوليو ١٩٠٨م بصورة لمدحت باشا زعيم الإصلاح الدستورى فى تركيا ، ثم مضت توسع نطاق استخدامها للصورة وتحسن مستواها ، وتبعث الجريدة فى هذا التطور التيبوغرافى بعض الجرائد ، فى حين تخلفت صحف أخرى عن ملاحقتها (١) .

وقد سبق «المقطم» بنشر الخرائط ، وكان ذلك فى عام ١٨٩٩م عندما نشرت بعض الخرائط لجنوب إفريقيا ، حيث كانت تدور حرب البوير ، ثم نشرت خرائط أخرى بمناسبة نشوب الحرب بين روسيا واليابان عام ١٩٠٤م وما لبثت الصحف الأخرى أن أخذت تنشر الخرائط فى المناسبات التى اقتضت ذلك (٢) .

ورغم ذلك فلم تعرف صحافة الاتجاه الإسلامى الصورة الصحفية الفوتغرافية التى تعتبر من سمات الصحافة الحديثة إلا نادرا ، ولكنها عرفت الصورة «الصماء» ولم تستخدم بشكل أساسى إلا فى الإعلانات ، كما أنها لم تستخدم الرسوم التوضيحية إلا فى الإعلانات أيضا .

وقد نشرت المؤيد صورة فوتغرافية للسلطان محمد الخامس فى صدر الصفحة الأولى(٣)، وكانت «مكارم الأخلاق الإسلامية» تنشر بعض الصور للمساجد الأثرية مثل مسجد عمرو بن العاص ، ومسجد الرفاعى ، و مسجد محمد ، خلال أعدادها المتوالية .

---

(١) د . أحمد الصاوى : طباعة الصحف وإخراجها ، مرجع سابق ، ص١٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٨٣ .

(٣) المؤيد ، عدد ٥٧٥١ ، ٨ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ ، ٢٨ أبريل ١٩٠٩م .

وربما يرجع خلو الصحافة الإسلامية من الصور والرسوم إلى ما كان يواجهه أصحاب هذه الصحف من حرج فى استخدام الصور والرسوم ، استنادا إلى بعض الأحاديث النبوية الشريفة التى رويت لتحريم هذه الصور (١) ، وأيضا لم تستخدم الخرائط إلا نادرا ، وقد نشرت «المؤيد» خريطة للغزو الإيطالى لطرابلس الغرب ، بينت فيها الحصون الحربية لطرابلس ، وطرق إمدادات الدولة العثمانية ، ونشرت صورة لعزيز بك قائد المجاهدين فى بنغازى (٢) ، ثم نشرت أيضا خريطة لتركيا والبلقان وذلك بمناسبة الحرب التركية البلقانية(٣) ، كما نشرت «الشعب» خريطة توضح فيها مسار الحرب التركية البلغارية ، وقامت بكتابة تعليق أسفل الخريطة ، وضحت فيه أسماء المدن والطرق (٤) .

الفهارس :

كانت «المؤيد» و «الشعب» تضع فهرسا ينشر فى العدد فى الصفحة الأولى، فى حين أن بعض المجلات «كالمنار» و «الهداية» كانتا تضعان فهرسا لمجلداتهما فى بداية كل مجلد، ولم تلتزم بعض المجلات بعمل فهارس لموضوعاتها .

الجداول والفواصل والإطارات :

تعتبر الجداول والفواصل والإطارات من وسائل الإبراز الهامة التى يستخدمها مخرج الصحيفة فى إخراج صفحة جيدة ومقروءة ، ولم تستخدم الإطارات إلا نادرا ، فى حين أن الجرائد استخدمت الجداول الطولية ، التى تفصل بين أعمدة الصحف ، وقد كانت هذه الجداول ممتدة بطول جسم الصفحة بين أعمدتها الخمسة أو الستة ، وكانت هذه الجداول الطولية سوداء سميكة ، تتسق مع أسلوب الإخراج العمودى التقليدى ، الذى كان متبعا فى إخراج هذه الصحف .

لذلك فلم تستخدم الجداول العرضية التى لا تناسب هذا الأسلوب الإخراجى ، وقد اقتصر استخدامها على الفصل بين الإعلانات والمادة التحريرية ، كما استخدمت الصحف أيضا الفواصل الفرعية ، للفصل بين موضوع وآخر، أو الفصل بين العنوان والموضوع فى بعض الأحيان ، أو بين عناوين الأبواب الصحفية الثابتة، وبين المادة التحريرية قبلها .

وقد اتخذت هذه الفواصل الفرعية أشكالا متنوعة منها : الخطوط المستقيمة ، ومنها الخطوط المزخرفة ، والمتعرجة ، والمتقطعة ، والمزدوجة .

وكان استخدام الإطارات يتم على نطاق ضيق كما ذكرنا ، ولكنها قد استخدمت فى بعض الأحيان فى إخراج القصائد الشعرية ، أو فى إبراز بعض المقالات .

---

(١) سامى الكومى ، الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ، مرجع سابق ، ص١١٤ .

(٢) المؤيد ، عدد ٦٥٤٤ ، ١١ ديسمبر ١٩١١م .

(٣) المؤيد ، ١٣ أكتوبر ١٩١٢م .

(٤) الشعب ، عدد ٢٣٣٢ ، أول مارس ١٩١٤م .

الغلاف والقطع :

اهتمت المجلات الإسلامية بوضع غلاف لكل عدد من أعدادها تكتب عليه اسم المجلة وبعض البيانات الدالة الأخرى ، وكانت بعض المجلات تستخدم أحيانا غلافا من ورق جميل ملون ، كـ «الإسلام» و «مكارم الأخلاق الإسلامية» و «الحياة» و «المنار» .

وكانت المجلات تصدر فى قطع يبلغ ١٥ × ٢٣ سم ، أما الصحف فكانت تصدر فى قطع يبلغ ٤٤ × ٥٧ سم .

أحجام الحروف :

لم تختلف أحجام الحروف المستخدمة فى جمع المادة التحريرية ، والعناوين فى الصحف الإسلامية عن الصحف المعاصرة لها . وقد تراوح حجم الحرف فى المتن بين ١٢، ١٨ بنطا ، وفى العناوين بين ٢٤ ، ٣٦ بنطا ، وكان البنط الشائع فى صلب المادة التحريرية هو بنط ١٢ .

ويلاحظ أن هذه الصحف لم تنوع الأبناط فى إخراج المقالات والموضوعات الصحفية، فلم تركز على نقط هامة فى الموضوع ، فتجمع بنط أكبر عن باقى المادة الصحفية ، كما تفعل الصحف الحديثة ، أو تضع له عناوين فرعية ، وعناوين رئيسية ، وكان غير شائع فى هذه الصحف كتابة مقدمة للموضوع ، أو الخبر أو المقال ، بل كان الكاتب يدخل فى الموضوع مباشرة .

الفصل الرابع عشر

الإدارة والتوزيع والإعلان [(١)] فى صحف الاتجاه الإسلامى

ملكية الصحف وإدارتها :

نشأت الصحف المصرية فى كنف الحكام فى أول أمرها ، منذ عصر محمد على ، ثم تحولت إلى صحافة شعبية بعد ذلك . وبظهور الأحزاب المصرية الرئيسية عام ١٩٠٧م أصبح لكل حزب صحيفته ، فحزب الأمة صحيفته : «الجريدة» ، وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية صحيفته : «المؤيد» ، والحزب الوطنى صحيفته : «اللواء» .

وظلت ملكية الصحف على هذا النحو من أشكال الملكية الخاصة ، حتى بعد صدور دستور ١٩٢٣م وإلى صدور قانون تنظيم الصحافة فى مصر عام ١٩٦٠م [(٢)] .

ويلاحظ أن الصحف الإسلامية بعضها قد أصدرها أشخاص ، وظلت ملكيتها تابعة لهم ، ويتمثل هذا اللون من أشكال الملكية فى تلك المجلات «الإسلام» و «الحياة» و«المنار» و «الهداية» ، وبعض هذه الصحف أصدرتها جمعيات مثل مجلة «مكارم الأخلاق الإسلامية» ، ثم تحولت ملكيتها إلى جمعية الملاجئ العباسية ، بعد انضمامها إلى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية .

وبعض هذه الصحف أصدرها أشخاص ، ثم تحولت ملكيتها إلى أحزاب ، ومن هذه الصحف جريدة «المؤيد» التى أصدرها الشيخ على يوسف ، ثم أصبحت بعد ذلك لسان حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، و «اللواء» التى أصدرها مصطفى كامل ، ثم أصبحت بعد ذلك لسان الحزب الوطنى . ومن الصحف ما صدرت لسان حزب كـ «الشعب» التى أصدرها الحزب الوطنى عام ١٩١٠م .

الطباعة :

كانت الصحف المصرية تطبع على ماكينات مسطحة ، ولم تعرف الطباعة الدوارة «الروتاتيف» إلا عندما أدخلها الشيخ على يوسف صاحب «المؤيد» لأول مرة فى العالم العربى ، واشترى آلة من هذا النوع ١٨٩٩م [(٣)] ، واحتفل بالطبع عليها لأول مرة ،

---

(١) لم نعثر على أية مراجع تناولت صحف الاتجاه الإسلامى من ناحية الإدارة ، والإعلان ، والتوزيع .

(٢) د . محمد سيد محمد : اقتصاديات الإعلام ، المؤسسة الصحفية ، مرجع سابق ، ص١٠١ .

(٣) ذكر الدكتور أحمد الصاوى فى كتابه «طباعة الصحف وإخراجها» فى صفحة ٦٨ : أن على يوسف أدخل هذا النوع من المطابع فى عام ١٩٠٦م ، ويتفق فى ذلك مع د . خليل صابات فى كتابه «تاريخ الطباعة فى الشرق=

وكانت فتحا جديدا فى طباعة الصحف العربية ، ثم تبعت «الأهرام» و «المقطم» و«اللواء» جريدة «المؤيد». وكانت جرائد ذلك العهد خالية من الصور إلا فيما ندر . وكان بعض أصحاب الصحف فى ذلك الحين يقومون بتحرير الصحيفة وترجمة برقياتها وتصحيحها بأنفسهم ، ويديرون سائر أعمالها الإدارية ، وربما اشتركوا فى توزيعها (١) .

وقد ترك الشيخ على يوسف «المؤيد» فى عام ١٩١١م ، وأسند إلى محمد أبى شادى رئاسة تحريرها ، وأصبحت شركة مساهمة ، ثم تولاها حافظ عوض الذى ترك منصبه فى قصر عابدين ليشرف على تحريرها ، كما تولى تحريرها بعد ذلك الدكتور سيد كامل ، الذى تعلم فى أوربا على حساب الخديو ، وبتوجيه من على يوسف ، الذى رشحه ليتولى أمانة «المؤيد» (٢) .

وقد اشترى «اللواء» أيضا مطبعة وتاتيف ، التى تطبع فى الساعة الواحدة اثنتى عشرة ألف نسخة ، وطبعت مطبعة «اللواء» أيضا صحيفة أسبوعية اسمها : «العالم الإسلامى»، وصحيفتين ،أحدهما فرنسية، والثانية إنجليزية ، وانتقلت ملكية المطبعة بعد وفاة مصطفى كامل إلى على بك كامل وشركائه ، واستخدمت المطبعة أيضا آلتين لينوتيب من طراز أمريكى (٣) .

وكانت مطبعة «اللواء» أكبر مطبعة مصرية فى عام ١٩١٠م ، ولما توقفت «اللواء» عن الصدور بيعت المطبعة الروتاتيف إلى هنرى بوتنيه صاحب «البورص اجبسيان» .

وكانت «اللواء» منذ عام ١٩٠٨م شركة مساهمة ، رأس مالها أربعون ألف جنيه ، فقد نشرت «اللواء» فى يوم ٢٨ أبريل ١٩٠٨م ، ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٦هـ فى العدد رقم ٢٦٣٢ما يلى : «اليوم تحققت أمنية المرحوم المبرور مصطفى كامل باشا من جعل «اللواء» شركة بين الكثيرين من أعضاء الحزب الوطنى ، لسان حاله بالمعنى الصحيح ، ولذلك قسمنا أعمال «اللواء» إلى قسمين : الأول : وهو القسم التحريرى من ترجمة وأخبار وتحرير وتصحيح ، يديره رئيس تحرير مسؤول . والثانى : هو القسم الإدارى من اشتراكات وإعلانات وطبع وعمال ومشتروات وخلافها ، يديره رئيس هو مأمور الإدارة ، ويرأس الشركة مجلس إدارة مؤلف من ثلاثة أعضاء مسؤولين وهم محمد بك فريد ، ومحمد بك خلوصى ، وعلى بك فهمى ، ورئيس المجلس هو على بك فهمى» (٤) .

= العربى» جـ٢ ، القاهرة دار المعارف ١٩٦٦م ، ص٢٤٦ .

(١) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص٢٠٢ .

(٢) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص١٦٣ .

(٣) د. خليل صابات ، تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ، مرجع سابق ، ص٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٤) اللواء ، عدد ٢٦٣٢ ، ٢٧ ربيع الأول ١٣٢٦هـ ، ٢٨ أبريل ١٩٠٨م .

وليس من شك فى أن «المؤيد» و «اللواء» كانتا لهما الفضل فى إحداث نهضة صحفية فى العقد الأول من القرن العشرين ، يقول أديب مروة : «أخذت الصحف فى أوائل القرن العشرين تتسع دائرتها، وتتقدم إلى الأمام بفضل تلك النهضة الصحفية التى أحدثها مصطفى كامل فى «اللواء» ، والشيخ على يوسف فى «المؤيد» ، وهما يعتبران من بناة النهضة الصحفية الحديثة فى مصر والعالم العربى » (١) .

موارد الصحف :

تنحصر موارد الصحيفة فى ستة مصادر ، هى :

١ ـ التوزيع والاشتراكات .

٢ ـ الإعلانات .

٣ ـ الطباعة التجارية وعمليات النشر .

٤ ـ العمليات الخاصة بتشغيل بعض أجهزة الصحيفة العصرية لحساب الآخرين .

٥ ـ بيع المرتجعات من نسخ الصحيفة وبيع مخلفات العمليات الطباعية .

٦ ـ المساعدات من الأفراد والهيئات والحكومات (٢) .

وإذا نظرنا إلى صحف الاتجاه الإسلامى نجد أن بعضها كانت تعتمد على التوزيع والاشتراكات وبيع المرتجعات من النسخ المطبوعة من هذه الصحف : «الإسلام» و «الحياة» و «الهداية» ، وبعضها كان يعتمد على التوزيع والاشتراكات والطباعة التجارية وبيع المرتجعات من نسخ الصحيفة ، والإعلانات ، وتشغيل بعض أجهزة الصحيفة لحساب الآخرين مثل «المنار» ، و «مكارم الأخلاق الإسلامية» ، ومن هذه الصحف ما كان يعتمد على المصادر السابقة كلها مثل : «المؤيد» و «اللواء» و «الشعب» .

فلقد وقف الخديو عباس بجانب «المؤيد» وكان يمدها بالمال اللازم لها ، وذلك باعتراف الخديو عباس نفسه (٣) .

أما موارد «اللواء» فقد أشار العقاد فى مذكراته إليها فقال : «إن اللواء كان فى حياة مصطفى يعتمد على موارد «يلدز» و «عابدين» ومعونة بعض الغيورين من سراة الترك والمصريين ، ثم انقطعت موارد «يلدز» بعد زوال عهد السلطان عبد الحميد ، وانقطعت موارد عابدين بعد إعراض الخديو عن الحزب الوطنى ، فى عهد سياسة الوفاق واستحكام

---

(١) أديب مروة : الصحافة العربية ـ نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ .

(٢) د. محمد سيد محمد : اقتصاديات الإعلام ، مرجع سابق ، ص١٩٧ .

(٣) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

العداء بين الحاشية الخديوية وخليفة مصطفى كامل محمد فريد . وقد كان محمد فريد ـ رحمه الله ـ ينهض وحده بأعباء «اللواء» المالية والسياسية ، لولا ما أصابه من المصادرة بعد المصادرة والمحاكمة بعد المحاكمة» (١) . وكان يمول صحيفة الشعب الحزب الوطنى .

التوزيع :

كانت صحافة الاتجاه الإسلامى توزع عن طريق المتعهدين الذين يقسمون النسخ على الصبية من باعة هذه الصحف فى الطرقات العامة ، وكانت بعض النسخ توزع عن طريق آخر هو طريق الاشتراكات الشهرية أو السنوية التى تحددها الصحيفة للمشتركين (٢) .

وكانت أكثر الصحف انتشارا فى مصر فى تلك الفترة لا تطبع إلا ثلاثة أو أربعة آلاف نسخة ، وكان لكل جريدة أو مجلة وكلاء محصلون يقومون بتوزيعها وجمع اشتراكاتها .

وكان الاختلاس عادة متبعة فى كثير من الوكلاء، حتى يمكن القول : إن الصحافة فى ذلك العهد لم تكن من الأعمال التى تغرى بالربح ؛ لذلك فإن بعضا من هذه الصحف كان يتعثر فى الصدور ، وبعضها لم يعمر طويلا ، ولولا بعض المعونات التى كانت تعتمد عليها من جهات خاصة لما استطاعت أن تستمر فى الصدور (٣) . فضلا عن ذلك ، كانت الصحافة رسالة وليست حرفة .

وكان هؤلاء الوكلاء منتشرين فى المراكز والمحافظات ، وبعض الأقطار العربية ، فضلا عن ذلك كان البريد أيضا منفذا من منافذ التوزيع .

أما عن أرقام التوزيع فيحدثنا عنها داود بركات ـ رئيس تحرير صحيفة الأهرام ـ من خلال حديث نشرته مجلة الهلال فى يناير عام ١٩٢٨م قال : «كانت الصحف القديمة قليلة الانتشار «التوزيع» فإن «المؤيد» فى أحسن أيامه لم يكن يطبع أكثر من ٨ آلاف نسخة فى مطبعة يدوية ، والآن «١٩٢٨» فإن أصغر جريدة تطبع ١٥ ألفا ، ويوم وفاة سعد زغلول بلغ المطبوع من الأهرام ١٢٠ألف نسخة ، وعندما طبع «اللواء» ٤٠ ألف نسخة كانت معجزة صحفية» (٤) . وكان هذا اليوم الذى رحل فيه مصطفى كامل فى ١١ أبريل ١٩٠٨م (٥) .

وربما يرجع ضعف التوزيع فى تلك الفترة إلى انتشار الأمية بين سكان مصر والدول العربية فى ذلك الوقت ، وكذلك ضعف منافذ التوزيع ، حيث إن الصحف لم تكن تصل

---

(١) أنور الجندى : الصحافة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة فى مصر ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(٣) أديب مروة : الصحافة العربية ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ .

(٤) سمير صبحى : صحيفة تحت الطبع ، مرجع سابق ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٥) الشعب ، عدد ١١٨ ، ٢ جمادى الثانية ، ١٣٣٠هـ ، ١٩ مايو ١٩١٢م .

إلى المراكز والقرى بسهولة .

الإعلانات :

تحرير وإخراج الإعلان :

اهتمت صحافة الاتجاه الإسلامى فى الجرائد بالإعلانات ، ولم تُعْنَ بها المجلات سوى مجلة «مكارم الأخلاق الإسلامية» التى حظى الإعلان فيها بمكانة ، حيث كانت تخصص أكثر من صفحة للإعلان .

ويرجع اهتمام الصحف الإسلامية بالإعلان ، لأن موارد الصحف كانت ضئيلة ، وكان الإعلان مصدرا من مصادر التمويل الرئيسية ، وكانت «المؤيد» تختص بنشر الإعلانات القضائية .

أنواع الإعلانات :

إعلانات عن الملابس ، إعلانات عن محال البقالة ، المشروبات الغازية ، بيع الأطيان الزراعية ، الأدوية ، الروايات والكتب والمجلات والمسارح والتيتروهات ، عيادات الأطباء، مكاتب المحامين ، المدارس الخاصة .

وقد انقسمت الإعلانات من الناحية التحريرية إلى إعلان تحريرى وهو : الإعلان الذى يصاغ بالكلمات فقط . وإعلان تصميمى وهو : الإعلان الذى يحتوى على رسم توضيحى وشرح قليل بالكلمات .

ويلاحظ أن صحافة الاتجاه الإسلامى لم تعرف إعلانات الوفيات أو الأفراح بالمعنى الذى تعرفه صحافتنا اليوم ، أيضا لم تعرف الإعلانات المبوبة ، وإعلانات الاجتماعيات ، ولعل السبب فى ذلك أنها كانت صحافة توجيه وفكر ورأى وعقيدة ونضال ، وليست صحافة تجارية .

إخراج الإعلانات :

حظى الإعلان فى تلك الصحف باهتمام أكبر من المادة التحريرية ، فقد تمتع بالانطلاق والتحرر فى استخدام مختلف أحجام الحروف والمساحة .

ولم يلتزم بأسلوب معين فى الإخراج فقد كان يستخدم فى الصفحة الواحدة أسلوب الإخراج العمودى التقليدى ، وأسلوب الإخراج العرضى ، حيث كانت الإعلانات تنتشر فوق معظم الأعمدة وتستخدم العناوين الثقيلة والخطوط المتميزة .

كما يلاحظ أن الإعلان قد استخدم الصورة والرسوم والإطارات والبراويز والفراغات البيضاء بشكل أكبر مما كان يستخدم فى المادة التحريرية ، أيضا كان الإعلان يستخدم لغة

سهلة وكلمات مألوفة لدى الجماهير أكثر من المادة التحريرية .

وقد التزمت الصحف بتقليد معين فى إخراج المادة الإعلانية ، حيث كانت تخصص لها الصفحات الأخيرة ، ولم ينشر إعلان فى الصفحة الأولى فى الصحف غير مرة واحدة نشرته «المؤيد» ، وكان فى ذيل الصفحة على امتداد الست أعمدة عن سجاير «ديانا» [1].

ولم تخضع الإعلانات أيضا لأسلوب تخطيطى معين ، وإنما كانت توزع بطريقة عشوائية ، وكان إخراجها يخضع للمساحة المخصصة بكل إعلان . وقد تراوحت مساحة الإعلانات بين جزء من العمود وبين ربع صفحة أو نصف صفحة أو صفحة كاملة .

ويلاحظ أن المادة الإعلانية رغم استخدامها لجميع العناصر التيبوغرافية المتاحة من صور ورسوم وخطوط وتنوع فى أحجام الحروف ، إلا أن الصفحة الإعلانية فى بعض الأحيان كانت تفتقد الانسجام والتنسيق بين الإعلانات بعضها مع بعض .

---

(١) المؤيد ، عدد ٥٨٩٨ ، ٩ شوال ١٣٢٧هـ ، ٢٣ أكتوبر ١٩٠٩م .

المصادر والمراجع

أولا : الصحف والمجلات مرتبة على حسب سنوات صدورها :

١ ـ العروة الوثقى ١٨٨٤م.

٢ ـ المقتطف ١٨٨٥م.

٣ ـ المؤيد ١٨٨٩م.

٤ ـ الإسلام ١٨٩٤م.

٥ ـ المنار ١٨٩٨م.

٦ ـ الحياة ١٨٩٩م.

٧ ـ اللواء ١٩٠٠م.

٨ ـ مكارم الأخلاق الإسلامية ١٩٠٠م.

٩ ـ المرأة فى الإسلام ١٩٠١م.

١٠ ـ الواعظ ١٩٠٣م.

١١ ـ العالم الإسلامى ١٩٠٥م.

١٢ ـ الدستور ١٩٠٧م.

١٣ ـ الشعب ١٩١٠م .

١٤ ـ الهداية ١٩١٠م.

ثانيا : الكتب :

د. إبراهيم إمام :

١ ـ دراسات فى الفن الصحفى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٢م.

٢ ـ فن الإخراج الصحفى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٥٧م.

د. إبراهيم عبده :

٣ ـ الأهرام تاريخ وفن ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥١م.

٤ ـ تطور الصحافة المصرية ، ط ٤ ، القاهرة ، سجل العرب ١٩٥٣م.

٥ ـ أبو نظارة ، جـ١ ، القاهرة ، مكتبة الآداب ١٩٥٣م.
٦ ـ أعلام الصحافة العربية ، جـ١ ، القاهرة ، مكتبة الآداب ١٩٤٤م.

د. إبراهيم العدوى :

٧ ـ رشيد رضا الإمام المجاهد ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ .

أبو الأعلى المودودى :

٨ ـ الإسلام والمدنية الحديثة ، ط٢ ، القاهرة ، دار الأنصار ١٩٧٩م.

أحمد حسين الصاوى :

٩ ـ طباعة الصحف وإخراجها ، القاهرة ١٩٦٥م.

أحمد شفيق باشا :

١٠ ـ مذكراتى فى نصف قرن ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٣٦م.

أحمد الشرباصى :

١١ ـ رشيد رضا الصحفى المفسر الشاعر اللغوى ، الكتاب الثانى، القاهرة ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٧م.

أحمد عبد الرحيم مصطفى :

١٢ ـ تاريخ مصر السياسى من الاحتلال إلى المعاهدة (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦م) ، القاهرة ١٩٦٧م.
١٣ ـ التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث ، القاهرة ١٩٧١م.

أحمد محمد غنيم ، أحمد أبو كف :

١٤ ـ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر (١٨٩٧ ـ ١٩٣٦م) ، القاهرة ، دار الهلال ١٩٧٠م.

أديب مروة :

١٥ ـ الصحافة العربية ـ نشأتها وتطورها ، جـ١ ، بيروت ١٩٦١م.

أنور الجندى :

١٦ ـ اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار ، القاهرة ١٩٧٨م.
١٧ ـ الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها حتى الحرب العالمية الأولى ، القاهرة ،

الأنجلو المصرية ١٩٦٢م.

١٨ ـ الفكر العربى المعاصر فى معركة التغريب والتبعية الثقافية ، القاهرة ، دار المعرفة ١٩٧٠م.

١٩ ـ عبد العزيز جاويش ، من رواد التربية والصحافة والاجتماع ، سلسلة أعلام العرب، القاهرة ١٩٦٥م .

٢٠ ـ الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الإسلامى ، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٨١م .

٢١ ـ الإسلام فى معركة التغريب ، عدد ٧٤ ، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٤م .

٢٢ ـ تاريخ الصحافة الإسلامية «المنار» جـ١ ، القاهرة، دار الأنصار ١٩٨٣م .

٢٣ ـ يقظة الفكر العربى فى مواجهة التغريب ، القاهرة ، مطبعة زهران ١٩٧٥م .

٢٤ ـ محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة، بدون تاريخ .

د. أنيس صايغ :

٢٥ ـ الفكرة العربية فى مصر ، القاهرة ، مطبعة هيكل ١٩٧٠م .

د . جمال الدين المسدى :

٢٦ ـ دنشواى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

د . خليل صابات وآخرون :

٢٧ ـ حرية الصحافة فى مصر (١٧٩٨ ـ ١٩٢٤م) ، القاهرة، مكتبة الوعى العربى ١٩٧٣م.

٢٨ ـ تاريخ الطباعة فى الشرق العربى ، ط٢ ، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٦م .

رشيد رضا :

٢٩ ـ تاريخ الأستاذ الإمام ، القاهرة ، مطبعة المنار ١٩٣١م .

د . رشدى لبيب وآخرون :

٣٠ ـ تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية ، ط١ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٧٢م .

د . زكريا سليمان بيومى :

٣١ ـ مصر الحديثة بين الانتماء العقائدى والقومى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٧م .

٣٢ ـ الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية (١٩٠٧ ـ ١٩٥٣م) ، القاهرة ١٩٨١م .

د . سامى عزيز:

٣٣ ـ الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، القاهرة ١٩٦٨م .

سالم قنبير :

٣٤ ـ الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الأدب العربى المعاصر (عبد العزيز جاويش ١٨٧٢ ـ ١٩٢٩م) ، بنغازى ١٩٦٨م .

سهام نصار :

٣٥ ـ اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم (١٨٧٧ ـ ١٩٥٠م) ، القاهرة ١٩٧٧م .

سمير صبحى :

٣٦ ـ صحيفة تحت الطبع ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٠م .

د . السيد الدقن :

٣٧ ـ دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٧٩م .

م.ل شاتليه :

٣٨ ـ الغارة على العالم الإسلامى ، ترجمه إلى العربية: عباس محمود العقاد ، القاهرة، ١٩٣٥م .

شهدى الشافعى :

٣٩ ـ تطور الحركة الوطنية (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦م) ، القاهرة ، مطبعة أطلس ١٩٥٧م .

عبد الرحمن الرافعى :

٤٠ ـ مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦م .

٤١ ـ مصطفى باشا ـ الحركة الوطنية ، تاريخ مصر القومى (١٨٩٢ ـ ١٩٠٨م) ط٣ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٠٥م .

٤٢ ـ محمد فريد ـ رمز الإخلاص والوطنية ، ط٢ ، القاهرة ١٩٤٨م .

د . عبد الرشيد سالم :

٤٣ ـ مقدمات النهضة الأدبية وعواملها فى مصر ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٧م .

د . عبد العظيم رمضان :

٤٤ ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٩ ـ ١٩٣٦م) ، القاهرة ١٩٧٣م .

د . عبد اللطيف حمزة :

٤٥ ـ مستقبل الصحافة فى مصر ، جـ١ ، ط١ القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٦م ، الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ .

٤٦ ـ أدب المقالة الصحفية . جـ٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٣م .

٤٧ ـ أدب المقالة الصحفية ، جـ٦ ، ط٢ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٦١م .

٤٨ ـ قصة الصحافة العربية ، بغداد ، دار المعارف ١٩٦٧م .

٤٩ ـ المدخل فى فن التحرير الصحفى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٦م .

عباس محمود العقاد :

٥٠ ـ سعد زغلول ـ سيرة وتحية ، بيروت ١٩٧٥م .

د. عماد الدين خليل :

٥١ ـ البعثات بين السلب والإيجاب ، القاهرة ، دار الاعتصام ١٩٨٠م .

د . عمر الدسوقى :

٥٢ ـ فى الأدب الحديث ، جـ٢ ، ط٥ ، القاهرة ، دار الفكر العربى١٩٧٠م .

د . على جريشة، محمد زيبق :

٥٣ ـ أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ، ط٣ ، القاهرة ، دار الاعتصام ١٩٧٣م.

د . على عبد الحليم محمود :

٥٤ ـ الغزو الفكرى وأثره على المجتمع الإسلامى المعاصر ، جـ١ ، الكويت ، دار البحوث العلمية ١٩٧٩م .

د . عواطف عبد الرحمن :

٥٥ ـ الصحافة الصهيونية فى مصر (١٨٩٧ـ ١٩٥٤م) ، دار الثقافة الجديدة ١٩٨٠م .

د . فاروق أبو زيد :

٥٦ ـ الصحافة وقضايا الفكر الحر فى مصر ، القاهرة ١٩٧٤م .

قاسم أمين :

٥٧ ـ تحرير المرأة ، ط١ ، القاهرة ، ١٣١٦هـ / ١٨٩٩م .

٥٨ ـ تحرير المرأة ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٠م .

لوثروب ستودارد :

٥٩ ـ حاضر العالم الإسلامى ، ترجمه إلى العربية: الأستاذ عجاج نويهض ، تعليق:

شكيب أرسلان ، جـ١ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ١٩٤٥م .

د . محمد أنيس :

٦٠ ـ الدولة العثمانية والشرق العربى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٦٣م .

محمد سعد الدين الجيزاوى :

٦١ـ أصداء الدين فى الشعر المصرى الحديث ، جـ١ ، ط١ ، القاهرة ، نهضة مصر ، ١٩٥٦م .

محمد سيد محمد :

٦٢ ـ اقتصاديات الإعلام ، المؤسسة الصحفية ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة كمال الدين ١٩٧٩م .

٦٣ ـ الزيات والرسالة ، الرياض ، دار الرفاعى ١٩٨٢م .

٦٤ ـ المسؤولية الإعلامية فى الإسلام ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ١٩٨٣م .

٦٥ ـ الإعلام والتنمية ، ط٣ ، القاهرة ، مكتبة كمال الدين ١٩٧٨م .

٦٦ ـ الإعلام واللغة ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٤م .

د . محمد محمد حسين :

٦٧ ـ الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، ط٣ ، القاهرة ١٩٨٠م .

د . محمد يحيى :

٦٨ ـ فى الرد على العلمانية، القاهرة، مطبوعات دار الزهراء للإعلام العربى ،١٩٨٥م.

د . محمود أدهم :

٦٩ ـ فن التحقيق الصحفى ، ط١ ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨٠م .

٧٠ ـ المدخل فى فن الحديث الصحفى ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م.

مصطفى النحاس جبر :

٧١ ـ سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية (١٩٠٦ ـ ١٩١٤م) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

د. مصطفى خالدى ، وعمر فروخ :

٧٢ ـ التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، بيروت ، المكتبة العلمية ١٩٥٣م .

د . مصطفى رمضان :

٧٣ ـ العالم الإسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، دار الوفاء ١٩٨٤م .

د . نصر الدين عبد الحميد نصر :

٧٤ ـ حركة الجامعة الإسلامية فى مصر (من عام ١٨٨٢ ـ ١٩١٤م) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م .

د . نفوسه زكريا :

٧٥ ـ تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها فى مصر ، ط١ ، الإسكندرية ١٩٦٤م .

د . يوسف القرضاوى :

٧٦ ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٧م .

٧٧ ـ حتمية الحل الإسلامى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٣م .

د . يونان لبيب رزق :

٧٨ ـ الحياة الحزبية فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م) ، القاهرة ، مكتبة الكيلانى ١٩٧٠م .

الفيكونت فيليب دى طرازى :

٧٩ ـ تاريخ الصحافة العربية ، بيروت ، المطبعة الأدبية ١٩١٤م .

د . تشارلز آدمز :

٨٠ ـ الإسلام والتجديد فى مصر ، ترجمه إلى العربية : عباس محمود العقاد ، القاهرة ١٩٣٥م .

د . محمد البهى :

٨١ ـ الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ١٩٧٥م.

ثالثا : رسائل جامعية وبحوث :

١ ـ **تيسير محمد أحمد** : المقطم ودورها فى الدعاية للاحتلال البريطانى ، رسالة دكتوراه، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

٢ ـ **سامى الكومى** : الصحافة الإسلامية فى القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ١٩٨٥م .

٣ ـ **سليمان صالح** : جريدة المؤيد ١٨٨٩ ـ ١٩١٥م ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٨٥م .

٤ ـ **سهام عبد الرازق عشرى** : صحافة اليهود العربية ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ١٩٧٨م .

٥ ـ **على عجوة** : فن الدعاية والإعلام عند مصطفى كامل ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

٦ ـ **محمد السيد حسين** : الفن الصحفى عند الشيخ على يوسف ، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة .

٧ ـ **محمد سعد إبراهيم** : أمين الرافعى صحفيا ، ودوره فى الحركة الوطنية ، رسالة ماجستير ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة .

٨ ـ د . **محمد سيد محمد** : الغزو الثقافى والاتصال الحضارى مفهومان متناقضان ، بحث مقدم إلى ملتقى الفكر الإسلامى التاسع عشر المنعقد فى بجاية بالجزائر .

٩ ـ **محمد صابر عرب** : الحركة الوطنية فى مصر (١٩٠٨ ـ ١٩١٤م) ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة .

١٠ ـ **محمد منير حجاب** : العروة الوثقى ـ مقومات الصحافة الإسلامية ، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير منشورة .

١١ ـ **مصطفى إبراهيم الدميرى** : العلمانية وأثرها فى وسائل الإعلام ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر ، القاهرة .

رابعا : مقالات فى الصحف والمجلات :

١ ـ **أحمد بهاء الدين** : يوميات الأهرام ، عدد ٣٦٠٣٥ ، ٧ أغسطس ١٩٨٥م .

٢ ـ د . **أحمد زكريا الشلق** : العلمانية والفكر المصرى الحديث ، المجلة التاريخية المصرية، عدد ٣١٣٠ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤م .

٣ ـ د . **حسين مؤنس** : الصحافة حاضرا ومستقبلا ، مجلة الفيصل،عدد ١٩، ١٩٧٨م .

٤ ـ **فتحى رضوان** : دور العمائم فى التاريخ المصرى ، الشيخ عبد العزيز جاويش ، مجلة الدوحة ، عدد ٨٨ ، ١٩٨٣م .

خامسا : معاجم وقواميس :

١ ـ **الزركلى** ؛ قاموس الأعلام ، جـ١ ، القاهرة ، مطبعة كوستاموس ، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م .

٢ ـ **الزبيدى** : تاج العروس ، جـ٣ ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ .

٣ ـ **مجمع اللغة العربية** : المعجم الوسيط ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٨٠م .

فهرس الموضوعات

الباب الثالث

صحافة الاتجاه الإسلامى والدفاع عن الإسلام

الباب الرابع

صحافة الاتجاه الإسلامى والقضايا الوطنية المعاصرة لها

الباب الخامس

الجوانب التحريرية والفنية والإدارية فى صحف الاتجاه الإسلامى

رقم الإيداع : ١٥٥٧٢/١٩٩٩م
I.S.B.N:977-15-0278-6